مقدمة

تاريخ العرب الحديث

١٥٠٠ – ١٩١٨

الجزء الأول

العراق والجزيرة العربية

عبد الكريم محمود غرايبه

B.A. (A.U.B.) Ph.D (London)

استاذ معاقد لتاريخ العرب الحديث في جامعة دمشق

المدير العام للآثار في الاردن سابقاً

مطبعة جامعة دمشق

١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م

حكام ليلة القدر

.. وتحادثا مع الجمّال الذي هو حامل لهما في ليلة مقمرة من شهر رمضان فقالوا لعل هذه الليلة النيرة ليلة القدر ولعل الدعاء فيها مستجاب فليدع كل منا بما يحبه .

.. وقال (احد العبيد) انا اطلب سلطنة .. من الله تعالى ، وقال الثاني وانا اطلب ان اكون اميراً خطيراً .

والتفتا الى الجمال وقالا له : ايّ شيء تطلب انت ؟ فقال : اطلب من الله حسن الخاتمة .

الفهرس

تمهيد

شعرت خلال السنوات السبع التي قضيتها في تدريس مادة تاريخ العرب الحديث (١٥٠٠ - ١٩٥٠) في جامعة دمشق بوجود حاجة ماسة الى كتاب او كتب عن هذا الموضوع . وترددت في الاقدام لاسيما واني لا أملك الامكانيات اللازمة لتحمل هذا العبء . وتريثت آملاً بأن يظهر كتاب او كتب في هذا الموضوع لأتمكن من أن أقف موقف الناقد بدلا من ان أضع نفسي في المشرحة . وأخيراً رأيت أن أتجرأ بعد أن أحجم غيري فجازفت ونزلت المعركة .

وشعرت أن البحث واسع ومتشعب والآراء فيه كثيرة ومتناقضة ولا تستند الى اسس من الحقائق . ورأيت استحالة وضع كتاب واحد يعالج الموضوع كله فلم أر بداً من تجزئته . وقسمته اول الامر الى قسمين : العهد العثماني والقرن العشرين . ثم شعرت ان هذا التقسيم غير كاف . فقد لاحظت وجود غموض كبير في اذهان الكتاب حول نوع العلاقات بين العرب والاتراك في التاريخ والدور الذي لعبه الاتراك في تاريخ العرب فرأيت ان الحاجة ماسة الى كتاب يقدم للقارىء والباحث صورة عن نوعية هذه العلاقات فأصبحت أقسام الموضوع ثلاثة . وما ان بدأت في اعداد المادة عن تاريخ العراق حتى جابهتني عقبة جديدة . فبالرغم من وجود تاريخ مستقل للعراق فان المجتمع العراقي والنشاط الاوروبي في العراق لايمكن دراستهما بمعزل عن الاقطار العربيـة الاخرى ، لذا بادرت الى اضافة قسمين جديدين . واخيراً استقر رأيي على خمسة اقسام وملحق على الشكل المذكور ادناه راجياً من الله ان يوفق غيري على خوض هذا الموضوع ليصلح حيث افسدت ، والا فاني ماض في طريقي نحو انجازه راجياً أن استفيد في الكتب القادمة من اخطائي ونقد الزملاء .

القسم الاول – الاتراك في تاريخ العرب

القسم الثاني – التاريخ السياسي للعالم العربي في العهد العثماني

الجزء الاول – العراق والجزيرة العربية

الجزء الثاني – بر الشام

الجزء الثالث – مصر والسودان

الجزء الرابع – الشمال الافريقي العربي

القسم الثالث – المجتمع العربي في العهد العثماني

احواله الثقافية والاجتماعية والاقتصادية

القسم الرابع – العرب والغرب في العهد العثماني

النشاط الاوروبي في البلاد العربية

القسم الخامس – العرب في القرن العشرين

الجزء الاول – إفريقية العربية

الجزء الثاني – آسيا العربية

ملحق – مراجع لدراسة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ – ١٩٥٠

وقد جمعت خلال السنوات العشر الماضية الجزء الاكبر من المادة مع فهارس المصادر. وسيصدر مع هذا الكتاب (الجزء الاول من القسم الثاني) كتاب آخر من السلسلة هو الجزء الاول من القسم الخامس. وارجو ان أتمكن من إصدار القسم الاول أواخر هذا العام ونشر الملحق خلال العام القادم.

واني لأعتذر الى المواطنين الكرام لإقدامي على نشر صفحات سيئة من تاريخنا. ولم أكن مغالياً حينما أوردت النص الموجود في الصفحة ب كأصدق وصف للحكام في بلادنا. وانه لمن المحزن حقاً ان نعرف بأن القدر قد استجاب لدعائهم فأصبح الاول سلطاناً والثاني اميراً ووزيراً خطيراً ونال الجمّال حسن العاقبة. وحُكمت البلاد العربية قروناً عديدة من قبل امراء ليلة القدر. وتسلم مقاليد الامور حكام لم يحلموا حتى في ليلة القدر بالسلطة التي حصلوا عليها في غفلة

من الدهر . وفقد امراء ليلة القدر سلطانهم وحياتهم بمثل السرعة التي حصلوا بها على مناصبهم الرفيعة فأفسحوا المجال لآخرين ليصلوا بطريق ليلة القدر . ولم يكن هذا اسوأ ما في الامر . فقد نكب عالمنا العربي بعدد من الحكام كان مكانهم الطبيعي مصحات الامراض العقلية . ولم يتغير الوضع كثيراً خلال القرن العشرين ، إذ ان اربعة على الاقل من رؤساء الدول والوزارات في آسيا العربية العربية أقاموا في مصحات الامراض العقلية او تنقلوا بينها وبين الرئاسة واحياناً جمعوا بينهما .

ويجب ان لايدعونا هذا الامر الى اليأس . فقد اصيبت امتنا خلال تاريخها بنكبات لو تعرضت لمثلها امة اخرى لانقرضت . واستطاعت هذه الامة ان تخرج من كل محنة وقد جددت حيويتها واستعادت شبابها . واني مؤمن بالمقريزي حين ينادي في كتابه اغاثة الامة بان لامبرر لليأس . وان ما حققته الامة خلال السنوات القليلة الماضية خير دليل على حيوية هذه الامة ومقدرتها على تأدية رسالتها . ويجب ان لاننسى ان اليمن والعربية السعودية كانتا الدولتين العربيتين الوحيدتين الكاملتي الاستقلال قبل خمسة عشر عاماً ، بينما ازداد هذا العدد الى خمسة امثاله اليوم . حقاً لقد نكبنا في فلسطين والجزائر ، وخاب ظننا في كثير من الساسة ، إلا اننا حققنا ما كان يبدو حلماً خيالياً . وليست الخلافات التي تبدو في الافق العربي ظاهرة تدعو الى اليأس من المستقبل . وهي في الواقع أقل منها في أي وقت مضى لولا ان وسائل النشر الحديثة قد ضخمتها . ولعل هذه الوحدة المباركة بين مصر وسوريا والطريقة التي تمت بها والخطوات التي قطعتها خير دليل على ان مستقبلنا لامع . وانا لاأعرف في التاريخ وحدة سهلة أرضت الجميع وتمت بدون اخطاء او ضحايا . وقد عشت وحدة ضفتي الاردن التي مر عليها اكثر من عشر سنوات ومازالت تعرج رغم قلة الفروق وقوة الروابط بين الضفتين . وان من واجب كل عربي ان يكون داعي وحدة ومؤمناً بالمستقبل .

واغتنم هذه الفرصة لأقدم شكري للمسئولين في جامعة دمشق الذين أتاحوا

لي جواً من الحرية الفكرية مكنتني من ان اعبر عن رأيي بصراحة في قاعات المحاضرات وخارجها وفي الطبع والنشر . ولم أشعر في اي وقت بأي قيد رغم اني عاصرت عهوداً سياسية مختلفة في سورية . ولا شك أن آرائي لاترضي ولم ترض كل عهد،ومع ذلك فاني لم ألق الا التشجيع والاكرام.وقد سألت قبل عدة اشهر احد الوزراء المسئولين في الاقليم السوري عن قضية تاريخية معينة لي رأي فيها يخالف الرأي الرسمي فقال لي: قل ماتعتقد أنه حق فأنت غير مقيد بالرأي الرسمي. واني لفخور باني عشت في مثل هذا الجو في بلد عربي،وفخور بخدمته بحيث نسيت مآساتي الشخصية كإنسان محروم من العيش في بلده كما تناسيت اساءة زعمائه لي ولفكرة العروبة ولكل اردني وكل عربي حينما استصدروا مرسوماً جمهورياً بطرد زوجتي من الخدمة «لزواجها من اردني». ولعل الغباء السياسي هو المبرر لما حدث .

ومن واجبي ان اشكر المسئولين في مكتبة جامعة دمشق ومكتبة الجامعة الامريكية في بيروت للتسهيلات الكثيرة التي اتاحوها لي . كما اشكر جميع الافراد العاملين في مطبعة جامعة دمشق .

* *

	الشركة صاحبة الامتياز	انتاج ١٩٥٩	الشركات البريطانية		الافرنسية	الشركات الامريكية						
			British Petrol	Royal Dutch Shell	Companie Française	Texas Co.	Standard of Calif.	Standard of New Jersey	Socony & Mobil oill	American Gulfoil	American Inde.	Pacific
العراق	IPC	٤١.٥	٪ ٢٣.٧٥	٪ ٢٣.٧٥	٪ ٢٣.٧٥	•	•	٪ ١١.٨٧	٪ ١١.٨٧	•	•	•
العراق - خانقين	B. P.		٪ ١٠٠									
السعودية	ARAMCO	٥٤				٪ ٣٠	٪ ٣٠	٪ ٣٠	٪ ١٠			
المنطقة المحايدة											٪ ٥٠	٪ ٥٠
الكويت		٧٠	٪ ٥٠							٪ ٥٠		
البحرين	BABCO					٪ ٥٠	٪ ٥٠					
قطر	IPC	٨	٪ ٢٣.٧٥	٪ ٢٣.٧٥	٪ ٢٣.٧٥			٪ ١١.٨٧	٪ ١١.٨٧			
قطر - المياه الساحلية				٪ ١٠٠								
أبو ظبي			ثلثا ٦٦ ٪		ثلثا ٦٦ ٪							
الساحل المهادن مسقط وعمان عدن وحضرموت	IPC		٪ ٢٣.٧٥	٪ ٢٣.٧٥	٪ ٢٣.٧٥			٪ ١١.٨٧	٪ ١١.٨٧			
مياه عدن الاقليمية والجزر			٪ ١٠٠									
ايران		٤٥.٤	٪ ٤٠	٪ ١٤	٪ ٦	٪ ٧	٪ ٧	٪ ٧	٪ ٧	٪ ٧		
نسبة حصتها العامة من البترول العربي			٪ ٢٤.٧٢٥	٪ ٦.١٧٥	٪ ٦.١٧٥	٪ ١١.٧٥	٪ ١١.٧٥	٪ ١٣.٥٨٧٥	٪ ٦.٧٨٧٥	٪ ١٨.٥٥		
انتاجها مليون طن			٤٣	٧	٧	١٨	١٨	٢٣	١٢	٣٥		

المقدمة

تشكل العراق والجزيرة العربية قرابة ٩٠٪ من آسيا العربية وربع مساحة العالم العربي ويسكنها ثلث عرب آسيا واقل من ربع سكان العالم العربي .

ولكن للعراق والجزيرة العربية اهمية كبيرة هي اكثر بكثير من نسبة المساحة والسكان . إذ يكاد يكون اكثر تاريخ العرب المعروف والمقروء تاريخاً للعراق والجزيرة . فقد قامت في الجزيرة الدويلات العربية القديمة الاولى وفيها ظهر الاسلام ومنها بدأت عملية التحرير العربي . وانتقل بعد ذلك مركز الثقل الى العراق فبقيت بغداد عاصمة العالم العربي عدة قرون . وغدت الجزيرة وجنوبي العراق مركز المقاومة العربية للحكم العثماني .

ولها اهمية اقتصادية كبيرة ايضاً . ففيها جميع البترول العربي تقريباً . اذ يستخرج فيها اكثر من ١٧٥ مليون طن من البترول سنويا اي ١٧٫٥٪ من انتاج العالم للبترول واربعة اخماس بترول الشرق الاوسط واكثر من ٩٠٪ من البترول العربي . وارتفعت النسب خلال النصف الاول من عام ١٩٦٠ بحوالي ١٥٪ . وتنتج مصر من البترول مايساوي انتاج قطر، بينما لايزيد انتاج ليبيا والجزائر معاً على انتاج البحرين . وتنال حكومات العراق والجزيرة من البترول قرابة اربعمائة مليون جنيه استرليني . وتزيد المدخرات البترولية في البلدين على ثلاثة امثال مدخرات الولايات المتحدة الامريكية .



انتاج البترول عام ١٩٥٩

١ سم = ١٠٠ مليون طن

وفي العراق والجزيرة العربية ثروات طبيعية اخرى. فالبلاد غنية بالكبريت والذهب والملح . وكان جنوب الجزيرة قبل قرن من اكبر منتجي القهوة في العالم، ومازالت العراق حتى الآن اكبر منتج للتمور. ولم يتم بعد الكشف عن الثروات الطبيعية في اكثر ارجاء الجزيرة .

وكانت الجزيرة والعراق اقل البلاد العربية تأثراً بالحكم العثماني . فقد بقي النفوذ العثماني في الجزيرة قلقاً سطحياً بينما سيطر على البلاد عدد كبير من الامراء والشيوخ الذين اعترفوا احياناً بولاء رمزي للسلطان العثماني . وقاوم السكان بعنف واستماتة محاولات العثمانيين لفرض سيطرة فعلية على الجزيرة وتحالفوا احياناً مع المستعمر الغربي لمقاومة الخليفة العثماني .

وقامت في الجزيرة خلال هذا العهد حركات دينية ناجحة . فقد تمكن الزيديون من السيطرة على اليمن والقضاء على الامارات الشافعية السنية ومقاومة العثمانيين . وخضع اكثر الطرف الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية لحكم زيدي شيعي . وامتد هذا النفوذ الزيدي شرقاً في حضرموت ضد مقاومة شافعية عنيفة ، كما امتد شمالا فتغلب على بعض عسير منازعاً الادارسة الذين كانوا بدورهم يتزعمون طريقة دينية تشبه السنوسية الليبية والمرغنية السودانية . كذلك ساد المذهب الشيعي في اكثر المناطق الساحلية الشرقية من الجزيرة .

وقوي امر المذهب الاباضي (خوارج) في الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية . واسس الائمة الاباضيون امبراطورية بحرية قوية سيطرت على اكثر من الفي ميل من ساحل افريقية الشرقي وعلى مراكز عديدة على الساحل الايراني والهندي. ومدت الجاليات العمانية نفوذها شرقاً الى اندونيسيا. ولكن الحركة الاباضية لم تبق متماسكة بل انقسمت على نفسها . وانفصلت الاجزاء الافريقية وتجزأت بحيث لم يبق للاباضيين الا سلطنة صغيرة في جزيرتي زنجبار وبمبا . وخسر الاباضيون مراكزهم الايرانية . وفي الجزيرة نفسها اشتد الضغط الوهابي عليهم كما انقسموا الى امامة عمان الداخلية وسلطنة مسقط الساحلية .

وانحصر الشافعيون السنيون بين الاباضيين والزيديين والربع الخالي والبحر فسادوا في مناطق حضرموت وعدن والمحميات . وضاقت بهم بلادهم انقسموا الى عشرات المشيخات والامارات والسلطنات المتنافرة واستنجدوا بالانجليز الذين فرضوا عليهم معاهدات حماية . ووجد السكان متنفسا لنشاطهم عبر البحار فهاجروا باعداد كبيرة الى الهند (امارة حيدر اباد) والملايو وسنغافورة واندونيسيا . واحتل الحضارمة مراكز رفيعة في البلاد التي هاجروا اليها . ونقلوا الى تلك البلاد حضارتهم وادبهم وشعرهم وخلافاتهم وانقساماتهم.

وساد في الحجاز نفوذ الاشراف التقليدي فترة طويلة زادت على الف سنة. ولكن الاشراف لم يحققوا للحجاز الاستقرار السياسي او الديني . ووجدت الدعوة الوهابية ارضا خصبة في اطراف الحجاز وساءت طريقة الاشراف في الحكم واحتكار السلطنة وانقلب بعضهم الى قطاع طرق وتقلب البعض الآخر بين مركزي الشرافة العظمى وقطع الطريق. الا ان حكم الاشراف ابقي للحجاز طابعاً عربياً في العهد العثماني .

ولعل اكبر حركة دينية قامت في الجزيرة هي الحركة الوهابية الحنبلية السلفية اوائل القرن الثامن عشر. وانتشرت الدعوة بسرعة وتقبلها الناس وآمنوا بها في اواسط الجزيرة . ولاقت الحركة مقاومة عنيفة في المناطق الشيعية في شرق الجزيرة وجنوبها الغربي ، فتغلبت على الاولى مكبدة حركة المقاومة ضحايا جسيمة ، ولكنها عجزت عن التغلب على الزيدية . ورغم تفوق الوهابيين العسكري على الاباضيين في عمان فانهم لم يستطيعوا احتلال عمان فاكتفوا بتحصيل الجزية احياناً . وقاوم اشراف مكة الدعوة الوهابية ثم خضعوا اوائل القرن التاسع عشر لفترة قصيرة . واستعاد الاشراف استقلالهم بمساعدة المصريين واستأنفوا نشاطهم العدائي ضد الحركة الوهابية . واخيراً خضع الحجاز للوهابيين مرة اخرى . اما عسير فانها لم تبد مقاومة جدية للدعوة الوهابية . وكاد الوهابيون ان يحققوا للمرة الثانية في التاريخ توحيد اجزاء الجزيرة العربية في دولة واحدة.

وحطم محمد علي باشا التجربة الوهابية الاولى . ونجحت المحاولة الوهابية الثانية على يد عبد العزيز ابن سعود الذي حقق توحيد اكثر من ثلثي الجزيرة العربية .

وبدأ الغرب يتدخل في المناطق الساحلية الجنوبية والشرقيـة من الجزيرة العربية . ونجحت المحاولات البرتغالية اوائل القرن السادس عشر في السيطرة على السواحل الشرقية ومياه الخليج . ونازعهم هذه السيادة بعد قرن بريطانيا وهولندا وفرنسا . ودخل ميدان التنافس في القرن الثامن عشر العرب والايرانيون . ونجح العرب في الاستيلاء على مراكز على الساحل الايراني ، كما نجح الايرانيون في احتلال مراكز عربية . واخيرا حسمت بريطانيا الامر اوائل القرن التاسع عشر ففرضت حمايتها على اكثر الساحل الشرقي والجنوبي واجبرت الشيوخ والامراء والسلاطين على توقيع معاهدات مختلفة بعد عام ١٨٢٠ . وهكذا خضعت سواحل الجزيرة العربية للغرب قبل اي ارض عربية اخرى . واستتب النفوذ البريطاني على طول ساحل عمان قبل ان يحتل الافرنسيون الجزائر بعشر سنوات .

ولم يبد زعماء الجزيرة أي حماس في مقاومة الاستعمار الغربي . وكان لممثلي بريطانيا نفوذ سحري على زعماء الجزيرة . وتملق سلطان عمان بريطانيا قبل اكثر من قرن فأهداها جزر كوريا موريا واحسن سفن اسطوله واخيراً سيادته واستقلاله . وأظهر ابن عمه في زنجبار كرما مماثلا ومحبة اعمق حينما لبى لبريطانيا كل رغبة ابدتها له . واستعطف شيخ الكويت بريطانيا لتشمله بحمايته فقبلت بعد تردد طويل . والح ابن سعود بشدة على بريطانيا لتعقد معه معاهدة حماية موسطاً في سبيل ذلك شيخي الكويت وقطر . ولم تلب بريطانيا رغبة ابن سعود الا بعد عشر سنوات من الالحاح والوساطات . وبقي ابن سعود حتى آخر ايامه موالياً لبريطانيا . ووقف شريف مكة من بريطانيا موقفاً مماثلا وبقي مؤمناً بها حتى حينما جردته من ملكه ونفته الى قبرص . وكان للعراقيين ايمان كبير مماثل ببريطانيا . ولعل الزعيم الوحيد الذي امتشق الحسام ضد بريطانيا هو الامام يحيى . ووقف الزعماء موقفاً مختلفاً من العثمانيين او من بعضهم بعضا . فليس بينهم زعيم واحد

لم يمتشق حسامه او يسل لسانه ضد الخليفة او ضد جيرانه من العرب . وقد يفسر لنا هذا الامر موقف المصريين العنيف المعادي لثورة الحسين ضدالعثمانيين وجفاءهم لابن سعود مدة طويلة .

واختلفت اوضاع العراق عن اوضاع الجزيرة . ورغم انقسام العراق الى عدة ولايات فانه بقي شبه موحد واخضعت الولايات لوالي بغداد . وساهم العثمانيون في حماية العراق من الايرانيين فابقوه عربياً . وبدت عروبة الاجزاء الجنوبية منه عنيفة بحيث غدت البصرة مركزاً كبيراً من مراكز المقاومة العربية للعثمانيين . وفشلت جميع المحاولات العثمانية في اخضاع القبائل العربية في جنوبي العراق حيث غدت الاوضاع شبيهة باوضاع الجزيرة العربية . وقامت امارات عربية شبه مستقلة في البصرة .

اما في مناطق العراق الشمالية فقد ساد العنصر الكردي الذي قاوم الحكم التركي . ولم يقاوموا الخليفة ، بل دانوا بالولاء له واحترموا اسمه وقبلوا فرماناته ولكنهم رفضوا السماح لممثلية بالتدخل في شئون الاكراد الداخلية. وانقسمت المناطق الكردية الى عدد من الامارات الجبلية المتناحرة . وكثرت الفتن العائلية وازداد تقلب الامراء في ولائهم واستغلوا وجودهم في مناطق حدود بين الامبراطورية العثمانية والامبراطورية الايرانية . وكان ولاؤهم الديني للعثمانيين الا انهم دانوا بالولاء احيانا لايران كجزء من اللعبة السياسية .

وكان لبغداد تاريخها الخاص . فهي اكثر ولاءاً من غيرها للسلطان يدفعها الى ذلك ذكريات مرعبة عن اعمال الايرانيين . وتمتع والي بغداد بمركز خاص بالنسبة لباقي ولاة العراق بحيث غدا زعيمهم وكبيرهم . واستشير والي بغداد في امر تعيين ولاة الموصل وشهرزور البصرة . والحقت هذه الولايات احياناً بوالي بغداد او فوض بتعيين حكام عليها . وتمتع والي بغداد بحق تعيين الامراء الاكراد وعزلهم .

وامتازت بغداد بقيام سلالة المماليك من الولاة . وحكمت هذه السلالة

العراق اكثر من ثمانين سنة . وكان عهدهم عهداً عجيباً لايتصف بالاستقرار او حسن الادارة الا انه لم يكن اكثر سوءاً من غيره من العهود . وامعن هؤلاء الحكام في احتقار السكان واذلالهم مع اظهار غباء شديد في الحكم .

ولم يكن الغباء في الحكم واذلال السكان واحتقارهم اموراً مقصورة على المماليك . لقد كان هذا وما زال الطابع العام للحكم في اكثر اقطار آسيا العربية . ويبدو ان الحكام الذين وصلوا الى سدة الحكم بطريق ليلة القدر قد ادركوا ان الشعب الذي يقبل بهم حكاماً ويرفعهم جدير بالاذلال والاحتقار . لقد شعروا ان عهد حكمهم لن يطول فارادوا ان يستغلوه ويمتصوا دماء الشعب الذي لاتربطهم به روابط . هكذا كانت المأساة : حكام اغبياء اذلاء يطيب لهم ان يذلوا ويذلوا .

الفصل الأول

العالم العربي والعثمانيون

« ومن الحوادث الفوادح النوادر دخول الفرتقال الى ديار الهند . . فكثروا . . وظهروا في البحر واوسموه نهباً واخذوا كل سفينة غصباً . . وصاروا يقطعون الطريق على المسلمين اسراً ونهبا »

تمهيد :

يسكن العرب مساحة من الارض تتراوح بين اثني عشر الى خمسة عشر مليونا من الكيلو مترات المربعة وتشمل القسم الاكبر من آسيا الغربية وجميع افريقيا الشمالية. ولا يسكن هذه المساحة الواسعة اكثر من اثنين وثمانين مليونا من السكان ثلثهم في آسيا الغربية وثلثاهم في افريقيا . ويلاحظ ان قرابة ثلثي العرب يسكنون مناطق متاخمة للبحر الابيض المتوسط لا تزيد مساحتها على خمس مساحة العالم العربي وترتفع فيها كثافة السكان الى ما فوق المعدل العالمي (١) .

ويتجمع السكان في مناطق قليلة محدودة ازدحمت بشكل غير عادي بينما بقيت مساحات واسعة شبه خالية من البشر . ولم تكن الاسباب الاقتصادية العامل الرئيسي في هذا التوزيع ،فهناك اسباب دينية واجتماعية وسياسية فرضت منذ القدم على جماعات من العرب ان يتكتلوا في مناطق معينة قليلة الخصوبة

بينما بقيت مساحات واسعة من الاراضي الخصبة قليلة السكان . وعرفت المناطق الجبلية منذ اقدم العصور بازدحامها النسبي بالسكان . اذ تجمعت فيها الفئات التي نشدت الحماية من اكثرية اختلفت معها في الدين او المذهب او الميول السياسية. وغدت الجبال معقلا للاقليات التي اعتصمت بها فساعدتها طبيعة الارض على الابقاء على شخصيتها الخاصة وحدت من اندماجها بالاكثرية .

طبيعة البلاد العربية

وتتكون البلاد العربية من هضبة غرانيتية قاسية ضخمة تصدعت بفعل الحركات الارضية العنيفة فانخسفت في الوسط وانقسمت بسبب هذا الانخساف الى قسمين يفصلهما البحر الاحمر الذي ملأت مياهه جزءاً من حفرة الانهدام والقسمان هما افريقيا العربية وآسيا العربية .

اسيا العربية

وشكل القسم الآسيوي من الهضبة منطقة خاصة فصلتها عن اجزاء آسيا الغربية حواجز طبيعية كالجبال الالتوائية الالبية والبحار كما فصلتها عن جزئها الغربي الافريقي حفرة الانهدام المسماة بالبحر الاحمر. وارتفع القسم الجنوبي الغربي من هذه الهضبة فتكونت بسبب ذلك سلاسل جبال انهدامية ذات منحدرات مفاجئة تنحدر نحو البحر ويصل ارتفاعها في السراة واليمن وعمان (الجبل الاخضر) الى ثلاثة آلاف متر ثم يقل ارتفاعها على ساحل الخليج العربي . وتميز القسم الشمالي الغربي المتاخم للبحر الابيض المتوسط بوجود سلسلة جبال قوسية الشكل التوائية وانهدامية متصلة بالمنطقة الالتوائية الالبية ومنقسمة الى سلسلتين شرقية وغربية بسبب الصدع الافريقي الكبير الذي يبدأ في منطقة البحيرات وينتهي بجبال طوروس الالتوائية الالبية . ويلاحظ وجود جبال من اصل

التوائي في الزاوية الجنوبيه الشرقية (عمان) التي تعتبر استمراراً لالتواءات فارس . وقاومت الهضبة الحركات الارضية فحدث فيها تخلع وتصدع وظهر كثير من الاندفاعات البركانية التي تنتشر في اسيا العربية انتشاراً واسعاً وتعرف بالحرات. وكسيت هذه الطبقة الغرانيتية بطبقات رسوبية تعود الى الدور الثاني والثالث والرابع .

وتكونت في وسط هذه الهضبة صحار وهضب ، وسهول . ففي الجنوب تشكلت الصحراء العربية الكبرى (الربع الخالي) التي تبلغ مساحتها مليون كيلو متر مربع او قرابة ثلث اسيا العربية . وتقع الى شمالها هضبة نجد الخصبة ذات المرتفعات الغرانيتية التي تتخللها قمم بركانية توافق الخطوط الانهدامية . وترتفع بعض هذه القمم الى الف وخمسماية متر . والى شمالي هضبة نجد تقع صحراءا النفود وصحراء الشام . وتختلف بادية الشام عن صحرائي النفود بانها تسودها صخور كلسية بينما النفود ذات كثبان رملية متموجة .

وتكونت سهول وسهوب خصبة الى الشمال والشرق والغرب من بادية الشام . وتفصل البادية عن الجبال الالتوائية الايرانية سهول لحقية خصبة يخترقها ويرويها نهرا دجلة والفرات . وتفصلها عن الجبال الالتوائية الشمالية التركية سهوب الجزيرة التي ترتفع خمسمائة متر في الشمال ومائة متر في الجنوب .ويقسم هذه المنطقة الى قسمين شمالي وجنوبي حاجزان جبليان يمتدان من الشرق الى الغرب حتى يتصلا بالجبال الالتوائية الايرانية . وينحدر الجبلان بلطف نحو الجنوب وبشدة نحو الشمال . ويبلغ طول الجبل الاول، أي جبل عبد العزيز، ستون كيلو متراً ويرتفع الى ثمانماية متر بينما يرتفع جبل سنجار الى ضعف ذلك ويقل طوله بمقدار السدس . وتشكلت الى شمالي هذا الحاجز سهوب لحقية خصبة منتزعة من جبال تركيا تكثر فيها الينابيع التي تتجمع لتشكل نهر الخابور .

وتفصل بادية الشام عن الجبال الساحلية السورية السهوب الشامية ذات التضاريس الهادئة . وتبدأ هذه السهوب عريضة كلسية في الشمال تضيق نحو

الجنوب لتبدأ بعدها اراض ذات صخور طينية حوارية . وتشكلت في الجنوب (حوران) ارض بركانية حمراء متفتته . وتتخلل هذه المنطقة كتل جبلية بعضها بركاني تنحدر نحو السهول وتظهر فيها التواءات موازية للالتواءات اللبنانية بالاضافة الى التواءات معاكسة . ويرسم حوض الاردن (الغور) اتجاهاً واضحاً للمناطق الجبلية في الجنوب فتصبح الهضاب قليلة الارتفاع قلما تصل الى اكثر من الف متر . اما الجبال فتنحدر بعنف الى حفرة الغور بينما تصبح قليلة الانحدار نحو الشرق والغرب لتتصل بشكل تدريجي بالسهل الساحلي غربا وبالهضبة الاردنية شرقاً (٢) .

افريقيا العربية

كذلك قاوم الجزء الافريقي من الهضبة الغرانيتية العربية الالتواء فلم يلتو بل تحدّب وانقلب التحدب في الاطراف الى تصدع . وغطت هذه القاعدة في اكثر اجزائها طبقة رسوبية مختلفة العمق والتكوين تفصلها عن القاعدة طبقة غنية بالجص والملح سهلة الالتواء والذوبان فساعدت على انزلاق القشرة على القاعدة ونتج عن ذلك حوادث جغرافية عديدة . واتصلت المنطقة الشمالية الغربية بالمنطقة الالتوائية الالبية وتشكلت فيها سلاسل جبال شبيهة بالجبال الالتوائية الالبية . واخترق نهر النيل الجزء الشرقي من هذه الهضبة من الجنوب الى الشمال شاقاً لنفسه وادياً مختلف العمق والتكون . اما الانهار الاخرى التي تصب في البحر الابيض المتوسط فقد حفرت لنفسها ودياناً عميقة .

واكثر منطقة المغرب العربي مرتفعة لاتضم سهولا واسعة في غير تونس ومراكش . وتتألف المنطقة المرتفعة من سلسلة جبال تعرف بجبال الاطلس التي يصل ارتفاعها في مراكش الى اربعة آلاف متر . وتنقسم هذه السلسلة الى ثلاث مناطق جبلية : سلسلة ساحلية واخرى صحراوية ونجود مرتفعة بينها . وتتباعد

السلسلتان في مراكش وتمتدان شرقاً موازيتين للساحل الشمالي وتقل المسافة بينهما وتتلاشى في تونس [٣].

الاقليم

واذا ماوجد تشابه في التضاريس بين البلاد العربية يؤيد وحدتها فان الاقليم يبقى العنصر الرئيسي في هذه الوحدة . اذ تقع البلاد العربية الى الشمال من مدار السرطان وتمتد شمالا حتى خط العرض ٣٨. ويقع جنوب مدار السرطان اجزاء صغيرة من الجزائر وليبيا ومصر . اما النصف الجنوبي من الجزيرة العربية وكل السودان فيقعان الى الجنوب من هذا الخط . وتمتد الجزيرة العربية جنوبا حتى خط العرض العاشر اما السودان فيمتد جنوبي خط العرض الخامس . اي ان البلاد العربية تمتد على مسافة خمس وثلاثين درجة عرض (٤°—٣٨°) . فهي تقع في منطقة الصحاري المدارية والمعتدلة التي تتصف بشتاء قصير بارد ممطر وبصيف طويل حار وجاف [٤].

وفرضت هذه الطبيعة على السكان نوعين من الحياة: حياة بدوية متنقلة تعتمد على الرعاية وحياة حضرية مستقرة ذات اقتصاد يعتمد على الزراعة والصناعة والتجارة . ولم يكن احد من الفريقين ، رغم التباين في طرق معيشتها ، في غنى عن الآخر ، بل شكلا معاً مجتمعاً متكاملا يعتمد فيه كل فريق على الآخر . واذا جاز القول بان تاريخ هذه البلاد سلسلة منازعات بين سكان الصحاري والحضر فان النزاع لم يكن كل التاريخ . ولم يحدث انتعاش واستقرار وتقدم الا عندما تعاون الفريقان . وفرضت طبيعة البلاد على الحضر ضرورة الاعتماد على البدو في تأمين مواصلاتهم مع المراكز الحضارية المختلفة لاضطرار قوافلهم الى المرور بمناطق البدو ولحاجتهم الى الجمل الذي يملكه هؤلاء .

المساحة والسكان

وتحتل البلاد العربية مساحة من الارض تزيد على مساحة القارة الاوروبية . ولكن المساحة المأهولة بالسكان لاتشكل الا جزءاً صغيراً منها . اذ يسكن اكثر من ربع العرب في شريط ضيق من الارض لاتزيد مساحته على خمس وثلاثين الف كيلو متر مربع اي ٠٫٢٣٪ من مجموع مساحة البلاد العربية . وتصل كثافة السكان في هذه البقعة من مصر الى ٦٣٠ شخصاً في الكيلو متر المربع الواحد بينما لاتزيد الكثافة في السودان على ٣٫٥ شخصاً في الكيلو متر مربع الواحد وتنخفض الى اقل من شخص واحد في ليبيا .

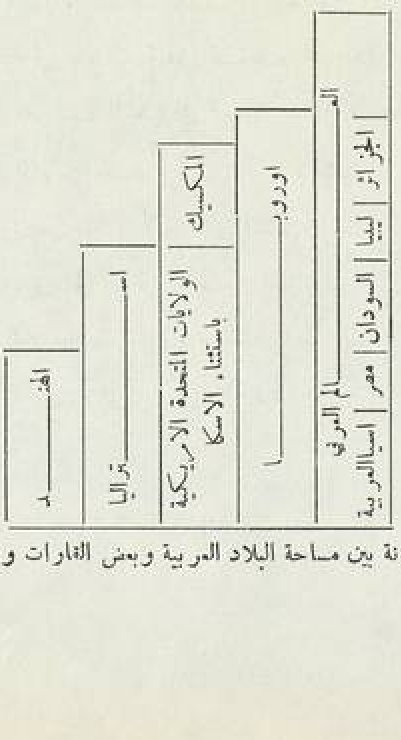
وليست قلة السكان النسبية في البلاد العربية امرا حديثاً بل يعود الى اقدم العصور . ولاشك ان بعض اجزاء العالم العربي كانت اكثر عمرانا وسكانا مما هي عليه الان . ولكن لو نظرنا الى جميع البلاد العربية ككتلة واحدة لوجدنا ان كثافة السكان الآن هي اكثر منها في اي وقت مضى . وليس من المنطق في شيء ان نعتبر كثافة السكان في البلاد العربية خمسة اشخاص في الكيلو متر المربع الواحد متناسين ان اكثر من نصف مساحة العالم العربي صحار قاحلة .

وتبين الارقام في الجدول المدرج ادناه توزيع العرب الجغرافي مع مقارنة هذه المساحات بقارات واقطار اخرى في العالم . ويلاحظ ان مساحة العالم العربي تبلغ نصف مساحة افريقيا واكثر من ثلث مساحة آسيا او كل اوروبا وتقل قليلاً عن امريكا الجنوبية . ولاتزيد عليها في المساحة من اقطار العالم غير الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية (بعد ضم الاسكا) . ولو كانت البلاد العربية دولة واحدة لجاءت الثالثة بين الدول في المساحة ولكنها لاتصل المرتبة السادسة في عدد السكان .

آسيا العربية		
البلد	المساحة ١٠٠٠كم٢	السكان ١٠٠٠ نسمة احصاء ٥٢_٥٣
العراق	٤٤٤٫٤	٥١٠٠
سورية	١٨٤٫٥	٣٧٥٥
لبنان	١٠٫٤	١٣٦٠
الاردن	٩٦٫٥	١٣٦٠
غزة	٠٫٣٦	٣٠٠
اراضي يحتلها العدو في فلسطين واسكندرونة	٢٧	٢٠٠٠
مجموع الهلال الخصيب	٧٦٣٫٤	١٣٨٧٥
المملكة العربية السعودية	١٦٠٠	٧٠٠٠
اليمن	١٩٥	٤٥٠٠
عدن والمحميات	٣١٦	٩٥٠
مسقط عمان	٢١٤	٥٥٠
قطر والساحل المحازي	٣٧	١٥٠
البحرين	٠٫٣٦	١١٢
الكويت	٢١	٢٥٠
الجزيرة العربية	٢٣٨٣٫٦٦	١٣٥٦٢

افريقيا العربية		
البلد	المساحة ١٠٠٠كم٢	السكان احصاء او تقدير ٥٢ — ٥٣
مصر	١٠٠٠	٢٢٠٠٠
السودان	٢٥٠٠	٨٨٢٠
ليبيا	١٧٦٠	١٥٠٠
تونس	١٥٦	٣٦٠٠
الجزائر	٢١٩١	٩٢٥١
مراكش	٥٤٧	١١٨٥٠
مجموع افريقيا العربية	٨١٠٧	٥٧٠٢١
مجموع آسيا العربية	٣١٤٧	٢٧٤٣٧
مجموع العالم العربي	١١٢٥٤	٨٤٤٥٨

شكل (١) جدول يبين مساحة الاقطار العربية وعدد سكانها



شكل (٢) مقارنة بين مساحة البلاد العربية وبعض القارات والاقطار في العالم

السواحل العربية والملاحة

وليست المساحات الشاسعة والصحاري القاحلة هي مشكلة العرب الاولى التي قاسوا بسببها ، بل انهم قاسوا من قصر سواحل بلادهم وقلة خلجانها . فلاتزيد طول الشواطيء العربية على خمسة عشر الف كيلو متر ، اي بمعدل متر واحد من الساحل لكل كيلو متر مربع من المساحة . ويرتفع هذا الرقم الى ثلاثة امثاله في سورية الطبيعية ومصر وتونس ومراكش والجزيرة العربية وينخفض الى النصف في الجزائر والى الثلث في السودان والى لاشيء تقريباً في كل من العراق والاردن .

ومع ان السواحل العربية تطل على محيطين وثلاثة بحار وخليج فان تعاريج الساحل وطبيعة هذه البحار الداخلية لاتساعد على رقي الملاحة . وتفتقر اكثر السواحل العربية الى الخلجان والملاجيء الطبيعية للسفن . واذا وجدت فان طبيعة الرياح او وجود صخور تصعب على السفن دخول هذه الموانيء . وبالرغم من ان الساحل السوري يكاد يكون افضل السواحل العربية ، فان السفن الشراعية في الازمنة القديمة كانت تجد صعوبة كبيرة في دخول الموانيء السورية بسبب الرياح التجارية [٥] . كذلك حدت الرياح من الملاحة في البحر الاحمر والخليج العربي اكثر ايام السنة فلم تستطع مخورها شمالا او جنوباً الا في اوقات معينة [٦] . وتعرضت السفن في البحر الاحمر لاخطار الصخور المرجانية

واستغل العرب الرياح الخفيفة ، النسيم ، في الملاحة بسبب صعوبة الاعتماد على الرياح القوية . ودفعهم هذا الامر الى استعمال الشراع المثلثة التي نقلوها من منطقة الخليج العربي الى البحر الابيض المتوسط [٧] ولم تبتعد سفنهم في خط سيرها عن الساحل كثيرا حيث الرياح مناسبة لهذا النوع من الشراع . وقد اعطاهم هذا الشراع ميزة على السفن الاوروبية ذات الشراع المربع في الملاحة الساحلية [٨] .

ولكن ما ان شرع الاوروبيون في بناء السفن الكبيرة ذات الشراع المربع التي تستطيع قطع المحيطات وتحدي الرياح القوية حتى شعر العرب بتأخرهم في مضمار الملاحة وبصعوبة اللحاق بخصومهم . فلم يكن بامكان العرب بناء سفن كبيرة لعدم توفر الاخشاب المناسبة لذلك في البلاد العربية . والبلد الاسلامي الوحيد الذي يملك اخشابا مناسبة هو الاناضول على طول شواطيء البحر الاسود . وحتى هذه الاخشاب التركية كانت اقل صلاحا من الاخشاب الاوروبية او اخشاب حوض الايروادي الذي بدأ الاوروبيون باستغلاله . فلا عجب اذا ما رأينا العرب والاتراك يخسرون كل معركة بحرية خاضوها ضد سفن حربية اطلسية . وهذا الامر قرر مصير العرب والاتراك في معاركهم البحرية مع البرتغاليين في بحار الجنوب واعطى النصر للسفن الاطلسية في ليبانتو[٩] .

البرتغاليون في المياه العربية

وكانت اولى الكوارث التي حلت بالعرب في تاريخهم الحديث وصول اسطول برتغالي الى المياه الهندية في ربيع ١٤٩٨ . وكان فاسكو دي جاما Vasco da Gama قد قاد اول اسطول برتغالي حول رأس الرجاء الصالح . لقد ابحر من لشبونة في ٨ تموز عام ١٤٩٧ فوصل المياه الهندية في ربيع ١٤٩٨ (اواخر ٩٠٣ هـ) وعاد الى بلاده فوصل لشبونة في ايلول ١٤٩٩ . ثم قاد حملة ثانية وثالثة وهاجم السفن العربية والموانىء الهندية . وفرض حصاراً على مدخلي البحر الاحمر والخليج العربي ليمنع السفن العربية من ايصال التوابل الى اسواق سورية ومصر .[١٠]

وكانت اسواق مصر وسورية عام ٩٠٤/١٤٩٨ ملأى بالتوابل التي لا تجد لها مشتريا . ولكن سفن البندقية لم تجد بعد اربع سنوات الا اربع بالات توابل وعادت هذه السفن من السواحل العربية بدون حمولة عام ٩١٠/١٥٠٤

في حين كانت السفن البرتغالية تفرغ الاف الاطنان في لشبونة لتوزع على اقطار اوروبا . وهكذا حلت الكارثة بالاسواق العربية خلال فترة لاتزيد على ست سنوات .[11]

وليس عجيباً اذاما اعتبر احد المؤرخين العرب مجيء البرتغاليين من «الحوادث الفوادح» . ووصف هذا المؤرخ وصولهم وصفا دقيقاً جاء فيه «.. وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة في البحر ويلجون بحر الظلمات ويمرون خلف جبال القمر ويصلون الى المشرق ويمرون بموضع قريب من الساحل في مضيق احد جانبيه جبل والجانب الثاني بحر الظلمات في مكان كثير الامواج.. فكثروا .. وصاروا يقطعون الطريق على المسلمين اسرا ونهبا .. »[12] وقال مؤرخ آخر «البرتغال .. ظهروا في البحر واوسعوه نهبا واخذوا كل سفينة غصبا . »[13]

وبدأت الكوارث تتوالى على البلاد العربية . فاحرق البرتغاليون عام ٩٠٦/١٥٠٠ عشر سفن مصرية في الموانىء الهندية وتمكنوا بعد اربعة اعوام من حرمان العرب من القسم الاكبر من تجارة التوابل ، وقصد اسطول برتغالي مدخل البحر الاحمر عام ٩٠٨/١٥٠٢ وهاجم عدن واحرق ونهب سفنا عربية في مينائها . وقصد مدخل البحر الاحمر في العام التالي وتغلغل فيه بعد عامين حتى ميناء جدة .[14]

وتنازع حكم اليمن والمناطق الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية ثلاثة قوى . فقد استفحل امر عامر بن طاهر الشافعي في عدن بعد عام ٨٥٨/١٤٥٤ وتمكن من القضاء على الدولة الرسولية في اليمن بمقتل آخر ملوكها ابي الفتح عمر بن علي بن رسول التركماني في ذي الحجة ٨٦٠/١٤٥٦ بعد ان حكمت عائلته اليمن نحو مائتين وثلاثين سنة .[15] وقتل عامر بعد تسعة اعوام فخلفه اخوه علي (٨٧٠/١٤٦٥ - ٨٨٣/١٤٧٨) وانتقل الملك الى عبد الوهاب بن داود بن طاهر (٨٨٣/٨٩٤) ثم الى ابنه عامر الثاني (٨٩٤/١٤٨٩-٩٢٣/١٥١٧) . وشغل عامر الثاني بحرب امام

الزيدية في صنعاء وبنزاع مع صاحب صعدة الامير محمد بن الحسين البهال. وانتصر على خصميه عام ١٥٠٤/٩١٠ في الوقت الذي كان مصير ملكه في كفة القدر والبرتغاليون في جزيرة سقطرة يهددون عاصمته .[١٦]

سلطان مصر وبر الشام يستعد لحرب البرتغاليين

وتوجه الامراء العرب نحو اكبر سلاطين العالم الاسلامي في ذلك الوقت طالبين النجدة. وكان السلطان قانصوه الغوري (١٥٠٣/٩٠٦ - ٩٢٢/١٥١٦) اكبر سلاطين الاسلام في عصره . بدأ قانصو حياته مملوكا للسلطان قايتباي (٨٧٢/١٤٦٧-٩٠١/١٤٩٥) الذي جعله كاشفا للوجه القبلي سنة ١٤٨١/٨٨٦ ثم جعله امير عشرة وولاه بعض ولايات الشام الشمالية .

وبدا الغوري لمعاصريه صاحب اكبر امبراطورية اسلامية . فقد حكم مصر وسورية والجزيرة الفراتية وكيليكيا والحجاز . وأقام في كنفه الخليفة العباسي امير المؤمنين الذي كان يمنح السلطان العثماني وغيره من الامراء والسلاطين القابهم ويعقد لهم الويتهم ويصادق على توليهم الحكم.[١٧] واذا كان الخليفة هو الذي يسمي الامراء سلاطين ولا يستطيع ان يفعل ذلك الا بموافقة السلطان المملوكي افلا يحق لهذا السلطان حامي الحرمين وراعي الخليفة ان يعتبر نفسه سلطان سلاطين الاسلام ؟ ومن ينازعه المنزلة الاولى في دار الاسلام ؟ الم يثبت قوته في النصر الكبير الذي حازه على العثمانيين عام ٨٩٦/١٤٩٠ ؟

وكان بلاط الغوري بلاطاً اسلامياً تركياً . قصده الشعراء الاتراك ومدحوه وترجموا له الشاهنامة الى التركية . وعد نفسه سلطانا تركيا بل وهكذا نظر اليه الناس في عصره . ولم يكن السلطان العثماني الا سلطان الروم وقائد جيش اكثره من اصل غير اسلامي ولا تركي .[١٨] وبينما كان الغوري يشجع التركية كان سليم الاول العثماني يكاتب الملوك بالفارسية .[١٩]

وكانت عاصمة الغوري كبرى مدن العالم الاسلامي وعاصمة من عواصم العالم الكبيرة . وامتدت القاهرة حتى بلغت مساحتها اثنين وثلاثين ميل مربع، اي ثلاثة امثال مساحة باريس، وحوت من السكان خمسة امثال باريس. وتفوقت على مدن ذلك العصر بشوارع مرصوفة الجانبين ونظيفة ومضاءة ليلا. ووجد فيها مستشفى ضخم يؤمن العلاج المجاني للمرضى وتبلغ موازنته السنوية ربع مليون جنيه. وبلغت حدا كبيرا من الانتعاش حتى أنه وجد فيها اكثر من مائتي تاجر ثروة الواحد منهم اكثر من مليون جنيه . وغرم يهودي مليون جنيه فدفعها وبقي غنيا .[٢٠]

وازدحم في عاصمة الغوري في ربيع الاخر ٩١٨/ حزيران ١٥١٢ نحو من اربعة عشر سفيراه وكل سفير من عند ملك على انفراد وكل الملوك يخطبون وده[٢١]، وكان اكثر السفراء انزعاجا وازعاجا باخباره سفير السلطان ابي الفتح محمد بن محمد صاحب كاجرات (م ٩١٦/١٦١٠) الذي ارسل يستنجد الغوري ضد الافرنج. وكانت كالكت مركز التجارة العربية في الهند يغادرها كل موسم الى البحر الاحمر ما بين عشرة الى خمس عشر سفينة محملة بالتوابل وبضائع الهند . واعادت الاسكندرية وبيروت تصدير ما قيمته ربع مليون جنيه من هذه الشحنة الى اوربا . وتقاضى السلطان على هذه التجارة رسوما وصلت الى ١٠٪ في كل اتجاه .[٢٢] فلم يكن بامكان الغوري ان يتغاضى عن الاخطار المحدقة به وبخزانته ولم يكن له بد من تلبية نداء امراء الهند .

وشرعت مصر ببناء اسطول لحرب البرتغاليين واعادة فتح طريق الهند وانجاد امير كاجرات . وجابه العرب مصاعب جمة في بناء هذه السفن . فبلادهم لا تنتج من الاخشاب ما يصلح لبناء سفن قوية . فاستنجد الغوري بالسلطان العثماني الذي بادر الى ارسال ما يحتاجه الغوري من اخشاب وحبال ومواد مختلفة لازمة لبناء السفن . وتعرضت هذه الشحنات لقرصنة فرسان مالطة الذين كانوا ينطلقون من جزيرة رودس للسطو على سفن المسلمين . واخيرا وصلت كميات

من المواد المطلوبة لبناء السفن الى الموانىء المصرية ونقلت على ظهور الجمال الى السويس. وواجهتهم معضلة جديدة في دار الصناعة في السويس. فان السفن التي تصلح للبحر الاحمر لا تصلح لحرب المحيط، كذلك فان سفن المحيط لا تستطيع ان تجوب مياه البحر الاحمر اكثر اوقات السنة . ولكن المعركة كانت معركة حياة او موت فبذل الصناع جهدهم واخرجوا تسع عشرة سفينة مسلحة بالمدافع. وابحر هذا الاسطول عام ١٥٠٨/٩١٤ فوصل الهند وكسب بعض المعارك ولكنه هزم في العام التالي وتحطم .(٢٣)

البرتغاليون يردون على التحدي العربي

ولم يقف البرتغاليون مكتوفي الايدي اثناء ذلك . فقد احتلوا سقطره عام ١٥٠٦/٩١٢ فاحكموا السيطرة على باب المندب ومدخل البحر الاحمر والتفتوا في العام التالي الى مداخل الخليج العربي محاولين السيطرة على هرمز .(٢٤)

وهرمز جزيرة قاحلة (تقع قرب مدخل ميناء بندر عباس الايراني) تفتقر حتى الى الماء ولكنها تقع في مدخل الخليج العربي وتسيطر عليه . وكان احد المغامرين العرب قد اسس مدينة عليها في القرن ٥ هـ/١١ سرعان ما نمت وتحولت الى مدينة تجارية كبيرة ومنتعشة وسكنها اربعماية تاجر اجنبي واكثر من خمسين الف نسمة. ووجد في مينائها دوما مالا يقل عن ثلاثماية سفينة . وتبع امير هرمز اكثر سواحل الخليج العربي الا انه كان يحكم بواسطة مجلس من اعيان التجار لايترك له الاصلاحيات بسيطة .(٢٥)

قاد البوكرك Affonso de Alboquerque قائد الاسطول البرتغالي حملة ارهاب وعنف وحرق وتخريب ضد السواحل العربية الجنوبية الشرقية .فاحرق مسقط وشرد سكانها . وكانت مسقط آنذاك مدينه تجارية منتعشة ذات ميناء صغير محمي من الرياح يحكمها ممثل لامير هرمز . ولاقت مدينتا صحار وكلهات مصيراً مماثلاً . وتقدم البوكرك قائد الحملة البرتغالية نحو هرمز واستعد حاكم هرمز لحرب

العدو الذي حرق مدنه على الساحل العربي . وكان الحاكم الامير سيف الدين في الثانية عشر من عمره ويدير امور الدولة بالنيابة عنه عبده واتابكه . واعد الاتابك لمجابهة العدو ثلاثين الف مقاتل واربعماية سفينة مسلحة . ولكن الاسطول البرتغالي كسب المعركة واضطر حاكم هرمز الى الخضوع الى ملك البرتغال وتقديم جزية سنوية له وتعهد باعفاء البضائع البرتغالية من الرسوم . ومنع البرتغاليون اي سفينة من مخور مياه الخليج إلا بترخيص من السلطات البرتغالية. وشرع البوكرك في تشرين الاول ببناء حصن برتغالي في الجزيرة [٢٦] .

وهزت هذه الاخبار مشاعر العرب والمسلمين .فكانت من الاسباب التي دفعت قانصو الغوري الى الاسراع في اعداد اسطوله وارساله الى المحيط الهندي. واستفاد هذا الاسطول من انشغال البرتغاليين في الخليج العربي فلم يلق في طريقه عبر البحر الاحمر والمحيط الى الهند اي مصاعب . كذلك بادر المتحاربون في اليمن الى تناسي خلافاتهم فتم الصلح بين عامر صاحب عدن ومحمد بن الحسين البهال صاحب صعده وتوجه البهال الى الهند للاشتراك في حرب الافرنج [٢٧] .

وفوجىء البرتغاليون وهم في هرمز بانباء خروج الاسطول المصري العربي من البحر الاحمر ووصوله سالماً الى الهند . وازدادت مصاعب البوكرك وانتشر التذمر والتمرد بين ضباطه فاضطر الى الجلاء عن الهرمز والعودة الى الهند. وكان على نائب ملك البرتغال في الهند فرانسسكو دو الميدا Francisco de Almeida (١٥٠٥ - تشرين ثاني ١٥٠٩) ان يفصل في النزاع بين القادة ويوحد الجهود ضد خطر الاسطول العربي الجاثم في كاجرات فنجح في كليهما . وكانت مدته قد انتهت فسلم مقاليد الامور الى البوكرك الذي عين نائباً للملك (١٥٠٩ - كانون اول ١٥١٥) [٢٨] .

ودخل النزاع بين العرب والبرتغاليين في دور جديد . فقد اشتد السلطان في مصر اكثر من السابق في اعداد اسطول جديد . ولبى السلطان العثماني نداء الغوري وامده بما احتاجه من اخشاب تكفي لبناء ٣٠ سفينة كما ارسل اليه ٣٠٠

مدفع و ٥٠ سارية و ٣٠٠٠ مجذاف وعدداً من الخبراء . وتعرض فرسان مالطة للشحنة فارسل السلطان العثماني شحنة اخرى [٢٩] . ووصلت الحملة المصرية الجديدة الى عدن عام ٩٢٢ / ١٥١٦ بقيادة حسين الكردي وسلمان رئيس . ولكن هذه الحملة انصرفت عن غايتها الاصلية الى احتلال اليمن . وايد امام اليمن الزيدي الجيش المصري في جهوده للقضاء على دولة بني عامر السنية الشافعية . ووصلت اليمن آنذاك انباء استيلاء الروم على مصر وبر الشام وزوال دولة الاتراك (المماليك الشراكسة) [٣٠].

وكانت الاوضاع الاقتصادية في مصر وبر الشام قد تدهورت الى حد كبير. فقد فشل العرب في تهريب كميات كبيرة من البهارات وكلفت هذه المحاولات كثيراً [٣١] . وذهب الغوري الى الحج عام ٩٢٠ / ١٥١٤ فزار جدة ووجدها خراباً « بسبب عبث الافرنج في بحر الهند فلم تدخل البضائع الى بندر جدة نحواً من ستة سنين وكذلك جهة دمياط » [٣٢] . وكان البرتغاليون قد فرضوا عليها حصاراً في العام السابق [٣٣] . وزار السلطان آخر العام ميناء الاسكندرية لتفقد احوالها فلم يجد بها احداً « من اعيان التجار ولا من المسلمين ولا من الافرنج وكانت المدينة في غاية الخراب » [٣٤] . وفقد تجار البندقية كل أمل في اعادة احياء هـذا الطريق التجاري وبدأوا يفتشون عن طريق جديد متخلين عن صديقهم السلطان [٣٥] .

وتكاثر الاعداء على السلطان الغوري وتخلى عنه الاصدقاء . فقد اعتقد كل من الشاه اسماعيل الصفوي والسلطان سليم العثماني ان ايام امبراطورية المماليك اصبحت معدودة فسعى كل منهما ليكون الوارث لممتلكاتها . وكان الشاه قد دخل في مفاوضات مع البوكرك ليحالفه ضد العرب والروم [٣٦] . أما السلطان سليم فقد رأى بوضوح الخطر الذي يهدده اذا ما انهارت امبراطورية المماليك على يد الشاه او البرتغاليين . فلم يكن هنالك مناص من ان يتدخل ليكون الوارث الوحيد وليبعد عن نفسه هذا الخطر الكبير .

الصفويون في ايران

وكان اسماعيل الصفوي قد بدأ حياته اسيراً بيد الملك التركماني يعقوب بن اظن حسن (حسن الطويل) اول ملوك الخروف الابيض (اق قوينلو) التركمانيين السنيين الذي كان قد انتزع بغداد من عائلة الخروف الاسود (قره قوينلو) التركمانية الشيعية. وزوج حسن الطويل اخته لجنيد الصفوي الذي قتل على يد التيموريين. فاوى حسن حيدر بن جنيد وزوجه ابنته مارثا من زوجته دسبينا الطرابزونية. وقصد حيدر اردبيل واصبح له اتباع يلبسون عمامات حمر (قزل باش) ذات اثنتي عشرطية دلالة على انهم شيعة اثنا عشرية[٣٧].

وشعر يعقوب بن حسن الطويل بالخطر الذي يهدده من صهره حيدر ونعته في رسائله الى السلطان العثماني بشيخ ارباب الضلال. ولكن يعقوب اشفق على ابن حيدر المدعو اسماعيل فحماه من سلطان التيموريين الذي قتل اباه وجده واكتفى بوضعه تحت المراقبة. واستطاع اسماعيل الفرار بمساعدة بعض القبائل التركية واسس امبراطورية ايرانية شيعية على انقاض دولة اخواله السنية.[٣٨]

دخل اسماعيل مدينة تبريز عام ١٥٠٢/٩٠٨ حيث اعلن نفسه ملكا وحاميا للمذهب الشيعي الذي جعله المذهب الرسمي للبلاد. وانتزع بغداد عام ١٥٠٨/٩١٤ من الاق قيونلو وفر مراد آخر سلاطينهم ولجأ الى السلطان سليم العثماني. ودخل اسماعيل بغداد وعامل اهل السنة والنصارى بقسوة وعطف على اليهود لانهم كانوا عينا له. واعلن المذهب الشيعي مذهبا رسميا للعراق. وخضعت له البصرة والموصل.[٣٩]

وشعر المسؤولون في استانبول بعظم الخطر الجديد. فاجبر سليم اباه المسالم بايزيد الثاني على التنازل عن العرش. واهمل سليم جبهة البلقان وركز اهتمامه بشئون دار الاسلام. فاجرى مذابح كثيرة بين الشيعيين في شرقي الاناضول ردا على المذابح السنية في العراق.[٤٠] ولم يكن هدف سليم الانتقام بل

القضاء على الطابور الخامس الشيعي في بلاده الذي كان عيناً للصفوي . وتبادل السلطان والشاه الرسائل العنيفة ثم لجأوا الى السيف يحسمون به النزاع . ولكن النصر العثماني في جالديران ٢٢ محرم ٩٢٠/ ٠٩ آذار ١٥١٤ لم يقض على قوة الصفوي[٤١].

الخطر الاوربي على دار الاسلام

والتفت سليم الى المعضلة العربية محاولاً ايجاد حل لها . وكان السلطان العثماني اكثر تفهما للوضع الدولي واخطاره من الشاه والسلطان المملوكي . وادرك سليم الخطر الكبير الذي يهدده اذا ما انطبق فكا الكماشة الاوربية على دار الاسلام . وقد غدا الفكان قويين وقادرين على الاطباق . فكان عليه ان يبذل جهداً مستميتاً لمنع اطباقهما .

وبدأ الفك الاول يقوى في اسبانيا والامبراطورية الرومانية المقدسة (المانيا) . فقد تمكنت ايزابلا ملكة قشطالة (كاستيل) من احتلال غرناطه عام ١٤٩٢/٨٩٧ فقضت بذلك على آخر معقل للعرب في اسبانيا . وارسلت في العام نفسه اسطولاً بقيادة كريستوفر كولومبس اكتشف امريكا التي اصبحت جزءاً من ممتلكاتها . وتزوجت ايزابلا من فرديناند ملك اراجون فرزقا ابنة واحدة زوجاها لفيليب آل هابسبورغ دوق برغندي وابن الامبراطور مكسيميليان (١٤٩٣-١٥١٩) امبراطور المانيا والامبراطورية الرومانية المقدسة وارشيدوق النمسا . ورزق فيليب ولدا واحدا اسمه شارل لعب دوراً كبيراً في تاريخ اوربا ودار الاسلام .

وبدأ نجم شارل يلمع بعد وفاة جدته ايزابلا عام ٩١٠/ ١٥٠٤ . فقد ورث عنها قشطالة والاندلس والممتلكات الامريكية واكبر اسطول اطلسي . وورث عن ابيه بعد عامين دوقية برغندي وعن جده فرديناند (١٤٧٩ - ١٥١٦) مملكة اراجون وقطالونيا وبرشلونه ونافار والصقليتين (صقلية ونابلي) وسردينية وموانيء طرابلس وتونس والجزائر ووهران . هكذا اصبح شارل الاول الهابسبورغي ملكا على جميع اسبانيا واكثر امريكا الجنوبية والوسطى ودوقا على برغندي والاراضي

الواطئة. وبدأ يهدد العرب في شمالي افريقيا ويسعى الى انتزاع السيطرة على مياه البحر المتوسط من العرب والمسلمين في الوقت الذي كان فيه اسطول مصر يحاول بدون نجاح اخراج البرتغاليين من المحيط الهندي. واصبح بامكان شارل ان يهاجم العرب من الشمال في الوقت الذي يضربهم به البرتغال من الجنوب. لقد اصبح اطباق الكماشة ممكناً واحتمالا مرعبا. وكان امبراطور المانيا هو جد شارل لابيه ويرشحه لوراثة هذا المنصب الكبير. وفعلا تم ذلك لشارل بعد ثلاث سنوات فازداد الخطر على دار الاسلام.

وكان واجبا على سليم بذل جهده لدفع هذا الخطر الكبير عن المسلمين بعد أن اظهر المماليك عجزهم. ووجد تشجيعاً على ذلك من علماء المسلمين السنيين الذي رأوا في وحدة دار الاسلام تحت راية سلطان واحد مثلا اعلى للحكم الاسلامي المثالي. وكان سليما عمليا وحكيما في قراره الذي اتخذه بالقضاء على دولة المماليك وضم امبراطوريتهم الى املاكه. وقد ادرك هو كما ادرك غيره من المسلمين انه السلطان المسلم السني الوحيد القادر على حماية الحرمين الشريفين من «الكفر والهرطقة».

وبدأ فكا الكماشة الافرنجية ينطبقان على دار الاسلام بقوة قبل ان يتخذ سليم قراره. فقد احتلت قوات اراجون وهران ٩١٦/١٥١٠ وبوجيه ٩١٨/١٥١٢ واجبر اعيان الجزائر على توقيع معاهدة اعترفوا بها بسيادة ملك اراجون وتعهدوا بعدم السماح لسفن اعدائه بزيارتها. فاستنجد الجزائريون بقرصان آسيا الصغرى المسلمين فهب لانجادهم الاخوان عرج وخزر من سكان جزيرة متلين تجاه ساحل آسيا الصغرى وايدهما عدد من القراصنة المسلمين. وطاردهم اسطول اراجون زمناً الى ان توفي فردیناند فتم لعروج وخزر الاستيلاء على اكثر الجزائر. ونال الاخوان مساعدة السلطان سليم الذي عين خزر حاكما عاما (بيلربي امير الامراء) على الجزائر وامده بالفي انكشاري [٤٢]. أما عروج فقد لاقى حتفه في معركة ضد الاسبان عام ٩٢٤/١٥١٨. كذلك تدخل اسطول اراجون في الوقت

نفسه في طرابلس وتونس ومراكش. فقد احتل هذا الاسطول تونس وطرابلس اوائل عام ٩١٥/١٥١٠ (٤٣) . واحتل البرتغاليون طنجه التي بقيت بايديهم حتى عام ١٦٦١ فاورثوها للانجليز (٤٤) . وهدد فرسان القديس يوحنا من رودس وطرابلس ومالطة السفن العربية بمثل ما هددت به هذه السفن في المحيط الهندي من قبل البرتغاليين .

ونشط فك الكماشة الثاني الى العمل في الجنوب . اذ شعر القائد ونائب الملك البرتغالي البوكرك ان اكثر ما يهدد مصالح بلاده هو زحف رومي نحو الجنوب . وذكر البوكرك في رسالة له الى ملك البرتغال عام ١٥١٣ ما يلي :

« ان اكبر الشرور التي تهدد جوا Goa هي الانباء التي تذكر ان الروم قادمين . انهم مصدر خطر كبير على الهند . . وان هذه الاشاعة تخلق الكثير من القلق بين المواطنين والمسيحيين على حد سواء » . واقترح البوكرك على مليكه السماح له بالابحار نحو البحر الاحمر ليثبت للناس ان لا وجود للخطر الرومي (٤٥) . والروم الذين عناهم البوكرك هم العثمانيون الذين كانوا وحدهم قادرين على الوقوف في وجه الخطرين ومنع فكي الكماشة من الاطباق على دار الاسلام .

وحرك البوكرك فك الكماشة الثاني للعمل . فابحر الاسطول البرتغالي قاصداً البحر الاحمر ولكن العواصف منعته من تحقيق اي مكسب . ووصلته اوامر ملكية بوجوب احتلال عدن ودخول البحر الاحمر في الوقت الذي أطبق فيه الفك الاول على الجزائر ولكن البوكرك عجز عن احتلال عدن . فقد وصلها في شباط يقود اسطولا مؤلفاً من عشرين سفينة تنقل ١٧٠٠ برتغالي و ٨٠٠ مجند اسيوي . ولكن السلطان عامر كان قد استعد لحربهم فهزمهم واكتفى البوكرك باحراق السفن العربية في الميناء . وصدوا عن جدة ولكنهم نهبوا قمران واحرقوا زيلع وقصفوا عدن بالقنابل واستولوا على بعض السفن العربية (٤٦) .

وقصد اسطول برتغالي المياه العربية في الصيف . ولكن هذا الاسطول لم يحقق اية انتصارات واكتفى بالقرصنة على السفن العربية . ثم جاء الاسطول هرمز مطالباً بالجزية السنوية ولكن ملك هرمز كان قد دان بالولاء الى الشاه فلم يدفع للبرتغاليين شيئاً . ولم يكن البرتغاليون على استعداد لاغضاب الشاه الذي وصل سفيره الى جوا في ذلك العام لوضع اسس حلف برتغالي ايراني ضد العثمانيين (٤٧) .

وقاد البوكرك في محرم ٩٢١/شباط ١٥١٥ اسطولا في اتجاه السواحل العربية . وضم اسطوله ست وعشرون سفينة تحمل الفا وخمسماية برتغالي وسبعماية جند اسيوي . ومع انه اعلم ملك البرتغال بان هدفه الرئيسي هو الاستيلاء على عدن وجعل مصوع ميناءاً حربياً ومركزاً للاسطول البرتغالي في البحر الاحمر ليتمكن من القضاء على الروم وتخريب مكة ، الا انه غير هدفه وقصد هرمز لاعادة النفوذ البرتغالي اليها . وكان احد الاحيان المدعو الرئيس سالم قد سيطر على البلد واعتقل ملكها سيف الدين . فاجبره البوكرك على اطلاق الملك الذي دان بالولاء لملك البرتغال ورفع العلم البرتغالي على قصره . ووصله في هرمز سفير الشاه اسماعيل الذي تنازل عن هرمز مقابل وعد من البوكرك بمساعدته ضد الروم . وهكذا عرض الشاه مساعدته لتمكين فك الكماشة الثاني من الاطبـــاق على دار الاسلام (٤٨) .

ولكن احداث عام ١٥١٦ ابعدت خطر فك الكماشة البرتغالي . فقد توفي البوكروك العنيف في كانون الاول من العام السابق فخلفه لوبو سوريز نائباً للملك في الهند . وابحر نائب الملك الجديد قاصداً عدن ودخل البحر الاحمر ووصل جدة للتفتيش عن الاسطول المصري . واحرق البرتغاليون زيلع ولكنهم فشلوا في محاولتهم احتلال عدن وحطمت العواصف اسطولهم وبعثرته (٤٩) .

وكان الاسطول المصري قد ابحر فعلاً ذلك العام بقيادة الامير حسين وقصدت الحملة جدة فبنى حسين حولها سوراً وسخر اهل جـدة في العمل به

مستعملا وسائل العنف والشدة . ثم قصدت الحملة اليمن وايدها الامام الزيدي المتوكل على الله يحي شرف الدين (٩١٠/١٥٠٤–٩٦٥/١٥٥٨) فتمكنت من الاستيلاء على عدن وهزمت عامر الثاني ابن عبد الوهاب وعمه ففر الى زبيد وزحف المصريون على زبيد فاحتلوها في حزيران . وكان لاستعمالهم الاسلحة النارية الفضل الاكبر في انتصارهم على عدو اكثر منهم عدداً . وفر ابن عامر الى تعز فتبعوه واخذوها . وعلموا اثناء ذلك بزوال دولة المماليك فاطاعوا السلطان سليم [٥٠] . ودعى لسلطان الروم في عدن فحدث ماخشي البوكرك حدوثه . وابتعد الخطر البرتغالي عن البحر الاحمر ولكنه بقي جاثماً وقويا في الخليج العربي . الا ان دولة اسلامية قوية تحملت وزر الدفاع عن دار الاسلام فبدأ مركز البرتغاليين في المياه العربية قلقاً مضعضعاً .

السلطان سليم يقرر احتلال البلاد العربية

وادرك سليم ان لاسبيل لحماية البلاد العربية ومنع فكي الكماشة من الاطباق الا بالاستيلاء على البلاد العربية واحتلال المراكز الستراتيجية الضرورية . لذا شجع خزر الذي عرف فيما بعد باسم خير الدين بربروسا . ومكنه خير الدين من مد النفوذ العثماني الى شمال افريقيا قبل ان تخضع البلادالعربية الاخرى لسليم وسبقت سليم دعاية ضخمة قوية هيأت افكار العرب والمسلمين لقبول حكمه وارهبت اعداءه حتى وصل هذا الرعب الى الهند قبل ان يتحرك سليم من استانبول [٥١] .

وتوترت العلاقات بين العثمانيين والمماليك اثر استيلاء سليم على احدى امارات الحدود المحايدة . فقد هزم سليم عام ٩٢١/١٥١٥ علاء الدولة بن سليمان ذوالقدر واستولى على امارته الواقعة الى الشمال الغربي من حلب . وازعجت هذه الاخبار السلطان قانصوه الغوري فارسل سفيراً الى سليم يطالبه بالجلاء عن

الامارة . ولما فشلت هذه السفارة اعتقد قانصوه ان الحرب لا بد منها . فتجهز للقتال وخرج من القاهرة في ربيع الثاني ٩٢٢/ ايار ١٥١٦ تاركا طومانباي نائباً فيها مصطحباً معه الخليفة والقضاة الاربعة . ووصلته في حلب سفارة عثمانية ضمت مولانا الشيخ ركن الدين وقراجا باشا اللذين اوضحا للغوري ان علاء الدولة قد قتل وان ابن عثمان عين ابن سوار اميرا وللغوري ان يبقيه او يعزله بل وابدى سليم استعداده للتنازل عن هذه الامارة للغوري . ولكن الغوري طالب بقرمان لنفسه وبذي القدر لابن علاء الدولة الذي لجأ اليه . وتلقى سليم اواخر الشهر سفارة مصرية طالبته بوضع حد للحرب مع الشاه الصفوي . الا ان المفاوضات والسفارات باءت بالفشل وتبين اوائل آب انه لابد من خوض المعركة [٥٢] .

احتلال بر الشام

وفي معركة مرج دابق صباح الاحد الموافق ٢٥ رجب ٩٢٢/٢٤ آب ١٥١٦ تقرر مصير العالم العربي لاربع قرون . فقد انهزم جيش مصر المملوكي وسقط الغوري ميتاً . ودخل سليم حلب بعد اربعة ايام فزينت له « واوقدت له الشموع وارتفعت الاصوات بالدعاء له وهو مار وفرح الناس به فرحاً شديداً .» وخطب له في اليوم التالي ، يوم الجمعة ، على منابر حلب . ودخل سليم دمشق في التاسع من تشرين الاول بترحاب كبير . وقصده امراء لبنان والقى نيابة عنهم الامير فخر الدين المعني الاول خطبة جاء فيها :

« اللهم ادم دوام من اخترته لملكك وجعلته خليفة عهدك وسلطته على عبادك وارضك وقلدته سلطنتك وفرضك .. ناصر الشريعة الغراء وقائد الامة الطاهرة الزاهرة سيدنا وولي نعمتنا امير المؤمنين .. الذي بيده الامر .. اعاننا الله بالدعاء لدوام دولته » [٥٣] .

وفرح الناس بالحكم الجديد ورحبوا به واعتقدوا ان السلطان العثماني قادر على اعادة الحياة للطريق التجاري القديم الذي قطعه البرتغاليون . «وصار امان واطمئنان عام.. ولم ترتفع الحروب بين امراء هذه الولايات كتب الى امراء البلدان بالامان والحضور.. وامرهم بأن يحسنوا السياسة لقومهم وفي عمارة بلدانهم»(٥٤).

وكانت احوال بلاد الشام سيئة منذ بداية الحروب الصليبية التي خرجت منها منهوكة القوى قد حل بمدنها وقراها الخراب وهجرت مزارعها وتعاون كل من العدو المحتل والمسلم المحرر على تخريبها . فقد خرب صلاح الدين مدنا وبلداناً كبيرة في بر الشام فلم يبق من طبريا وعسقلان وبانياس والرملة وبيت جبرين ويبنة غير اطلال دارسة كي لايدع للعدو فرصه للاعتصام بها . واحرق الصليبيون بيسان وخرب بيبرص ارسوف وقيسارية والناصرة ويافا كما قضى الاشرف قايتباي على عكا وصور فتركهما خرابا . وجاء تيمورلنك بالنكبات وقضى على ارواد ومنبج وغيرهما(٥٥) .

وجاء العثمانيون الى سورية فوجدوا اكثر موانئها خربة . فلم تكن الاسكندرون غير مجموعة من الاكواخ الحقيرة التي لاتستحق ان تسمى قرية . وكانت اللاذقية وصور وحيفا خرائب لايسكنها احد . اما صيدا وعكا ويافا وغزة فكانت قرى صغيرة لاتكبر اسكندرون كثيراً . الا ان طرابلس الجديدة التي بنيت على بعد ميلين الى الداخل من خرائب المدينة القديمة كانت ميناء منتعشاً تمر به تجارة دمشق وحلب ويزاحمها على ضعف ميناء بيروت . ولم ينتشر هذا الخراب على طول الساحل لاسباب اقتصادية صرفة بل تعمد المسلمون ابقاء هذه الموانىء خربة كي لايتمركز بها عدو قادم بطريق البحر . وكانوا بذلك ينفذون سياسة الارض المحروقة التي اتبعوها في حرب الصليبيين(٥٦) .

ولم تكن احوال المراكز الداخلية بافضل من مدن الساحل . فقد بقيت جرش وعمان وصفد وطبريا وبيسان والرملة مجرد خرائب غير مسكونة وكانت اللد والمجدل واشدود وبئرسبع قرى صغيرة . ولم يزد عدد سكان القدس

عن عشرة الاف نصفهم فقط من المسلمين. اما الكرك والسلط وعجلون فكانت قرى كبيرة منتعشة[٥٧]. وتمركز النشاط الاقتصادي في دمشق وحلب اللتين كانتا مدينتين كبيرتين اجتذبتا سكان الارياف اليهما فهجروا القريه والريف الى المدينة فزاد ذلك من خراب الريف. وهكذا نرى ان بر الشام كان بلداً تعيساً عندما احتله سليم وسعى لاعادة الحياة والسعادة اليه فلا عجب اذا مارحب السكان بسليم وعقدوا عليه الامال.

احتلال مصر

واختلف شعور المصريين نحو العثمانيين عن شعور سكان بر الشام. فقد ايد السكان طومانباي في استعداداته لصد العثمانيين. واستسلم طومانباي لرجال الدين وفوضهم ونفذ طلباتهم. وراجت سوق الاشاعات في القاهرة. فاذيعت انباء مخيفة عن قوة جيش الروم (الجيش العثماني) وقيل ان معهم «رماة بالبندق والرصاص على عجلات خشب تسحبها ابقار وجواميس». واذاع المماليك بين الناس ان ابن عثمان سلطان الروم «ينحجب عن عسكره أياماً.. فيفتك... عسكره في المدينة (دمشق) ويتجاهرون بانواع المعاصي والفسوق... لايصومون... ويشربون الخمرة... ويستعملون الحشيش... ويفعلون الفاحشة بالصبيان المرد في شهر رمضان، وان ابن عثمان لايصلي الجمعة الا قليلا»[٥٨]. ولكن هذه الاوصاف كانت تنطبق على سلوك المماليك انفسهم.

واستعرض طومانباي قواته واسلحته ليستعيد ثقة الناس بقوة المماليك. ومرت امام جموع الناس «عربات من الخشب زادت عن المائة يجر الواحدة منها زوج ابقار وتحمل الواحدة مكحلة (مدفعاً) نحاسياً» مرت امام الناس عدد من الفيله والفرسان المماليك. وسر الناس مارأوه وتباكوا «لما عاينوا العجلات والمكاحل والهمة العالية من السلطان.. واطلقوا الزغاريت». واشاع المماليك ان فرسان القديس يوحنا سيرسلون لهم نجدة من رودس[٥٩].

ولكن هذه الاستعدادات لم تفد المماليك شيئاً . فقد الحق بهم سليم هزيمة كبيرة في معركة الريدانية في ٢٩ ذي الحجة ٩٢٢ / ٢٣ كانون الثاني ١٥١٧ ودخل العثمانيون القاهرة وخطب فيها لابن عثمان على منابرها في اليوم التالي الذي كان يوم جمعة . واساء جند ابن عثمان التصرف فاستغل دعاة المماليك ذلك لاثارة خواطر الناس ضدهم . واشيع عن العثمانيين ان « نفوسهم قذرة وعيونهم دنية يأكلون وهم راكبون .. همج كالبهائم .. يخطفون جماعة من الصبيان المرد والعبيد السود .. واستمر النهب .. وهذه الحادثة التي وقعت لم تمر لاحد من الناس على بال .. وانفتحت للعثمانية كنوز الارض بمصر من نهب قماش وسلاح وخيول وبغال وجوار وعبيد وغير ذلك من كل شيء فاخر واحتووا على اموال وقماش مافرحوا قط في بلادهم ولا استاذهم الكبير .. (٦٠)»

واغتنم طومانباي الفرصة ليهجم مرة اخرى على الجيش العثماني وهو لاه بالنهب . فهجم الثلاثاء ليلة الاربعاء الخامس من محرم ٩٢٣ / ٢٧ كانون الثاني ١٥١٧ ودخل القاهرة . وثار معه نفر من القاهريين وايدوه واستمرت حرب الشوارع عنيفة في القاهرة الى يوم السبت الثامن من رجب (٣١ كانون الثاني) وخطب لطومانباي يوم الجمعة . واستعاد العثمانيون القاهرة بعد قتال مرير . وهجم طومانباي مرة ثالثة يوم الخميس العاشر من ربيع اول / الثاني من نيسان. وكانت هزيمة طومانباي هذه المرة نهائية فاسر وشنق يوم الاثنين ٢١ ربيع اول / ١٣ نيسان على باب زويلة « فلما شنق وطلعت روحه صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والاسف .. وكانت الناس عنه راضية .. ولم يسمع بهذه الواقعة فيما تقدم من الزمان ان سلطان مصر شنق على باب زويلة قط .. » وانزل بعد ثلاثة ايام ودفن في مدرسة الغوري وسنه ٤٤ سنة (٦١).

استتب الامر لسليم واصبح بامكانه ان يسلب وينتقم وينظم . أراد ان يبقي مصر ولاية عثمانية لاتكاد تتميز عن غيرها ، فجردها من كل اسباب

عظمتها وسلبها خيرة رجالها و كتبها وصنائعها ونفائسها . لقد اتبع خطة منظمة لابقاء مصر بلداً تابعاً ، بعد ان كانت مصر متبوعة ، وجعلها نيابة بعد ان كانت امبراطورية . وبعد ان كانت مركز العالم العربي والاسلامي اصبح مثلها كمثل اي قطر آخر تتبع العاصمة العثمانية وتدين بالولاء الى السلطان العثماني.

نبكي على مصر وسكانها	قد خربت اركانها العامرة
واصبحت بالذل مقهورة	من بعدما كانت هي القاهرة

ويروي ابن أياس في بدائع الزهور وصفاً دقيقاً مؤلماً لما حدث لمصر فيقول « ثم ان جماعة من وزراء ابن عثمان جلسوا في المدرسة الغورية وشرعوا يطلبون أعيان الناس من القضاة والشهود والمباشرين والتجار وأعيان تجار المغاربة وتجار الوراقين وتجار الشرب والباسطية .. وطايفة من البنائين والنجارين والمرخمين والمبلطين والحدادين .. وجماعة من اعيان اليهود ... ليسافروا الى اسطنبول .. وشرع في فك الرخام الذي بالقلعة .. وغير ذلك .. وفك العواميد السماقى الذي كانوا في الايوان الكبير وقيل انه يقصد ان ينشىء له مدرسة في اسطنبول مثل مدرسة الغوري فلا تقبل الله منه ذلك .. ثم صاروا .. يهجموا على قاعات الناس ويأخذوا مافيها من الرخام السماقي والزرزوري والملون فأخربوا عدة قاعات .. ثم .. الكتب النفيسة .. ان ابن عثمان خرج من مصر وصحبته الف جمل محملة مابين ذهب وفضة .. وسلاح .. وصيني .. ونحاس ورخام .. وأخذ منها من كل شيء أحسنه مالا فرح به أباؤه ولا أجداده .. وبطل منها نحو خمسون صنعة .. ولم تقاس مصر شدة من قديم الزمان اعظم من هذه الشدة ولا سمعت بمثلها في التواريخ القديمة .. ففارقت الناس اوطانها وأولادها .. وتغربوا من بلادهم الى بلد لم يطؤوها قط وخالطوا اقواماً من غير جنسهم وكانت سنة مشئومة (٦٢) ».

وتارجح امراء الاكراد في ولائهم بين الشاه والسلطان. ولكن تشيع الشاه واصراره على اتباع اسلوب جديد في الحكم دفع امراء الاكراد الى الارتماء بأحضان السلطان سليم السني الذي كان من سياسته ابقاء القديم على قدمه، فقدم الامير الكردي شاه على صاحب الجزيرة خضوعه للسلطان عام ١٥١٤ فاقره السلطان في منصبه. وتوفي شاه في العام نفسه، فخلفه ابنه بدر لمدة سبعين سنة (٦٣).

كذلك رحب اكراد المنطقة الشرقية بالسلطان سليم. وعهد السلطان للشيخ ادريس البدليسي بتوطيد الحكم العثماني في بلاده وضمان ولاء الامراء الاقطاعيين (٦٤) ومنح السلطان الشيخ ادريس تفويضا مطلقا باعادة تنظيم المقاطعات الكردية وجاء في هذا التفويض « وبما ان الامراء.. معلومة لديك احوالهم والقابهم ومقادير ما يخصص لهم من السناجق. وبالنسبة الى صداقتهم واخلاصهم فقد ارسلت مراسيم ملكية شريفة على البياض.. فينبغي ان تكتبوا البراءات السلطانية عن احوال السناجق التي خصصت لكل امير وكيفية توجيهها والقاب هؤلاء الامراء ومقادير اقطاعاتهم.. مع تسجيل صور تلك البراءات السلطانية تفصيلا ومقدار اقطاعاتهم في دفتر خاص وارساله الى سدتي السعيدة ليحفظ هنا.. مع مذكرة تفصيلية عن السناجق التي وجهت الى الامراء وكيفية تفويضها ووجه كتابة القابهم.. بشرط ان يكون هذا التوزيع والتخصص لا ينحلان بالاصل بحيث لا يؤدي الى تزلزل ما بينهم من اسس الارتباط ».

وبقيت بغداد والبصرة في يد الصفويين حتى وفاة الشاه اسماعيل ٩٣٠/١٥٢٤. واغتنم الفرصة حينئذ ذو الفقار خان رئيس قبيلة الموصللو الكردية وحاكم الكلهر (اطراف لورستان والبختيارية) فزحف على بغداد وقتل حاكمها ابراهيم سلطان

(٩١٤/١٥٠٨ - ٩٣٠/١٥٢٤) واحتل المدينة بعد حصار قصير. واعلن ذو الفقار ولاءه للسلطان سليمان العثماني وارسل بذلك الى استانبول مبلغاً ومبشراً. واعتقد انه اسس دولة كردية موالية للعثمانيين (٦٦).

ولكن الشاه طهماسب لم يستطيع ان يرى ولاية غنية لها اهميتها الدينية وتضم عتبات الشيعة الرئيسية تنتزع من يده بمثل هذه السهولة. فجهز الشاه حملة كبرى وزحف على بغداد (٩٣٦/١٥٣٠) وحاصرها طويلا. ولما استعصت عليه اتصل سراً باخوي ذي الفقار واغراهما بأخيهما فاغتالاه وسلما المدينة للشاه. وبولغ في استانبول في وصف ما اصاب اهل السنة في بغداد من مذابح وتنكيل. اما الشاه فقد عاد الى تبريز تاركا محمد خان والياً على بغداد (٦٧).

ولكن السلطان العثماني لم يثر لما حدث ولم يعلن الحرب على الشاه الا بعد اربع سنوات. وقاد الصدر الاعظم الداماد ابراهيم باشا جيشاً قضى فصل الشتاء في حلب. وفي العام التالي خرج السلطان نفسه على رأس جيش من استانبول في ٢٨ ذي القعدة ٩٤٠/نيسان ١٥٣٤ في الوقت الذي غادر فيه الصدر الاعظم حلب قاصداً ديار بكر التي وصلها في منتصف ايار. وزحف ابراهيم باشا على تبريز عاصمة الشاه فدخلها في اول محرم ٩٤١/١٣ تموز ١٥٣٤ وبقي فيها الى ان لحق به جيش السلطان في ايلول. ثم توجه السلطان الى بغداد بطريق همذان وكرمانشاه (٦٨).

وكان محمد خان والي بغداد الصفوي متردداً قلقاً لايدري ماذا يفعل. ولكنه ما ان رأى الشاه قد تخلى عنه ولم يرسل له مدداً وادرك ان الجند والناس يرحبون بالفاتح الجديد ولايريدون مقاومته، حتى تظاهر بانه سيرحب بالسلطان مثلهم ثم فر الى فارس. ودخل ابراهيم باشا بغداد بدون قتال وانقذها من النهب. ودخل السلطان سليمان بغداد يوم الاثنين ٢٤ جمادي الاولى ٩٤١/ كانون اول ١٥٣٤ (٦٩).

وبقي السلطان زمناً في بغداد. واستقبله الناس بفرح كبير وزينت له

بغداد ومدحه الشعراء ووفد عليه الامراء والشيوخ لتقديم الولاء . ونظم السلطان البلاد وقسمها الى سناجق وعمر ماهدمه الصفويون من اماكن مقدسة وسجل الاملاك والعقارات . ثم عاد ركبه الى استانبول مارا بتبريز تاركا سليمان باشا المجري ، والي دياربكر السابق ، والياً على بغداد (شوال ٩٤١/٢ نيسان ١٥٣٥م)[٧٠] .

وكان من بين الذين قدموا ولاءهم للسلطان مانع بن راشد ابن امير البصرة نيابة عن ابيه . وكان راشد بن مغامس المنتفقي اميراً مستقلا على البصرة له خطبة وسكة ولكنه يدفع اتاوة سنوية لمن يحكم بغداد . وقد خضع للشاه الصفوي عام ٩١٤/١٥٠٨ و كذلك خضع للفاتح الجديد السلطان سليمان[٧١] .

وفي عهد حاكم بغداد الثاني اياس باشا (صفر ٩٤٨/ ايار ١٥٤١ -) تمرد راشد وايد ثورة القبائل على السلطان . وزحف اسطول البصرة باتجاه بغداد ولكن العثمانيين اوقفوه وصدوه . وقاد اياس باشا حملة على البصرة في شعبان ٩٥٣/٢٩ تشرين اول ١٥٤٦ احتلت القرنة وهزمت اسطول البصرة النهري واحرقته وفشل البرتغاليون في محاولاتهم انجاد الامير[٧٢] . وفر راشد الى الحسا ودخل اياس البصرة في ٢١ شوال ٩٥٣/١٥ كانون الاول ١٥٤٦ ونظم حكومتها حسب اسس الادارة العثمانية . واصبح اياس باشا اول وال عثماني على البصرة[٧٣] .

وقد الجأت الحالة الحرجة في البحار الشرقية الحكومة العثمانية لفرض سيطرتها على البصرة لاتخاذها قاعدة بحرية في حربها ضد البرتغال . فقد عانى العثمانيين في حربهم مع البرتغاليين ، وفي محاولاتهم لمنع فك الكماشة البرتغالي من الاطباق على دار الاسلام ، من عدم وجود موانيء حربية صالحة . وفشلت حملة سليمان باشا التي ابحرت من السويس في محرم ٩٤٦/ايار ١٥٣٩ واضطرت الى العودة الى السويس ، ولكن حملة بيري بك عام ٩٥٩/١٥٥٢ استطاعت ان تجد في البصرة ميناءاً قريباً تلجأ اليه ولولم تكن البصرة عثمانية لحطم البرتغاليون ذلك الاسطول ولاصبحت البصرة نفسها حصناً برتغالياً .

وما ان وصلت انباء مقتل الغوري وطومانباي واستيلاء سلطان الروم على مصر وبر الشام حتى بادر الشريف بركات بن محمد بن بركات شريف مكة (٩٠١/١٤٩٥ - ٩٣١/١٥٢٤) الى تقديم خضوعه الى السلطان سليم وارسال ابنه ابي نمي ، البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً ، الى بلاط السلطان . فاقره السلطان اميراً على مكة وخوله صلاحيات واسعة (٧٤) .

وسبق ان رأينا ان الحملة التي قادها حسين الكردي وسلمان رئيس لانجاد ملك كاجرات السلطان مظفر شاه بن محمود شاه (٩١٦/١٥١٠ - ٩٣٢/١٥٢٥) فشلت في مهمتها في الهند فعادت الى اليمن لتحارب الامراء المسلمين . وهاجم حسين الكردي مملكة بني عامر الشافعية بحجة ان عامر صاحب عدن رفض تقديم المؤن والذخائر لاسطوله وشجعه على ذلك الامام المتوكل على الله يحيى شرف الدين الزيدي (م ٩٦٥/١٥٥٧) والشريف عز الدين بن احمد صاحب جيزان والفقيه ابو احمد صاحب اللحية . ودخل الجيش المملوكي مدينة زبيد في ١٩ جمادي الاول ٩٢٢/٢٠ حزيران ١٥١٦ بعد ان تغلب على عدو يفوقه عدداً بفضل الاسلحة النارية . وقتل عامر الثاني بن عبد الوهاب (٨٩٤/١٤٨٩ - ٩٢٣/١٥١٧) وفر عمه الى تعز . اما حسين فقد غادر زبيد يصحبه سلمان رئيس تاركاً قواته فيها بقيادة برسباي . وقاد حسين وسلمان حملة بحرية ضد عدن ولكنه لم يستطع احتلالها فعاد الى جدة في الخريف . ووجد ان دولة المماليك قد زالت وان سليم قد اصبح سلطان مصر وبر الشام والحجاز . واحتال عليه شريف مكة واعتقله واماته بأمر من السلطان سليم (٧٥) .

استأنف برسباي محاولات حسين لاحتلال اليمن رغم وصول الاخبار بزوال دولة المماليك . وزحف برسباي على تعز فاحتلها ولكنه قتل في كمين على طريق زبيد . وتنازع زعامة المماليك بعد مقتله كل من اسكندر الشركسي ورمضان

الرومي اللذان اعلنا ولاءهما للسلطان العثماني[٧٦] .

وكان السلطان العثماني قد عين حسين الرومي حاكما على سنجق جدة مرتبطاً بوالي مصر خاير بك . واستحصل حسين على اذن من خاير بك بالزحف على اليمن ولكنه ما ان وصلها حتى بلغته انباء وفاة السلطان سليم فعاد الى جدة . وشجعه سلمان رئيس قائد الاسطول المصري القديم على استئناف الحملة على اليمن كما قاد سلمان عام ١٥٢٥/٩٣٢ ما تبقى من سفن الاسطول المصري ضد البرتغاليين في قمران وامر كثيرين . ودعا حسين امير الشراكسة اسكندر الى الاستسلام فرفض ولكنه وقع اسيراً بيد شريف جيزان الذي حماه . ونشب قتال بين حسين وشريف جيزان بسبب اختلافهما على مصير اسكندر فانتصر حسين وقتل الشريف . وتكبد حسين في المعركة خسائر جسيمة فاضطر الى الانسحاب من اليمن والعودة الى جدة . اما سلمان فقد عاد الى القاهرة ليساهم في حملة سليمان باشا البحرية[٧٧] .

وحدثت تطورات جديدة اثناء ذلك في الخليج العربي . اذ لم يقتنع البرتغاليون بالمركز الممتاز المسيطر في مملكة هرمز فحاولوا تشديد قبضتهم عليها بالاشراف الكامل على جباية جماركها . وانفجرت الثورة ضد البرتغاليين في هرمز والبحرين وصحار في آن واحد بتحريض من ملك هرمز . وحاصر الملك الحصن البرتغالي في هرمز حصارا طويلا ولكن وصلت نجدات للبرتغاليين فكت الحصار عن الحصن . وفر ملك هرمز بعد ان احرق المدينة ولكنه لاقى حتفه اغتيالا على يد أحد رعاياه فخلفه ابنه محمود شاه وعمره ١٣ سنة . واضطر الملك الطفل الى توقيع معاهدة مع البرتغاليين في رمضان ٩٢٩/ تموز ١٥٢٣ سلم بموجبها مقاليد الامور والسلطات الفعلية للبرتغاليين[٧٨] .

ولكن الاحوال لم تهدأ في المقاطعات العربية الخاضعة للبرتغاليين . فنشبت ثورات في كلهات ومسقط عام ١٥٢٦/٩٣٣ اخضعها نائب الملك البرتغالي لوبوفاز Lopo vas . وقصد لوبوفاز بعد ذلك جزيرة هرمز للاصلاح بين الحاكم البرتغالي فيها والشريف الرئيسي في المدينة : ووصل هرمز عام ١٥٢٨/٩٣٦

نائب الملك الجديد كنها Nuna de Cunha . وارسلت حملة ذلك العـــام لتأييد حاكم البصرة العربي الامير راشد بن مغامس المنتفي ضد امير الحويزة . ولكن خلافاً نشب بين راشد والبرتغاليين لان الاول رفض تسليم سبع سفن تركية كانت راسية في ميناء البصرة كما رفض مقاطعة التجارة التركية ، فانتقم منه البرتغاليون بقصف مركزين من مراكزه . كذلك ارسلت حملة بحرية لتأديب البحرين الثائرة ولكن الحملة كانت فاشلة (٧٩) .

وشرع العثمانيون في مصر في اعداد حملة ضد البرتغاليين . واحضر العثمانيون الاخشاب والمواد اللازمة الى دار الصناعة في السويس عام ١٥٣٧/٩٤٤ وتم اعداد الاسطول في ربيع العام التالي . وابحر هذا الاسطول في محرم ٩٤٦/ ايار ١٥٣٩ قاصداً جدة حيث نصبت الصواري وركبت المدافع على السفن . وضم الاسطول ١٥٠٠ مجذف مسيحي عثماني و ٨٠٠ بحار اوروبي بقيادة رجل من البندقية بالاضافة الى الجند العثماني بحيث بلغ عـدد رجال الحملة اكثر من عشرين الفا . ووصلت الحملة الى عدن في ١٧ ربيع الاول / تموز وغدرت بملكها عامر الثالث بن داود (١٥١٧/٩٢٣ - ١٥٣٨/٩٤٥) واعتقلته وملكت المدينة وقضت على السلالة الطاهرية الشافعية في اليمن . وعين اياس باشا والياً عثمانياً على اليمن وكلف باخضاع الامام الزيدي صاحب صنعاء (٨٠) . واعلن بدر الكثيري صاحب حضرموت ولاءه للسلطان العثماني وقـدم مساعدات قيمة للعثمانيين في حرب الزيديين فوعدة العثمانيون بمساعدته ضد البرتغاليين (٨١) .

واستأنف الاسطول العثماني سيره نحو الهند قاصداً حصن ديو البرتغالي . وكان الهنود قد شرعوا بحصار البرتغاليين في ديو قبل وصول العثمانيين بشهر تقريباً ، ولكن ما ان وصلت انباء غدر العثمانيين بصاحب عدن حتى ساءت سمعة العثمانيين وتخلى عنهم حلفاؤهم الهنود . وقاوم البرتغاليون في ديو الحصار مع ان قوتهم لم تزد على ثمانماية جندي وست سفن مسلحة . واضطر القائد العثماني الى فك الحصار والعودة الى اليمن حاملا معه ثمانين اسيراً برتغالياً (٨٢) . واساء سليمان التصرف

في اليمن اذ قتل الامير احمد صاحب زبيد غيلة وعين عليها سنجقاً عثمانياً . وابقى في عدن قوة عثمانية من ٥٠٠ جندي وخمس سفن . ثم عاد سليمان الى القاهرة فاستانبول ليقدم تقريراً للسلطان [٨٣] .

وقام البرتغاليون بهجوم معاكس في العامين التاليين . فاكتسح اسطولهم البحر الاحمر واحرق سواكن وكاد ان يحرق الاسطول العثماني لولا وصول انذار في الوقت المناسب [٨٤] . وحاولوا احراق جدة ولكن شريف مكة محمد ابا نمي الثاني (٩٣١/١٥٢٤ - ٩٩٢/١٥٨٤) صدهم عنها فمنحه السلطان نصف واردات جمارك جدة مكافأة له [٨٥] . وشدد البرتغاليون قبضتهم على هرمز وابقوا الملك رمزاً فقط [٨٦] . واغتنم الامام الزيدي الفرصة فثار على العثمانيين في اليمن ، كما حدثت فتنة بين العثمانيين انتهت بقتل الوالي عثماني اياس عام ٩٥٤/١٥٤٧ فخلفه ازدمر الذي اخمد الثورة الزيدية واحتل صنعاء [٨٧] .

وادرك السلطان خطورة الوضع في الجزيرة العربية فاتخذ اجرائين هامين . اذ امر والي بغداد باحتلال البصرة للسيطرة على فم الخليج العربي وبناء قاعدة بحرية عثمانية فيها ، فتم ذلك للعثمانيين عام ٩٥٣/١٥٤٦ . كذلك اصدر اوامره الى والي مصر باعداد حملة بحرية ثانية في السويس . وابحر الاسطول العثماني الذي ضم ٣٠ سفينة و ١٦٠٠٠ جندي من السويس بقيادة بري بك عام ٩٥٩/١٥٥٢ قاصداً البحار العربية الجنوبية . واحتلت الحملة مسقط وحاصرت هرمز . وقاومت حامية مسقط البرتغالية العثمانيين اكثر من شهر . اما في هرمز فقد تحصن البرتغاليون وملك هرمز وعائلته في القلعة . ونزل العثمانيون الى البر وحاصروا القلعة شهراً وقصفوها قصفاً متوالياً شديداً ثم انسحبوا . ووصلت اثناء ذلك نجدة للبرتغاليين بقيادة نائب الملك نورونها Affonso de Novonha ولكنه وجد ان العثمانيين قد رحلوا عن هرمز فعاد الى جوا . اما بري بك فقد ترك اكثر اسطوله في البصرة وعاد هو بثلاث سفن الى السويس ففقد احداها في الطريق . وسافر من السويس براً الى استانبول حيث لاقى جزاء فشله [٨٨] .

وقاد مراد بك رئيس اسطولا عثمانيا يتألف من خمسة عشر غليونا من ميناء البصرة عام ١٥٥٢/٩٦٠ . وخاض مراد بك معركة غير حاسمة مع الاسطول البرتغالي قرب الساحل الايراني . وكاد البرتغاليون ان يوفقوا بعد عام في محق اسطول عثماني بقيادة علي شلبي قرب مسقط واستعادوا السيطرة على الخليج العربي (٨٩) .

وعاود العثمانيون محاولاتهم للسيطرة على الخليج بعد ان استقروا في اليمن وحضر موت والاجزاء الغربية من شبه الجزيرة العربية . فقد قاد سيدي علي رئيس الاسطول العثماني من البصرة في منتصف عام ١٥٥٤/٩٦١ ومخر مياه الخليج فالتقى باسطول برتغالي الحق به خسائر جسيمة . واخيراً دفعته الرياح الى شواطىء الهند حيث باع ما تبقى من اسطوله وعاد بعد ثلاثة سنوات بطريق البر . وهاجمت البحرين عام ١٥٥٩/٩٦٧ قوة عثمانية مؤلفة من غلونين وسبعين قارب نقل تحمل ١٢٠٠ جندي . ولكن وصلت البحرين في الوقت نفسه نجدة برتغالية تغلبت على العثمانيين الذين استسلموا لها . ووصل مسقط عام ١٥٨١/٩٨٩ اسطول عثماني قادم من مخا وتمكن من انتزاع الحصن من البرتغاليين في الوقت الذي اصبحت فيه البرتغال جزءاً من الامبراطورية الأسبانية (٩٠) .

ويلاحظ ان العثمانيين لم يستطيعوا الاحتفاظ باكثر اجزاء الجزيرة العربية . فقد ثبتوا سيطرتهم في مكة وجدة ولكنهم جابهوا ثورة مستمرة في اليمن . وكان نفوذهم في حضر موت ونجد اسميا . وفشلت محاولاتهم لاخراج البرتغاليين من الخليج . ولما ضعف شأن البرتغاليين بعد ضم بلادهم الى اسبانيا عام ١٥٨٠/٩٨٨ كان العثمانيون بدورهم قد وهنوا . ودخل ميدان النزاع في الخليج كل من هولندا وانجلترا . وكان اقصى ما اخضعه العثمانيون من سواحل الخليج هو الاحساء والكويت والبصرة ولكنهم لم يستطيعوا المحافظة على غير البصرة .

ضم شمال افريقيا للامبراطورية العثمانية

استطاع العثمانيون ان يخضعوا لنفوذهم كلا من ليبيا وتونس والجزائر. الا ان جميع المحاولات العثمانية لاحتلال مراكش كانت فاشلة، واستطاعت مراكش ان تقاوم العثمانيين والافرنج اربعة قرون.

مراكش

وكان بنو مرين من عرب زناته قد استولوا على الحكم في مراكش عام ٦٦٨/١٢٦٩ بعد ان قضوا على الموحدين[٩١]. وخسر عرب الاندلس بزوال الموحدين سنداً كبيرا وغدت الاندلس « قليلة الحامية ضعيفة الاحوال الا من يلهمه الله لعمل الجهاد من قبائل زناته.. وخصوصاً بني مري اهل المغرب الاقصى لاتصال عدوة الاندلس ببسائطه ولتعدد القراصن ببحر الزقاق القريب العدوتين »[٩٢]. وفشلت محاولة سلطان بني مرين عام ٧٤٠/١٣٤٠ لانجاد عرب الاندلس. وانتصر الافرنج على سلطان بني مرين وقتلوا ابنه وحريمه ونهبوا افسطاطه وحطموا اسطوله وانتزعوا منه الجزيرة الخضراء عدوة الاندلس[٩٣]. واستعاد العرب الجزيرة عام ٧٧٠/١٣٦٨ ولكنهم خربوها بعد عشرة ايام بعد ان ايقنوا من استحالة احتفاظهم بها[٩٤]. وهاجم الافرنج مراكش نفسها وانتزع البرتغاليون سبته وطنجه ولم يتمكن بنو مرين من انجاد غرناطه التي استسلمت للافرنج في ٢٢ محرم ٨٩٧/٥ كانون اول ١٤٩١ ودخلوها في ٢ ربيع اول ٨٩٧/١٣ كانون الثاني ١٤٩٢ ولجأ آخر ملوك غرناطه، ابو عبدالله محمد، الى بلاط بني مرين وقتل دفاعاً عنهم عام ٩٤٠/١٥٣٦. واخيراً قتل محمد الحاج بن ابي بكر (٩١٦/١٥١٠ - ٩٥٧/١٥٥٠) آخر ملوك بني مرين على يد محمد بن شريف تاكما دارت السعدي العلوي (م ٩٧٢/١٥٦٤) الذي

اسس العائلة السعدية التي حكمت مراكش قرابة قرن من الزمن [٩٥] .

تونس

اما تونس فقد حكمها اواخر القرن الثاني عشر ميلادي اول افراد العائلة الحفصية التي حكمت تونس حتى اواخر القرن السادس عشر . ويعتبر ابو العباس (٧٧٢/١٣٧٠ - ٧٩٨/١٢٩٤) المؤسس الفعلي للحكم الحفصي في البلاد وحاميها من الصليبيين . واتبع ابنه ابو فارس (م ٨٣٨/١٤٣٤) سياسته فصد غزوات اهل صقلية وقطالونية وانفذ اسطولا ضد مالطة عام ٨٣٢/١٤٢٨ . اما الامير الثالث ابو عمر عثمان (م ٨٩٥/١٤٨٨) فقد سالم الافرنج ورحب برعايا قطالونية وجنوة وسمح لهم بصيد الاسماك وجمع الاسفنج في مياه تونس الاقليمية [٩٦] .

واضطربت احوال تونس بعد مقتل عثمان اذ اصبحت مسرحاً للنزاع بين العثمانيين والافرنج . وبدأت الحملات الافرنجية (الاراجونية = الاسبانية) في عهد الامير ابي عبد الله الحسن (٩٠٠/١٤٩٤ - ٩٣٣/١٥٢٦). واحتل اسطول اراجون جزيرة جربه فتدخل خير الدين بربروسه لاخراجهم منها . واخرج العثمانيون الحسن من تونس عام ٩٤١/١٥٣٤ ولكن الامبراطور شارل الخامس (= الملك شارل الاول ملك اراجون) اعاده بعد عام بالقوة الى عرشه . وقصد اندريه دوريا القطر التونسي عام ٩٥٢/١٥٤٥ واحتل سوسه ومناستير وسفاقس وثبت نفوذ اراجون في تونس . وثار سيدي عرفه في القيروان وخلع طاعة الحسن الذي استنجد بالاسبان . الا ان احمد حميده ابن الحسن خلع والده عام ٩٤٩/١٥٤٢ في محاولته استعادة ملك اجداده [٩٧] .

وتدخل العثمانيون مرة اخرى للقضاء على النفوذ الاسباني والعائلة الحفصية . وتمكن امير البحر طورغوجه من احتلال قفصة عام ٩٦٥/١٥٥٦ والقيروان ٩٦٦/١٥٥٨ وجربة ٩٦٨/١٥٦٠ . وقاد علي باشا حاكم الجزائر العثماني حملة عام ٩٧٧/١٥٦٩ احتلت تونس ونصب عليها رمضان باشا عاملاً عثمانياً مرتبطاً

بالجزائر . ولكن الاسبان اعادوا الحفصيين وطردوا العثمانيين بعد اربعة اعوام. واخيرا تمكن سنان باشا من تحرير تونس نهائياً من الاسبان من جمادي ٩٨٢/ايلول ١٥٧٤ . وبقيت تونس مرتبطة اداريا بالجزائر حتى عام ٩٩٧/١٥٨٧ (٩٨) .

ليبيا

كانت طرابلس خلال القرن الخامس عشر تابعة لتونس فتعرضت لمثل ماتعرضت اليه تونس من اخطار . واحتل الاسبان مدينة طرابلس في رمضان ٩١٥/٥ كانون الثاني ١٥١٠ . واعطى الامبراطور شارل الخامس المدينة لفرسان القديس يوحنا (فرسان مالطه) بعدان اخرجهم السلطان سليمان القانوني من رودس عام ٩٣٧/١٥٣٠ . وارسل السلطان حملة عام ٩٥٢/١٥٤٠ بقيادة الخصي العلج مراد احتلت فزان وغريان ولكن عجزت عن تحرير طرابلس . واخيراً وصل طرابلس في ١١ شعبان ٩٥٨/١٤ آب ١٥٥١ اسطول عثماني بقيادة امير البحر طورغوجه فحرر المدينة واصبح حاكمها الاول . اما مراد فقد بقي حاكما على المناطق الداخلية حتى وفاته عام ٩٦٧/١٥٦١ وخلف طورغوجه بعد مقتله في مالطة (٩٧١/١٥٦٤) يحي باشا (٩٩) .

الجزائر

وتعرضت الجزائر كجاراتها لهجمات الاسبان اوائل القرن السادس عشر . فاحتل اسطول اراجون مدن وهران ٩١٦/١٥١٠ وبجاية ٩١٨/١٥١٢ . واجبر الاميرال بيدرونافارو اعيان الجزائر على توقيع معاهدة مع اراجون في شوال ٩١٥/١٣ كانون الثاني ١٥١٠ اعترفوا بموجبها بسيادة الملك فرديناند وتعهدوا بتسليم الاسرى الاسبان وعدم السماح لسفن اعدائها بزيارة موانئهم . وقام الشيخ سالم التومي على رأس وفد جزائري بزيارة اراجون لتقديم الولاء

للملك فرديناند . ولما بلغ سالم التومي اخبار ازدياد قوة الاخوين عروج وخزر استنجد بهما لانقاذ البلاد من الافرنج .(١٠٠)

تمركز الاخوان عروج وخزر (من جزيرة متلين تجاه ساحل آسيا الصغرى الى الشمال من ازمير) في جزيرة جربة التونسية وامتهنا القرصنة في البحر الابيض المتوسط . وساعدهما في عملهما عدد من البحارة المسلمين . وحاولا انجاد سالم التومي عام ١٥١٢/٩١٨ ولكن فشلا في احتلال حصن بينون الاسباني وفرا من وجه الاسطول الاسباني لاجئين الى جربة في خليج قابس حيث اعادا عداد اسطولهما . وفشلا مرة اخرى بعد عامين ولكنهما تمركزا الى الشرق من مدينة الجزائر . وتمكنا بعد وفاة الملك فرديناند من احتلال الجزائر وقتل سالم التومي . وهاجمها الاسبان عام ١٥١٨/٩٢٤ ولكنهما صدا الهجوم وقتل عروج في المعركة(١٠١) .

ادرك خزر ان موارده غير كافية لمقاومة الافرنج فاغتنم فرصة الامتداد العثماني الى مصر وعرض ولاءه على السلطان سليم . فقبل سليم ولاءه وجعله حاكما على الجزائر برتبة بيلربي (امير امراء) وزوده بالفي انكشاري . وعرف خزر بعد ذلك باسم خير الدين برباروسه الذي ازدادت قوته بشكل واضح بعد ٥٣٠/٩٣٧ حين تم له الاستيلاء على حصن بينون الاسباني الذي سيطر على ميناء الجزائر وتمكن من تحصين ميناء الجزائر .(١٠٢)

وكان شارل الخامس اذذاك في عنفوان قوته . فقد تغلب على فرنسا واصبح سيد ايطاليا والبابا شبه سجين عنده ، وقد تمكن اخوه من انقاذ فينا من السقوط بايدي العثمانيين . وتحركت حملة بحرية ضمت تسعاً وعشرين غليونا اسبانيا وجنويا وفرنسيا بقيادة دوريا الى الساحل الافريقي واستطاعت الحملة ان تحتل ميناء الجزائر . وفي عام ١٥٣٢/٩٣٩ اتجه دوريا بقوته نحو الشرق فاحتل كورون وبتراس في الموره (اليونان) ولكن العثمانيين استرجعوا كورون . واغتنم

خير الدين فرصة انشغال الاسطول في شرق البحر الابيض المتوسط فاغار على السواحل الاسبانية .[١٠٣]

ولما شعر السلطان سليمان بالخطر البحري وقدغدا قريباً من عاصمته استدعى خير الدين وجعله قائداً للاسطول العثماني سنة ١٥٣٤/٩٤٦ . فخرج من الدردنيل واغار على سواحل ايطاليا فاعمل بها نهبا . ثم اتجه الى تونس فاستولى عليها واخرج حاكمها الحفصي الحسن بن ابي عبد الله . ولكن شارل الخامس عاد في العام التالي فاحتل تونس واسر اكثر من مائة سفينة عثمانية واعاد الحسن الى امارته تحت حمايته ووضع في المدينة حامية اسبانية . ولكن خير الدين استطاع ان يفر الى بونه حيث التقط خمسة عشر من سفنه الحربية وصد هجوما قامت به ثلاثون سفينة حربية معادية ثم ابحر الى الجزائر حيث انضمت اليه سبعة عشر سفينة اخرى واغار بها على جزر البليار وخرب قلعة مينورقة وعاد سالماً الى الجزائر فاستانبول[١٠٤] .

وبقي القتال متقطعاً في العامين التاليين . اذ انشغل شارل بحرب خاسرة ضد فرانسيس ملك فرنسا انتهت بعقد هدنة بينهما سنة ١٥٣٨/٩٤٥ . ولم يستطع العثمانيون اغتنام هذه الفرصة واكتفى خير الدين بغارات على السواحل الايطالية وبمحاولة فاشلة ضد جزيرة كورفو . ودخلت البندقية في حلف مع شارل ضد العثمانيين وحشدوا اسطولا كبيراً بقيادة دوريا ولكن خير الدين تغلب عليه في ايلول رغم ان النسبة العددية كانت ٣:٢ . واستمرت الحرب كذلك ، غارات ومطاردات بحرية غير حاسمة الى ان عقد صلح لمصلحة العثمانيين سنة ١٥٤٠/٩٤٧[١٠٥] .

واتجهت جهود شارل ضد الجزائر مرة اخرى . فهاجمها على رأس حملة بحرية مؤلفة من ٦٥ غليونا ولايقل عن ٤٥٠ سفينة اخرى . ولكنها كانت حملة فاشلة خسر فيها شارل ثلث اسطوله . واضطر شارل الى الانسحاب لينصرف الى الحرب الجديدة ضد فرنسا . وكان ملك فرنسا قد عقد حلفاً مع سليمان واشترك اسطول خير الدين سنة ١٥٤٣/٩٥٠ في حصار نيس وقضى فصل الشتاء

الى اوائل العام التالي في ميناء طولون التي اتخذها الاسطول العثماني قاعدة له للاغارة على الشواطيء المسيحية . وعقد صلح بين فرنسا وشارل وعادالاسطول العثماني الى استانبول . وتوفي خير الدين سنة ٩٥٣/١٥٤٦ ، وتوفي في العام التالي ملك فرنسا فرانسيس [١٠٦] .

خلف خير الدين في قيادة الاسطول العثماني امير البحر طورغوجه احد اعوان خير الدين . وقد برز طورغوجه عام ٩٤٧/١٥٤٠ والحق بالشواطيء المسيحية في غرب البحر المتوسط خسائر جسيمة اثناء انشغال سيده بحرب دوريا في شرق البحر المتوسط . ولكن خانه الحظ فهزم وأسر . فأفتداه خير الدين وعهد اليه بجربه التي انطلق منها في غزواته للشواطيء الايطالية . وفي اثناء ذلك اغتنم احمد حميده ابن الحسن الحفصي امير تونس فرصة غياب ابيه فثار واستولى على العرش متهما اباه بالتعاون مع الافرنج . وشجعه طورغوجه وايده فاغتنم الفرصة واحتل المهدية سنة ٩٥٧/١٥٥٠ . ولكن الاسبان ارسلوا ضده حملة بقيادة دوريا استعادت المهدية [١٠٧] .

اعتبر السلطان هذا العمل من شارل خرقاً للهدنة المعقودة سنة ٩٥٤/١٥٤٧ فارسل عشرين غليونا لمساعدة طورغوجة . كما ان شارل بدوره ارسل سنة ٩٥٨/١٥٥١ حملة قوية بقيادة دوريا للقضاء على طورغوجه كادت ان تنجح في مهمتها . ولكن طورغوجه استطاع ان يفر ويلتحق بالاسطول العثماني في البحر الايجي [١٠٨] .

حاول الاسطول العثماني ان يحتل مالطة ففشل . وكان شارل قد منح كلا من مالطة وطرابلس لفرسان القديس يوحنا سنة ٩٣٧ / ١٥٣٠ بعد طردهم من رودس . فلما فشل العثمانيون في احتلال مالطة اتجهوا لاحتلال حصن الفرسان الآخر طرابلس . وكان العثمانيون قد ارسلوا حملة الى طرابلس استخلصت اكثر طرابلس من الاسبان والفرسان وعين السلطان على طرابلس واليا مراد آغا سنة ٩٢٥/١٥١٩ ، وتمكن الاسطول العثماني من احتلال طرابلس هذه المرة في

١١ شعبان ٩٥٨/ ١٤ آب ١٥٥١ وبقي مراد آغا والياً على داخلية طرابلس الى وفاته ٩٦٧/١٥٦٠

واستؤنفت الحرب بين فرنسا وشارل سنة ٩٥٨/١٥٥١ فخرج اسطول عثماني في العام التالي بقيادة سنان باشا وطورغوجه يضم لا اقل من مائة وثلاثة سفن لمساعدة الفرنسيين فالتقى سنان باشا بدوريا وهزمه وعاد الاسطول العثماني الى قواعده دون ان يتصل بالافرنسيين. وفي سنة ٧٦٢/ ١٥٥٣ أبحر الاسطول العثماني مرة اخرى بقيادة طورغوجه وهاجم كورسيكا ثم انسحب ليتركها فريسة سهلة للجنوبيين الذين سارعوا الى احتلالها (١١٠)

وقام الاسطول العثماني كل عام بحملة نحو الغرب. ففي عام ٩٦٣/١٥٥٤ وصل الاسطول العثماني بقيادة طورغوجه الى جنوب ايطاليا، كما ان سفناً حربية من الجزائر ساعدت الاسطول الفرنسي. وفي العام التالي أبحر الاسطول العثماني بقيادة بيالي باشا وهاجم بمساعدة الافرنسيين جزيرة البا وجزيرة كورسيكا في تموز دون ان يسجل نجاحاً يذكر. وعقدت هدنة بين فرنسا واسبانيا سنة ٩٦٥/١٥٥٦ فسار الاسطول العثماني لوحده للهجوم على وهران ولكن الهجوم لم ينجح. ولما استؤنف الحرب بين فرنسا واسبانيا سنة ٩٦٦/١٥٥٧ لم يأت لمساعدة الافرنسيين غير عدد قليل من السفن الجزائرية. ولكن بيالي باشا ابحر في ربيع العام التالي على رأس ٣٠ غليونا فوصل جنوب ايطاليا ومدخل الادرياتيك ثم قطع مضيق مسينا في حزيران ووصل جنوب جزيرة كورسيكا ولكنه لم يجد الاسطول الفرنسي فاتجه الى مينورقة وهاجم وهدم احدى مدن الجزيرة وعاد الى طولون فوصلها في منتصف تموز وعاد آخر الشهر الى البحر الايجي. وفي عام ٩٦٧/١٥٥٨ أبحر بيالي باشا كعادته كل عام نحو الغرب ولكنه لم يتقدم الى مابعد الساحل الالباني لان فرنسا كانت قد عقدت صلحاً مع اسبانيا في نيسان، وعاد بيالي في الخريف الى قواعده. (١١١)

اغتنم رئيس فرسان القديس يوحنا فرصة ابتعاد الاسطول العثماني فحث ملك اسبانيا على توجيه حملة ضد طرابلس التي كان العثمانيون قد استعادوها من الفرسان قبل سنين قليلة. فوافق ملك اسبانيا على المشروع وبدأت الاستعدادات في تموز وتم تجمع الاسطول في تشرين الاول فبلغ عدد سفنه نحوا من خمسين غليونا وثلاثين سفينة شراعية واربعين سفينة صغيرة. وقد ضمت الحملة سفناً من جنوا ونابلي وصقلية ومالطة وفلورنسة وموناكو والدولة البابوية. وعهد بقيادة الاسطول لشاب اسمه جيان اندرى دوريا قريب دوريا الكبير الذي كان قد بلغ الثالثة والتسعين من عمره. ووصل الاسطول الحليف الى سيراقوزه في الثلاثين من تشرين الاول واضطر بسبب الحالة الجوية الى البقاء في الميناء كل شهر تشرين الثاني ووصل مالطة في الثالث من كانون الاول. وابحر الاسطول باتجاه طرابلس في العاشر من شباط ١٥٦٠ فوصل جزيرة جربه في الرابع عشر من الشهر.(١١٢)

وصل الاسطول المسيحي الى جزيرة جربه وطورغوجه فيها ففر بطريق البر الى طرابلس دون ان يعرف الاسطول المعادي عن وجوده. كما تمكن اولج علي (العلج علي) من الفرار بغليونين شرقاً ليطلب النجدة من السلطان. وكانت السفن المسيحية بحاجة الى الماء فحصلت عليه بعد مقاومة عنيفة وتكبدت في سبيل ذلك بعض الخسائر. ومنعتهم ردائة الاحوال الجوية من التقدم نحو طرابلس كما انتشرت بينهم الامراض وكان من بين المرضى قائد الاسطول نفسه. كما ان الرياح سببت ارتطام السفن ببعضها وخسارة بعضها. وقرر مجلس الحرب الاعلى عقم أية محاولة لاحتلال طرابلس والاكتفاء باحتلال جربه. ولكن الاحوال الجوية اضطرت الاسطول الى تأخير عملياته الحربية الى السابع من آذار وفي الثامن اعترف شيخ الجزيرة بسيادة ملك اسبانيا(١١٣).

استمر انتشار المرض بين افراد الاسطول واضطرت بسبب ذلك سفن مالطة الى العودة في الثامن نيسان وتوفي قائدها بعد قليل. وفي السادس من

ايار بدأ الاسطول استعداداته للعودة بعد ان تم تحصين الجزيرة ولكن وصلهم في العاشر خبر مفاده ان الاسطول العثماني ويضم ٨٣ غليونا يقترب من الساحل الافريقي . وفي الحادي عشر كان الاسطول العثماني قد اصبح قريباً من جربه. فانتشرت الفوضى بين الاسطول المسيحي وجنحت سفن عديدة وحاولت كل سفينة ان تنجو بنفسها . ففقد الاسطول اكثر من نصف غلايينه ونصف السفن الشراعية وجميع السفن الصغيرة . واستسلمت الحامية الاسبانية في جربه في ٣١ تموز فبلغت خسارة الحلفاء ثمانية عشر الفاً بينهم قواد اساطيل نابلي وصقلية والدولة البابوية . وعاد بيالي باشا في الثامن من آب فدخل ميناء استانبول مزهوا بنصره في السابع عشر من ايلول ويسوق امامه تسعة عشر غليوناً مسيحياً كغنائم . وسجل العثمانيون انتصارات جديدة في اوائل العام الجديد سنة ١٥٦١/٩٧٠ وكان من بين الاسرى الفيكونت سيكالا الذي اعتنق ابنه الاسلام وسنه ستة عشر سنة املا بانقاذ والده واصبح هذا الشاب احد كبار القواد العثمانيين واشتهر باسم سنان باشا (١١٤) .

واقتصر النشاط البحري المسيحي في عامي ١٥٦١ و ١٥٦٢/٩٧٠ على اعمال قرصنة في المياه العثمانية قامت بها سفن مالطة وفلورنسا . كما حطمت الرياح اسطولا اسبانياً مؤلفا من ثمان وعشرين غليونا بخسارة اربعة آلاف من الارواح ولكن الاساطيل المسيحية استطاعت في حزيران من عام ١٥٦٣/٩٧١ أن تجبر الاسطول العثماني بقيادة كلٍ من حسن باشا والي الجزائر وطورغوجه على الانسحاب ولكنها فشلت في محاولتها لأخذ جزيرة بينون في تموز . واعيدت العملية ضد بينون في آب ١٥٦٤ فكللت بالنجاح كما قامت سفن مالطة بقرصنات موفقة في المياه العثمانية . عندئذ قرر السلطان سليمان احتلال مالطة (١١٥) .

ودخل ميدان البحر المتوسط قراصنة انجلترا وهولندا فادخلوا معهم السفن الشراعية الكبيرة المعدة لقطع الاطلنطي . واثبتت هذه السفن تفوقها الساحق

على الغلايين التي كانت مستعملة في الملاحة في البحر الابيض المتوسط . ولم تستطع الغلايين العثمانية الصمود في ليبانتو امام سفن الاطلنطي فخسر العثمانيون تلك المعركة .

وشرعت الدول البحرية في البحر المتوسط في اقتباس هذا النوع الجديد من السفن . وبدأت الدولة العثمانية والامارات التابعة لها في الجزائر وتونس وطرابلس في بناء سفن شراعية ضخمة وكذلك فعلت البندقية . واستخدم امراء الشمالي الافريقي العربي ملاحين من بين قراصنة انجلترا وهولندا الذين ملأوا البحار بنشاطهم في ذلك العهد . واسلم عدد كبير من هؤلاء القراصنة وانضموا الى اساطيل افريقيا العربية وارهبوا بنشاطهم وجرأتهم الدول البحرية الاوربية وغزوها احياناً في عقر دارها .(١١٦)

وبدأ تقارب غريب اذ ذاك بين العثمانيين والانكليز . فقد دخل الانكليز مياه البحر الابيض المتوسط كقراصنة يسطون على سفن المسلمين والاسبان . ولكن الظروف الدولية جعلت من الانكليز حلفاء للمسلمين ضد اساطيل عدوهم المشترك « جلالة الملك الكاثوليكي » ملك اسبانيا والاراضي الواطئة والبرتغال وامريكا . وتبودلت الرسائل بين السلطان العثماني مراد الثالث والملكة البريطانية اليصابات « افتخار المخدرات العيسوية ممتازة الموقرات في الملة المسيحية مصلحة مصالح الطايفة النصرانية ساحبة اذيال الحشمة والوقار مكملة ناموس ارباب الناقوس والزنار ختمت عواقبها بالخير » . واتفق الطرفان على ان تزود بريطانيا العثمانيين بالمواد الحربية الستراتيجية كالقصدير والنحاس والحديد والمدافع في مقابل السماح للانكليز بشراء مواد ستراتيجية هامة كالملح البارود والاطعمة (لاسيما الزبيب) من الاراضي العثمانية . كذلك قبل العثمانيون وساطة اليصابات توقف القتال مع بولونيا مقابل تزويد الاخيرة لبريطانيا بالحبال اللازمة لاسطولها وتعهدها بحرمان اسبانيا منها . وهكذا اساهمت السياسة العثمانية في انتصار الاسطول البريطاني على الارمادا الاسبانية . وفرح العثمانيون بالنصر البريطاني بالرغم من

ان الانجليز كانوا قد اقاموا الزينات قبـل سنين احتفاءا بالنصر الاسباني على العثمانيين في ليبانتو . ولعب الانجليز دوراً كبيراً في زعزعة قوة الكماشه الاسبانية البرتغالية الالمانية التي كانت تحاول الاطباق على دار الاسلام والتي خيـل الى المراقبين قبل سنوات قليلة انها ازدادت قوة بتوحيد امبراطوريتي اسبانيـا والبرتغال تحت تاج الملك فيليب الثاني ابن الامبراطور شارل الخامس (اي الملك شارل الاول الاسباني) (١٦٧) .

هكذا تم للعثمانيين اواخر القرن السادس عشر دفع الخطر الاوروبي عن البلاد العربية ومنع الكماشه من الاطباق على دار الاسلام . وتمتع العالم العربي في ظل العثمانيين بعهد سلام خارجي استمر حتى آخر القرن الثامن عشر . ولم يتعرض العالم العربي خلال هذه الفترة لاية غزوة اوروبية باستثناء بعض محاولات قليلة متفرقة قامت بها اساطيل اوروبية لقصف موانىء عربية . ولم يشعر الغرب باهمية الحروب التي كانت تدور بين حماتهم العثمانيين والدول الاوروبية على جبهة البلقان لانهم لم يتأثروا باحداثها تأثراً كبيراً . ولم ينتقل اثر هذه المنازعات الى البلاد العربيـة الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر حينما فرض اسطول روسيا حصاراً على الموانىء العربية وقصف مينائي بيروت وصيدا .

وتعرض العراق وحده لغزوات معادية متعدد من الجانب الايراني . وسقطت بغداد والبصرة بايدي حكام ايرانيـين اكثر من مرة ولكن العثمانيين كانوا يعودون الى احتلال البلاد واخراج الايرانيين واذا مااعتبرنا العراق جبهة القتال الرئيسية بين العثمانيين السنيين والشيعيين الايرانيين ، فان الحماية التي بسطها العثمانيون على هذا القطر كانت قوية وفعالة . ولولا هذه الحماية لما كان العراق الآن عربياً ولـكان حتما جزءا شيعياً من ايران لايختلف مصيره عن مصير عربستان .

واذا كان العرب مدينين للعثمانيين بهذه الحماية القوية لمدة قاربت الاربـع قرون بالنسبة لبعض البلاد العربية ، فان البلاد العربية قد سددت قيمة هذا الدين غالياً . اذ فرض العثمانيون على المجتمع العربي استقراراً غير طبيعي قام على تقديس

الماضي واعتبار انتاجه في نهاية الكمال . وسيطرت على مقاليد الامور اقلية انقطعت الصلة بينها وبين الاكثرية العربيـة التي ابتعدت عن مجرى الحوادث وفقدت اهتمامها بها فلم تشارك باحداثها ولم تهزها النكبات . واعتكفت في معبد عبادة الماضي متهربة بذلك من مواجة التحدي الذي قابلته شعوب العالم بقوة . وبينما كانت شعوب العالم تسجل النصر تلو النصر على تحدي الطبيعة نعم العرب بالامن والهدوء والاستقرار والراحة في عبادة الماضي . فلما رفعت عنهم هـذه الحماية اضطروا لمجابهة التحدي على غير استعداد . وكان طبيعياً ان يتلقوا في محاولتهم الوقوف في وجه التحدي الكثير من الضربات ويقاسوا العديد من النكبات .

★ ★

الاوضاع السياسية في البلاد العربية

في العهد العثماني

٩٠٦/١٥٠٠ ــ ١٢١٥ / ١٨٠٠

« .. وتمادنا مع الجمال الذي هو حاملها في ليلةمقمرة من شهر رمضان فقالوا لعل هذه الليلة النيرة ليله القدر ولعل الدعاء فيهامستجاب فليدع كل منا بما يحبه .. فقال ـ احدالعبيد ـ انا اطلب سلطنة مصر من الله تعالى وقال ـ العبد ـ الثاني وانا اطلب ان اكون اميراً كبيراً والتفتا الى الجمال وقالا له : اي شيء تطلب انت . فقال : اطلب من الله حسن الخاتمة »(١١٨)

نعم لقد كان حكم العالم العربي قروناً طويلة من قبل امراء ليلة القدر الذين بدأو حياتهم اجانب ومماليك ثم دانت لهم رقاب الاحرار دون ان يفقدوا صفة العبيد . ولم يكن ماتمناه هذان العبدان امراً غير عادي . اذ تسلم مقادير الامور في العالم العربي رجال لم يحلموا حتى في ليلة قدر بالسلطة التي حصلوا عليها في غفلة من الدهر في ظل نظام حكم ارتكز على اقلية غريبة تاركا الاكثرية بمعزل عن مجرى الامور .

لم يكن الحكم العثماني للبلاد العربية استعماراً خارجياً . فقد تمتع المسلم العربي بجميع الحقوق التي تمتع بها اي مسلم آخر في الامبراطورية العثمانية وفرضت عليه

واجبات مساوية لغيره . كذلك لم يختلف وضع المسيحي العربي عن وضع اي مسيحي آخر من رعايا السلطان. وعاش الجميع في ظل قوانين شرعية او مستمرة من الشرع في رعاية السلطان امير المؤمنين الذي انعقدت له بيعة اكثر المسلمين السنيين وغدا حامي الشريعة الذائد عن دار الاسلام وخادم الحرمين الشريفين [١١٩].

ورأى المسلمون العرب ان من واجبهم طاعة هذا السلطان الذي انعقدت بيعته من « اكثر الخلق » . واعتبر الخروج عليه اثارة للفتنة وخروجاً على اجماع الامة « ومن فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه . وغدا السلطان اماماً مطلقاً لايحد من سلطانه وسطوته الا الشريعة الاسلامية وتفسيراتها وفتاوي الفقهاء . واعتبر المسلمون باختلاف اجناسهم الدولة العثمانية دولة اسلامية لا دولة تركية اجنبية فاتحة . وتمنوا للسلطان وجيشه النصر على العدو وكانوا في ذلك صادقين غير مرائين . ولم يكن الفارق الجنسي او اللغوي بينهم وبين الحكام ذا قيمة في المدن العربية التي كانت اشد ولاءاً للسلطان من الريف والبادية [١٢٠].

وكان اكثر الناس ولاءاً للسلطان وتعلقاً بالدولة وحبا بالنظام والاستقرار وكرها للثورة والفتنة والاضطراب هم رجال الدين والتجار. ونظر رجال الدين الى السلطان كامير غزاة ومجاهد في سبيل اعلاء كلمة الله والحق والدين . ورأوا في السلطان العثماني اكبر قوة قادرة على حماية دار الاسلام وتوسيعها على حساب دار الحرب وضم اقطار جديدة تخضع لحكم الشرع الاسلامي . وتأيدت طاعة المسلمين للسلطان بالعديد من الآيات الكريمة التي حضت على ذلك وحذرت من عاقبة الفساد والفتنة . فلا عجب اذا مارأينا ولاة السلطان يدعون الثوار الى الطاعة مستشهدين بآيات قرآنية : «ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله والرسول واولياء الامور .. وما جزاء الذين يسعون في الفساد الا ان يقتلوا ويصلبوا.. فاذا كنتم من اهل السنة والجماعة فادخلوا في حيز الطاعة .. واذا ترحزحتم . فوقع السيف بسفك دماء الاشقياء .. » [١٢١]

واعطى هذا الوضع الشرعي للسلطان قوة لم يحلم بمثلها حاكم في التاريخ . ولم يكن من السهل على اي ثائر عربي ان يدعو الناس الى مؤازرته ضد السلطان ويتحمل تهمة الخروج على «اهل السنة والجماعة» . لذا حرص الثوار على الادعاء بان ثورتهم هي على ولاة السلطان لا على السلطان نفسه مظهرين في الوقت نفسه ولاءهم للسلطان . وعندما قصد علي بك الكبير حاكم مصر حرب والي دمشق ادعى بانه يحارب الوالي لان هذا الوالي اذل اولياء الله العلماء . وقال بانه لم يقدم على عمله هذا الا بعد ان استشار علماء الدين « العاملين والفقهاء والمفتين بشريعة سيد الانام وقضاة الاسلام وارباب المناصب والاحكام » فافتى له علماء المذاهب الاربعة بالاقتصاص من والي دمشق الذي اذل اولياء الله ، فاستخار الله وتوجه لخلاصهم (١٢٢) .

ولم يشعر المسلمون بكبير اختلاف بين عهد الحكم العثماني والعهود التي سبقته . اذ ابقى العثمانيون التقسيمات القديمة ولم يدخلوا عليها غير تعديلات بسيطة اقتضتها ضرورات الامن . كذلك لم يختلف اسلوب الحكم العثماني عن اسلوب الحكم المملوكي . واتبعت الدولة العثمانية سياسة ابقاء القديم على قدمه فلم تحدث تغييرات الا في الاحوال الشاذة التي فرضت الاحداث فيها على المسؤولين وجوب احداث تغييرات فتم ذلك ضمن نطاق ضيق (١٢٣) .

التقسيمات الادارية :

انقسمت الدولة العثمانية الى عدد من الوحدات الادارية الاقطاعية عرفت بالالوية (السناجق) على رأس كل منها امير لواء (سنجق بك) . وخول هذا الحاكم حق رفع علم (لواء او سنجق) بصفته ممثل السلطان في المقاطعة ، والتف حول علمه الجند الاقطاعي كلما نودي للقتال . ولكن عندما اتسعت الامبراطورية وكثر عدد الالوية واصبح من الصعب ربطها بالعاصمة عمدت الدولة الى جمع عدد من الالوية في ولاية او ايالة وعينت على كل ولاية امير امراء

(امير امراء الالوية، بيلربي ، ميرميران) . وكان امير الامراء امير لواء في لوائه بالاضافة الى عمله كامير لامراء الالوية. ورفعت بعض الالوية الى ولايات وسميت كذلك وربطت بالعاصمة فاصبحت بدون الوية (سناجق) كالبصرة والاحساء . كذلك خلت بعض الولايات الكبيرة من مثل هذه التقسيمات اذ ابقيت فيها التقسيمات القديمة كاليمن ومصر . وجزئت بعض الولايات لخلق ولايات جديدة كما حدث في بر الشام حينما اسست ولاية طرابلس الشام ثم تبعها بعد قرن ولاية صيدا عام ١٠٧٣/١٦٦٣ . وانشئت في الحجاز ولاية جدة مفصولة عن ولاية الحبشة (ارتريا) . اما دول الشمال الافريقي الثلاث (طرابلس ، تونس والجزائر) فلم تحكم مباشرة ولم تعتبر في عداد الولايات وان اعترف حكامها بسيادة السلطان العثماني [١٢٤] .

وبلغ مجموع الولايات العربية في الامبراطورية اثني عشر ولاية من مجموع تسع وثلاثين ولاية تألفت منها الامبراطورية . فقد عدد كل من عين علي وايليا شلبي خمسة عشر ولاية عثمانية في اوروبا واثني عشر ولاية اسيوية غير عربية وعشر ولايات عربية اسيوية وولايتين عربيتين في افريقيا . ولا يشمل هذا التعداد دول افريقيا الشمالية الثلاث او الحجاز. كذلك لم يكن عدد الولايات في اوربا وشرق الاناضول ثابتاً . اذ فقد العثمانيون بموجب معاهدة كارلوفتز وحدها عام ١١١١/١٦٩٩ سبع ولايات اوربية . كما ان تفليس وتبريز وداغستان وشروان ولورستان كانت ولايات عثمانية بعض الوقت ثم استعادها الصفويون [١٢٥] . وعدد عين علي اوائل القرن الحادي عشر/ السابع عشر قرابة الخمسين لواءاً في الولايات العربية التي انقسمت الى الوية موزعة على الشكل التالي [١٢٦] :

	الايالة	اللواء (السنجق)	رتبة الحاكم	خاص	الخيالة	زعامة	تمار	
٤	**بغداد**	بغداد	امير امراء	١٤٠٠٠٠٠	٢٨٠			الباشا ساليانه
		حلة	امير لواء	٩٥١٦٦٣	١٩٠			وليس فيها تمار
		زنكي اباد	〃	٢٧٠٠٠٠	٤٤			ولا زعامة
		جوزلا	〃	٢٢٠٠٠٠	٤٤			
		رماحية	〃	٤٤٥٠٠٠	٨٩			
		جنكوله	〃	٢٠٠٠٠٠	٤٠			
		قره طاغ	〃	٨٠٠١٠٨	١٦٠			
		واسط	〃	٤٠٦٣٣١				
		سماوه	〃	٢٥٥٠٠٠				
		بيات	〃	٢٥٠٠٠٠				
		ردنه	〃	٤٠٦٣٣١				
		ده بالا	〃	٢٦٠٠٠٠				
		كرند	〃	٣٣٩٢٦٠				
		قرانية	〃	٢٠٠٠٠٠				
		كيلان	〃	٢٠٠٠٠٠				
		يكمورقيو	〃	٢٠٠٠٠٠				
٥	**الموصل**	الموصل	امير امراء	٦٨١	١٣٨			
		تكريت	امير لواء	٢٥١	٤٣			٢٧١ تمار
		هورن	〃	٢٧١٢٨٤	٤٣			وزعامة
		بانه	〃	٢٠٠٠٠٠	٤٠			
		اسكي موصل	〃					
		باجوانلو	〃	٢٠٠٠٠٠	٤٠			
٦	**الرقة او الرها**	الرقة	امير امراء	٦٨٠٠٥١	١٣٦	١٢	١٧٣	
		بيره جرك	امير لواء	٢٦٥٢٣٨	٥٩	١٥	١٠٩	
		جماسه		٢٥٥١٢٢	٥١	٤	١١	

	ولاية	لواء	رتبة الحاكم	الخاص الوف الاقجات	خيالة	زعامة	تمار	جبلي
١	**الشام**	الشام	امير امراء	١٠٠٠٠٠٠	٢٠٠	٨٧	٣٣٢	
		القدس	امير لواء	٢٥٠٤٨٥	٥٠	٩	١٦١	
		غزة	〃	٢٠٨٣٢٨	٤١	٧	١٠٥	
		صفد	〃	٣٦٣٨٠٠	٧٤	٥	١٢٣	
		نابلس	〃	٢٩٦٤٥٥	٥٩	٧	٤٢٧	
		عجلون	〃	٢٦١٠٠٠	٥٢	٤	٦١	
		اللجون	〃	٢٠٠٠٠٠	٤٠	٩	٣٩	
		صيداوبيروت	〃	ساليانه				
		كرك وشوبك	〃	〃				
		عكا	〃	〃				
		البقاع	〃	〃				١٦٠٠
					١٠٠٦			
٢	**حلب**	حلب	امير امراء	٨١٧٧٧٢	١٦٣	٦٢	١٢٩٥	
		كلس	امير لواء	٥٢٢٨٦٧	١٠٤	١٧	٢٩٦	
		اعزاز	〃	٢٨٠٠٠٠	٥٦	٢	١٩٠	
		معرة	〃	٢٣٠٠٠٠	٤٦	٦	٧٦	
		بالس	〃	٢٢٠٠٠٠	٤٤	٦	٥٣	
		تركمان حلب	〃	ساليانه				
		منبج مع مضيق	〃	〃				
					٩١٣	١٠٤		٢٥٠٠
٣	**طرابلس**	طرابلس	امير امراء	٨٠٠٠٠٠	١٦٠	١٢	٨٠٧	
		حما	امير لواء	٣٩٤٠٣٦	٧٨	٢٣	١٧١	
		حمص	〃	٢٢٠٢٩٩	٤٤	١٥	١٦٩	
		سلمية	〃	٢١٩٠٠٠	٤٣	٤	٥٣	
		جبلة	〃	٢١٤١٨٠	٤٢	٩	٩١	
					٥٠٠			١٤٠٠

وحافظت الدولة في بعض المقاطعات العربية على الاوضاع التاريخية القديمة والعائلات الحاكمة والامارات لا سيما في لبنان وشمالي العراق . فقد أبقى السلطان على سبعة عشر عائلة حاكمة اقطاعية في سورية ولبنان وهي التالية اسماؤها [١٢٧] :

(١) بنو تنوخ	الغرب
(٢) الارسلانيون	الغرب وقلب لبنان
(٣) الشهابيون	وادي التيم ثم اكثر لبنان
(٤) آل حرفوش	بعلبك
(٥) آل عساف التركمان	كسروان وجبيل
(٦) ابن حنش	صيدا
(٧) آل معن	الشوف ثم اكثر لبنان
(٨) آل طرباي الحارثي	عكا الى اللجون
(٩) الغزاوي	عجلون
(١٠) ابن فروخ	نابلس
(١١) ابن فريخ	البقاع
(١٢) ابن رضوان	غزة
(١٣) آل جبار	السلمية
(١٤) ابن الاقرع	بعلبك
(١٥) ابن شعيب	طرابلس
(١٦) آل سيفا الاكراد	عكار وطرابلس
(١٧) آل الفضل	الجولان

واتبع السلطان سياسة مماثلة في العراق فاعترف بالامارة الاردلانية وامارة العمادية والامارة البابانية وكلها امارات كردية في شمالي العراق [١٢٨] . واعترفت السلطات العثمانية بشيوخ العشائر البدوية امراءاً على عشائرهم يتمتعون

بقسط كبير من الاستقلال الذاتي . وفقدت الدولة في وقت مبكر مقدرتها على التدخل في شئون ولايات ليبيا وتونس والجزائر حيث سيطر على الحكم قادة القوات العسكرية . وتمتع شريف مكة والامام الزيدي في اليمن باستقلال ذاتي وصلاحيات واسعة وحمل شريف مكة رتبة مساوية لرتبة الصدر الاعظم (١٢٩).

الوالي او امير الامراء

وعندما عمدت الدولة الى جمع عدد من الالوية في ولايات جعلتها برئاسة امير للامراء (بيلربي ، مير ميران) الذي كانت رتبته دون رتبة الوزارة بدرجة واحدة . وخوطب امير الامراء بامير « الامراء الكرام عمدة الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام . . دام اقباله » . واختلفت الامتيازات الممنوحة لهؤلاء الولاة باختلاف رتبهم وولاياتهم . فقد منح ولاة العهد الاول طوخين بينما منح امير اللواء طوخاً واحداً . وكان الطوخ ذيل فرس استعمله التتار والعثمانيون كشعار للامارة وحددت مرتبة الامير بعدد اطواخه . وعندما اسند منصب امير الامراء لرجال يحملون رتبة الوزارة ، وهي ثلاثة اطواخ ، حافظ هؤلاء على رتبهم . وحدث احياناً ان تولى منصب امير الامراء في بعض الولايات الهامة رجال سبق لهم ان شغلوا منصب الصدر الاعظم بخمسة اطواخ فاستمروا في حمل اطواخهم في منصبهم الجديد . وسار امام الحاكم في مواكبه الرسمية ثلاثة خيول وشاطران مقابل كل طوخ يحمله الحاكم . وكانت له فرقة موسيقية خاصة تعزف للجمهور مرة في الاسبوع في احدى ساحات مركز الولاية . وتميز واليا بغداد والقاهرة بحق استعمال زورق سلطاني وبحرس سلطاني يرتدي البسة مزركشة (١٣٠) .

ومنح الوالي اقطاعاً او راتباً سنوياً (ساليانة) للقيام بنفقاته ونفقات حاشيته وجنده . واختلف هذا الراتب او الاقطاع من ولاية الى ولاية وحسب الرتبة

التي كان يشغلها الوالي قبل تعيينه في منصبه. وكان اقطاعه من درجة خاص يدر عليه في البلاد العربيه مالايقل عن سبعماية الف اقجة في ولاية كالموصل او الرقة ومالايزيد على ضعف هذا المبلغ في ولاية بغداد[131].

واكثرت السلطات العثمانية من تغيير الولاة بحيث لم يقض الوالي عادة في ولايته اكثر من عام واحد. ولكن بعض الولاة حكموا اقل من شهر كما حكم البعض الاخر اكثر من ربع قرن. وكان التغيير قليلاً خلال القرن الاول من العهد العثماني ثم ازداد ازدياداً كبيراً في القرن السابع عشر وعادت الاحوال فاستقرت في الثامن عشر وقل تغيير الولاة ثم ازداد ثانية في القرن التاسع عشر. ومع ان فرمان التعيين كان يصدر لعام واحد فان التجديد السنوي كان امراً اعتيادياً.

واختلفت الاوضاع من ولاية الى اخرى. فقد حكم الشام خلال القرن الاول من الحكم العثماني (١٥١٦/٩٢٢ — ١٥٩١/١٠٠٠) ست واربعون واليا ثلاثة منهم حكموا ثلث المدة وحكم مصر في نفس الفترة سبع وعشرون والياً قضى اثنان منهم قرابة ثلث المدة وقضى خمسة نصفها. اما حلب فقد تقلب عليها في فترة قرنين الا ربعاً اي حتى عام ١٦٨٨/١١٠٠ ست وسبعون والياً. وتأخر الفتح العثماني للعراق حتى ١٥٣٥/٩٤٢ فحكمها حتى نهاية القرن الهجري قرابة خمس وعشرين والياً، وبلغ عددهم من الاحتلال العثماني الاول حتى الاحتلال الايراني الثاني ثلاثين والياً.

وبالرغم من ان اقطاع الوالي في هذه الولايات لم يكن واحداً بحيث بلغ ايراده في بعضها ضعف ايراده في الاخرى فان هذا لم يمنع اجراء تنقلات واسعة بين ولاة هذه الولايات. وكثيراً مانقل الى دمشق ولاة من بغداد ومصر والبصرة وصيدا بالرغم من أن خاص والي بغداد يزيد على خاص والي الشام بمقدار النصف ويبلغ ضعف خاص والي صيدا. ولا يندر ان نجد صدرا اعظم يتولى منصب الولاية في الشام او حلب او بغداد او مصر وكثيراً مارفع هؤلاء الولاة الى منصب الصدارة[131].

ولم تختلف الاوضاع كثيراً في القرون التالية . فقد ولي الشام واحد وتسعون والياً في القرن الحادي عشر / السابع عشر حكم خمسة منهم ربع المدة . وانخفض الرقم الى النصف في القرن التالي فحكم اثنان ربع المدة وخمسة ولاة اكثر من نصفها . وعادت النسبة فارتفعت الى اربع وستين والياً في القرن الثالث عشر والى اثنين وعشرين خلال الثلث الاول من القرن الرابع عشر . وبلغ عدد الولاة العثمانيين على دمشق من عام ١٥١٦/٩٢٢ الى ١٩١٨/١٣٣٧ قرابة مائتين وسبعين والياً حكموها قرابة اربعة قرون ، وطالت فترة حكم خمس وعشرين والياً من بينهم الى اكثر من قرن ونصف .

وحكم حلب خلال الفترة من ١٥١٦/٩٢٢ حتى ١٨٣١/١٢٤٧ اكثر من مائتي وال فكان معدل ولاية الحاكم سنة ونصف . وحافظ الولاة على معدل وال واحد كل عام من الفتح حتى نهاية القرن الثاني عشر ثم بدأت النسبة بالارتفاع قليلا . اما ولايتا صيدا وطرابلس فقد اعتمدتا على ولاية دمشق وكان ولاتها في القرن الثاني عشر/الثامن عشر اولاد او اقارب او مماليك ولاة دمشق فخضعوا لتقلبات ولاة دمشق .

وحكم مصر من الولاة العثمانيين حتى مجيء نابليون مائة وخمسون والياً اي بمعدل سنة ونصف لكل وال . فقد ولي مصر في القرن العاشر / السادس عشر سبع وعشرون والياً حكم خمسة منهم نصف المدة . وجاءها خلال الثلث الاول من القرن الحادي عشر ثمانية عشر والياً ثم ارتفع الرقم خلال القرن الثاني عشر /الثامن عشر الى اكثر من خمسين والياً . ويلاحظ ان القاهرة خلت سنين عديدة من الولاة العثمانيين وحكمها نيابة عنهم امراء من المماليك حملوا لقب قائمقام الولاية .

وتعرض الحكم العثماني في بغداد لهزات كثيرة جعلت لبغداد وضعاً مختلفاً عن غيرها من الولايات . فقد جاءها العثمانيون بعد سبعة عشر عاماً من احتلالهم لمصر وبر الشام فحكموها اقل من قرن ثم انتزعها منهم الصفويون ولم تعد عثمانية

مرة ثانية الا بعد خمسة عشر عاما اخرى . وحكمها خلال العهد العثماني من تاريخها ، اي خلال ٣٧٦ سنة ميلادية ، نحو من مائة وخمسة وعشرين والياً .
وتميز العهد العثماني في بغداد بطول ولاية الوالي . فقد تقلب عليها خلال الستين سنة الاخيرة من القرن الحادي عشر / السابع عشر ثمانية وعشرون والياً بينما لم يحكمها الا خمسة وعشرون والياً طوال القرن الثاني عشر/الثامن عشر ومثل هذا العدد في القرن الذي تلاه . وحكم بعض الولاة فترات طويلة . وبينما لم يزد عدد الذين حكموا اكثر من سنتين في القرن الحادي عشر /السادس عشر على اربعة ولاة واحد منهم فقط حكم اكثر من ثلاث سنوات ، نجد هذه النسبة قد تغيرت بصورة تامة في القرن التالي . فقد حكم حسن باشا وابنه احمد بغداد قرابة نصف قرن (١١١٦/١٧٠٤ - ١١٦٠/١٧٤٧) كما حكم كل من المملوكين سليمان باشا ابو ليلة وعمر باشا اثني عشر سنة فبلغت بذلك مدة حكم حسن باشا وابنه ومملوكيه ثلاثة ارباع القرن . وامتد حكم سليمان باشا الكبير ربع قرن من اواخر الثاني عشر الى اوائل الثالث عشر وبلغ عدد الولاة في القرن الثالث عشر ثلاثة وعشرين والياً حكم اربعة منهم نصف هذه المدة .

يستنتج من كل هذا عدم وجود قاعدة معينة ثابتة لتعيين الولاة ونقلهم ولا لمدة حكمهم . فقد يعين الوالي حاكما على ايالة صغيرة ثم ينقل الى ولاية اكبر ليعود ثانية الى ولاية اصغر . وقد يحكم الوالي احدى الولايات ثلاث او اربع مرات في فترات متقطعة غير ثابتة . وقد يعين لسنة واحدة فيعزل قبل انتهائها وقد يجدد تعيينه كل عام فيبقى في منصبه اعواماً طويلة . وقد تتراوح اطواخ الوالي من طوخين الى خمسة ويرتفع دخله الى مليون ونصف اقچة او ينخفض الى نصف ذلك .

وتمتع الوالي باحترام كبير بحكم منصبه كممثل للسلطان حتى في ولاية كمصر حيث كان الحكم الفعلي بيد المماليك . فسار في موكبه كبار رجالات البلد وقادة الجند . واستقبل عند قدومه بما يليق بمقامه من الاجلال . وذهب

لملاقاته في مصر ارباب العكاكيز وهم كتخدا جاويشان وآغا المتفرقة وكاتب الحوالة وارباب الخدمة والترجمان. وواكب سفينته اثناء صعودها النيل مراكب المستقبلين والمرحبين المزينة بالاعلام ودقت الطبول في سفن المستقبلين. واخترق موكبه المدينة تتقدمه فصائل الجند والموسيقى والفرسان ثم الباشا نفسه يتقدمه ماخص رتبته من شطار واطواخ. وعقد في اليوم التالي لوصول الوالي ديوان لقراءة فرمان ولايته.(١٣٢) واستضعف رجال الدولة في الولاية بعض الولاة وعزلوهم بل واغتالوهم احيانا وتبرأوا من تهمة قتلهم (١٣٣). وتجرأ السكان على بعض الولاة فحاصروهم واشعلوا النار في بيوتهم وقتلوهم كما فعل اهل دمشق مرة بواليهم(١٣٤). وكثيراً ماعزل المماليك في مصر الوالي العثماني وارسلوا اليه ارباب العكاكيز لابلاغه قرار العزل قبل مضي شهر على ولايته وامتنعوا احيانا عن الترحيب به وحضور قراءة مرسوم توليته وتقديم التهاني له. ولكنهم في احيان اخرى ساروا في ركابه مشياً على الاقدام وهو راكب جواده واضطروا الى تقبيل ذيل ثوبه وركبتيه والقول له « ياسلطانم نحن في عرضك » .(١٣٥)

واعتبر الوالي رئيساً للسلطة التنفيذية في الولاية مع ممارسة حق الاشراف المطلق على الشئون الادارية والاقطاعية بالاضافة الى بعض الصلاحيات القضائية والعسكرية. فقد يتدخل الوالي في قضايا هي من صميم اختصاص قاضي المحكمة الشرعية ويصدر احكاماً قضائية في هـذه الامور. وكان اكثر مايحدث هـذا التضارب في الصلاحيات في القضايا الجزائية. كذلك قاد الوالي اكثر الحملات العسكرية ضد الثوار وعد مسئولا عن سير العمليات الحربيـة رغم استقلال قائد القوة العسكرية عن الوالي.(١٣٦)

واذا خلا منصب الوالي لسبب من الاسباب قام باعماله المتسلم او قائمقام الولاية. اما المتسلم فهو ممثل الوالي الشرعي الذي غاب عن رأس عمله. فاذا عين والٍ جديد فانه يبادر عادة الى تعيين متسلم ينوب عنه في تصريف الامور الى حين وصوله فتنتهي صلاحياته فور استلام الوالي مهام عمله مباشرة. امـــا اذا

عزل الوالي ولم يستلم مهام الولاية وال جديد او متسلم الوالي الجديد عهد بادارة الولاية الى رجل دعي بلقب قائمقام الولاية . وقد يلجأ اعيان الولاية ، في حالة شغور المنصب ، الى تنصيب نائب او قائمقام ليصرف الامور ريثما تصل اوامر الباب العالي . وبينما كان المتسلم ممثل الوالي الشرعي كان قائمقام الولاية او النائب والياً بالوكالة لاينوب عن احد غير السلطان (١٣٧) .

واختلفت جنسيات الولاة ومسالكهم . فكان منهم الصربي والالباني والشركسي والهنغاري (المجري) والايطالي وافراد ينتمون الى شعوب اوروبية مختلفة . ولكن قل ان جاء من بينهم من هو من اصل عربي او تركي . وكان اكثرهم قد بدأ حياته غلاما نصرانيا دخل في خدمة السلطان كاحد مماليكه بطريق الاسر او الشراء او المصادرة (دفشرمة) ثم الحق بمدرسة البلاط وتخرج منها بعد ذلك وترقى في مناصب الدولة الى ان شغل هذا المركز الرفيع . ولكن وجد من بينهم بعض المماليك الذين لم يكونوا من خريجي مدرسة البلاط بل التحقوا بقسم الحريم او غيره من الاقسام التي لاتؤهل المنتمي اليها عادة لمنصب رفيع . ووصل احيانا الى هذا المنصب رجال من سلك الكتاب . وشغل كثير من الولاة قبل ان يصبحوا ولاة ، منصب السلحدار او اغا الانكشارية او البيشانجي (١٣٨) .

وكانت مهمة الوالي الرئيسية في ولايته هي ضمان استمرار ولائها للسلطان وتأمين الامن والعدل للمواطنين . ومارس الوالي صلاحيات قضائية وعسكرية وبلدية . وكثيراً ما امر الوالي بفرض عقوبات فورية وبقتل او شنق اشخاص من « الاشقياء » بدون حكم من المحكمة ومن « غير اثبات ولادعوى » . وقد يتدخل في تحديد الاسعار وتأمين المواد الغذائية ومراقبة النقد . ولكن لم يكن من واجبه القيام باصلاحات اقتصادية او اجتماعية او سن سنة جديدة ، بل كان واجبه الاول وهدفه الرئيسي المحافظة على الامر الواقع ومحاربة البدع ومحدثات الامور وكل مايهدد المجتمع الاسلامي القائم . واذا ذكر حاكم بالخير واثني على

اعماله ، فان هذه الاعمال الممدوحة لاتكون عادة الا بناء مسجد او تكية او خان واحيانا مدرسة . واذا وعد حاكم السكان باصلاح قال بانه يبغي ازالة البدع والعودة الى سيرة السلف الصالح او الى تطبيق قوانين السلطان سليمان [١٣٩] .

وساعد الوالي على ادارة الولاية عدد من الموظفين ارتبط بعضهم به مباشرة واستقل عنه البعض الاخر وارتبط بالعاصمة . فقد ارتبط القاضي ومدير الخزانة (الدفتردار) وقائد القوات العسكرية (اغا الانكشارية) بالعاصمة مباشرة فضمن الباب العالي بذلك وجود سلطات في الولاية تحد من نفوذ الوالي وتمنعه من التفكير بالتمرد . ودعمت هذه القوى المناوئة او المنافسة للوالي باحداث ديوان الولاية الذي ضم هذه القوى بالاضافة الى اعيان البلد.

والتحق بالوالي ، كحاشية له ، عدد آخر من الموظفين الذين ارتبطوا به وقرنوا مصيرهم بمصيره . فكان للوالي حاشية تشبه حاشية الصدر الاعظم ضمت مدير مكتبه الخاص (الكاهية ، الكتخدا ، الكيخيا) وكاتب الرسائل (المكتوبجي) وحامل الاختام (المهردار) وامين الصندوق (الخزنه دار) وحامل السلاح (السلاحدار) والتشريفاتي (احتشامات اغاسي) ورئيس الاصطبل (ميراخور) والحاجب (قبوجلر اغاسي ، اغا البوابين) وغيرهم من الموظفين الاقل شأنا من هؤلاء . كذلك ارتبط بالوالي موظفو الاقطاع في الولاية كامراء الولاية وامراء الالاي والسوباشية . وقام الوالي في لوائه الخاص بعمل اميرلواء بالاضافة الى منصبه كامير لامراء الالوية [١٤٠] .

ادار اللواء (السنجق) وقاد جنده زمن الحرب موظف اداري كبير ذو علم وطبل لقب بامير اللواء (سنجق بك) وخوطب بقدوة « الامراء الكرام عمدة الكبراء الفخام ذو القدر والاكرام .. عز قدره » . وساعده في عمله اميرآلاي وسوباشي وعدد من الجاويشية . ومنح الاول حق اقتناء علم وطبل وعهد اليه بالاشراف على جمع الفرسان الاقطاعيين زمن الحرب وبمراقبة عمل

السوباشي. اما السوباشي فكان موظف الامن (مديرالشرطة) في اللواء والمنفذ لاحكام القضاء واوامر المحتسب . ومنح هؤلاء الموظفين اقطاعات يعيشون من ريعها او اعطوا رواتب سنوية (سالیانة) في الالوية التي خلت من التنظيمات الاقطاعية. وكان اقطاع امير اللواء من درجة خاص يعطي في البلادالعربية ايراداً يتراوح بين ٢٠٠٠٠٠ اقجة في اللجون و ٩٥٢٠٠٠ اقجة في الحلة ، اما الاميرالألاي والسوباشي فقد منح كل منهما اقطاعا من درجة زعامة تراوح ايراده السنوي بين ٢٠٠٠٠ و ٩٩٠٠٠ اقجة . وفرض على كل من هؤلاء ان يقدم زمن الحرب رجالا مسلحين بمعدل مسلح واحد لكل خمسة الاف اقجة من ايراده من اقطاعه[١٤١].

وكان مدير مكتب الوالي (الكاهية او الكتخدا) اقرب الناس الى الوالي وحلقة الوصل بينه وبين الناس ونائبه ومتسلمه في حالة مرضه او غيابه. واختلف وضع الكاهية من ولاية الى اخرى. فبينما لعب الكاهية في بغداد والقاهرة دورا كبيرا وكان في كليهما من المماليك تضاءلت اهميته في الولايات العربية الاخرى حتى غدا ، الا في حالات قليلة، مجرد حاجب لايكاد الناس يشعرون بوجوده. وترأس الكاهية في القاهرة ديوان الولاية[١٤٢].

اما في بغداد فقد ازدادت اهمية الكاهية حتى غدا الخليفة الشرعي للوالي . واقام الكاهية في دار مستقلة تعرف باسم دار الكتخدائية التي ركب منها كل صباح قاصدا دار الولاية في موكب رسمي تواكبه ثلة من حرس الولاية تقصد دار الكتخدائية في الصباح الباكر لتقوم بهذه المهمة . وتؤدي للكاهية التحية على باب قصر الولاية ويخف لاستقباله كتخدا البوابين الذي يسير خلفه حتى درجات قاعة الاستقبال حيث يتلقاه امين الصندوق (الخزنه دار) ويسير في ركابه الى باب ديوان الوالي ليفتح له الباب . وينحني الكاهية امام الوالي باحترام ثم يقف فيأذن له الوالي بالجلوس . ويقدم الكتخدا بعد ذلك تقريرا عن اعماله في اليوم المنصرم وجدول اعمال اليوم الجديد. ثم يشرب الكاهية القهوة ويغادر دار

الولاية في موكب رسمي قاصدا دار الكتخدائية ليباشر النظر في قضايا اليوم حسب توجيهات الوالي (١٤٣).

ولعب الكتخدا في بغداد دورا هاما في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي. فقد ازداد مركزه خطورة حتى اعتبر في اوساط الباب العالي المرشح الاول لمنصب الوالي بعد وفاة الوالي الحاكم. وشغل سبعة من مجموع عشرة من ولاة عصر المماليك منصب الكتخدائية قبل ان يصبحوا ولاة. وكثيراً ما استعجل الكاهية الامور فدبر مؤامرة لاغتيال الوالي او ارسل وشاية الى الباب العالي او ثار على الوالي وقتله. وكان هذا هو الطريق الذي سلكه عمر باشا وعبد الله باشا الاول وداود باشا (١٤٤).

وشغل المركز الثاني في الولاية وكيل السلطان في الشئون المالية اي مدير الخزانة او الدفتردار. واختلفت اهمية هذا المنصب من ولاية الى اخرى. فقد شغله في مصر والعراق في القرن ١٢هـ/١٨م احد كبار امراء المماليك والمرشح الاول للكتخدائية فالولاية. ولكن الدفتردار في بر الشام كان اكثر استقلالا عن الوالي من دفتردار القاهرة وبغداد وارتبط مباشرة باستانبول. فكان فتحي القلانسي دفتردار دمشق (١١٤٨/ ١٧٣٥ - ١١٥٩/١٧٤٦) « هو السلطان في الشام وصاحب نفوذ في الكلام وكلابه تقضي الاشغال. » واستطاع ان يشل يد الوالي اسعد باشا العظم ويتحدى رغبات اهل دمشق واعيانها زمناً طويلا. واستقام الدفتردار في منصبه زمناً طويلا. فقد شغل سلفه على الدفتري المنصب اكثر من عشرين عاماً (١١٢٩/١٧١٧ - ١٤٨/ ١٧٣٥) كما استقام خلفه محمد بن فروخ ثلاثين سنة في منصبه (١١٥٩/١٧٤٦ - ١١٩٠/١٧٧٦). وكان الدفتردار عضوا بارزا في ديوان الولاية وعاملا هاما في حفظ توازن القوى (١٤٤).

واشرف على حسابات الاموال الاقطاعية ديوان دفتر اليومية (الروزنامة روز = يوم ، نامه = كتاب ودفتر) برئاسة الروزنامجي الذي

ساعده في عمله عدد كبير من الكتبة المسلمين وبعض الصيارفة من اليهود والنصارى (الاقباط في مصر). وانقسم هذا الديوان الى عدد من الاقسام كل قسم منها برئاسة احد رجال القلم المسلمين. وبلغ عدد هذه الاقسام في ولاية مصر ستة اقسام اشرف كل قسم منها على عدد من الالوية على الشكل التالي: (١٤٦)

١ - **قلم باش خلفه** يقيد جميع ايراد مصر ومصاريفها ودفتر اموال الالوية (السناجق والكشوفيات) وسجل بلاد الجيزه وقيد ملتزميها

٢ - **قلم افندي الشرقية** ويسجل التزامات الوية الشرقيـة والمنصورة وقليوب والبحيرة واطفيح

٣ - **قلم افندي الغربية** ويسجل التزامات الغربية والمنوفية

٤ - **قلم افندي الشهر** ويسجل التزامات الوجه القبلي

٥ - **قلم افندي المحاسبة** ويسجل قيود الضرائب على السكر والرز والعدس وما تنفقه الدولة على العمارات الصغيرة وعلى محمل الحج ومخصصات شريف مكة والصرة واغاوات الحرمين وجرايات اهالي الحرمين الشريفين

٦ - **قلم افندية الوجاقات السبع** ويسجل حسابات القوات العسكرية في مصر.

وابقى الروزنامجي سجله سراً لايطلع عليه احداً، واذا ماانتهى العمـل بالسجل حفظه في خزانة مغلقة في القلعة. واعتبرت اسرار الادارة المالية للولاية من اخطر اسرار الدولة لذا فانها كانت تبادر الى سحب دفاترها وكتابها الماليين من الولاية التي تتعرض لغزو اجنبي لتزيد من المصاعب التي يواجهـا العدو في ادارة البلاد (١٤٧).

ولم تدفع الدولة الا نادراً رواتب مقطوعة ثابتة لموظفيها، بل درجت على خطة منح الموظف مصدراً من مصادر جبـاية الاموال كمعـاش له. وقد تقاضى والي مصر مثلاً عوائد معلومة على اصناف البهار. وعوائد على الامراء والصناجق وقت تلبيسهم وعلى كشاف الولايات وقت توليتهم وعلى الجمـارك.

وعوائد على امين البحرين وامين الخردة وعلى الضربخانة وعلى ارباب المناصب وجعل له حلوان بلاد الاموات .. » وتقاضى موظف كبير آخر عوائد على « الطريق .. وحلوان بلاد الاموات . » (١٤٨)

وضم ديوان اليومية عدداً آخر من صغار الموظفين. وكان من بينهم التذكرهجي الذي يحرر تقاسيط الالتزام ، والتاريخجي الذي يؤرخ المستندات ورئيس ديوان ملح البارود (الجبهخانه) الذي يسجل حاجيات وايرادات ومصروفات قسمه من ملح البارود (١٤٩).

وازداد منصب الدفتردار اهمية في مصر في القرن ١٢هـ/١٨ م بعد ان شغل المنصب كبير المماليك في مصر واول سناجقها وطغى نفوذ صاحب هذا المنصب احياناً على نفوذ الوالي . وتناوب القاسمية والفقارية من المماليك منصبي الدفتردار وامارة الحج . وكان المنصب الاخير اقل اهمية من الاول وان كان شاغله كشاغل الاول سنجقاً من امراء العلم (طبلخانة) (١٥٠).

واعتبر الدفتردار مسئولا امام الباب العالي عن اموال الولاية . فلم يسمع الدفتردار للوالي او اي موظف آخر بمغادرة البلد الا بعد ان يؤدي حساباً دقيقاً يثبت فيه براءة ذمته . وبعد ان تتم المحاسبة يعقد الديوان جلسة ويقسم فيها الدفتردار بحضور القاضي ان الوالي بريء الذمة . واذا توفي الوالي بادر الدفتردار الى الختم على دوره وخزائنه واملاكه واعتقال كبار اعوانه . وقد يعذب حريمة ليقروا باموالة . وتحرر بذلك حجة شرعية يصدقها القاضي وترفع الى الباب العالي (١٥١).

وفرض على الوالي والدفتردار ان يؤمنا كل عام ارسال الميري الى الباب العالي . والميري هو المبلغ الصغير الذي حددته الدولة كنصيب الولاية في مصاريف الادارة المركزية . ولكن الدولة لم تتشدد دوماً في تحصيل هذا المبلغ. فكثيراً ماأوقف ارسال الميري بحجة وجود حالة طوارىء استوجبت انفاق هذا المال محلياً . وقد اوضح روزنامجي مصر لنابليون سياسة الدولة المالية حين

قال : ان هـذه المملكة جميعها ملكه (أي ملك السلطان) فانه لاينظر الى الانتفاع منها ، بل رتب مصرفها على قدر جبايتها وقرر ان مافاض من الجباية يبقى لينفق منه في عمارتها وما ينعم به على الناس [١٥٢] .

ولعب اليهود والنصارى دوراً هاماً في الادارة المالية للولايات العربية . فقـد سيطر اليهود على مالية دمشق وحلب وصيدا وتنـازعوا مع النصارى السيطرة على مالية مصر . وبرزت في بر الشام عائلتا فارحي والسكروج اليهوديتان وفي مصر عائلة فرعون المسيحية . وبلغ من تسلطهم على خزانة والي دمشق انهم نظموا الحسابات بشكل لايفهمه غيرهم ، ووصف الشاعر الشيخ امين الجندي نشاط اليهود في ولاية دمشق فقال : [١٥٣] .

نشكو لعليـاه ما قاست رعيته	من البـلايا وعقد الصبر محلول
حين استطالت بقطر الشام طائفة	على البـلاد وهم قوم منـاكيل
وقـدمتهم موالينا وما علمـوا	بان تقـديمهم جور وتضليل
مدوا من اكراشرا كاوطبعهم	على الخداع وقول الزور مجبول
قد كان سحرهم ان الوزير متى	اصغى لهم قال مهما شئتم قولوا
كم مرة مكروا بالابرياء وكم	خانوا وزيراً له بالعدل تجميل
وكم الى السجن قادوا غافلاً فمضى	منكس الرأس بالاصفاد مغلول
من عهد سبعين عاما هم صيارفة	اذا مضى منهم جيل أتى جيل
حيث الدفاتر عبرانيـة رقمت	خـلاف السنا والسر مجهول
وليس يعلم اتراك ولا عرب	ما خط فيها ولا المنقول منقول
وكل ما تحتويه باطـل كذب	بـل انهـا كلها زور وتخييل
ظنوا بأن امور الحج بعدهم	ينـال ترتيبهـا بخس وتعطيل
لمال كل وزير قد مضى ورثوا	حياً وميتاً فهل في ذاك تحليل
كم بالربا سحبوا ذيل الخراب على	اهل البلاد وكم قالوا لهم زولوا

وكان حاييم فارحي اليهودي كاتباً مالياً لعدد من ولاة دمشق ثم انتقل

الى خدمة والي عكا وابقى اخاه يوسف في دمشق . واتهم اولاد فارحي بانهم جعلوا السجلات باللغة العبرية او برموز خاصة لكي يصعب على غيرهم فهمها وليضمنوا لانفسهم احتكار هذه المهنة. وغضب الجزار عليهم فسجنهم «وقلع عين حايم وقطع اذنه وانفه» .(١٥٤) كذلك انتقم منهم والي دمشق صالح باشا الذي صادر سلمون ورفائيل شقيقي حايم «وعذبهما وسجنهما .. واحضر فرمانا بعدم استخدام اليهود في امانة صندوق الشام فابتهجت قلوب الدمشقيين (١٥٥)». ولكن اليهود استعادوا نفوذهم في عكا فكان لآل فارحي الفضل الاكبر في ابراز عائلات اقطاعية جديدة في فلسطين كعائلة عبد الهادي (١٥٦). كما عمل آل السكروج على تنصيب الامير بشير شهاب حاكما على لبنان وقضوا على يوسف شهاب(١٥٧).

ولعب الكتاب اليهود والنصارى دوراً مماثلاً في مصر . فقد تفوقوا على المسلمين والافرنج في ميدان التجارة وسيطروا على الجباية والجمارك ودار الضرب واشرفوا على سجلات الولاية المالية . وكان هذا الوضع مدعاة لحقد المسلمين عليهم فسعوا للايقاع بهم ونجحوا في احيان كثيرة بسبب غلو هؤلاء اليهود والنصارى في استجلاب المنافع لهم غير مهتمين باية اعتبارات ولا ناظرين الى مصلحة عامة ، لانهم لهم إلا مصالحهم الخاصة ومصالح طوائفهم .

وقامت ثورات وفتن عديدة بسبب اعمال كتاب الخزينة من اهل الذمة الذين ذهبوا ضحية جشعهم وانانيتهم . فقد ثار الناس على ابراهيم اليهودي معلم دار الضرب في مصر اوائل العهد العثماني (١٥٧) . وثار الجند على ياسيف اليهودي ملتزم دار الضرب في عهد علي بك الكبير فقتلوه وجروه وحرقوه بعد صلاة الجمعة . وكان هذا اليهودي قد ذهب الى استامبول « فاملى اموراً والتزم بتحصيل الخزينة زيادة عن المعتاد وحسن بمكره احداث محدثات . . ولما حضر مصر تلقفته اليهود من بولاق راطلعوه الى الديوان وقرئت الاوامر التي حضر بها ووافقه الباشا على اجرائها وتنفيذها واشهر النداء بذلك في شوارع مصر واغتم الناس » . (١٥٨) وقبض علي بك على يوسف ليفي معلم دواوين

الاسكندرية وعلى اسحق معلم دواوين بولاق وصادرهما واعدمهما وعزل جميع موظفي الدواوين اليهود [١٥٩].

وعلا شأن النصارى السوريين في مصر بعد ان بطش علي بك باليهود ؛ فجذب السوريون الى مصرا عدداً آخر من افراد طائفتهم . وكان اول من برز منهم المعلم ميخائيل فرحات ثم فرحات الجمل فيوسف البيطار [١٦٠] . وعهد هؤلاء الى اناس من اقاربهم بجباية الضرائب الجمركية وبشراء البضائع الواردة التي اعادوا بيعها للتجار . واستغلوا لمصالحهم الخاصة سلطات الدولة . وتكاثر عدد النصارى السوريين في فترة وجيزة حتى وصل الى ثلاثة آلاف في القاهرة وحدها في عهد علي بك ثم حاولوا بعد ذلك السيطرة على التجارة الداخلية في مصر وتغلبوا على نفوذ اليهود والافرنج [١٦١] . وساهم احتكارهم هذا في اضعاف مركز علي بك الذي اتهم بالميل لهم .

وجاء محمد ابو الذهب الى الحكم لينصر الاسلام ويضع حداً لسيطرة اهل الذمة [١٦٢] . ولكن ميخائيل الجمل ويوسف البيطار اقنعاه بفائدة الاعتماد عليهما لزيادة وارداته . واشترك معهما من السوريين افراد من عائلة فرعون اللبنانية . وجمعوا ثروة طائلة جعلت الناس يعتقدون ان اوان مصادرتهم قد اقترب . وفر انطون فرعون الى ايطاليا عام ١١٩٨/١٧٨٤ بعد ان جمع ثروة طائلة [١٦٣] وبرز في عهد محمد ابو الذهب المعلم ابراهيم الجوهري وازداد نفوذه في عهد ابراهيم بك الذي قلده « كل الامور فكان هو المشار اليه بالكليات والجزئيات حتى دفاتر الروزنامة والميرى . . . وعمرت في ايامه الكنائس وديور النصارى » [١٦٤] .

وبرز ايضاً المعلم يوسف كساب ملتزم الجمارك الذي عقد معاهدة مع الفرنسيين ليسهل لهم شئونهم التجارية [١٦٥] . ولكن ابراهيم بك غضب على كتابه النصارى عام ١٢٠٢/١٧٨٨ فقتل ميخائيل كحيل واعتقل كساب ثم قتله بعد ثلاثة اعوام [١٦٦] . وعندما دخل نابليون مصر وجد الدفاتر والروزنامة

قد عادت الى ايدي المسلمين .

ولعب الكتاب الماليون النصارى دوراً مماثلاً في دولة ظاهر العمر في عكا (١١٦٣/١٧٥٠ – ١١٨٩ / ١٧٧٥) . فقد سيطر على شئونه المالية ابراهيم الصباغ الكاثوليكي الشويري (من ظهور الشوير في لبنان) . وساهم ابراهيم الصباغ في توثيق علاقات ظاهر بعلي بك الكبير صاحب مصر بمساعدة معلمي دواوين الاخير مخائيل الجمل ومخائيل فخر الكاثوليكيين (١٦٧) . وساعد ابراهيم على قيام عائلات كاثوليكية ذات نفوذ في البلاد كعائلة كحيل في دمشق وعائلة البحري في عكا . ولعبت العائلة الاخيرة دوراً هاماً في عكا ودمشق في مطلع القرن الثالث عشر / التاسع عشر وسعت الى انتزاع السيطرة المالية من آل فارحي اليهود (١٦٨) .

ولعب الماليون اليهود دوراً هاماً في العراق . فقد افلتوا من الاضطهاد الذي تعرض له أهل السنة على يد الصفوي والشيعيون على يد السلطات العثمانية . واحسن اليهم واعتمد عليهم كل من الشاه اسماعيل ومراد الرابع عندما فتح بغداد . وكان صراف الباشا الرئيسي من اليهود وهو الذي أمن له تحويل الميري الى استانبول . وسيطروا على تجارة العراق الخارجية وتحكموا بسير القوافل بين العراق وبر الشام واوقفوا سيرها يوم السبت من كل اسبوع . وعطف عليهم واعتمد عليهم سليمان باشا الكبير فتمتعوا في حياتهم بعهدهم الذهبي في العراق . ولكن داود باشا اضطهدهم فلجأ كثير منهم الى كلكتا (الهند) ورانجون (بورما) ولندن (انجلترا) (١٦٩) .

ورغم النفوذ الفعلي الكبير الذي تمتع به اليهود في دوائر المال والجباية في مصر وبر الشام والعراق فانه لم يصل أي منهم الى مركز رسمي كبير . واقتصر نشاطهم على الاعمال الكتابية والحسابية والصيرفة والتعهدات . وكان مصدر قوتهم الرئيسي هو الكميات الكبيرة نسبياً من النقد التي كانت في حوزتهم في عهد كان النقد المتداول فيه قليلاً . يضاف الى ذلك تكتلهم واعتمادهم على جماعتهم .

واعطى اليهود منهم للناس انطباعاً سيئاً حتى في ذلك العهد البعيد فاعتقدوا ان « اليهودي مهما كان متصفاً بالانسانية فشريعة تلموده تعطيه الاستحلال لمال ودم كل من هو خارج عن دين اليهود مستندين بذلك على سندات كاذبة.. (معتقدين) ان المهالك وسائر ثمارها منحها الله ملكا مؤبداً لشعب اسرائيل .. ويفتكرون انهم شعب اسرائيل وان لهم حق الوراثة له . »[١٧٠] .

القوى العسكرية في الولايات العربية :

قد مسنا الضر وعم الاذى	وهالنا من منجد مشفق
من مبلغ سلطاننا اننا	من جنده في حرج ضيق
ويا مراد الله في خلقه	من السلاطين غداً نلتقي
في موقف يحكم رب الورى	فيه ولا ملجأ منه يقي
قوم من الاتراك عاثوا بها	على خيول ضمر سبق
أجلوا اهالي الدور عن دورهم	بالسيف والدبوس والبندق
لكل كرب فرج يرتجى	فان باب الله لم يغلق

لقد وصف الشاعر الشيخ مصاب المدن العربية من سوء تصرفات جند السلطان[١٧١] . ولكن كان للمدن مخرج يخفف من المصيبة بالشكوى الى القاضي الذي استطاع في اكثر الاوقات تحقيق العدالة .

ووجد في كل ولاية ثلاثة انواع رئيسية من القوى العسكرية : اقطاعية ، انكشارية أمبراطورية (قابوقول) وجنود محليون (يرلي) واعتمدت الدولة في اول عهدها ، كأكثر الامبراطوريات القديمة ، على الجند الاقطاعي ومن ينضم اليهم زمن الحرب كمتطوعين يبغون الاستشهاد أو النهب . فاذا انتهى القتال عاد الاقطاعيون والمتطوعون الى بيوتهم ولم يبق تحت تصرف الحاكم الاخدمه ومماليكه ومن يستطيع ان يدفع لهم رواتب بصورة مستمرة .

ومنح الضباط الاقطاعيون معاشاً أو رزقة Dirlik بشكل أرض يستغلونها

مقابل تلبيتهم داعي القتال مع عدد مناسب من الجند على نفقتهم الخاصة . وتفاوتت قيمة هذه المعاشات كما تفاوت معها عدد الجند الذي توجب على صاحب المعاش تقديمه زمن الحرب . وقسمت هذه المعاشات الى ثلاث فئات رئيسية هي التيمار Timar والزعامة Ziàmet والخاص Hàss . وكان الفرق الوحيد بين هذه الفئات هو في مقدار ايرادها . فقد دعي زعامة كل اقطاع بلغ ايراده عشرين الف اقجه وقل عن مائة الف اقجه (١٩٩٩٩ - ٩٩٩٩٩ اقجه) . فاذا نقص الايراد عن ذلك دعي تماراً واذا زاد دعي خاصاً . وفرض على كل صاحب اقطاع ان يقدم نفسه للقتال اذا قل ايراده عن ثلاثة آلاف اقجه . فاذا زاد عن ذلك قدم رجلا مسلحاً (جبلي Cebeli) عن كل ثلاثة آلاف اقجة اضافية اذا كان اقطاعه من درجة تمار ، وجنديا ومسلحاً واحداً عن كل خمسة آلاف اقجة من الايراد اذا كان اقطاعه من درجة زعامة أو خاص [١٧٢] .

وفوض أمير الامراء في العهود الاولى بمنح التمارات الشاغرة واصدار براءات بذلك . ولكن هذه الصلاحيات سحبت من الولاة فيما بعد وفوضوا حق اصدار تذكرة Tezkere بمثابة توصية تؤهل صاحبها للحصول على براءة Beràt من العاصمة [١٧٣] . فاذا كان الاقطاع الممنوح هو اول اقطاع يناله الفارس جعل بسيطاً بحيث لايزيد ايراده على الحد الادنى ، أي ثلاثة آلاف اقجة ، وتلقى من السلطات المركزية براءة مبتدىء Ibtidà Beràti . ويترقى صاحب هذا الاقطاع البسيط فيضاف الى اقطاعه اقطاعات اخرى قد تمكنه في يوم من الايام من ان يصبح زعيما واذا توفي صاحب الاقطاع لايرث ورثته اكثر من اقطاعه الاسامي على ان يكونوا في وضع يمكنهم من القيام بواجباتهم الاقطاعية والا فانهم لا يرثون شيئاً [١٧٤] .

وقد اسيء فيما بعد منح هذه الاقطاعات بحيث منحت الى غير مستحقيها، الى اشخاص لايستطيعون ان يقوموا بالواجبات الاقطاعية المطلوبة منهم . وتمكن عدد من الاقطاعيين من التلاعب باقطاعاتهم بحيث حولوها الى اقطاعات مدنية

موروثة او الى اوقاف [١٧٥] ونقص تبعا ذلك عدد الجنود الاقطاعيين وانحط من من ثمانية آلاف فارس وقرابة سبعة الاف جبلي في بر الشام اواخر القرن السادس عشر [١٧٦] الى اقل من نصف هذا العدد بعد قرنين [١٧٧] . وقلت اهمية الاقطاعيين العسكرية بعد انتشار الاسلحة النارية وبروز اهمية التدريب العسكري المستمر لذا شرعت الدولة بتحويل الاقطاعات التي تشغر الى اقطاعات موقوفة لاتمنح الى احد وعمدت الى الاهتمام بالجند النظامي المدرب الذي يتقاضى رواتب نقدية [١٧٨] .

ووجد بعد ذلك في الولايات العربية نوعان من القوى العسكرية هما جند الحكومة المركزية وجند الولاة او الحكومة المحلية . واشتهر النوع الاول باسم القابوقول وعهد اليهم بحماية القلاع السلطانية وارتبط قائدهم بالاغا الاعلى للانكشارية في العاصمة . وكان من المعتاد ان لا يبقى افراد هذه القوة في مراكزهم زمنا طويلا بل استبدلوا بأورط اخرى ترسل عادة من العاصمة .

وكان السلطان العثماني قد توصل في وقت مبكر من تاريخ الدولة الى ضرورة ايجاد قوة عسكرية نظامية مدربة مخلصة . وكان امرا عاديا ان يلجأ الحاكم الى الاعتماد على جند من المماليك يحصل عليهم بطريق الاسر والشراء . ولكن السلطان العثماني ابتدع امرين جديدين هما مصادرة خمس اطفال الشعوب المهزومة كحصة بيت مال المسلمين ثم تدريب هؤلاء في هذا السن المبكر واعدادهم للعمل الذي اراده السلطان لهم .

وقد عرف التاريخ حكاماً دربوا الرجال على القتال او دفعوهم للقتال . كذلك عرفنا في التاريخ حكاماً استعبدوا الناس ودفعوهم الى المساهمة في استعباد اخرين . وعرفنا اباء يفرضون على ابنائهم مستقبلا معيناً . ولكن لانعرف في التاريخ حكاماً غير سلاطين بني عثمان، صادروا الانسان كي يزودوه بكفاءات معينة ويحددوا له مستقبلا معينا ثم احتكروا هذه الكفاءات لمصلحتهم الخاصة او لمصلحة الجهاز الذي استحدثوه . ولم يعرف التاريخ حاكماً صادر الاطفال

ودجنهم ورباهم كما يدجن الانسان الحيوان دون ان يدع العاطفة تفسد عليه خططه . لقد اراد سلاطين بني عثمان كلابا تحرس قطعانهم وتغير على قطعان غيرهم فكان لهم ماأرادوا .

واعجب السلطان بهذا الجهاز فوسعه بحيث طغى على جهاز الحكم كله ولم ولم تسلم منه العائلة المالكة نفسها . فتزوج السلطان من سراري وزوج بناته من مماليك . وكان على السراري ان ينتجن مرشحين للسلطنة كي يختار احدهم سلطانا ويتلف فائض الانتاج الذي ندعوه في الاحوال العادية اولاد السلطان واخوته . وكان السلطان هو الحر الوحيد بين جميع افراد هذا الجهاز الحاكم .

وعرف نظام مصادرة الخمس باسم الدفشرمه Devsirme وهي كلمة يونانية تعني جمع الاولاد . وارسل السلطان كل عام او اكثر هيئة تتألف من رجال دربوا على فهم الانسان وتقدير ملكاته وعهد اليهم بجمع الخمس . واجبر رجل الدين في المناطق التي تجري فيها عملية المصادرة (وهي المناطق التي اعتنق اهلها النصرانية بعد قيام الاسلام) على تقديم قائمة بالاطفال الذين تراوح سنهم بين ١٢ — ٢٠ سنة لتختار منهم اللجنة الخمس المطلوب . وسيقت هذه الحيوانات البشرية المصادرة الى المداجن ليربوا فيها تربية مناسبة وليتلقوا تدريباً قاسيا . ثم تبدأ عمليه الغربلة والفرز لانتقاء فئة ممتازة قادرة على تسلم المناصب الرئيسية في البلاد فتدرب على ذلك في مدرسة القصر . وعهد الى الباقين باعمال عسكرية اعتيادية بزعامة واشراف الفئة الممتازة . فوزعوا على الجيش والاسطول وفرق المدفعية (الطوبجية) والبستانجية[١٧٩]

وتألف الجيش النظامي الانكشاري من عدد يتراوح بين ١٦٥ الى ١٩٦ ارطة عاملة و٥٩ ارطة احتياطية ، وتألفت كل ارطة من مائة جندي برئاسة قائد يدعى الشوربجي Corbaci من غير افرادها يساعده في عمله كاتب (يازجي) وامام وحامل علم (بيرقدار) ووكيل خرج وطباخ وسقاء ، وقسمت قوة الانكشارية الى ثلاثة مجموعات رئيسية هي : الجمعات (١٠١ارطه) والبلك

(٦١ ارطة) والسجهان (٣٤ ارطة)[١٨٠] وزودت فرقة الجمعات الولايات والقلاع في البلاد العربية بحامياتها من رجال القابوقول[١٨١].

واختلف وضع القابوقول من ولاية الى اخرى فقد انقسمت في مصر الى سبع فئات لايتجاوز مجموع افرادها اثني عشر الف جندي موزعة كما يلي :[١٨٢]

١ ـ **المتفرقة** وتراوح عددهم بين الالف والثلاثة الاف جندي برئاسة اغا وباش اختيار وكاتب ، وعهد الى هذه القوة بحراسة القلاع وحماية القوافل وتأمين حيوانات الحمل وتموين القوى العسكرية بالبارود .

٢ ـ **جاويشان** وتراوح عددهم بين الخمسمائة والالف جندي برئاسة كتخدا ومحتسب وامين شئون واختيارية . وعهد الى هذه القوة بمهمة تحصيل الاموال الاميرية .

٣ ـ **جمليان** وعدد افرادها ١١٥٤ فارسا وصيانة الامن في الارياف وعهد اليهم بحماية الجسور .

٤ ـ تفنكجيان وعدد افرادها تسعمائة من حملة البنادق الذين عهد اليهم بمهمات كالجمليان .

٥ ـ الشراكسة وعددهم اقل من التنفكجيان بقليل وعهد اليهم بمهمات مماثلة وبمساعدة الملتزمين على تحصيل الاموال .

وكان لكل من هـــذه القوى الثلاث باش جاويش واغا وشوربجي

٦ ـ العزبان وعدد افرادها ١٣٥٦ من المشاه حملة البنادق برئاسة كتخدا وشوربجي . وضمت هذه القوة عددا من الصناع وكان من بين افرادها امين البحرين وامين الجردة .

٧ ـ المستحفظان . وقارب عدد افرادها الخمسة الاف برئاسة اغا كان في الوقت نفسه قائداً اعلى لجميع هذه القوى . وكان من بين افرادهذه القوة كتخدا الباشا وسردار الخزنة (قائد القوة التي تنقل ميرى مصر الى استانبول) وسردار الحج (امير المحمل المصري) .

ولعبت هذه القوة دوراً خطيراً في الحياة السياسية في مصر. فقد اشتركوا بالنزاع القائم بين القاسمية والفقارية من المماليك الى صفوفهم فاصبح المملوك اسماعيل رضوان الفقاري كتخدا العزبان وشريكا في الزعامة لابراهيم كتخدا المستحفظان. ثم تركزت الزعامة بعد ذلك بايدي المستحفظان. ومثلت القوى العسكرية تمثيلا قويا في ديواني الولاية. فكان كل من اغاوباش اختيار وكاتب المتفرقة اعضاء في الديوان الكبير، كما كان زعماء الجاويشان اعضاء في الديوان العمومي. وتنقل كبار رجالات القوى الواحدة الى الاخرى. فقد يصبح اغا المتفرقة سنجقا او يجمع كتخدا المستحفظان بين الكتخدائية والسنجقية وكثيرا ما اصبح كتخدا الجاويشان سنجقا او دفتردارا او اغا مستحفظان. (١٨٣)

وتغلغلوا في الحرف والنقابات واحتكروا بعضها. وأدى ذلك الى فساد امر هذه الحرف. اذ أصبح قسم من أفرادها لايخضع للقضاء العادي ولا لسيطرة النقابات بل الى محاكمه العسكرية الخاصة. وفشلت جهود الدولة لقطع العلاقة بين العسكريين والحرف لمنع فسادهما. وتحولت القوى العسكرية الى كتل ترث احتكار الصناعات والحرف وتتمتع بامتيازات كبيرة وتتناول جرايات ثابتة محددة ومعينة وقابلة للبيع والوقف. وفقدت القوة العسكرية كل ميزة عسكرية لها فلم تعد قادرة على حماية البلاد من الغزو او الفتنة بل اصبحت مصدراً للفتنه وبؤرة للفساد. (١٨٤)

ووجدت قوة مماثلة في بغداد. وكانت « وظائفهم تأتي من طرف السلطنة وهم ليسوا مربوطين ببغداد بل تذهب منهم جماعة ويأتي غيرها. » ولعبت هذه القوة دوراً خطيراً في الفتن الداخلية. فقد تدخلت في الوقت المناسب عام ١٠٥٧/١٦٤٧ لتمنع الوالي ابراهيم باشا من الثورة فضمنت ولاء بغداد للسلطان وسيطروا على بعض الولاة وسخروهم لاغراضهم (١٨٥).

وتمركزت قوة قابو قول دمشق في القلعة وسوق ساروجة. واستقلت هذه

القوة عن الوالي منذ أوائل العهد العثماني فكان على جان بردي الغزالي ان ينتزع القلعة من الروم (أي القابوقول) قبل ان يمكن لنفسه في دمشق [١٨٦] .
ولكن هذه القوة غدت أوائل القرن الثاني عشر / الثامن عشر مصدر ازعاج وفساد « ووقع منهم مفاسد وشاركوا أهل الحرف وصار منهم التعدي والفساد فوقع رأي ساداتنا العلماء والاكابر وحاكم دمشق باخراجهم الى جهنم وبئس المصير . وكان غالب القبيقول وحوش . ووقع منهم مفاسد وامور تقشعر منها الابدان » واستطاع الوالي عام ١١٥٤ / ١٧٤١ ان يخرجهم من دمشق ولم يسمح لاحد منهم بالبقاء فيها الا من غير زيه « وكركور عمامته » وشهد به جماعة من الناس « بانه غير زربه ولا وقع منه فساد » فصار من جملة الرعايا وعامة الناس [١٨٧] .

ولكنهم استعادوا قوتهم في دمشق بعد ستة اعوام . واضطر اسعد باشا العظم (شعبان ١١٥٦ / تشرين ١٧٤٣ – جم I ١١٧٠ / ك II ١٧٥٧) الى الايقاع بهم في العام الثالث لولايته . وتمكن اسعد باشا من الاستيلاء على قلعة دمشق ثم سلط مدافعها على بيوت القابوقول في سوق ساروجة والميدان فهدمها واحرقها. وفر القابوقول ثانية من دمشق واعدم الوالي عدداً من زعمائهم « فسكنت الشام وصارت كقدح لبن وصارت الناس في أمن وأمان وسترت الاعراض » . وفر من دمشق زعيما القابوقول احمد القلطقجي زعيم ساروجة ومصطفى آغا بن خضر الشربجي زعيم الميدان و « سلطان الشام » . [١٨٨]
ولكن لم يرق للدولة زوال القابوقول من دمشق فأرسلت في العام نفسه الارطة التاسعة عشر (جمعات) لحماية قلعة دمشق « ودخلت بموكب كبير . . وقويت دولة القبيقول في دمشق الشام وبرموا اللفات ورجعت دولتهم احسن مما كانت » [١٨٩] . واستبدلت هذه الاورطة عام ١١٦٥ / ١٧٥٢ بارطة الجمعات الثانية والسبعين « ودخلت بعراضة اي موكب ولا موكب الحج الشريف . . بكبر وجبر وعتو . . » [١٩٠] .

وكثرت فتن القابوقول في دمشق ونشب القتال اكثر من مرة بينهم وبين جند الوالي او اليرلي او الاشراف او الاكراد او الدالاتية . وزاد الوضع سوءاً ان بعض كبار موظفي الولاية انتموا الى الفرق العسكرية . فكان الدفتردار فتحي القلانسي احد اليرلي بينما انتمى كتخدا الدفتردار الى القابوقول. وكان الولاة قد استخدموا جنوداً مرتزقة من المغاربة والدالاتية والاكراد والبغدادية والموصلية والارناؤط (الالبان) . وأضاف علي بك الكبير في مصر عناصر جديدة كالهنود والسودانيين . وسكن كل فريق من هذه القوى حياً من أحياء دمشق : فسكن القابوقول سوق ساروجة واليرلى في حي الدرويشية والميدان والاكراد في حيهم وخانهم (١٩١) .

ولم يكتف ولاة دمشق بهذه الانواع من الجنود بل أعتمدوا على جنود من الفلاحين والدروز . ويروي الحلاق ان الوالي الوزير اسعد باشا العظم قصد عام ١١٦٦ /١٧٥٣ عرب البلقاء لتأديبهم « فأخذ معه رجال القرى وهم الفلاحون الفا ومائة فلاح واستجلب عساكر من حمص وحماه والمعرة وجبل الدروز والمتاولة ومن نابلس والقدس وصفد ما عدا العرب السردية » (١٩٢) .

وقوي نفوذ الانكشارية في حلب أوائل القرن السابع عشر وشكا الناس من تعدياتهم وفشلت محاولات الولاة لكبح جماحهم . وأحدث والي حلب ابراهيم باشا قوة حلبية ليتمكن بها من اضعاف الانكشارية. واضطر الوالي نصوح باشا الى الاستعانة بوالي كلس حسين باشا جنبلاط (جان بولاذ) للقضاء على نفوذ الانكشارية المتزايد في حلب . ولكن ابن جنبلاط اختلف مع نصوح وحاصره واستولى على حلب . ولما قتل حسين باشا على يد سنان باشا جغالة ثار ابن اخيه علي باشا في حلب واعتمد على قوة سجمانية انكشارية لدعم مركزه (١٩٣) .

وازدادت قوة الانكشارية في حلب في القرن الثامن عشر ونشبت فتن عديدة بينهم وبين أشراف حلب ، وتغلب الانكشارية اواخر القرن على الاشراف وقتلوا منهم عدداً كبيراً . ولما ازداد نفوذهم وكثرت شرورهم

وسلبوا الولاة كل سلطة ، أرسل السلطان محمود الثاني والياً اسمه محمد جلال الدين ابن جوبان للقضاء على الانكشارية . ووصل محمد باشا الى حلب في رجب ١٢٢٨ / تموز ١٨١٣ ونزل خارج المدينة في تكية ابي بكر وتظاهر بالضعف والانشغال بالصيد . واستضعفته الانكشارية وعادوا الى اظهار انفسهم واموالهم بعد ان كانوا قد مالوا الى الاختباء. واخيراً دعاهم محمد باشا الى وليمة وأغلق الابواب وقتل منهم ثمانية عشر زعيما في الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٨١٣ (ذي القعدة ١٢٢٨) . ثم أصدر الوالي امراً حذر فيه السكان من ايوائهم وطاردهم وقتل كل من ظفر به [١٩٤] .

وقام الانكشارية اليرلي بفتنتهم الاولى في بغداد عام ١٠٣١ /١٦٢٢ اذ توصل احدهم واسمه بكر الى رتبة سوباشي وتبعه اكثر اثني عشر الفا من جند بغداد المحلي وطغى نفوذه على نفوذ الوالي يوسف باشا . وحاول يوسف باشا بمساعدة السباهيين والعزبان القضاء على بكر وجماعته . ولكن بكر واعوانه انتصروا وقتلوا الباشا واستتب الامر ببغداد لبكر السوباشي .

ولجأت الدولة الى الطريقة التقليدية في تأديب العصاة بأن كلفت الولاة المجاورين بمهمة القضاء على فتنة بكر السوباشي . وتمكن بكر من الانتصار على ولاة ديار بكر والموصل وكركوك ومرعش وغيرهم . واستطاع جيش عثماني بقيادة حافظ احمد باشا ان يحاصر السوباشي الذي استنجد بشاه ايران الصفوي. واضطر العثمانيون الى فك الحصار والتراجع والاعتراف بالثائر والياً عثمانياً وممثلا للسلطان . وقصد الشاه بغداد لانتزاعها من السوباشي الذي نكث بعهده . واستسلمت بغداد للشاه في الثاني من صفر ١٠٣٣ (٢٨ تشرين الثاني ١٦٢٣) بعد ان تخلى عن السوباشي أعوانه . وحتى ابنه ساعد العدو عليه [١٩٥] .

ويلاحظ من هذا الاستعراض لاحوال القوى المسلحة العثمانية في البلاد العربية انها كانت مصدر ازعاج للدولة والسكان . فلم تستطع هذه القوى في أي وقت من الاوقات ان تخمد ثورة او تصد معتد . وكان على الدولة في

حالة الثورة او الغزو الخارجي ان ترسل قوة من العاصمة للقضاء على الفتنة او لصد الغزاة . وقاست الدولة والرعية بسبب وجود هذه القوى العسكرية كعامل سياسي هام في ادارة البلاد . واثبتت هذه القوى مرة اخرى ان اشد الفئات خطراً على أمن البلاد الداخلي والخارجي هي الفئات العسكرية التي تتدخل بالسياسة .

السلطة القضائية :

والقاضي هو نائب السلطان في الشئون الشرعية الذي لقبه السلطان بأقضى « قضاة المسلمين أولى ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين قاضي محروسة . . زيدت فضائله » . وقسمت الامبراطورية العثمانية الى منطقتين قضائيتين رئيسيتين برئاسة شيخ الاسلام هما الروملي والاناضول. وترأس منطقة الروملي القضائية قاضي عسكر الروملي الذي تبعه من الولايات العربية بلدان شمالي افريقيا . وترأس منطقة الاناضول القضائية قاضي عسكر الاناضول الذي ارتبطت به قضائياً مصر وجميع البلدان العربية في آسيا . وعين في بعض المدن العربية الكبيرة ، في القاهرة ومكة والمدينة ودمشق وحلب والقدس ، قضاة كبار ارتبطوا مباشرة بشيخ الاسلام رئيس السلك القضائي والشرعي كله (١٩٦) .

وبلغ عدد القضاة الكبار في الدولة الذين لقبوا بالمنلا سبعاً وعشرين قاضياً حسب الترتيب التالي (١٩٧) :

أ ـــ الفئة الاولى

المراتب

١ ـــ ٢ قاضيا عسكر الروملي والاناضول .

٣ قاضي استانبول .

٤ – ٥ قاضيا مكة والمدينة .

٦ – ٩ قضاة أدرنة وبروسة ودمشق والقاهرة .

١٠ – ١٧ قضاة ضواحي استانبول الثلاث وقضاة حلب والقدس وازمير وسلانيك ويني شهر .

ب – القضاة العشر (المراتب ١٨ – ٢٧) اصحاب المناصب الدورية وهم قضاة عشر مدن في الامبراطورية بينها مدينة عربية واحدة هي بغداد .

ج – المفتشون وهم قضاة الاوقاف الامبراطورية .

د – القضاة الصغار .

هـ – النواب .

وتمتع القاضي بنوع من الحصانة ضد العزل والنقل . فلم ينقل القاضي الا ضمن منطقته القضائية باستثناء قضاة مصر خارج القاهرة الذين لم ينقلوا من مصر أو اليها لان مصر اعتبرت منطقة قضائية منفردة تابعة لمنطقة قاضي عسكر الاناضول . كذلك شغل القاضي منصبه مدى الحياة فلا يرفع الا الى منصب شغر بموت صاحبه (١٩٨) .

عين شيخ الاسلام القضاة الكبار بموجب توجيه فرماني كما أصدر قرارات (اذن نامه) بتعيين رجال الافتاء بينما عين قاضي العسكر القضاة الصغار في منطقته بموجب تذكرة (منصب كاغدي) . وارتبط القاضي الكبير (المنلا ، المولى) والمفتي بشيخ الاسلام مباشرة أما قضاة المدن الصغيرة فانهم لم يرتبطو بالمولى القاضي الكبير بل بقاضي عسكر منطقتهم (١٩٩) . وارتبط بكل قاض عدد من النواب في اقسام المدينة المختلفة اصدروا احكامهم نيابة عن القاضي وتراوح عددهم حسب كبر المدينة . ووجد في مدينة كبيرة كالقاهرة احد عشر نائباً تسعة منهم في احياء المدينة وواحد في بولاق وآخر في مصر القديمة . اما عاصمة الامبراطورية فقد وجد فيها قاض كبير هو ثالث قضاة الامبراطورية بالاضافة

الى ثلاثة قضاة كبار من درجة مولى شغلوا المراتب ١٠ – ١٢ في سلك القضاء وجاء ترتيبهم قبل قضاة حلب والقدس[٢٠٠] .

ولم تراع السلطات دوماً هذا التسلسل الدقيق في المراتب . اذ اضطرت الى الاخلال بها بسبب اكثارها من التنقلات بين القضاة وعدم ابقاء القاضي في منصبه اكثر من عام واحد الا في احوال قليلة . ولذا لجأت احيانا الى نقل قاضي عسكر الروملي وهو اكبر رجال القضاء في الامبراطورية بعد شيخ الاسلام ، قاضياً في مدينة القدس التي يشغل قاضيها المرتبة الرابعة عشر[٢٠٢] . كذلك نقلت قاضي عسكر الاناضول ، وهو القاضي الثاني في الامبراطورية ، قاضياً في القاهرة (المرتبة التاسعة) ، وجعلت قاضي مكة (المرتبة الرابعة) قاضياً في دمشق (المرتبة الثامنة)[٢٠٣] . وفي احدى المرات نقلت قاضي القدس الى منصب قضائي ثانوي كقضاء مدينة طرابلس[٢٠٤] . ولكن بقيت امنية كل طامح في هذه المناصب ان يصبح قاضياً في احدى المدن الاربع : ادرنة وبورسة ودمشق والقاهرة (المراتب ٦–٩)[٢٠٥] .

ولم ينتم القضاة الى عنصر او اصل معين. فقد وجد من بينهم التركي والعربي والكردي والسلافي . وانتمى بعض القضاة الى اصل حلبي او دمشقي او استانبولي او ادرني[٢٠٦] . ولم يتسع سلك القضاء للعبيد بل كانوا جميعاً من الاحرار ومن اصل اسلامي . كما نشأوا جميعاً نشأة اسلامية ودرسوا في مدارس الاحرار الدينية .

واحدثت احيانا مناصب قضائية موقتة للقيام بمهمات خاصة . فقد الحق بمحمل الحج وبالجيش الذي لايرافقه السلطان نفسه قضاة كبار من درجة مولى. وكثيراً ما عهد الى قاضي دمشق بالقيام بمهمة قاضي محمل دمشق[٢٠٧]. والحق بالاسطول العثماني قاض صغير عينه قاضي عسكر الروملي بموافقة امير البحر (القبطان، الاميرال) واعتبر امام السلطان ومعلمه من بين كبار القضاة[٢٠٨] .

ولما كان جميع رجال سلك القضاء الرسميين على المذهب الحنفي الذي كان

مذهب الدولة فقد احدثت مناصب قضائية محلية ليفصل قضاتها بموجب الشرائع المختلفة . فقد وجد قضاة شافعيون في دمشق والموصل وقضاة مالكيون في مناطق اخرى [٢٠٩] . كذلك وجد قظاة دروز ونصارى. فكان لدروز جبل لبنان قاض شرعي يتمتع بصلاحيات واسعة كقاض وككاتب عدل . وتمتع رجال الدين في جبل لبنان ، بما فيهم البطريرك ، بسلطات قضائية [٢١٠] .

واتبعت الدولة في توزيع الصلاحيات القضائية مبدأ شخصية القانون . فلم تطبق القوانين على بقع جغرافية معينة بل على افراد ملة او طائفة معينة . فاذا انتقل انسان من بلد الى أخرى حمل قانونه في جيبه ، أي حق له أن يطالب بان تطبق عليه قوانين طائفته . واباحت الشريعة الاسلامية لكل ملة من الملل التي تسكن دار الاسلام ان تطبق في الاحوال الشخصية قوانينها الخاصة دون ان يعتبر ذلك امتيازاً او اخلالا بسيادة الدولة . ولم يخطر ببال قاض او مشرع اسلامي ان من حقه او من مصلحته ان يفصل بين متداعيين غير مسلمين ينتميان في عرفه الى مجتمع غير مجتمعه ويتبعان تقاليد غير تقاليده الا اذا طلب المتخاصمون منه ذلك [٢١١] .

واعتبر القاضي العثماني كبير رجال القضاء في منطقته القضائية . ولم تقتصر صلاحياته على الفصل بين المتخاصمين بل اشرف اشرافاً عاماً على سير العدالة في منطقته بحيث غدا رقيباً على الوالي والدفتردار والجند والاوقاف والجمارك والاسواق وتسجيل العقود . وتمتع القاضي بصلاحيات تمكنه من انصاف الناس من وال ظالم فاستطاع احيانا ان يعزل او ينقل مثل هذا الوالي . كذلك صدق القاضي على الحسابات فراقب بذلك عمل الدفتردار . وتدخل القاضي لرفع مظالم الجند ونجح في احيان كثيرة [٢١٢] .

وقام القاضي بمراقبة الاسعار وتأمين المواد الغذائية للمدن . وعندما اشتدت أزمة الخبز مرة في دمشق ورفع الناس شكواهم الى الوالي اسعد باشا

العظم فقال لهم « اذهبوا الى المحكمة واشتكوا حالكم الى القاضي » . واعتبر الناس القاضي مسئولاً عن مكافحة الغلاء فاذا فشل في مهمته ثاروا « وهجمت الناس على المحكمة وطردوا القاضي ونهبوا الافران . . وهزموا القاضي وقتلوا بعض أعوانه ونهبوا المحكمة وهرب القاضي فوق الاسطحة هو ونائبه » (٢١٣) .

كذلك أشرف القاضي على الاخلاق العامة . فتدخل القاضي في دمشق لمعاقبة شخص كان يذيع اشاعات تثير الرعب والذعر بين الناس (٢١٤) . ولما كثر فساد « بنات الخطا » . عالج القاضي الموقف بحزم شديد وأمر باعدام كبيرتهن بعد استصدار الفتوى بذلك من المفتي (٢١٥) . وعاقب قاضي حلب مرة قنصل الانجليز بتهمة اقلاق الراحة العامة (٢١٦) ، كما منع الاجانب من استخدام العربات لان اصواتها مزعجة (٢١٧) .

واعتبر القاضي المشرف الاول على تنفيذ القوانين واوامر السلطان . واذا ورد فرمان من السلطان وجب تسجيله اولا لدى القاضي ليعمل على تنفيذه ان لم يكن مخالفاً للشريعة . وتمتع القاضي بصلاحية تعيين رجال الافتاء غير الاحناف وتدخل احيانا في تعيين رجال الافتاء الحنفيين وعزلهم . كذلك كان للقاضي نفوذ كبير في تعيين أساتذة المدارس وموظفي الاوقاف . وراقب احوال اهل الذمة للتأكد من عدم مخالفتهم لاحكام الشريعة لاسيما فيما يتعلق ببناء وتغيير المعابد (٢١٨) .

نظر القاضي في القضايا التي تعرض عليه في المحكمة بمساعدة جهاز من الموظفين ضم رئيس كتاب وتراجمة وعدداً من الكتاب . وشغل هذه الوظائف موظفون محليون وبطريق الوراثة احيانا . وناب عن القاضي في المحكمة اثناء غيابه وفي عدد من احياء المدينة نواب كانوا عادة من أهل الولاية وشغلوا مناصبهم زمناً طويلا . ولكن كثيراً ما عين القاضي ابنه

نائباً عنه (٢١٩). وكان على النائب ان يرسل آخر كل شهر سجل قضاياه واحكامه الى القاضي ليصدقه (٢٢٠).

ولم يتقاض القاضي ونوابه رواتب معينة من الدولة على عملهم بل اخذوا رسوماً على القضايا من المتخاصمين. وفي مصر « كان المعتاد القديم انه اذا ورد القاضي في أول السنة.. التزم بالقسمة بعض المميزين من رجال المحكمة بقدر معلوم يقوم بدفعه للقاضي. وكذلك تقرير الوظائف كان بالفراغ او المحلول. وله شهريات على باقي المحاكم الخارجة كالصالحية وباب السعادة وباب الخلف وباب الشعرية وباب زويلة وباب الفتوح وطيلون وقناطر السباع وبولاق ومصر القديمة ونحو ذلك وله عوائد واطلاقات وغلال من الميري وليس له غير ذاك الا معلوم الامضاء وهو خمسة انصاف فضة.. فاذا احتاج الناس في قضاياهم ومواريثهم احضروا شاهداً من المحكمة القريبة منهم فيقضي فيه ما يقضيه ويعطونه اجرته وهو يكتب التوثيق او حجة المبايعة او التوريث ويجمع العدة من الاوراق في كل جمعه او شهر ثم يمضيها من القاضي ويدفع له معلوم الامضاء لاغير. وأما القضايا لمثل العلماء والامراء فبالمساحة والاكرام.. » (٢٢١).

ويلاحظ من هذا النص ان موارد القاضي كانت متعددة. فكان له موارد من الضرائب الاميرية بالاضافة الى الرسوم التي تقاضاها على القضايا التي فصل بها بنفسه. وتقاضى نائب القاضي رسوماً على القضايا التي فصل بها ولم يعط القاضي منها الا رسم التوقيع عندما يصدق القاضي اسبوعياً او شهرياً على سجل قضايا النائب، بالاضافة الى مبلغ شهري مقطوع يدفعه النائب الى القاضي.

وجلس القاضي للقضاء كقاض منفرد يستمع الى الشهود ويناقشهم دون ان يتدخل محام في القضية. واعطي للمدعي افضلية في الادعاء واختيار المحكمة وتحديد مكان الدعوى وزمانها والقاضي والمحكمة. والتزم المدعي بتقديم البينات والشهود واغراء الشهود على الحضور والشهادة له لان المحكمة لم تجبر احداً على

الشهادة . واعتمد المدعى عليه في دفاعه على الطعن بالشهود او بصحة الوثائق ان وجدت بينات والا فانه يقسم اليمين. ولم يسمح لمحامين بالتدخل في الامر للدفاع عن احد. واستفتى المفتي بشكل مبهم بحيث يكون جوابه نفياً أو ايجابا. واتصف القضاء الاسلامي العثماني بسرعة البت بالقضايا فقد يصدر الحكم وينفذ في جلسة واحدة وقلما تعلق القضايا او تؤجل [٢٢٢] .

ولم تنقسم المحاكم الى أولية واستئنافية بل اعتبرت كل محكمة ، مهما علا مركز قاضيها ، محكمة أولية تقبل جميع انواع القضايا . وبالرغم من كون قاضي العسكر المرجع الاستئنافي لجميع قضاة المدن الصغيرة في منطقته القضائية فانه قبل دعاوي من الدرجة الاولى . كذلك لم يقيد المتخاصمون بمنطقة قضائية معينة بل جاز للمدعي ان يختار قاضيه . ولكن لم يسمح لقاض بالنظر في القضايا الا في محكمته باستثناء شيخ الاسلام وقاضيي العسكر الذين ابيح لهم النظر في القضايا في بيوتهم [٢٢٣] .

وتمتع القضاة بسمعة طيبة كقضاة عادلين نزيهين . وابدى الاوروبيون الذين زاروا البلاد العربية اعجابهم بنزاهة القضاة وقلة تكاليف القضاء . فلم يكن الحصول على العدالة امتيازاً للأغنياء الذين يستطيعون شراء العدالة او دفع تكاليف الخصام ، بل استطاع كل انسان ان يحصل على العدل والانصاف حتى ولو كان خصمه الوالي او السلطان . وارتفع بعض القضاة بمستوى العدالة الى درجة عالية لانجد لها مثيلاً الا في الاساطير [٢٢٤] .

ولكن هذا لم يمنع وجود قضاة مرتشين اوغيرعادلين كما يحدث في كل عصر . وقد سارعت السلطات المسئولة الى ايقاع العقوبة بأمثال هؤلاء . ولكنها ، اكراماً منها لمنزلة القضاء الرفيعة ، لم توقع عقوبتي الاعدام ومصادرة الاموال بالقضاة بل اكتفت بعزلهم ونفيهم [٢٢٥] .

ولم تكن محاكم القضاة هي المحاكم الوحيدة في البلاد . فقد عقد الصدر الاعظم في العاصمة والولاة في ولاياتهم محاكمهم للنظر في كثير من القضايا التي

تدخل في اختصاصات المحاكم الشرعية (٢٢٦) . كذلك وجدت محاكم عسكرية خاصة لمحاكمة رجال الجيش (٢٢٧) . وفوض نقيب الاشراف صلاحية الفصل بين الاشراف (٢٢٨) . واعطي شيخ النقابات مثل هذا الحق بالنسبة للقضايا المهنية (٢٢٩) . ومنح رؤساء الطوائف المختلفة صلاحية النظر في القضايا الشخصية لأفراد طوائفهم وحق اصدار أحكام والحصول على مساعدة سلطات الدولة في تنفيذ تلك الاحكام (٢٣٠) .

الافتاء :

عين شيخ الاسلام في المدن المختلفة رجالاً من العلماء مهمتهم اعطاء الراي في القضايا وتقدير مدى مطابقتها للشريعة الاسلامية ودعي الواحد من هؤلاء بالمفتي . والمفتي هو دون القاضي في المنزلة ولكنه اعلا من نائب القاضي . الا أن مفتي العاصمة ورئيس الافتاء الذي دعي بشيخ الاسلام اعتبر اكبر شخصية قضائية وشرعية وعلمية في البلاد وجعل رئيساً أعلى لجميع أفراد هذا السلك (٢٣١) .

وتمتع شيخ الاسلام بمنزلة رفيعة في الدولة . فقد استشاره السلطان في كل القضايا القانونية فلا يصدر قانوناً ولا يعلن حرباً ولا يعقد صلحاً ولا ينفذ حكم اعدام الا اذا اجاز ذلك شيخ الاسلام وأفتى بشرعيته . وقد منع شيخ الاسلام السلطان سليم الاول من ابادة النصارى بعد ان أباد الشيعة . ولم يستطع السلطان سليمان اعدام ابنه الا بعد أن أفتى له بذلك شيخ الاسلام ابو السعود (٢٣٢) . وصاح شيخ الاسلام المولى حسين بن محمد بن نور الله بن يوسف اخي زاده (قتل رجب ١٠٤٣/) بالجلاد يأمره بضرب عنق الصدر الاعظم حسين باشا الذي اتهم بالطعن بذات الرسول ﷺ ونسب اليه انه قال « ان من مات من الف سنة كيف كلامه يعتبر » . واحتج الجند وهددوا شيخ الاسلام بالقتل ان لم يسحب فتواه ولكن شيخ الاسلام أصر على ضرب « عنق اللعين » مضحياً بالوقت نفسه بحياته في سبيل قيامه بالواجب (٢٣٣) .

وعين شيخ الاسلام لكل مدينة مفتياً حنفياً لايتقاضى راتباً على عمله . ولم تحدد مدة ولاية المفتي . فقد بقي عبد الرحمن المغربي مفتياً على طرابلس واللاذقية مدة نصف قرن (١١٤٠/١٧٢٧ - ١١٩١/١٧٧٧) (٢٣٤) كما تولى خليل الصديقي افتاء دمشق ربع قرن (١١٣٥/١٧٢٢ - ١١٥٨/١٧٤٥) (٢٣٥) . ولكن بعضهم لم يتموا العام . فقد عزل اسماعيل المنيني بعد شهر واحد وبقي الشيخ عبد الغني النابلسي في منصبه فترة قصيرة (٢٣٦) . وغدا المنصب وراثياً او محصوراً في عائلة واحدة او عائلات معينة . فقد تنازعت عائلات العجلاني والمرادي والعمادي منصب افتاء دمشق في القرن الثامن عشر (٢٣٧) . وكادت تحتكره عائلة الكواكبي في حلب حتى ان الابن خلف أباه (٢٣٨) .

وتدخل الولاة والاعيان في تعيين رجال الافتاء وعزلهم . فقد انتخب الناس في دمشق الشيخ عبد الغني النابلسي مفتياً عام ١١٣٥/١٧٢٢ وعين الوالي والقاضي محمد بن خليل مفتياً عام ١١٨٨/١٧٧٤ ولكن شيخ الاسلام رفض تثبيت ذلك وعين مرشحه (٢٣٩) . ولا شك ان شيخ الاسلام لم يتجاهل دوماً رغبات الاعيان والسلطات المحلية في تعيين رجال الافتاء .

وقد ينقل المفتي الى منصب قضائي . فقد عين مفتي حلب احمد بن محمد الكواكبي قاضياً على القدس في ذي الحجة ١١٠٦/١٦٩٤ (٢٤٠) . ونقل المفتي رحمة الله بن عثمان مدرساً فقاضياً عام ١٠٥٧/١٦٤٧ كما عين مفتي دمشق قاضياً على القدس فحلب فدمشق عام ١١٦٥/١٧٥١ (٢٤١) . وكذلك نقل احد القضاة مفتياً وأحد رجال الافتاء نائباً للقضاء ولم ير اصحاب التراجم في الحالتين أي انتقاص من قيمة الرجل او تنزيل في المرتبة (٢٤٢) .

وبما ان غالبية المسلمين العرب كان من اتباع المذهب الشافعي لا الحنفي، لذا فان السلطات اضطرت الى اقرار تعيين قضاة ورجال افتاء على المذهب الشافعي وآخرين على المذهب الحنبلي (٢٤٣) . فقد وجد في دمشق مفت حنبلي انتمى عادة أما الى عائلة السيوطي او الى عائلة الشطي ، وانتمى مفتي الشافعية الى عائلة الغزي .

الديوان :

ووجد في كل ولاية ديوان ضم الوالى والدفتردار والقاضي ونقيب الاشراف والسردار (اغا القابوقول) ونقيب التجار (الشهبندر) وعدداً من اعيان البلد . واجتمع هذا الديوان عادة صباح الجمعة قبل الصلاة. اذ تجمع أعضاء الديوان في المحكمة ثم ذهبوا الى دار الولاية لعقد اجتماعهم . وبعد إنتهاء الديوان سار الوالي في موكب رسمي لاداء صلاة الجمعة [٢٤٤] . وأرسلت مذكرة سنوية عن أعمال ومداولات الديوان الى استانبول [٢٤٥] .

واختلف الوضع قليلا في مصر حيث اوجد السلطان سليم ديوانين هما الديوان الكبير والديوان الصغير . واجتمع الديوان الكبير بامر الوالي وضم رؤساء الفرق العسكرية ودفترداريها والقاضي ورؤساء المشايخ والاشراف ورؤساء المذاهب الاربعة والسناجق . ومع ان هذا الديوان لم ينعقد الا بامر من الوالي فانه لم يسمح للوالي بحضور جلسات هذا الديوان او جلسات الديوان الصغير . وانعقد الديوان الصغير برئاسة كتخدا الوالي وضم الدفتردار والروزنامجي ومندوبين عن الفرق العسكرية كاعضاء فيه . وانعقد الديوان الكبير بامر الوالي للنظر في المواضيع الهامة التي يعرضها عليه الوالي والتي قد يتخذ الديوان فيها قراراً مخالفاً لرأي الوالي ، أما الديوان الصغير فقد انعقد باستمرار للنظر في الشئون العامة للبلاد . ودرس الديوان في مصر قضايا الحرمين ومصر وتقدير الضرائب وطرق جبايتها [٢٤٦] .

وساهم وجود الديوان في احداث توازن بين السلطات ووقف اعتداءات الولاة او الجند على السكان. ولكن الاعيان انحازوا احياناً ضد مصالح الشعب . ولم يقف الشعب في مثل هذا الحال مكتوف الايدي . فقد وقف الناس في دمشق في طريق الاعيان « وصاحوا عليهم : لابارك الله فيكم انتم منافقون وتعينوا الحكام على ظلم الفقراء والمساكين » واشبعوهم سبا وشتما [٢٤٧] وعمد الناس في

مثل هـذه الحالة الى التظاهر وابطال الصلاة لاسيما صلاة الجمعـة واحياناً لجأوا الى العنف (٢٤٨) .

❀❀❀

تمتع العالم العربي طوال القرون الثلاثة الاولى من العهد العثماني بحكم سطحي عادل . واذا كانت الغاية من وجود الحكام حماية الرعايا من الاعتداء وتحقيق مقدار من العدالة حسب مفاهيم العصر فقدنجح العثمانيون في تأمين ذلك للشعوب العربية . فقد حماهم العثمانيون من كل اعتداء خارجي وضمنوا لهم امنا داخليا لم يتمتع بأحسن منه بلد في العالم في تلك العصور . ورغم كل مايقال عن الحكم العثماني ورغم كل مايرمي به ذلك الحكم من مساويء ، فان المدينة العربية في عهده تمتعت بما لم تتمتع به مدينة في اوروبا من حسن ادارة وامن وانتعاش ونظافة.

ولم يحقق الحكم العثماني في البلاد العربية في هذه الفترة اي اصلاحات اجتماعية او اقتصادية لا لان العثمانيين كانوا أعداء الاصلاح بل لان الرعايا في ذلك العصر لم تتوقع من حكامها اصلاحا ولا احداث تغييرات بل أرادوا الحكومة أن تبقي كل شيء على حاله . والدولة الصالحة في عرف أهل ذلك العصر هي الدولة التي لاتتدخل في شئون رعايا ولاتتحمل الامسئولية ضمان تطبيق الشريعة الاسلامية .

ولم يكن من حق الدولة ازالة الامية ونشر العلم وتحسين الصحة العامة وتيسير المواصلات وحماية الاقتصاد القومي او تنميته . فالشعب هو الذي يتحمل هذه المسؤوليات عن طريق الاوقاف وغيرهـا من المؤسسات الدينية . ولم يرحب الشعب بتدخل رجال المؤسسات الحاكمة ، بتدخل العبيد ، في ماعتبروه الشئون الخاصة للاحرار . فقد نظم الاحرار شئونهم بانفسهم كانما الدولة غير موجودة وعاشوا في حلقة اجتماعية مستقلة عن حلقة حكامهم من العبيـد . فقـد اشرف رجـال الدين الاحرار على التعليم وامنوا للشعب العدد الكافي من المـدارس حسب مقاييس العصر وضمنت الاوقاف الموارد المالية الكافية للانفاق على التعليم في شتى مراحله واشكاله . ولم يكن السكان بحاجة الى فتح طرق لعدم استعمال

العجلات في التنقل والنقل . وأمنت الاوقاف لهم اماكن الاستراحة (الفنادق) والجسور وتدخلت السلطة الحاكمة لضمان امن الطريق فقط . وتبعت المستشفيات الاوقاف واعتبرت جزءاً منها لاتتدخل الدولة في شئونها [٢٤٩] .

لقد نظمت الشريعة الاسلامية كل شيء بحيث لم تتحمل السلطة الحاكمة مسئوليات واسعة ، ولم يتحمل الشعب ثقل سلطة حاكمة تشرف على كل شيء وتتدخل في شتى انواع الحياة . وعاش كل قطاع من المجتمع حياة انطوائية مستقلة عن غيره لايربطه بالباقي الا رباط الشريعة . فاستقلت الطوائف والملل كما استقلت النقابات والحرف والاحياء والحارات والقرى والقبائل . وشكل كل من هذه الفئات وحدة مستقلة في شئونها الداخلية تربطها بالدولة الولاء والشريعة وضريبة زهيدة تدفعها آخر العام وتحاول دوماً التهرب من دفعها .

ولم يشعر الناس ان دولتهم مستبدة او معتدية . ولو تتبعنا تاريخ الاقطار العربية لما وجدنا ثائراً عربياً مسلماً سنياً واحداً حاول الانفصال الكامل عن الدولة العثمانية . ويحتل ظاهر العمر في فلسطين مركزاً فريداً في تاريخ هذه الفترة اذ كان المسلم العربي السني الوحيد الذي تمرد في منطقة عربية سنية طوال هذا العهد ومع ذلك فلم يحاول انفصالاً تاماً . كان جميع الثوار في مصر والعراق (باستثناء البصرة) من غير العرب . وقام العرب بفتن وثورات في البصرة ولبنان واليمن ولكن كانت هذه جميعها مناطق شيعية لم تقدم ولاءها للسلطات العثمانية الا مكرهة .

واذا ما نظرنا الى واقع الامور في البلاد العربية قطراً قطراً لوجدنا الاحوال فيها قد استقرت وهدأت وتجمدت بحيث لايجد الباحث في تاريخها شيئاً يذكر . فالثورات والفتن على قلتها على نمط واحد . والولاة العديدون يروحون ويجيئون فلا يختلف غير الاسم . ولم يتغير نظام الحكم ووضع المجتمع والبناء الاقتصادي . وتمتع العرب خلال هذه الفترة باستقرار مميت كاد ان يقتل فيهم حب البحث والاستقصاء .

الفصل الثالث

العراق في العهد العثماني

٩٤١ / ١٥٣٤ – ١٣٣٦ / ١٩١٨

لم تختلف الادارة العثمانية في العراق عن الادارة العثمانية في البلاد العربية الاخرى . وانقسم العراق العثماني الى أربع ولايات هي ولايات بغداد والبصرة والموصل وشهرزور . وارتبطت ولاية الاحساء ببعض الروابط الخاصة مع ولايتي البصرة وبغداد بحيث غدت ولاية عراقية خامسة . وقسمت هذه الولايات ، كغيرها من الولايات العثمانية ، الى سناجق ووحدات اقطاعية . ولكن البصرة والاحساء خلتا من السناجق كما خلت كل من بغداد والبصرة من التقسيمات الاقطاعية . وكانت تنظيمات ولاية شهرزور اقرب ولايات العراق الى تنظيمات الولاية العثمانية .

	بغداد	البصرة	الموصل	شهرزور	الاحساء
امير امراء (والي)	+	+	+	+	+
امير لواء (سنجق بك)	١٨	٠	٦	٢٠	٠
اقطاع تمار	٠	٠	+	+	٠
دفتردار	+	+	+	+	٠
اميرالاي	+	+	+	+	٠

	بغداد	البصرة	الموصل	شهرزور	الاحساء
اغا انكشارية	+	+	+	+	.
كتخدا جاويشية	+	+	+	+	.
مالكانة	.	+	.	.	+
ساليانة	.	+	.	.	+

واختلف وضع الولاة من ولاية الى اخرى . فكان والي بغداد عادة وزيراً بثلاثة اطواخ بينما تقلب على الولايات الاخرى ولاة بطوخين . ولكن لم تراع هذه القاعدة باستمرار اذ تنقل عدد من الولاة بين هذه الولايات بدون ترفيع أو تنزيل . وكثيراً ما عين على بغداد او البصرة ولاة بخمسة اطواخ (رتبة الصدارة العظمى) او نقل الى البصرة امير امراء شهرزور (بطوخين) . وتأثرت هذه الولايات بما كان يحدث في بغداد التي اعتبرت الولاية الرئيسية في العراق . وكثيراً ما الحقت ولاية او اكثر من هذه الولايات الخمس بوالي بغداد الذي أناب عنه فيها متسلمين .

ومر الحكم العثماني في العراق بثلاث أدوار رئيسية . وبدأ الدور الاول بالفتح العثماني الاول وانتهى بمجيء حسن باشا وابنه ومماليكه الى الحكم . وتميزت هذه الفترة باستقلال الولايات عن بعضها بعضاً وبوجود نزعة استقلالية قوية في البصرة أدت الى قيام الامارة الافراسيابية . وتعرض العراق خلال هذه الفترة لغزوة ايرانية ناجحة أدت الى سقوط كل العراق (باستثناء البصرة) بأيدي الايرانيين الذين حكموه ستة عشر عاماً . وامتاز الدور الثاني (١١١٦/١٧٠٤ - ١٢٤٦ / ١٨٣٠) بتعرض العراق لخطر ايراني كبير أدى الى تسليم مقاليد الحكم في العراق الى أحمد باشا وابنه حسن باشا ومماليكهما وقيام دولة المماليك في العراق . ومرت العراق في الدور الثالث (١٢٤٦/١٨٣٠ - ١٣٣٦/ ١٩١٨) بمثل ما مرت به الولايات العربية الاخرى أثناء عهد التنظيمات الخيرية والعهد الحميدي وعهد التجربة الدستورية وقيام الحركة القومية . وتعرض العراق

خلال هذه الفترة للتأثيرات الغربية واعيد تنظيم ادارته واقتصاده ومجتمعه على أسس غربية اوروبية .

الدور الاول ٩٤١/١٥٣٤ ـ ١١١٦/١٧٠٤

ويسهل في هذا الدور دراسة تاريخ كل ولاية لوحدها لانفصال الولايات النسبي عن بعضها بعضاً . ومع ان ولاية بغداد لعبت دوراً رئيسياً في هذا العهد فان الولايات الاخرى ، لاسيما البصرة ، لعبت أدواراً هامة .

ولاية بغداد ٩٤١/١٥٣٤ ـ ١١١٦/١٧٠٤

تقلب على حكم ولاية بغداد خلال هذا الدور عدد من الولاة العثمانيين أكثرهم من العبيد خريجي مدرسة البلاط العثماني . وكان من بينهم التركي والالباني والسلافي والشركسي والعربي والمجري والايطالي والبولوني وغيرهم من الذين تقلبوا في مناصب الدولة وحكموا عدة ولايات قبل ان يصلوا الى منصب والي بغداد الرفيع . ولا يذكر المؤرخون من بين ولاة الفترة الاولى (٩٤١/١٠٣٣ - ١٠٣٣/١٦٢٣) الا والياً واحداً من العلماء بينما عدا الباقون من بين العبيد من خريجي مدرسة القصر . وقيل عن بعضهم انه « لايمنع نفسه عن هوى ويميل الى الانتشاء » بينما ذكر ان آخرين تركوا آثاراً عمرانية هامة ، واشاد الشعراء بعدل الحكومة في ايام بعضهم الآخر . ولا يذكر المؤرخون حوادث هامة في عهد هؤلاء الولاة سوى حملات على بعض مراكز الاضطراب كالحويزة والقبائل وفتن الجند [٢٥١] .

وازدادت فتن الجند أواخر هذا العهد . فقد تمكن محمد بلوك باشي ابن احمد الطويل من السيطرة على بغداد عام ١٠١٤/١٦٠٥ ، وهزم الطويل جيشاً ضخماً قاده نصوح باشا والي ديار بكر . وتآمرت زوجة الثائر مع كاتبه عليه وتمكنا من قتله ولكن اخاه مصطفى استولى على الحكم بعده . واخيراً

فمكن الوزير محمود باشا بن سنان باشا جغال من اقناع مصطفى بك بالتخلي عن بغداد وعوضه عنها بالحلة عام ١٠١٧ / ١٦٠٨ . ولكن مصطفى مالبث ان غادر الحلة وفر الى بلاد ايران [٢٥١] .

وبرز بعد اربعة عشر عاماً ثائر آخر من بين الجنود المحليين (اليرلي) هو بكر السوباشي (١٠٣١/١٦٢١ - ١٠٣٣/١٦٢٣) . فقد اطاعه جند بغداد المحلي (اليرلي) ومال اليه الاعيان والاهلون وتغلب على الوالي يوسف باشا وهزم جند السلطان (القابوقول) واستولى على بغداد بعد قتل الوالي برصاصة طائشة . وتجمعت كالعادة جيوش الولايات المجاورة لاخضاع هذه الفتنة . وبادر السوباشي الى الاستنجاد بالشاه فانجده . فاضطر القائد العثماني حافظ احمد باشا الى فك الحصار عن بغداد والتراجع بسرعة بعد ان عقد صلحاً مع السوباشي وجعله والياً عثمانياً شرعياً على بغداد بموجب فرمان جاء فيه « وجهت اليك بغداد فكن على بصيرة وابذل ما تستطيعه من قوة لحفظ الايالة وحراستها » [٢٥٢] .

ولكن الجيوش الايرانية لم تعترف بما حدث بل واصلت زحفها على بغداد وضربت عليها الحصار . ووصل الشـاه نفسه للاشتراك بالحصار في صيف ١٠٣٣ / ١٦٢٣ . ولم يتح للسوباشي اعداد بغداد للحصار . فالمواد الغذائية قليلة والحر شديد والمجاعة عامة والنفوس قلقة . واكل الناس لحم الكلاب وجثث الموتى . وتقاعس العثمانيون عن انجاد بغداد رغم النداءات المتكررة التي وجهها اليهم السوباشي . وفي الشهر الثالث من الحصار كان اعوان السوباشي قد بدأوا يتخلون عنه ، وخانه الجميع حتى ابنه محمد الذي اتصل بالشاه وسلمه المدينة في ٢ صفر ١٠٣٣ / ٢٨ تشرين الثاني ١٦٢٣ . وقتل الايرانيون بكر السوباشي شر قتلة كما فتكوا بالقاضي السني . وروى مؤرخ معاصر ان الشاه عباس (١٠٩٤ / ١٥٨٨ - ١٠٣٦ /١٦٢٩) « دخل بغداد ووضع السيف في المسلمين وقتل الخبيث بكر وأخاه علي آغا القاضي والنائب السيد محمد وقتل من أهل بغداد ما يزيد على اربعين الف نسمة . ثم نادى الشاه بالامان وجمع

كتب أهل السنة والقاها في الدجلة حتى مشى عليها النـاس . ثم أمر بهدم قبة الامام الاعظم وقبة الشيخ عبد القادر الكيلاني . . » ونودي بالامان ولكنه كان امانا خادعاً اذ تلا ذلك اضطهاد منظم . واعتقل الالوف من أهل السنة وعذب الاغنياء وبيـع الاطفال والنساء وقضى كثيرون ضحية عقائدهم . وحولت مدارس أهل السنة الى اصطبلات وهدم معظم مقام ابي حنيفة ومقام عبد القادر الكيلاني . وساهم أهل الشيعة في بغداد في انقـاذ مواطنيهم السنيين. وشهد زعيم الشيعة بكثيرين انهم من اتباع مذهبه فأنقذ بذلك حياتهم واموالهم. وعين صفي قولي خان والياً ايرانيـاً على بغداد الذي حكمها حتي وفاته عام ١٠٤١ / ١٦٣١ فخلفه حتى نهاية العهد الايراني بكتاش خان الارمني (٢٥٣) .

وسارع الشاه الى احتـلال ما تبقى من العراق . وتمكن قاسم خان من احتلال الموصل وكركوك . وقدم امير البادية مطلق ابو ريشة وناصر المهنـا ولاءهما للشاه . ووضعت حاميات ايرانية في كربلاء والسماوة والحلة والعتبات المقدسة ووزعت الاراضي على الانصار والاعوان . وفشلت محـاولة القائد الايراني صفى قولي خان في احتلال البصرة التي دافع عنها آل افراسياب دفاعاً مجيداً عام ١٠٣٦/١٦٢٧ (٢٥٤) .

وبدأت محاولات الدولة العثمانية المتعددة لاستعادة بغداد . وتمكن حافظ احمـد باشا والي ديار بكر من استعادة كركوك عام ١٠٣٥/١٦٢٥ . وفرض اواخر العام حصاراً على بغداد لمدة ستة أشهر ثم اضطر الى الانـسحاب في رمضان ١٠٣٥ / اواخر ايار ١٦٢٦ . وقام العثمانيون بمحاولة ثانية بعد وفاة الشاه عباس . وقاد الصدر الاعظم خسرو باشا البشناقي (البوسني) جيشاً عثمانياً في ايار ١٦٢٩ (رمضان ١٠٣٧) فوصل شمالي العراق اواخر العام . ولكنه بدلاً من أن يقصد بغداد هاجم اردلان فاحتل عاصمتها ثم زحف على همذان فوصلها في حزيران ١٦٣٠ (ذى القعدة ١٠٣٩) فأمعن فيها تخريباً ونهباً . واخيراً بدأ حصـاره لبغداد في تشرين الثاني بعد ان كانت الحامية الايرانية قد أتمت استعداداتها لمقاومة

الحصار . واضطر الجيش العثماني بعد أشهر قليلة الى الانسحاب . وعزل العثمانيون الامير مطلق ابا ريشة وعينوا خلفاً له احد اقاربه سعد بن فياض (٢٥٥) .

وقاد السلطان مراد الرابع (١٠٣٢/١٦٢٣-١٠٥٠/١٦٤٠) الحملة الثالثة بنفسه . وغادرت الحملة العاصمة العثمانية في ربيع ١٠٤٨/١٦٣٨ قاصداً حلب فبغداد التي وصلها في منتصف شهر تشرين الثاني (جمادى الثاني) . وفتحت المدفعية العثمانية ثغرة في السور هاجم منه العثمانيون المدينة التي استسلمت لهم بعد حصار دام اربعين يوماً . ولكن بالرغم من استسلام الحاكم الايراني بكتاش خان فان قسماً من الحامية الايرانية رفض الاستسلام واستمر في مقاومته . وضاعت ارواح كثيرة نتيجة انفجار مخزن للبارود . وانتقم السلطان من الايرانيين حتى قيل انه قتل ثلاثين الفاً منهم . وفي السابع والعشرين من شباط عام ١٦٣٩ (شوال ١٠٤٨) غادر السلطان بغداد من باب الطلسم قاصداً تبريز بعد أن أمر بإغلاق الباب الذي خرج منه فبقي مغلقاً طوال العهد العثماني .

استقبل اهل بغداد السلطان وجيشه بترحاب كبير . واطمأن الفارون وعادوا من غربتهم . ونسبت الكرامات الى السلطان الفاتح بل والى بعض المدافع التي استعملها . وكان الفتح عند جميع الطوائف عيداً من الاعياد بسبب ما لاقاه الجميع من أذى وشدة في ظل الحكم الصفوي الايراني . واستقرت بغداد بيد العثمانيين بعد ان اعترف بذلك الشاه في معاهدة ٢ محرم ١٠٤٩ / ٦ ايار ١٦٣٩ (٢٥٦) .

ولم يأت العثمانيون بجديد في عهدهم الثاني . اذ تقلب على حكم بغداد عدد عدد من الولاة من نوع ولاة العهد الاول كان من بينهم الانكشاري والسلحدار والبلطجي والبستانجي وكلهم من الغلمان المماليك الذين انتموا الى اجناس مختلفة وبلغ عددهم حتى عام ١١١٦/١٧٠٤ تسعا وثلاثين والياً . وازداد نفوذ الجند في منتصف القرن فقتلوا الوالي ابراهيم باشا في ذي القعدة ١٠٥٦/١٦٤٦ وسيطروا على خلفه الذي حكم حسب رغائبهم واخيراً كثرت الشكاوي من السردار فعزل

اواسط ١٠٦٠/١٦٥٠ وهدأت الاحوال[٢٥٧] . واصبحت الاحوال في بغداد « أشبه بالحلم مضت بهدوء وسكينة بلا تغلب ولا اضطراب فلم يحدث في ايامه من الوقائع ما يكدر الخواطر . » وثار الجند ثانية في عهد محمد باشا الخاصكي (صفر ١٠٦٧/١٦٥٦ - ٧ ذو الحجة ١٠٦٩/١٦٥٩) مغتنمين فرصة انشغاله بتأديب الاعراب . واستولى الجند على بغداد وفر الوالي الى هيت ثم تمكن من العودة ثانية ومعاقبة زعماء الفتنة . ولكنه ما أن فرغ من معالجة هذه الفتنة حتى واجهته مهمة انقاذ بغداد من الغرق بسبب فيضان دجلة والفرات[٢٥٨] .

وهددت الفيضانات وفتن الجند ولاية بغداد مرة اخرى بعد اقل من ربع قرن . فقد انهارت سدة الاعظمية في عهد قبلان مصطفى باشا (٢٧ صفر ١٠٨٧/١٦٧٦ - ٣ رمضان ١٠٨٨/١٦٧٨) فتكلفت الدولة على اعادة بنائها ثمانين الف غرش . وشغل هذا الوالي بفتن الانكشارية ونهب العربان لقافلة الحج . وعزل قبل ان تستقر الامور فخلفه عمر باشا (٣٠ رمضان ١٠٨٨/١٦٨٨ - جمادي الاول) الذي جابه فتنة انكشارية في بغداد ، وأثار الجند فتنة جديدة عام ١١٠٠/ ١٦٨٨ في وقت ابتليت فيه البلاد بالفيضان والغلاء[٢٥٩] .

وشغل الولاة بمشاكل البصرة التي بقيت دوماً نقطة ضعف في الحكم العثماني في العراق . وحافظت البصرة لمدة طويلة وفي فترات متقطعة على استقلال ذاتي عن العثمانيين وفشل العثمانيون في تثبيت نفوذهم في البصرة التي ظلت ، كاليمن ، مركز المقاومة العربية الشيعية للحكم العثماني .

ولاية البصرة ٩٥٣/١٥٦٤ - ١١١٦/١٧٠٤

حكم البصرة اوائل القرن السادس عشر (العاشر هجري) امير عربي من المنتفق يدعى راشد بن مغامس . وارسل راشد عام ٩١٤/١٥٠٨ ابنه مانع ووزيره محمد لتقديم ولائه للشاه اسماعيل الذي احتل بغداد[٢٦٠] وفعل مثل ذلك مع السلطان سليمان القانوني العثماني[٢٦١] . ولم يقتنع العثمانيون بمثل هذا

الولاء الرمزي من البصرة لحاجتهم الى مينائها كقاعدة بحرية لاسطولهم العامل في الخليج العربي والمحيط الهندي . واغتنم العثمانيون فرصة تأييد راشد بن مغامس لثورة احد شيوخ القبائل العربية واعتبروا ذلك عصياناً واصدروا اوامرهم لوالي بغداد اياس باشا (٩٥٣/١٠٤٦ - ٩٥٦/١٥٤٩) بتأديبه. ونجح اياس باشا في مهمته اذ هزم اسطول البصرة النهري واحرقه وفر يحيى الى الاحساء ودخل العثمانيون البصرة في منتصف كانون الاول ١٥٤٦ (شوال ٩٥٣) واعلنوها ولاية عثمانية وعين عليها والياً عثمانياً (٢٦٢) .

وكانت البصرة اذ ذاك بلدة كبيرة عامرة مزدهرة التجارة يحيط بها سور يبلغ طوله قرابة كيلومترين ونصف . وضمت المدينة داخل السور حوالي عشرة آلاف بيت مبنية من الطين (اللبن) المجفف بالشمس . ولم تكن ضاحيتها على شط العرب قد نمت بعد. وكان للبصرة علاقات تجارية مع الهند وهرمز والبحرين وايران وبغداد ودمشق وحلب . وقصد ميناءها سفن عديدة مختلفة الحجم والجنسية تحمل بضائع الاقطار الشرقية كالبهارات والعقاقير الطبية والاصبغة وانواع الاقمشة والبن لتعود محملة بالتمر وغيره من منتجات العراق والبلاد العثمانية والعربية (٢٦٣) .

واختلفت تنظيمات الادارة العثمانية في البصرة عن غيرها من الولايات العثمانيه. فقد حكمها وال تقاضى راتباً سنوياً محدداً على شكل ساليانة . ولم تنقسم الولاية الى اقطاعات او الى سناجق بل بقيت وحدة واحدة يحكمها الوالي. ووجد في الولاية دفتردار عثماني اشرف على تحصيل الرسوم الجمركية على البضائع وعائدات اشجار النخيل . وخصص لنفقات الوالي عائدات النخيل والرسوم المفروضة على الصيارفة وتجار الحيوانات (٢٦٤) .

وابقى العثمانيون في البصرة قوة انكشارية واسطولا لحمايتها . وتراوح عدد القوة الانكشارية بين خمسمائة والف جندي فقط لاتدعمهم قوة اقطاعية . ووصل عدد قطع الاسطول الى ثلاثين سفينة احياناً ولكنه بقي اسطولا ضعيفاً

مهملا . لذا لم تكن القوة العسكرية العثمانية في البصرة كافية اصد عدوان خارجي او اخماد ثورة داخلية ، واضطرت سلطات الولاية الى الاعتماد دوماً على معونة والي بغداد [٢٦٥] .

وغدت البصرة قاعدة للعمليات البحرية العثمانية ضد البرتغاليين . فقد لجأ اليها عام ٩٥٩/١٥٥٢ الاسطول العثماني بقيادة بيري بك رئيس بعد فشله في اخذ هرمز ، فابقى قسماً من اسطوله في البصرة وعاد الى السويس بالباقي [٢٦٦] وقاد مراد بك رئيس اسطول البصرة في العام التالي ولكنه اضطر الى العودة بعد ان بلغته انباء حركات الاسطول البرتغالي [٢٦٧] . وعهد بالقيادة عام ٩٦١/ ١٥٥٤ الى سيدي علي رئيس الذي خبر الحروب في البحر الابيض المتوسط وتدرب على يد القائد البحري الكبير خير الدين بربروسا كما خدم تحت لواء سنان باشا . ووصل سيدي علي البصرة في اواخر صفر ٩٦١ (اوائل ١٥٥٤) وباشر باعداد السفن الحربية العثمانية للحرب . واقلع الاسطول العثماني من البصرة في شعبان ٩٦١/ تموز ١٥٥٤ قاصداً القطيف فالبحرين . وعلم من طلائعه ان لااثر للاسطول البرتغالي في الخليج فابحر باتجاه هرمز ودخل مياه المحيط الهندي سالماً ولكنه وجد نفسه فجأة في العاشر من رمضان وجهاً لوجه امام الاسطول البرتغالي ودام القتال طول النهار وانسحب البرتغاليون في الليل . واستمر الاسطول العثماني في سيره بازاء ساحل عمان فالتقى ثانية بالاسطول البرتغالي في ٢٦ رمضان (آب) الذي الحق بالاسطول العثماني خسائر جسيمة اجبرت سيدي علي رئيس على نصب الشراع للفرار . ودفعت الرياح الاسطول العثماني في اتجاه شرقي شمالي فوصل ميناء بندر شاهبور الفارسي يوم عيد رمضان فتزود بالماء . وقصد الاسطول العثماني بعد ذلك سواحل اليمن ولكن الرياح قذفته ثانية نحو ساحل الهند فالفى نفسه امام ميناء ديو البرتغالي في الهند . وسارع الاسطول العثماني الى تغيير اتجاهه فوصل الكاجرات ولجأ الى ميناء سورات الهندي . وهناك باع سيدي علي سفنه وعاد و ملاحوه بطريق البر [٢٦٨] .

وضعفت القوة البحرية البرتغالية والعثمانية في البحار الشرقية اواخر القرن السادس عشر وبرزت قوتا هولندا وانجلترا . ولم يقم العثمانيون بعد فشل حملة سيدي علي رئيس باية محاولة بحرية هامة سوى تلك المحاولة الفاشلة ضد البحرين عام ١٥٥٩/٩٦٧ .

وعجز العثمانيون عن تثبيت نفوذهم في البصرة وما حولها فبقى آل عليان حكام الجزائر في حالة تمرد مستمر . وحاصر العثمانيون عام ١٥٤٩/٩٥٦ المدينة (بضم الميم وفتح الدال) مركز آل عليان واحتلوها، ولكن آل عليان ثاروا فور انسحاب القوات العثمانية . كذلك فشل الاسطول العثماني عام ١٥٥٤/٩٦١ في احتلال حصون آل عليان . واخيراً وجهت ضدهم اول عام ١٥٦٧/٩٧٥ حملة برية نهرية كبيرة بقيادة والي بغداد اسكندر باشا الشركسي . ولجأ العثمانيون الى قطع اشجار النخيل واتلاف المحصولات الى ان اضطر ابن عليان الى طلب الصلح وتقديم الرهائن ودفع غرامة كبيرة (٢٦٩) . ولاقى العثمانيون فشلا مماثلا في الحويزة وبقي اميرها متذبذب الولاء بين السلطان والشاه .

وتعاقب على حكم البصرة عدد من الولاة العثمانيين لم يكن احد منهم موفقاً في الحكم . فقد كثرت الفتن وازدادت نفقات الادارة وتكررت فتن الجند وقلت ايرادات الولاية . واضطر الوالي درويش علي باشا عام ١٥٩٦/١٠٠٥ الى تسليم امور الولاية الى كاتب الجند المدعو افراسياب الذي دفع الى الوالي ثمانية اكياس ذهب وتعهد بان يبقى الخطبة باسم السلطان العثماني (٢٧٠) .

آل افراسياب في البصرة ١٥٩٦/١٠٠٥ — ١٦٦٨/١٠٧٨

لا يعرف شيء عن اصل افراسياب ونسبه الا انه كان كاتباً لجند البصرة ثم اشترى الولاية من الوالي . واستتب له الامر بعد ذلك في البصرة وما حولها وانتزع مركز القبان من بكتاش آغا وقضى على نفوذ بدر بن مبارك حاكم

ألدورق . وساعده والي بغداد حسن باشا ابن محمدباشا الطويل (١٠٠٦/١٥٩٧) على القضاء على فتنة مبارك ابن عبد المطلب امير الحويزة الذي التف حوله عدد كبير من اوباش العرب والعجم . وتوفي افراسياب عام ١٠١٢/١٦٠٣ بعدان حكم البصرة سبعة اعوام فخلفه ابنه علي باشا (م ١٠٥٧/١٧٤٧) [٢٧١].

وجرت حوادث جسام في العراق والخليج العربي في عهد علي باشا . فقد قوي امر الشاه عباس الكبير والحق هزائم كبيرة بالعثمانيين والبرتغاليين واحتل تبريز وبغداد والموصل والبحرين وهرمز . ولم يكن ممكنا للبصرة ان تبقى بنجاة عن هذه الحوادث . وحافظ علي باشا على ولائه للسلطان العثماني رغم سقوط اكثر العراق بيد شاه ايران عام ١٠٣٣/١٦٢٣ . وجرد عليه الشاه حملة بقيادة خان شيراز امام قولي خان عام ١٠٣٤/١٦٢٤ ولكن علي باشا صد الحملة بمساعدة الاسطول البرتغالي واعاد الايرانيون الكرة في جمادي الثاني ١٠٣٤ / آذار ١٦٢٥ فهب البرتغاليون ثانية الى نجدة البصرة. وقاد امام قولي خان (فاتح هرمز وعدو البرتغاليين اللدود) حملة ثالثة عام ١٠٣٦/١٦٢٦ ولكنه فشل في مهمته . وبذلك فشلت جميع الجهود الايرانية لاحتلال البصرة [٢٧٢].

ولكن ولاء علي باشا للعثمانيين بقي اسمياً . فلم يشارك في الحملات العثمانية التي حاولت استرجاع بغداد . ولما عادت بغداد عثمانية لم يحافظ علي باشا على علاقات طيبة مع ولاتها . وحاول اكثر من مرة احتلال مناطق تابعة الى والي بغداد غير مبال بما يجره هذا العمل عليه من عداء [٢٧٣].

وغدت البصرة في عهده مركزاً تجارياً هاماً للتجارة الاوروبية . فقد أسس فيها البرتغاليون بيعة دينية ووكالة تجارية عام ١٠٣١/١٦٢٢ اصبحت اهم مراكزهم في الخليج بعد خسارتهم لهرمز ومسقط [٢٧٤] . وزاحمهم الانجليز والهولنديون في هذه التجارة . فقد وصلت البصرة عام ١٠٤٩/١٦٣٩ سفينة انجليزية لفتح باب التجارة معها فمنح علي باشا الانجليز امتيازاً . وفتح الانجيز وكالة تجارية لهم في البصرة عام ١٠٥٣/١٦٤٣ وحولوا اليها في صيف ١٠٥٥/١٦٤٥ وكالتهم الرئيسية في

بندر عباس اثر اضطراب العلاقات الهولندية الانجليزية . ولكن الهولنديين لم يتركوهم بامان بل تقدم الاسطول الهولندي نحو البصرة عام ١٠٥٩/١٦٤٩ محاولا تخريب الوكالة الانجليزية فيها . وفرض الهولنديون في ربع القرن التالي سيطرة تامة على الخليج لاسيما وان البرتغاليين خسروا عام ١٠٦٠/١٦٥٠ مسقط. وهجر الانجليز مراكزهم في ايران ولم يبق للبرتغاليين والانجليز مراكز في الخليج غير وكالاتهم التجارية في البصرة. ولما شعر حسين باشا بان الوكالة الانجليزية على وشك الافلاس بادر الى اغلاقها عام ١٠٦٩/١٦٥٧ فبقيت مغلقة طوال القرن السابع عشر[٢٧٥] .

وخلف علي باشا ابنه حسين باشا (١٠٥٧/١٦٤٧ - ١٠٧٨/١٦٦٧) الذي كان حاكما قوياً الا ان اعماله لم تتصف بالكياسة . فقد اساء الى اقاربه والى تجار واعيان البصرة والى السلطات العثمانية في بغداد والاحساء . وارسل العثمانيون ضده ثلاث حملات استطاعت الثالثة منها انهاء حكم آل افراسياب في البصرة بمساعدة اقارب حسين واعيان البصرة[٢٧٦] .

وكان احمد بك وفتحي بك افراسياب عما حسين قد فرا الى الاحساء فبغداد فاستانبول وحرضا الباب العالي عليه . وقادوا الى بغداد مرتضى باشا (شوال ١٠٦٣/ايلول ١٦٥٣ - رمضان ١٠٦٥/تموز ١٦٥٥) ضد البصرة عام ١٠٥٤/١٥٥٣ بمساعدة القبائل . وفر حسين باشا من البصرة التي دخلها مرتضى باشا وعين عليها احمد بك افراسياب والياً . ولكن مرتضى باشا اساء التصرف وقتل فتحي واحمد وعدداً من اعيان البصرة . فثار اهل المدينة والقبائل المقيمة حولها واضطر مرتضى باشا الى الجلاء عن البصرة بعد ثلاثة عشر يوماً من احتلاله اياها . واستدعى اهالي البصرة حسين باشا الذي استعاد امارته واستقبل استقبالاً حاراً . واضطرت السلطات العثمانية الى قبول الامر الواقع والعفو عن حسين باشا[٢٧٧] .

ولكن ما لبث حسين باشا ان استثار غضب السلطان مرة اخرى عندما ارسل جيشاً لاحتلال الاحساء وانتزاعها من واليها العثماني محمد باشا عام

١٠٧٣/١٦٦٢ . وكان حسين قد اضمر الشر لمحمد باشا لانه حرض عليه عميه احمد وفتحي اللذين لجآ مرة اليه . وارتكب جند حسين باشا اعمالا كثيرة في الاحساء « وقتلوا منها خلقاً كثيراً واستباحوا فروجاً واموالا . » وفر محمد باشا الى استانبول ليحرض حكومة الباب العالي على حسين[٢٧٨] .

وصدرت الاوامر الى والي بغداد ابراهيم باشا الطويل بتأديب حسين باشا واعادة محمد باشا الى ولايته في الاحساء . وتجمعت القوات العثمانية في الحلة وانضم اليها بقواتهم ولاة ديار بكر وحلب والموصل والرقة وشهرزور بينما انصرف حسين باشا الى تحصين قلاعه . وبدأ الزحف العثماني على البصرة اواخر الخريف في ربيع الثاني ١٠٧٦/تشرين الثاني ١٦٦٥ فصمدت القرنة في وجهه . ونشبت ثورة في البصرة ضد حسين باشا وشكل اعيانها حكومة موقتة موالية للعثمانيين ولكن حسين باشا استطاع ان يخمد الثورة ويعدم عدداً من قادة الثورة . وحاصر العثمانيون القرنة حصاراً طويلا الى ان تم عقد صلح بين حسين باشا والقائد العثماني تنازل بموجبه حسين باشا عن الامارة لابنه افراسياب وتعهد بدفع ستماية كيس فوراً ومائتي كيس سنوياً واعادة الاحساء الى حاكمها العثماني محمد باشا . ولكن حكومة الباب العالي لم ترض بهذا الحل وامرت والي بغداد الجديد قره مصطفى باشا (ذو الحجة ١٠٦٩/ايلول ١٦٥٩ – رجب ١٠٧٢/ آذار ١٦٦٢) بالقضاء على حسين نهائياً وتنصيب يحيى باشا وزير وصهر حسين باشا واليا . وبدأ الزحف في تشرين الثاني واتم العثمانيون تطويق البصرة في كانون (ربيع اول) وسقطت القرنة واستسلمت البصرة وفر حسين باشا الى الهند . وعادت البصرة ولاية عثمانية وانقضى عهد آل افراسياب[٢٧٩] .

ووقفت العائلات التجارية الغنية في البصرة موقفاً معادياً لآل افراسياب وموالياً للسلطان . فكانت عائلة آل باش اعيان (آل عبد السلام) عمدة العثمانيين في مقاومة كل حركة استقلالية في البصرة . ولعب التجار دوراً كبيراً في ارسال الوفود الى استامبول لتحريض حكومة الباب العالي على آل افراسياب كما ساهموا في تمويل وتغذية كل فتنة داخلية ضد العائلة . وقد رأينا كيف اغتنم

التجار فرصة انشغال حسين باشا بالدفاع عن القرنة لاقامة ادارة موالية للعثمانيين في البصرة وكاد الامر أن يتم لهم لولا تأييد الاعراب لحسين باشا.[280]

واتصف حكم آل افراسياب بتشجيع الحركة العلمية والادبية وبالتساهل الديني والعنصري. فقد شبه المعاصرون بلاطهم ببلاط هرون الرشيد في الرفاهية وطلب العلم والآداب والشعر. والف عالم فلكي بامر من حسين باشا كتابا في الفلك كما الف له عالم آخر كتابا في الجغرافية سماه «بلوغ الافهام في معرفة اقسام العالم» بالاضافة الى العديد من الرسائل الادبية والقصائد الشعرية. كذلك رحب الامراء بالتجار الاجانب وشملوا بحمايتهم الاقليات الدينية والعنصرية التي قصدت البصرة للاشتراك بتجارتها المنتعشة وسمح لهم باقامة شعائرهم الدينية.[281]

الحكم العثماني المباشر في البصرة ١٠٧٨/١٦٦٨ــ١١١٦/١٧٠٤

عين الباب العالي يحيى باشا صهر حسين باشا واليا اولا على البصرة. ووجد يحيى نفسه مكبلا في اعماله له الولاية بالاسم ولكنه في الواقع مكبل اليدين لوجود دفتردار وقاضي وجيش عثماني مستقلين عنه ومنتقصين لسلطاته. وتوترت العلاقات بينه وبين هؤلاء فاختفى هذا الوالي ثم ظهر في الجانب الاخر من شط العرب حيث شرع بجمع الجموع وشراء الاعوان. ولما قوى شأنه هاجم البصرة ودخلها واخرج منها الدفتردار والقاضي ومن نجا من افراد الجيش العثماني. وحاول انتزاع القرنة الا ان والي بغداد ارسل اليها نجدة صدته عنها.[282]

وبدأ تجمع القوات العثمانية في بغداد بقيادة والي بغداد سلحدار قره مصطفى باشا (شوال ١٠٧٧/١٦٦٧ــذو الحجة ١٠٨١/١٦٧٧). وجاء لنجدة والي بغداد ولاة ديار بكر والموصل وشهرزور والرقة. وبدأ الزحف على البصرة في صفر ١٠٨٠/تموز ١٦٦٩ في اشد ايام العام حرارة. وانهارت معنويات يحيى باشا وفر الى الهند بدون قتال. ودخل الجيش العثماني البصرة ونصب رئيس الحجاب مصطفى باشا واليا عليها.[283]

ولكن مصطفى باشا لم يستطع حكم البصرة بسبب سوء وضعها المالي . فقد وجد ان واردات البصرة المالية قد انخفضت بشكل كبير . بحيث لم تعد كافية لسد نفقات الادارة والجند ودفع الخراج المقرر . فطالب مصطفى باشا حكومة باب العالي باعفاء البصرة من بعض الضرائب وبقبول استقالته .[٢٨٤] فارسل الباب العالي والي بغداد لدراسة الوضع المالي لولاية البصرة فوصلها في جمادي الثاني ١٠٨١/١٦٧٠ . واعيد تحرير دفاتر البصرة وحددت الاراضي ورسومها وضمنت الواردات حسب تقديرات جديدة وارسل الوالي تقريرا بذلك الى استامبول . واقر الباب العالي التنظيمات الجديدة وكلف والي بغداد بادارة البصرة واعفاه من ولاية بغداد . وحكم مصطفى باشا البصرة حتى وفاته (ذو الحجة ١٠٨١/١٦٧١ — م١٠٨٣/١٦٧٢) فخلفه عليها والي الموصل حسن باشا الجلبي[٢٨٥] .

وتوالى على حكم البصرة عدد من الولاة لم يوفق احد منهم في تثبيت الحكم العثماني فيها او نشر الهدوء والاستقرار . وبقيت عشائر المنتفق والجزائر وغيرها مصدر ازعاج مستمر للولاة . وتمكن الثوار عام ١٠٠٠/١٦٨٨ من قتل الوالي احمد باشا ابن عثمان باشا كما قتلوا كتخداه فخلفه امير الامراء حسين باشا (الكتخدا حسين آغا) عام ١١٠٣/١٦٩٢ . ونهب الثوار معسكرات الجيش العثماني عام ١١٠٤/١٦٩٢ فاضطرت الدولة العثمانية الى ارضاء مانع شيخ المنتفق ليسمح للوالي خليل باشا باستلام منصبه . ولكن مالبث مانع ان لبى نداء اهل البصرة الذين اختلفوا مع واليهم خليل باشا . ودخل مانع البصرة وحكمها ثلاث سنوات (١١٠٦/١٦٩٤ — ١١٠٩/١٦٩٧)[٢٨٦] .

واغتنم الفرصة امير الحويزة فرج الله خان ليستولي على البصرة . والحق هزيمة كبيرة بمانع واحتل البصرة باسم السلطان العثماني وعين عليها داود خان نائباً عنه . ومع ان فرج الله استأذن والي بغداد باحتلال البصرة باسم السلطان العثماني فانه بادر الى إرسال مفاتيح البصرة الى الشاه الصفوي . ورفض الشاه ان يدخل في نزاع مع السلطان حول البصرة فاعاد المفاتيح الى والي بغداد . ولكن

البصرة بقيت رغم ذلك تحت حكم امير الحويزة الايراني الشيعي لمدة ثلاثة اعوام (١١٠٩/١٦٩٧ - ١١١٢/١٨٠٠) . [٢٨٧]

وشرع والي بغداد اوائل ١١١٢/١٧٠٠ باعداد حملة لاستعادة البصرة مؤيدا من قبل الولاة المجاورين وبثمانية عشر ارطة انكشارية واسطول نهري ومدفعية . وبدأ الزحف في رجب/ كانون اول فاحتل الجيش القرنة في رمضان/ شباط ١٧٠١ . وانسحب داود خان نائب امير الحويزة من البصرة التي عادت عثمانية مرة اخرى . ولكن مغامس بن مانع امير المنتفق انتزعها ثانية من واليها العثماني عام ١١١٧/١٧٠٥ فاخرجه منها والي بغداد حسن باشا (١١١٦/١٧٠٤- ١١٣٥/١٧٢٢) الذي دخل البصرة في آخر رمضان ١١٢٠ كانون اول ١٧٠٨. وضمت البصرة بعد ذلك الى ولاية بغداد الذي ارسل اليها متسلما حكمها نيابة عنه [٢٨٨] .

واتصف الحكم العربي الثاني للبصرة، اي حكم مانع وابنه مغامس، باستقرار اكثر من استقرار الحكم العثماني. فقد ابقى مغامس القاضي العثماني في مركزه فلم يتعرض لاعماله ولا لحد من صلاحياته. ولما مثل بين يديه ربان هولندي في السابع من تشرين الثاني ١٧٠٥ (٢٢ رجب ١١١٧) مهنئاً وملتمسا توقيع اتفاقية بين الحكومة الهولندية والعرب لرعاية المصالح الهولندية وافق «الفقير مغامس بن مانع» على اسقاط الجزية والخراج عنهم واودع قراره الى القاضي سليمان لتصديقه. كذلك اهتم البدوي مغامس بترقية احوال البصرة الثقافية فبنى مدرسة داخلية مجانية وشمل الاباء الكرمليين برعايته [٢٧٩] .

علاقات البصرة مع جيرانها

لم ترتح البصرة خلال هذين القرنين من ازعاج جيرانها العرب والعجم . فقد حاول الشاه اكثر من مرة ضمها الى امبراطوريته او القضاء عليها كمنافس خطر

لموانيء بلاده . وشجع الشاه امير الحويزة والعربان على ازعاج البصرة وتهديد امنها الداخلي والخارجي وتعريض مواصلاتها للانقطاع . وساعدت الطبيعة القاسية اعداء البصرة . فقد كثرت المستنقعات والاهوار واستطاعت اية جماعة ان تتخذها مركزاً للاخلال بالامن . ولعل اكثر جيران البصرة ازعاجا لها هم امير الحويزة الايراني وآل عليان في الجزائر وقبيلة طيّ وشيخ خزعل وقبائل بني لام وشمر وقشعم والمنتفق .

الحويزة

كان مانع امير الحويزة الشيعي من بين الامراء الذين سارعوا الى تقديم ولائهم الى السلطان سليمان القانوني الذي اقره في منصبه . وفشلت محاولات العثمانيين في عامي ٩٦١/١٥٥٤ و٩٩٢/١٥٨٤ لاحتلال الحويزة . وبقي امير الحويزة متقلب الولاء بين السلطان والشاه بينما سيطر اعوانه على شط العرب بحيث لم يتح لسفينة ان تمر بشط العرب الا بعد ان تدفع ضريبة لوكيل امير الحويزة في القبان .

وتمكن افراسياب من اضعاف نفوذ مبارك بن عبد المطلب امير الحويزة وانتزاع القبان منه . ووقف امير الحويزة منصور موقفا محايدا من محاولات امام قولي خان لانتزاع البصرة من آل افراسياب . واعتبر قولي خان هذا الموقف عدائيا فارسل حملة اخرجت منصور من الحويزة ونصبت عليها محمد بن مبارك . ولجأ منصور الى حليفه امير البصرة الذي اقطعه ارضا مجاورة لحدود الحويزة وتوفى منصور في المنفى عام ١٠٥٣/١٦٤٣ [٢٩٠] .

وضعف نفوذ الحويزة اواخر القرن ١١/١٧ . فقد ازداد ضغط القبائل العربية عليها وغزاها بنولام والبومحمد وبنو كعب ، واستطاع بنو كعب انتزاع القبان من الحويزة [٢٩١] . ولكن بقي لامراء الحويزة من القوة ما مكن

اميرها فرج الله خان من احتلال البصرة وحكمها ثلاث سنوات (١١٠٩/ ١٦٩٧ – ١١١٢/١٧٠٠).

آل عليان في الجزائر

وسيطر آل عليان، حكام الجزائر، خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر على الملاحة في شط العرب. ومع ان العثمانيين استطاعوا عام ٩٥٦/١٥٤٩ احتلال المدينة عاصمة الجزائر الا انهم عجزوا عن القضاء على نشاطهم، كذلك فشلت محاولتان عثمانيتان أخريان في عامي ٩٦١/١٥٥٤ و ٩٧٥/١٥٦٧. ولكن آل افراسياب استطاعوا ان يحققوا السلام مع آل عليان كما حققوه مع الحويزة (٢٩٢).

طيء

وسيطرت طيء على بادية الشام بزعامة الامراء من آل ابي ريشة فخذ آل مرة الذين جعلوا عانة على الفرات عاصمة لهم. وامتدت ديرة طيء من هيت الى بيرة جك (٢٩٣).

كان اول من اشتهر من امرائهم الامير ظاهر ابو مدلج بن عساف الذي قتل عام ٩٤٥/١٥٣٨ فخلفه قاتله الامير احمد آل حياد. وخلف احمد ابنه شديد الذي لعب دوراً بارزاً في فتنة ابن الطويل في بغداد. ووعد شديد بتقديم المساعدة لنصوح باشا الذي خلع عليه عام ١٠١٥/١٦٠٦، ولكنه نكث بوعده وايد الثائر ضد العثمانيين. ثم انقلب ثانية فايد حملة محمود باشا التي نجحت في مهمتها. وقتل شديد بن احمد عام ١٠١٨/١٦٠٩ على يد ابن عمه مدلج بن ظاهر الذي انتقم بذلك لمقتل ابيه. وفر حسين بن فياض الحيادي الى حلب مستنجدا بواليها مراد باشا ولكن مدلج دفع للباشا خمسا وعشرين غرشا فأمر

الباشا بخنق حسين . وقتل مدلج عام ١٩١٠/١٠٤٠ فنصب خسرو باشا خلفاًله سعيد بن فياض الحيادي الذي لم يحكم طويلا (٢٩٤) .

وانشأ الامير خالد العجاج ابو ريشة علاقات قوية مع بكتاش خان نائب الشاه في بغداد . وسيطر خالد على الصحراء الشمالية وخضع للشاه ولكن اغتاله احد مماليكه عام ١٦٤٤/١٠٥٤ . وخلفه في الامارة ابنه عساف الذي نجا باعجوبة بعد فترة قصيرة من محاولة قام بها والي حلب ابراهيم باشا سلحدار لاغتياله (٢٩٥) .

خزعل

والخزاعلة عرب من طي ورد اسمهم لاول مرة في تاريخ العراق زمن الفتح الايراني الثاني لبغداد . واظهر زعيمهم مهنا العصيان على السلطان ومال الى الايرانيين وقطع الطريق . واختفى اسمهم بعد عودة الحكم العثماني . وعادوا الى البروز مرة ثانية اوائل القرن الثاني عشر / الثامن عشر . وظهر منهم عام ١٧٠٠/١١١٣ زعيم يدعى الشيخ سلمان بن عباس الذي احبط محاولات ولاة بغداد العديدة لاخضاعه . وجرد والي بغداد مصطفى باشا (١٦٩٩/١١١١ — ١٧٠٢/١١١٤) حملة ضده في رجب ١٧٠١/١١١٣ بمساعدة ولاة ديار بكر وشهرزور مما يدل على اهمية ثورة شيخ خزعل . وجابه سلمان الحملة باربعين الفا من العربان . وانهزم الشيخ سلمان ولكنه ثار في العام التالي ، واخيرا تدخل الشيخ عباس والد سلمان لاقرار السلم ، وقدم سلمان وابوه الرهائن. وازدادت قوة سلمان وصاهر قبائل عربية عديدة وثار ثانية ولكنه انهزم ولجأ الى شيخ المنتفق عام ١٧٠٥/١١١٧ واختفى اسم خزعل من الروايات التاريخية مرة اخرى ليعود الى الظهور بعد نصف قرن . (٢٩٦)

بنو لام

قبيلة من طي نزحت الى جنوب العراق وامتد سلطانها من القرنة الى الشاطىء

الشرقي من نهر ديالي ثم تقاصت وانحسرت عن العمارة . واستطاعت ان تسيطر زمناً طويلا على الطريق بين بغداد والبصرة متحدية سلطات بغداد والبصرة. وساعدها موقعها الجغرافي على الاستفادة من النزاع العثماني الايراني . وكلما ازداد الضغط العثماني عليها استعانت بالشاه او بامير الحويزة او لجأت الى الاراضي الايرانية (٢٩٧) . وبرز اواخر القرن الحادي عشر/السابع عشر اسم شيخها عبد الشاه الذي جرد ضده والي بغداد حملة عام ١١١٦/١٧٠٤ . ولكن هذه الحملة والحملات العديدة التي تلتها لم يكن لها قيمة عملية واستمر بنو لام خلال القرن الثاني عشر/الثامن عشر مصدر ازعاج لوالي بغداد . (٢٩٨)

شمر

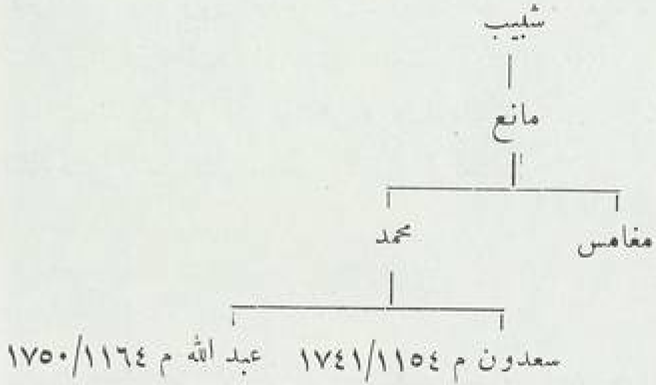
اهم عشائر طي القحطانية . هاجر قسم منهم من نجد حوالي عام ١٠٥٠/ ١٦٤٠ بقيادة الشيخ فارس فخربوا تدمر واخضعوا القبائل الصغيرة واشتبكوا مع الموالي اكثر من عشرين سنة فاجلوهم عن ديرة حمص . ولكن عنزة دفعت شمر الى العراق . وعقد زعيم شمر غانم الحسان اتفاقاً مع شيخ خزعل عام ١١١٨/١٧٠٦ لخلق المشاكل لوالي بغداد. وازدادت مشاكل شمر خلال القرن الثاني عشر/الثامن عشر (٢٩٩)

قشعم

نزحت هذه القبيلة من نجد وسيطرت على الطريق بين بغداد والبصرة . وساق والي بغداد حملة ضد هذه القبيلة تمهيدا للحملة التي اخضعت البصرة للحكم العثماني عام ٩٥٣/١٥٤٦ . وازداد نفوذ قشعم في القرن التالي اذ سيطر زعيمهم ناصر بن مهنا على المنطقة الواقعة بين النجف والفالوجة وجبى الخاوة من الفلاحين

وفرض اتاوات على القوافل والمسافرين (٣٠٠) . وقد ذكره اثنان من الرحالة الافرنج في عامي ١٠١٣/١٦٠٤ و ١٠٢٥/١٦١٦ (٣٠١).

ولاية المنتفق



والمنتفق اكبر مجموعة قبلية واقواها واكثرها ازعاجاللولاة واشدهاخطرا عليهم . وازداد نشاطها اوائل القرن ١٢/١٨ حينما استولى زعيمها على البصرة وحكمها ثلاث سنوات الى ان اخرجه منها امير الحويزة . وكثرت حوادث المنتفق وثوراتها في الدور الثاني من تاريخ بغداد والبصرة (٣٠٢)

ولاية الموصل

كانت الموصل في اوائل العهد العثماني بلدة صغيرة مسورة لم تكن حسنة العمران ولاتحتفظ الا ببقية من شهرتها التجارية القديمة . وإن بقي لقافلة الموصل ـ حلب بعض الاهمية (٣٠٣) .

ولا يعرف الكثير عن احوال الموصل الداخلية غير عدم استقرار احوال حكومتها . فقد تقلب عليها عدد كبير من الولاة بمعدل وال واحد كل عام ،

الا ان بعضهم حكم اقل من ذلك او اكثر . ولم تتجاوز قوة الموصل العسكرية الثلاثة الاف . وتحملت هذه القوة مهمة اخضاع القبائل الكردية والعربية بالاضافة الى الاشتراك في كل حملة تأديبية كبيرة يقودها والي بغداد. واشترك ولاة الموصل باربع حملات على البصرة وواحدة ضد شيخ خزعل واشتركوا اكثر من مرة في انقاذ بغداد من خطر الفيضان (٣٠٤)

ولاية شهرزور

هي اول ولاية عراقية خضعت للعثمانيين . واقام الوالي العثماني في كركوك ولم يتجاوزها نفوذه بينما سيطر الاقطاعيون والقبائل على باقي الولاية. وكان بود الوالي ان يكتفي بالطاعة الاسمية وبالقليل من الميري وان يتغاضى عن بعض التمرد والاعتداءات البسيطة، الا ان الاكراد امراء وقبائل لم يكتفوا بالقليل من الازعاج بل اجبروا السلطات العثمانية على تجريد حملات تأديبية ضدهم . ولم يكن بمقدور والي شهرزور ان ينظم هذه الحملات بل استعان دوما بوالي بغداد واصبح عالة عليه .

وكانت اكثر القبائل الكردية ازعاجاً هي الغرير والشهوان والبلباس والجاف . وكثيراً ما اعتدت الغرير والشهوان على المنطقة الواقعة بين كركوك والموصل وقطعت المواصلات بين المدينتين« ولم يدعوا قرية عامرة الا خربوها . »وسببت البلباس للدولة مشاكل عديدة بسبب تعديها على حدود ايران . اما عشائر الجاف فقد وصلت في تعديها الى اطراف بغداد (٥٠٣).

ولم يحاول الولاة في حملاتهم التأديبية وضع حد لهذه الاعتداءات . فكانت حملاتهم اعتداءات معاكسة تتصف بطابع مماثل لاعتداءات القبائل . وارتكب الولاة في غزواتهم المضادة الكثير من اعمال القتل والنهب والسلب والاعتداء على الاعراض وحرق المدن والقرى وقطع الاشجار واتلاف الثروة العامة .

ورغم مقدرة الوالي على تجريد قوة عسكرية كافية للانتقام الا انه لم يحاول ولم يستطع تأديب اي من هذه القبائل فاكتفى بحملات عقيمة اجرامية كانما هو شيخ قبيلة كبيرة لا يمثل دولة مهمتها حماية امن المواطنين .

وانقسمت الولاية الى عدد كبير من الامارات الكردية الصغيرة كالامارات الاردلانية والعمادية (بهدينان) والحكارية واليوتان بهتان وصوران وشيخان.

الامارة الاردلانية :

سيطرت العائلة الاردلانية على الاراضي الواقعة بين الزاب الصغير والزاب الكبير . وكان الامير الاردلاني موالياً للشاه الصفوي الى ان افتتح السلطان سليم بغداد . وقصد الامير الاردلاني بغداد وقدم ولاءه للسلطان ووضع ابنه مأمون رهينة لدى والي بغداد. وخلف مأمون اباه الا انه لم يرض العثمانيين فحرضوا عليه امير العمادية حسن عام ١٥٣٨/٩٤٥ الذي اسر مأمون وارسله الى استانبول وثار سرخاب ابن عم مأمون واستنجد بالشاه واستعاد امارته . واخلي سبيل مأمون وصدرت اوامر الى والي حلب باعادته بالقوة الى امارته والقضاء على سرخاب. ولكن الحملة فشلت عسكرياً بينما نجح والي بغداد في اقناع سرخاب بالاستسلام عام ١٥٥٤/٩٦١ [٣٠٦] .

وخلف مأمون ابنه محمد الذي نقل اليها من الحلة . وحاول محمد توسيع امارته فاثار غضب السلطات العثمانية التي جردت ضده حملة عسكرية عام ٩٦٩/ ١٥٦٢ حاصرت مأمون في قلعة زلم . وتوفي كل من محمد بن مأمون وقائد الحملة العثمانية اثناء الحصار . ولكن الجيش العثماني اتم احتلال الامارة ونصب علي بن سرخاب اميراً . وتوفي سرخاب بعد عام واحد فتنازع الامارة ابنه تيمورخان وابن اخيه بساط بك . وايد العثمانيون الاول الذي اصبح والياً على شهرزور عام ١٥٨٠/٩٨٨ [٣٠٧] .

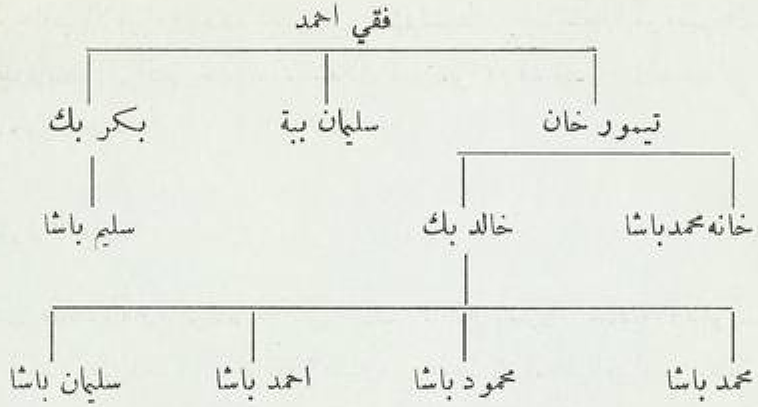
ولم يحافظ الامراء الاردلانيون على ولائهم للسلطان بل استغلوا موقعهم بين الامبراطوريتين الى اقصى حدود الاستغلال . وكانوا دوماً مصدر ازعاج لكل من الشاه والسلطان .

امارة العمادية

ضمت هذه الامارة الواقعة شمالي الزاب الكبير مدن العمادية ودهوك وزاخو وعدداً من القبائل الكردية الكبيرة . وحكم البلاد امراء من عائلة بهدينان (بحدينان) منذ القرن السابع للهجرة . اشتهر من بينهم اوائل القرن السادس عشر (العاشر هـ) الامير حسن الذي ضم دهوك وزاخو وتخلص من السيطرة الاردلانية ، وخضع للشاه في اول عهده ثم انضم الى السلطان سليم العثماني (٣٠٥) . ونشبت بعد وفاة حسن حرب اهلية بين اولاده فاستنجد ابنه بيرم بالشاه الذي نصبه في زاخو وتمركز قباد في دهوك بمساعدة السلطان وايدت قبائل المزوري ابن عمه سليمان الذي اصبح اميراً على العمادية وتغلب على قباد . الا ان السلطات العثمانية ايدت سيدي خان بن قباد وفرضته اميراً عام ١٥٨٥/٩٩٣ (٣٠٨) .

الامارة البابانية

كانت اكبر واقوى واهم الامارات الكردية في العراق . واتسعت هذه الامارة بحيث شملت كافة الاراضي من ديالي الى الزاب الصغير . أسس هذه الامارة فقي احمد في منتصف القرن السابع عشر ووسع ابناؤه حدودها ولكنهم اصطدموا مع والي شهرزور الذي استنجد بوالي بغداد . وجرد والي بغداد حملة على الامارة واعتقل اميرها بكر بك بن فقي احمد وقتله وقضي على الامارة موقتاً ولمدة ثمان سنوات (١٧١٤/١١٢٦ - ١٧٢١/١١٣٤) (٣٠٩) .



بغداد في الدور العثماني الثاني ١١١٦/١٧٠٣ — ١٢٤٦/١٨٣٠

حكم بغداد خلال هذا الدور حسن باشا وابنه احمد باشا ومماليكهما بالاضافة الى عدد ضئيل من الولاة العثمانيين الذين لم يستقر لهم امر .

كان والد حسن باشا سباهياً في جيش مراد الرابع . وتلقى حسن تدريبه في مدرسة البلاط ثم تدرج في مناصب الدولة الى ان اصبح وزيراً عام ١١٠٩/١٦٩٧ وولي قونية وحلب واورفه وديار بكر واخيراً نقل الى بغداد في ١٣ صفر ١١١٦/١٧٠٤ . وتزوج حسن باشا من عائشة خانم ابنة احد رجال الحاشية السلطانية فولدت له احمد وفاطمة وصفية . ولد احمد بن حسن عام ١٠٩٧/١٦٨٥ وعين عام ١١٢٨/١٧١٥ واليا بطوخين على ولاية شهرزور العراقية ثم نقل الى قونية فالبصرة التي تولاها مراراً . وتزوجت فاطمة من عبد الرحمن باشا والي كركوك عام ١١٣٥/١٧٢٢ اما صفية فتزوجت مصطفى باشا والي طرابزون[٣١٠] . ورزقت صفية ابنة سميت خديجة وزوجت من الكتخدا محمد باشا . ورزق احمد باشا بن حسن باشا بابنتين هما عادلة وعائشة . وزوجت الكبرى عادلة من المملوك الكتخدا سليمان عام ١١٤٥/١٧٣٢ الذي اشتهر باسم سليمان باشا ابي ليلة اول الولاة المماليك . وزوجت عائشة من المملوك احمد اغا عام ١١٦٠/١٧٤٧ ثم من المملوك عبد الله الذي اصبح الوالي عبد الله باشا[٣١١] . وقدر لمماليك

حسن باشا واصهاره ان يحكموا بغداد ضعف المدة التي حكمها هو وابنه .

جاء حسن باشا بغداد واحوال الولاية على غاية السوء . فقد سيطرت القبائل البدوية العربية على الطريق بين البصرة وبغداد كما سيطرت القبائل الكردية على الطريق الى الموصل وكركوك . وفي بغداد نفسها تحكم الجند باحوالها التي ساءت كما تعرضت البصرة لحكم شيخ المنتفق وامير الحويزة . وكان على حسن باشا ان يبدأ اعماله بالقضاء على فتن الجند واستعادة البصرة وتأديب القبائل المتمردة.

وقضى حسن باشا جزءاً من عهده الطويل بشن الغارات على العربان والاكراد يؤدبهم فيخضعون حتى اذا ما ابتعد عنهم عادوا الى الاخلال بامن الدولة بحيث لم تخل سنة من سني حكمه من ثورة او فتنة . ولم تترك القبائل العربية والكردية فرصة لازعاج الوالي او الخروج عليه الا اغتنمتها . وكأنما هذه القبائل لم تنظر الى الوالي كممثل لسلطان تجب طاعته بل اعتبروه رئيس قبيلة معادية قوية يخشى شرها ولا يؤمن جانبها ولا يوثق بعهدها . وايد الوالي (شيخ قبيلة الروم الاتراك) باعماله وتصرفاته هذه الفكرة اذ اتصف بالغدر والحقد والقسوة . وكان الشكل الرئيسي للعلاقات بين الوالي والقبائل هو ثورات هذه القبائل المتوالية وتجريد حملات عسكرية لتأديبها . وسلكت الحملات سلوك القبائل ولكن بقسوة اكثر . فنهبت مواشي القبيلة وعزلت شيخها او قتلته واجبرت القبيلة الثائرة على اعلان ولاء موقت وتقديم غرامة ورهائن [٣١٢] .

وامتاز القرن الثاني عشر/الثامن عشر بكثرة تنقلات القبائل واختلال الامن في البادية . ولم تتغير اسماء القبائل التي لعبت دوراً هاماً في هذا الدور عن اسماء قبائل الدور الماضي الا ان قبائل المنتفق بدأت تلعب الدور الرئيسي .

العلاقات مع ايران

وطغت احداث ايران في اهميتها ، اوائل هذا الدور ، على كل حدث آخر .

فقد استولى الامير الافغاني محمود بن اويس السني على اصبهان في ١٥ محرم ١١٣٥/ ٢١ تشرين اول/١٧٢٨ ووقع الشاه حسين (١١٠٦/١٦٩٤ - ١١٣٥/١٧٢٢) اسيراً بيده. واستغل الروس والعثمانيون الفرصة لاقتطاع اجزاء هامة من الامبراطوية الايرانية [٣١٣].

وكان الامير الافغاني اويس تابعاً لخان قندهار. وقندهار ولاية حدود تنازعها الشاه وامبراطور المغول في الهند واستقرت اوائل القرن بيد الشاه فعين عليها اميرا جورجيا يسمى جورجين خان. واقنع الخان مولاه الشاه بخطر اويس فاقر الشاه نفيه الى اصبهان حيث بقي زمناً تحت المراقبة. وتمكن اويس من الحصول على اذن بالحج الى مكة التي حصل فيها على فتوى توجب على السنيين الثورة على الحاكم الشيعي. وعفي عن اويس وعاد الى امارته عام ١١٢١/١٧٠٩ فابرز الفتوى واعلن الثورة وتغلب على جيوش جرجين. وتوفى اويس بعد ستة اعوام فخلفه اخوه عبد الله الذي خلع بعد ستة اشهر واستولى على الامارة محمود بن اويس [٣١٤].

ابدى اويس نشاطاً كبيراً في حرب الشيعيين [٣١٥]. فقد احتل كرمان عام ١١٣٣/١٧٢١ وهزم اوائل اذار ١٧٢٢ (جمادي ١١٣٤) جيش الشاه. وشرع محمود في حصار اصبهان التي استسلمت له في ١٥ محرم ١١٣٥/٢١ تشرين اول ١٧٢٢ ووقع الشاه حسين بيده اسيراً. ولكن طهاسب ابن الشاه حسين فر شمالاً وعقد معاهدة مع القيصر بطرس الاكبر في ٢٣ ايلول ١٧٢٣ (١٣ ذي الحجة ١١٢٥) تعهد بطرس بموجبها بمساعدته على استعادة ملكه مقابل تنازل الشاه عن بعض المقاطعات الشمالية. وشرعت الجيوش الروسية بالتوغل في ايران مخلة بشروط المعاهدة العثمانية الروسية المعقودة في ١٦ كانون الثاني ١٧٢٠ (ربيع اول ١١٣٢) [٣١٦].

وتردد الباب العالي اول الامر في اتخاذ الخطة المناسبة. فقد اعتبر العمل الروسي خرقاً للمعاهدة ولكنه لم يكن مستعدا لخوض حرب ضد روسيا. كما

ان انتهاء السيطرة الشيعية وقيام دولة سنية في ايران اثار مخاوف السلطان السني رغم ترحيبه بهذا النصر السني . وارسل والي بغداد سفيراً الى الامير محمود بن اويس الافغاني مهنئاً اياه بالفتح ومستطلعاً احواله . واعلن محمود بن اويس انه سني ومطيع لخليفة المسلمين امير المؤمنين . وعاد السفير ليخبر سيده بان ايران فريسة سهل اقتناصها ، فارسل والي بغداد الى الباب العالي مرغباً اياه باغتنام الفرصة (٣١٧) .

وكان الصدر الاعظم الداماد ابراهيم باشا رجلا مسالماً لايريد الحرب ويحاول تجنبها . بدأ ابراهيم حياته حلوجيا في السراي ثم كاتبا في الحريم السلطاني حيث تعرف على الامير احمد الذي اصبح فيما بعد السلطان احمد الثالث (١١١٥/١٧٠٣ - ١١٤٣/١٧٣٠) . وشغل ابراهيم اوائل عهد السلطان احمد منصب امين سر رئيس الحصيان ، ثم صحب الصدر الاعظم الداماد علي باشا (١١٢٥/١٧١٢ -- ١١٢٩/ آب ١٧١٧)في حملته المجرية (١١٢٨/ آب ١٧١٦) وتولى ابلاغ السلطان اخبار الكارثة التي اصابت الحملة . واسند اليه منصب قائمقام الصدارة (١٦ شوال ١١٢٨/٣ تشرين اول ١٧١٦) فنصح بعقد الصلح ، ولكن رفضت نصيحته واسند منصب الصدارة الى خليل باشا الذي هزم بدوره في صيف ١١٢٩/١٧١٧ . واسند منصب الصدارة الى ابراهيم باشا في ٨ جمادي الثاني ١١٣٠/ايار ١٧١٨ الذي كان قد اصبح دامادا بزواجه من فاطمة ابنة السلطان احمد في ٦ ربيع اول ١١٢٩/١٨ شباط ١٧١٧ .(٣١٨)

شغل الداماد ابراهيم منصب الصدارة اكثر من اثني عشر عاما (١١٢٩/١٧١٦ ربيع اول ١١٤٣/تشرين اول ١٧٣٠) . وكان بامكانه ان يصلح جهاز الحكم والجيش ولكنه لم يفعل بل « اخل باصول الدولة القديمة ونظامها ولم يصرف افكاره الا الى الاسراف والسفه وكان يعد الكلام في امور العسكر والحرب من قبيل الكفر .. ووجه همته الى الترف المدني وفروعه الباطلة وترك المحافظة على الامر الاهم وهو مايتعلق بالنظامات العسكرية والادارة الملكية .. » واتبع

سياسة سلمية نحو روسيا والنمسا وايران معتقداً ان حالة الجيش والاسطول لاتسمح بخوض اي حرب اوروبية وأن الحرب مع ايران كثيرة التكاليف قليلة الفوائد.[319]

وسعى الداماد ابراهيم باشا الى تسوية العلاقات مع روسيا وضمان الاوضاع القائمة في بولونيا وايران. وعقد مع القيصر بطرس معاهدة تبودلت وثائق ابرامها في ١٦ تشرين الثاني ١٧٢٠ (١٤ محرم ١١٣٣) ونصت على احترام استقلال وحدود ايران وبولونيا. ولذا كانت احداث ايران والخرق الروسي للمعاهدة بمثابة صدمة لابراهيم باشا. وتعرض ابراهيم لضغط شديد من الرأي العام، واغتنم العلماء ورجال الانكشارية الفرصة للضغط على ابراهيم باشا واحراج مركزه والطعن بسياسته.[320]

واضطر ابراهيم باشا الى الخضوع لضغط الرأي العام فاصدر اوامره الى والي بغداد حسن باشا بدخول الحرب. وزحف حسن باشا على الاراضي الايرانية التي لم تكن قد سقطت بايدي الافغانيين فاحتل كرمنشاه واغارت جنوده على لورستان واطراف همدان فعاثت في البلاد ونهبت وخربت القرى وارتكبت الكثير من الاعمال الوحشية. وساعد حسن باشا في حملته ابنه احمد باشا والي البصرة وصهره عبد الرحمن باشا والي شهرزور. وقضى حسن باشا فصل الشتاء في كرمنشاه املا باستئناف الزحف في الربيع ولكنه توفي قبل الوصول الى هدفه في جمادي الاخر ١٧٢٣/١١٣٦ فناب عنه في قيادة الجيش صهره عبد الرحمن باشا.[321]

وصدرت الاوامر بتعيين احمد باشا بن حسن باشا والياً على بغداد وقائدا عاما للحملة بينما نقل عبد الرحمن باشا الى البصرة وعين قره مصطفى باشا على شهرزور. وباشر احمد باشا اعماله في ٢١ رمضان. وبدأ زحفه على همدان في السابع من شوال فاحتلها بعد حصار دام ثلاثة ايام. وعين قره مصطفى باشا واليا على همدان فخلفه في شهرزور عثمان باشا دفتردار بغداد. وبدأ الامير

الافغاني يبث دعاية خطرة بين الجند العثماني منددا بهذه الحرب العقيمة بين المسلمين السنيين محتجاً على أهدار دم المسلمين بدون مبرر .(٣٢٢)

وتوفي الامير محمود فخلفه ابن عمه اشرف خان ابن عبد العزيز في رجب ١١٣٧/نيسان ١٧٢٥ . وارسل اشرف الى السلطان مطالباً اياه بسحب جيوشه من ايران مناقشاً قضية تعدد الائمة مثبتاً جواز ذلك ومدعيا نسباً قرشياً يؤهله للامامة اكثر من السلطان . ولكن شيخ الاسلام والعلماء في استانبول حرضوا على الاستمرار بالقتال استناداً الى الحديث الشريف القائل « اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الثاني منهما » . وفشل الجيش العثماني في الحصول على نصر في ميدان القتال وان استطاع احتلال بعض الاراضي . وجنح الطرفان الى السلم وعقد الصلح بعد ان تبينا عقم هذا القتال . وتنازل الافغاني عن كرمنشاه وهمدان واعترف بسلطة الخليفة الروحية .(٣٢٣)

وشغل الامير الافغاني ووالي بغداد بمشاكلهما الداخلية . فقد جابهت احمد باشا ثورات القبائل العديدة وفتن شهرزور والحويزة ، بينما كان الامير الافغاني يتعرض لخطر كبير على يد طهماسب بن الشاه حسين . واشتد ساعد طهماسب بعد ان قاد جنده نادرخان ، فاحتل اصبهان وطرد الافغان من ايران عام ١٧٢٩/١١٤٢ . وزحف نادرخان على كرمنشاه وهمدان فهزم حاميتها العثمانية واحتلها . وارسل الشاه سفيرا الى استانبول مطالباً الباب العالي باعادة الولايات الايرانية التي احتلتها الدولة العثمانية .(٣٢٤)

وتردد ابراهيم باشا مرة اخرى في اتخاذ اجراء حاسم ، بينما نشط اعداؤه والعلماء والجند للعمل . وحدث في ليلة الخميس ٢٨ ايلول ١٧٣٠ (ربيع اول ١١٤٣) ان رفع الباني يدعى باترونا (وهو بائع ثياب قديمة) علما وتجمع حوله افراد قلائل ودعا للجهاد . وانضم الى باترونا الجند الانكشاري وفتحت السجون وخضع السلطان للامر الواقع . وسلم السلطان للثوار جثث وزرائه الخمس ولكن الثوار لم يكتفوا بذلك بل ارغموه على التنازل لابن اخيه محمود

الاول في الثالث من تشرين الاول ١٧٣٠ (ربيع اول ١١٤٣) ، وتوفي السلطان احمد معزولا عام ١١٤٩/١٧٣٥ . (٣٢٥)

وامر السلطان الجديد باستئناف القتال مع الايرانيين . وزحف والي بغداد احمد باشا على كرمنشاه اوائل ١١٤٤/١٧٣١ فاحتلها والحق هزيمة كبيرة بجيش الشاه في السادس عشر من ايلول (منتصف ربيع اول) فخسر الشاه نصف جيشه واكثر مدفعيته . وعقد صلح في العاشر من كانون الثاني ١٧٣٢ (رجب ١١٤٤) استعاد الشاه بموجبه جميع الولايات التي انتزعها العثمانيون باستثناء جورجيا وارمينيا . (٣٢٦)

ورفض نادرخان الاعتراف بهذا الصلح وعاد الى اصبهان في الخامس من ربيع الاول ١١٤٥/تشرين الثاني ١٧٣٢ وخلع الشاه واجلس ابنه عباس ميرزا البالغ من العمر اربعين يوماً شاها باسم عباس الثالث ، ونصب نادرخان نفسه وصياً على الشاه . وزحف نادرخان على بغداد وحاصرها من ٢٤ رجب ١١٤٥/١٧٣٣ الى ٧ صفر ١١٤٦/١٩ تموز ١٧٣٣ . وساءت الاحوال في بغداد بسبب الحصار وبدأت المجاعة ولكن المدافعين صمدوا . واخيرا وصل طوبال عثمان باشا على رأس جيش كبير لانقاذ بغداد واجبر نادرخان على التراجع مدحوراً . (٣٢٧)

اعاد نادرخان تنظيم جيشه لاستئناف القتال . وزحف على كركوك مقر قيادة طوبال عثمان باشا فسحق الجيش العثماني وقتل قائده في المعركة التي نشبت في ٢٦ تشرين اول ١٧٣٣ (جمادي الاول ١١٤٦) . وضرب نادرخان حصاراً ثانيا على بغداد لمدة عشرين يوماً ، الا ان نشوب ثورة في ايران اجبرت نادرخان على عقد صلح والتراجع في رجب / كانون اول (٣٢٨) .

ورفض الباب العالي قبول الصلح واصر على استئناف القتال . فاستبدل احمد باشا بوال جديد هو اسماعيل باشا . واعد العثمانيون جيشاً كبيراً في شرق الاناضول عهد بقيادته الى عبد الله باشا كوبرولو . وكان نادر خان قد اخمد الفتنة التي نشبت في بلاده واستعاد المقاطعات الايرانية التي كانت بيد الروس ثم

تفرغ للعثمانيين . والحق نادر خان بالعثمانيين هزيمة ساحقة بالقرب من اريوان. وتوفي اثناء ذلك الشاه الطفل فاعلن نادر نفسه شاها في ٢٤ شوال ١١٤٧ / ٢١ آذار ١٧٣٦. وعهد الباب العالي الى احمد باشابقيادة الجيش وفوض بعقدالصلح فنجح في مهمته في جمادي الآخر ١١٤٩/١٧ تشرين اول ١٧٣٦ . (٣٢٩)

وكانت الامبراطورية العثمانية قد شغلت اذ ذاك بحرب اوروبية ضدالنمسا وروسيا . وانهت النمسا حربها مع فرنسا لتتفرغ لحرب العثمانيين . وبالرغم من الانتصارات الروسية العديدة التي اكسبتهم ازوف موقتاً ، فان الحرب انتهت بنصر عثماني كبير . وعقد الصلح في ايلول ١٧٣٩ (جمادي الاول ١١٥٢) وتنازلت النمسا عن بلغراد وصربيا وتعهدت روسيا بالاتقيم تحصينات على شواطىء البحر الاسود ولا ترسل الى مياهه سفنا حربية (٣٣٠)

كذلك شغل نادر شاه بحملته على الهند (١١٥١/١٧٣٨-١١٥٣/١٧٤٠). وحاز نادر شاه نصراً كبيراً على امبراطور المغول الهندي في ذي القعدة ١١٥١/ شباط ١٧٣٩ واحتل دلهي ونهبها وعرضها لمذبحة كبيرة ، ثم انسحب من الهند بعد ان حصل غرامة حربية مقدارها مائة مليون جنيه . وقصد بعد ذلك بلاد التركستان فاستولى على بخارا في شعبان ١١٥٢/٢٨ تشرين ثاني ١٧٣٩ ، ثم عاد الى اصبهان ليفقأ عيني ابنه بتهمة التآمر . (٣٣١)

وشعر نادر شاه ووالي بغداد بأن لاشيء يشغلها عن الحرب بعد انصفى كل منها مشاكله الرئيسية . وزحف نادر شاه على جبهة واسعة في ربيع ١١٥٦/ ١٧٤٣ فحاصر الموصل وبغداد والبصرة . وصمدت جميع هذه المدن للحصار فاضطر الشاه الى فك الحصار والانسحاب لاخماد ثورة القاجار . وعاود الكرة في العام التالي فهاجم شرق الاناضول وتغلب على جيش عثماني بقيادة الصدر السابق محمد باشا اوائل ١١٥٨/١٧٤٥ . واخيراً جنح الطرفان الى الصلح الذي تم عقده عام ١١٦٠/١٧٤٧ . وبعد فترة قصيرة انتهت حياة نادر شاه واحمد باشا . اذ

اغتيل الاول في ١١ جمادي الثاني ١١٦٠/٢٣ حزيران ١٧٤٧ بينما توفي احمد باشا في ١٤ شوال/٢٢ تشرين اول من العام نفسه.[٣٣٢]

وسادت ايران الفوضى بعد مقتل نادر شاه الى ان استتب الامر لكريم خان الزندي. وحكم كريم خان اكثر ايران كوكيل عن شاه ايران الصفوي اثنين وعشرين عاماً (١١٧٠/١٧٥٧ - ١١٩٣/١٧٧٩). واتبع كريم خان سياسة حسن جوار مع العراق اكثر عهده. بل وفعل اكثر من ذلك حينما قدم مساعدات عسكرية لوالي بغداد في حملته على بني كعب. ولم تتوتر العلاقات الا بعد رفض والي بغداد عمر باشا لوساطة كريم خان بالعفو عن محمد باشا البابان عام ١١٧٨/١٧٧٣[٣٣٣]

نظم كريم خان عدة حملات عسكرية ضد العراق. فقد ارسل حملة لاعادة محمد باشا البابان بالقوة الى امارته ولكن العثمانيين هزموها واسروا قائدها واعادوه مكرما الى ايران. واعد كريم خان ثلاثة جيوش اخرى ضد العراق فارسل جيشاً كبيراً بقيادة اخيه صادق خان ضد البصرة ففرض عليها حصاراً في محرم ١١٨٩/ آذار ١١٨٩. وتوجه جيشان نحو المناطق الكردية فنهبا القرى والعشائر. وحاول والي بغداد اصلاح الامر باعادة محمد باشا الى امارته ولكن الزحف الايراني لم يتوقف[٣٣٤]

ورأى الوالي نفسه عاجزاً عن حماية العراق فاستنجد بالباب العالي وارسل الباب العالي مندوباً الى كريم خان لانهاء الخلاف بصورة ودية ولكن كريم خان كان قد صمم على الحرب. وما ان فرغ الباب العالي من حربه الفاشلة مع روسيا التي انتهت بصلح كجك كاينارجه، حتى بادر بارسال قوة بقيادة والي الرقة مصطفى باشا الاسبناقجي يساعده سليمان باشا الجليلي والي الموصل واوزن عبد الله باشا والي ديار بكر. ولكن ما ان وصلت الحملة بغداد حتى اعلن مصطفى باشا انه يحمل تعليمات بعزل والي بغداد عمر باشا فامتثل عمر باشا للامر

واستسلم فقتل غيلة . ولكن قتل عمر باشا لم ينقذ البصرة ، التي سقطت بيد الايرانيين .

وبادر الباب العالي الى عزل مصطفى باشا واعدامه وتعيين عبدي باشا والياً . ولكن ولاية عبدي لم تدم الا اسبوعاً واليا ثم وجه المنصب الى احد المماليك ، الى عبد الله كتخدا عمر باشا ، كما اسندت ولاية شهرزور والموصل الى المملوك حسن باشا وكاف المملوكان بحرب كريم خان واستعادة البصرة . (٣٣٥)

وفشل عبد الله باشا وحسن باشا في القيام بالمهمة الموكلة اليهم . فقد توفي عبد الله باشا عام ١١٩٢/١٧٧٦ دون ان يقوم بأي عمل . وحاول حسن باشا القيام بعمل حربي فأرسل جيشاً ثانياً بقيادة احمد باشا البابانى الذي انقلب على العثمانيين وانضم الى الايرانيين واجبر اخاه محمد باشا على التراجع واستولى على الامارة البابانية . وحاول محمد باشا بمساعدة متصرف كويسنجق تيمور باشا اخراج احمد باشا من الامارة البابانية ولكنهما فشلا ووقعا اسيرين بيد احمد باشا الذي سمل عيني الاول وقتل الثاني . واضطر حسن باشا الى الاعتراف باحمد باشا اميراً على كويسنجق وحريروبابان . (٣٣٦)

ولم ينقذ البصرة والعراق الا وفاة كريم خان في ٢ آذار ١٧٧٩ (١٢ صفر ١١٨٩) . وانسحب الجيش الايراني من البصرة ليلعب قادته دورهم في الحرب الاهلية التي نشبت في ايران اثر وفاة كريم خان . وانتهت الحرب الاهلية في ايران عام ١٢١١/١٧٩٦ باستيلاء اغا محمد خان القاجاري على الحكم وتأسيسه عائلة حاكمة حكمت ايران قرابة قرن وربع . ولم يحدث مايعكر صفو العلاقات بين ايران والعراق طوال العشرين سنة الاخيرة من القرن الثامن عشر ، واستمر الهدوء والاستقرار في العلاقات الى ان نهب الوهابيون كربلاء عام ١٢١٦/١٨٠١ . (٣٣٧)

وامتنعت الحكومة الايرانية عن التدخل في شئون الامارة البابانية اكثر

من ربع قرن . ورفض الشاه مساعدة محمود باشا البابان الذي استنجد به عام ١١٩٧/١٧٨٢ واعرض عن عبد الرحمن البابان عام ١٢٠٤/١٧٨٩ وعن ابراهيم باشا البابان عام ١٢٠٥/١٧٩٠ ولكن الشاه توسط للعفو عن عبد الرحمن البابان عام ١٢٢١/١٨٠٦ فرفض والي بغداد علي باشا الوساطة وبدأ بحشد قواته استعداداً لقتال الايرانيين ولكن وصلته اوامر حاسمة من الباب العالي بالجنوح الى السلام . واضطر علي باشا الى العفو عن عبد الرحمن باشا الذي كان قد استعاد امارته بالقوة . ولما ثار عبد الرحمن باشا بعد عامين لم يتدخل الشاه بالامر ، الا ان ولي العهد الايراني محمد علي ميرزا توسط للعفو عن عبد الفتاح باشا كما اعاد عبد الرحمن باشا بالقوة الى امارته عام ١٢٢٧/١٨١١ . وتوفي عبد الرحمن في العام التالي فخلفه ابنه محمود باشا فعزله والي بغداد في منتصف عام ١٢٣١/١٨١٤ . واحتجت حكومة الشاه واعادت محمود باشا بالقوة الى امارته . واستمرت المنازعات في عهد داود باشا آخر ولاة المماليك[٣٣٨] .

ولجأ ولي العهد الايراني محمد علي مرزا الى الحرب المكشوفة مغتنماً فرصة انشغال الباب العالي بثورة اليونان . وسجل محمد مرزا انتصاراً هاماً على جيش بغداد وامر قائده الكتخدا محمد . وزحف محمد مرزا على بغداد الا ان الكوليرا والعربان فتكا بجيشه فاضطر الى طلب الصلح بوساطة المجتهد الاكبر . وتوفي محمد علي مرزا في صفر ١٢٣٧/١٨٢١ فخلفه ابنه حسين الذي واصل اتباع سياسة ابيه العدائية الا ان الكوليرا والعربان انقذتا العراق من جيشه . وتدخلت الاوبئة مرة ثالثة لتحرم الجيش الايراني من ثمرة انتصار ناله في ارضروم ، فاضطرت ايران الى الجنوح الى السلم[٣٣٩] .

بدأت مفاوضات الصلح بين ايران والدولة العثمانية في ارضروم عام ١٢٣٨/١٨٢٣ . ووصل الوفد الايراني في ١٥ شوال /٢٤ حزيران فاستمرت المفاوضات حتى أواخر العام الهجري. وتبودلت في ١٤ ذي القعدة ١٢٣٨/ ١٨ تموز ١٨٢٢ وثائق ابرام معاهدة على غرار معاهدة ١١٥٩/١٧٤٦ .واستقرت الحدود بين

العراق وايران على اساس حدود العراق في عهد مراد الرابع [٣٤٠].

المماليك

لم يكن استيلاء المماليك على الحكم في العراق شيئاً غريباً او مستهجناً. فقد عرفت اقطار عربية واسلامية كثيرة حكم المماليك في اكثر عهود تاريخها وكان حكام العراق قبل « عهد المماليك » مماليك ولكن من نوع آخر اذ كانوا مماليك السلطان واصهاره ولم يكونوا مماليك واصهار بعضهم لبعضهم الآخر.

والجديد في حكم « مماليك العراق » ان احد الولاة جمع حوله عدداً من العبيد ودربهم وجعل منهم حاشية وجنداً وورثاه في الحكم. وبذلك اقترب مماليك العراق، من حيث التنظيم، من مماليك مصر. وكانوا « كمماليك مصر » مماليك واصهار وورثاء بعضهم لبعضهم الآخر. الا انهم كانوا يشبهون مماليك السلطان في انتمائهم الى مدرسة واحدة للتدريب هي مدرسة السراي التي تخرجوا منها عبيداً لصاحب السراي الذي نشأ مثلهم. وراود كل منهم الامل بان يصبح في احد الايام صاحب السراي وسيد اخوانه في العبودية.

انشأ حسن باشا وابنه احمد باشا في قصر الولاية مدرسة لتدريب العبيد مشابهة لمدرسة البلاط السلطاني التي تخرج منها حسن باشا. وتمتع هؤلاء العبيد بنعمة العبودية التي رفعتهم فوق الاحرار في عصر لم تكن العبودية فيه سبة بل اقصر طريق للوصول الى السلطة والحكم. واصبحت مناصب الدولة وقفاً على المماليك وحدهم. وارتقى المملوك في خدمة سيده حتى اذا ماوثق به مولاه جعله صهره وكتخداه وفوضه بتصريف الامور باسمه في حياته وخلافته بعد وفاته. وكان اول من « تنعم بالعبودية » في العراق سليمان باشا الذي تزوج عادلة خانم ابنة مولاه احمد باشا وصار كتخدا لمولاه وارتقى الى رتبة اميرامراء. ولم يطل به العهد بعد وفاة مولاه حتى اصبح والياً على بغداد. وتمكن آخر هؤلاء المماليك

داود باشا ، من ان يتزوج ابنة مولاه ويقتل اخيها ويصبح والياً .

ولم يكن طريق النعيم والسلطان ممهداً اذ كان على كل مملوك ان يشق طريقه الى الحكم بالقوة والخداع وان يحارب على عدة جبهات . فاخوانه في العبودية لايهدأ لهم بال حتى يقضوا عليه ليتنازعوا فيما بعد على خلافته . وترعم كتخدا الوالي وصهره اكثر المؤامرات ضد مولاه ونال منصب الولاية مكافأة له على تآمره . فكان الوالي يشتري الغلام ويربيه كابنه ويزوجه ابنته او اخته ويسلم اليه شئون البلد ويثق به ثم لايلبث هذا الغلام ان يتآمر على سيده ويقتله ليحل محله [٣٤١] .

وشغل سبعة من الولاة المماليك العشر منصب الكتخدائية قبل وصولهم الى الحكم ، وتآمر نصف هؤلاء على اسيادهم . فقد شغل سليمان باشا ابو ليلة (٢٩ شوال ١١٦٢ / ١٧٤٩ - ١١٧٥/ ١٧٦١) منصب كتخدا احمد باشا وتزوج ابنته عادلة خانم عام ١١٤٥/١٧٣٢ . ولما توفي سيده رفض الاعتراف بولاة السلطان ودخل بغداد بالقوة . كذلك رفض عمر باشا (١١٧٧/١٧٦٤ - ١١٩٠/١٧٧٦) كتخدا علي باشا (محرم ١١٧٦/ تموز ١٧٦٢ - ١١٧٧/١٧٦٣) الاعتراف بممثل السلطان وتمرد ونصب نفسه بالقوة والياً . وتمرد عبدالله باشا (١١٩١/١٧٧٧ - ١١٩٢/١٧٧٨) كتخدا عمر باشا فاضطر الباب العالي الى الاعتراف به والياً . ولم ير سليمان باشا الكبير (١١٩٤/١٧٨٠ - ١٢١٧/١٨٠٢) بدأ من قتل اثنين من كتخدائية سلفه عبدالله باشا وهما اسماعيل ومحمد ليضمن استقرار الامر له. وتنازع مناصب الكتخدائية في حياة سليمان كل من احمد وعلي . وفي الليلة المقررة لزواج الاول من ابنة الوالي تمكن علي من اغتياله وحل محله في الكتخدائية والمصاهرة .. وخلف سليمان كتخداه وصهره علي باشا (١٢١٧/١٨٠٢ - ق ١٢٢٢/١٧٠٨) الذي خلفه بدوره كتخداه وابن اخته سليمان باشا الصغير (ق . ١٢٢٥/١٨١٠). واشترك عبدالله باشا التوتنجي (١٢٢٥/١٨١٠ - ق ١٢٢٨/ ١٨١٣) في التآمر على سيده سليمان باشا الصغير وحل محله ، وكذلك تآمر

الكتخدا داود على مولاه وشقيق زوجته سعيد باشا (١٢٢٨/١٨١٣ -ق١٢٣٤/ ١٨١٨) فقتله وحل محله حتى عزله عام ١٢٤٧/١٨٣١ .

ولكن القدر كان لهم بالمرصاد . اذ انتهت حياة جميع الولاة الذين وصلوا الحكم عن طريق التآمر والقتل نهاية غير سارة . فقد قتل خمسة منهم وتوفي السادس بالاستسقاء وعزل السابع واعتقل . كذلك لم تكن نهاية اي من الولاة المماليك سعيدة . فلم يمت ميتة عادية غير ثلاثة ولاة بينما قتل ستة وعزل عاشرهم . ومات احد الولاة الثلاثة مهموما منكوبا وتوفي الثاني بالاستسقاء ومات الثالث بعد مرض طويل (٣٤٢) .

وكان اول من وصل الى الحكم من المماليك المملوك الكرجي سليمان باشا ابوليلة احد مماليك احمد باشا وزوج ابنته الكبرى عادلة خانم . وفشلت محاولات الباب العالي في تنصيب الصدر السابق الحاج احمد باشا واليا على بغداد بينما عهد بولاية البصرة الى احمد باشا الكسريه . وأثارت الانكشارية فتنة على والي بغداد واضطرته الى الخروج من بغداد فعينت الدولة احمد باشا الكسريه لي واليا على بغداد . ولم يكن الكسريه لي اكثر نجاحاً من سلفه فعزل وحل محله الصدر السابق محمد باشا . وجاء محمد باشا بغداد فوجد المملوك سليمان باشا المعين على البصرة مازال مقيما في بغداد . وحصلت مشادة بين محمد باشا وسليمان باشا وتبادلا التهم ولم تنجح الوساطة بينهما . وقصد سليمان البصرة حيث جمع قواه وزحف على بغداد. وفر محمد باشا من بغداد بعد هزيمة جيشه ودخلها سليمان باشا يوم الاثنين السادس من ذي الحجة ١١٦٢/ ١٧٤٩ ليصبح اول ولاة المماليك على بغداد (٣٤٣).

ولم يجد الباب العالي بدأ من اقرار الوضع القائم فارسل الى سليمان باشا مرسوم تعيينه الذي جاء فيه :

« انت والي البصرة سابقاً سليمان باشا حدث بينك وبين والي بغداد وزيري محمد باشا من البرودة والاغبرار مالاداعي لوقوعه وزال حسن التفاهم بينكما

فتدخل قرناء السوء .. الا اني لم ار منك لحد الان من الاطوار سوى اظهار العبودية وابراز الصداقة .. واستطلع عن احوالك من الواقفين .. واهل الصدق .. فابدى الكل صدق كلامك .. فأكدت خلوص هويتك وصدق عبوديتك فكانت مضامين تحريراتك مطابقة لما فاه به الثقاة وكلها وافقت مافي اعماق قلبي .. ومن مكارمي التي لاحد لها ان ابقيت الوزارة والطوغ واللواء كما كانت وانعمت عليك مجدداً بايالة بغداد .. ووجهت ايالة روم ايلي لسلفك . فبوصول خطي الهمايوني المقرون بالشوكة عليك ان تنهض بكافة اهل دائرتك ومن معك من اللوندات وسواد جماعتك وتذهب الى بغداد وتضبط المدينة وتحافظ عليها وان تحمي افرادها وسكانها فتعاشر الجميع بالحسنى .. وتراعي شروط الصلح مع الدولة الايرانية ... وتصرف جهدك لتنال دعائي . وتعيد الي ميراخوري » . (٣٤٤)

وبادر سليمان فور دخوله بغداد الى حصر مناصب الدولة الرئيسية بأيدي المماليك . فأقصى الاكراد والعرب عن المناصب وجعل الكتخدا والدفتردار واغا الانكشارية والخزنه دار ودفتردار الزعامة ، رئيس الدالاتية والباش قابوجي (رئيس البوابين) من المماليك. وعين من المماليك متسلمين في المقاطعات المختلفة . وجعل للماليك معاهد خاصة «في كل منها نحو المائتين من الصبيان، ومن اجتاز منهم درجة نقل الى اخرى .. ولكل معهد .. لالاوات (معلمون) واساتذة يعلمون القراءة والكتابة والرمي بالبندق والتعود على اصابة الهدف والممارسة على ركوب الخيل وعلى استعمال الاسلحة .. والسباحة .. وكانوا متآلفين متضامنين تجمعهم رابطة هذه التربية .. رفقاء سلاح واصدقاء مدرسة تتزايد المفاداة بينهم وتتولد عصبية قوية متينة فادى ذلك ان يتغلبوا ويستولوا على كافة امور الدولة من حل وعقد .. بل انحصرت وظائف الحكومة بهم فهم قوة على غيرهم .. وسلطة قاهرة على الاهلين » (٣٤٥) .

وخلف سليمان باشا ستة مماليك تنازعوا الحكم بينهم وهم عبد الله (زوج

عائشة ابنة احمد باشا) وعمر واسماعيل ورستم ومحمود وعلي وارسل هؤلاء بيانا الى الباب العالي يطالبونه به بتعيين احدهم واليا، وسلموا امور الولاية للدفتردار عثمان العمري الذي جعل قائمقاماً للولاية. وحاول الباب العالي ان يعين على بغداد والي الرقة سعد الدين باشا العظم او والي شهرزور امين باشا الجليلي ولكن موقف المماليك الستة الحازم اقنع الصدر راغب باشا بضرورة تعيين احدهم . ووقع الخيار على علي الذي كان يشغل منصب متسلم البصرة فصدر مرسوم بتعيينه في اول محرم ١١٧٦/٢٣ تموز ١٨٦٢ (٣٤٦) .

ولكن المماليك لم يتقبلوا تعيين علي باشا بروح طيبة فبدأوا يتآمرون عليه. وشجعهم على ذلك سوء معاملة علي باشا لعثمان العمري وعائلة الوالي السابق سليمان باشا. وكان علي باشا قد اعتقل قائمقام الولاية السابق عثمان العمري وصادر امواله كما صادر اموال سليمان باشا ، فانضمت عادلة هانم زوجة سليمان باشا وابنة احمد باشا الى المتآمرين . وبدأت الفتنة بثورة الانكشارية علية اثر مقتل قائدهم محمد خليل . واضطر علي باشا الى مغادرة بغداد هرباً ثم عاد وبدأ ينتقم من الانكشارية فانضم هؤلاء الى صفوف المتآمرين . والقي القبض على علي باشا وقتل اواسط ١١٧٧/١٧٦٣ . وارسل المتآمرون بياناً بما حدث الى الباب العالي اتهموا فيه الوالي المقتول باتباع المذهب الشيعي وبالتآمر على تسليم العراق لشاه ايران ورشحوا الكتخدا عمر والياً ، فاضطر الباب العالي الى اقرار الامر الواقع (٣٤٧) .

وكاد عمر باشا ان يكون انجح وزراء المماليك لولا ازدياد فتن الاكراد آخر عهده وتدخل الايرانيين . فقد رفض عمر باشا رجاء كريم خان بالعفو عن محمد باشا البابانى واعادته الى منصبه فرد كريم خان على ما اعتبره اهانة بتجريد حملات عسكرية على العراق. واستنجد عمر باشا بالباب العالي ليتمكن من صد هذا العدوان ، فاغتنم الباب العالي الفرصة للتخلص من المماليك. وصدرت الاوامر الى ولاة الرقة وديار بكر والموصل بالتوجه بقواتهم الى بغداد بقيادة والي الرقة مصطفى باشا الاسبنافجي . ومع ان الهدف المعلن لهذه الحملة كان انجاد والي

بغداد ، فان التعليمات السرية الصادرة لقائد الحملة كانت تقضي بتعيينه والياً على بغداد وانهاء حكم المماليك . وتقبل عمر باشا قرار نقله بروح طيبة وسلم الولاية الى مصطفى باشا ، ولكن مصطفى باشا غدر به وهجم ايلاً على معسكر عمر باشا الذي فر فكبت به فرس ومات اوائل ١١٩٠/١٧٧٦ (٣٤٨) .

واهمل مصطفى باشا مهمته الاساسية وهي انقاذ البصرة وسمح للولاة الذين جاؤوا معه بالعودة الى بلادهم . وفشل مصطفى باشا في كسب ولاء المماليك والقبائل الذين ثاروا عليه . والتف المماليك حول الكتخدا عبد الله بك الذي ازدادت قوته وهدد بغداد نفسها . فصدرت اوامر الباب العالي بعزل مصطفى باشا وقتله وتعيين عابدي باشا والياً على بغداد . ولكن تبين للباب العالي ان المماليك اقوياء في العراق لا يمكن تجاهلهم وان وزراء الروم لا يستطيعون ضبط العراق فاضطر الى تعيين الكتخدا عبد الله بك والياً اوائل عام ١١٩١/١٧٧٧ كما عين المملوك حسن باشا والياً على شهرزور (٣٤٩) .

وكان عبد الله باشا احد المماليك الستة الذين سعوا للحصول على منصب الولاية بعد وفاة المملوك سليمان باشا ابو ليلة . وبالرغم من كونه صهر احمد باشا (الزوج الثاني لعائشة هانم) فانه ابعد كل مرة عن المنصب ولم يصل الى اكثر من منصب كتخدا للوالي عمر باشا . وسلم عبد الله باشا اموره الى اسماعيل اغا احد المماليك الستة وجعله كتخداه . ولكن ما لبث ان سيطر عليه عجم محمد واقنعه باسناد منصب الكتخدائية اليه وعزل اسماعيل كتخدا . وعجم محمد كان شاباً ايراني الاصل « ورد من العجم . . وشاربه ماطر . . ومعه اخته وامه ففاز قدحه . . وذلك لكونهن يرقصن عند اولئك الاكابر والذين هم في الحقيقة اراذل واصاغر وتنقلت به الاحوال حتى نال من المراتب ما نال . وصار عند عمر باشا دويداراً ففتح له من الظلم ابوابه . . وهرب اكثر التجار من اجله . . حتى انه لما قتل الوزير عمر فرح الناس بخلاصهم من دواداره . . وعاد على عبد الله باشا شره . . لتفويضه الامور اليه . . فانه صيره خازنداره . . » واتهم عجم محمد بميوله

الايرانية وباستخدام نفوذه لتبديد أموال الولاية واضعاف قواها العسكرية ليسهل على ايران احتلال العراق . ولكن القدر لم يمهل عجم محمد ولا سيده اذ توفي عبد الله باشا مسلولاً اواخر العام الاول لولايته وغدا عجم محمد خارجاً على القانون (٣٥٠) .

وانقسمت بغداد بعد وفاة عبد الله باشا الى فريقين ، ايد احدهما اسماعيل الكتخدا وايد الثاني وكيل الوالي سليم افندي وكتخداه عجم محمد . وانضم الى الفريق الاول المماليك وبعض احياء بغداد بينما ايد الفريق الثاني القابوقول بقيادة محمد اغا وبعض الاحياء ووقف الكرخ على الحياد . واقيمت المتاريس في بغداد وتمركز عجم محمد في القلعة وقصف الكرخ بالمدفعية فانحاز الكرخ الى اسماعيل كتخدا . وطلب الطرفان وساطة سليمان الشاوي شيخ قبيلة العبيد فاقترح على عجم محمد الانسحاب من بغداد . ولما رفض عجم محمد هذا الاقتراح انحاز الشاوي الى حزب اسماعيل كتخدا فاستنجد عجم محمد باحمد اغا الخليل رئيس جند شهرزور السابق الذي كان قد اعلن العصيان (٣٥١) .

ورأى الباب العالي ، حسماً للنزاع ، ان يعين حسن باشا والياً على بغداد في ١٧ ربيع الاخر ١١٩٢/نيسان ١٧٧٨ فدخلها في الشهر التالي . وتمكن حسن باشا ، بمساعدة الاكراد ، من ان يهزم قوات الثائرين عجم محمد واحمد اغا الخليل ولكنه لم يقض عليهما . وتمكنا من جمع عدد من الاعوان وتهديد بغداد ومواصلاتها . واشتدت معارضة اهل بغداد للوالي وانقلبت المعارضة الى فتنة وثورة اجبرته اوائل شوال ١١٩٣/تشرين اول ١٧٧٩ على مغادرة بغداد بعد ان حكمها ثمانية عشر شهراً (٣٥٢) . واجمع اهل الرأي في بغداد على تنصيب اسماعيل كتخدا قائمقاماً للولاية الا ان الباب العالي اسند المنصب الى سليمان اغا متسلم البصرة الذي اشتهر باسم سليمان باشا الكبير (٣٥٣) .

قضى سليمان اغا في اسر الايرانيين قرابة ثلاث سنوات ، فلما توفي كريم خان وانسحب الايرانيون من البصرة سمح لسليمان بالعودة اليها . ولكنه لم

يستطع دخول البصرة لانه وجد ان حسن باشا والي بغداد قد ارسل اليها نعمان افندي متسلماً . ووسط سليمان القنصل الانجليزي للحصول على ولاية البصرة فانعم عليه بها مع رتبة الوزارة ودخلها بتأييد من ثويني زعيم المنتفق . ومن البصرة بدأ سليمان يسعى للحصول على ولاية بغداد الى ان نجح في ذلك وضمت اليه ولايات البصرة وبغداد وشهرزور (٣٥٤) .

وقصد سليمان باشا مدينة بغداد يصحبه تويني شيخ المنتفق ومتسلم البصرة السابق نعمان افندي ، فاستقبله الكتخدا اسماعيل اغا فبادر الباشا الى اعتقاله وقتله وانهى امر المماليك الستة القدماء ليبدأ عهد مماليكه . ولم يدخل سليمان باشا بغداد الا بعد ان هزم عجم محمد واجبره على اللجوء الى ايران (٣٥٥) .

اشتهر سليمان باشا بسليمان الكبير رغم عدم وجود اي مبرر لهذا اللقب . فلم يكن سليمان كبيرا في ميدان الادارة ولا الاصلاح ولا الحرب. وفشل في تحقيق ابسط مظاهر الدولة الحسنة وهي استتباب الامن . وفشل كغيره من الولاة الذين سبقوه في نشر الهدوء بين القبائل العربية والكردية . ولكنه كان اكثر فشلا من أسلافه حينما حمل قبيلة العبيد الكبيرة ، التي اشتهرت بالولاء لحكومة بغداد، على الثورة عليه والدخول في حلف ضده مع المنتفق التي أصبح شيخها عدوا للوالي بعد ان كان صديقه ومؤيده الاول (٣٥٦) . وزاد من فشله تعرض العراق لخطر الغزوات الوهابية التي عرضت عدداً من مدن العراق للكوارث (٣٥٧) ، وفشل بشكل مخز في انتقاء اعوانه فترك مهرداره احمد اغا يثير غضب وعداء سليمان الشاوي شيخ العبيد ومتسلم البصرة مصطفى الكردي والخزنه دار علي بك . وأيد الباشا مهرداره وجعله كتخداه وسلمه شؤون الدولة بعد عام ١٢٠٥ / ١٧٩١ . وبينما كان الباشا يضع الخطط لتزويج كتخداه احمد من ابنته خديجة اذ بالخزنه دار علي بك يدبر مؤامرة تؤدي الى مقتل الكتخدا وزواج الخزنه دار من خديجة في مساء اليوم نفسه بعد ان خلفه في الكتخدائية (٣٥٨) .

ولكن سليمان كان كبيراً في نظر الافرنج والجاليات الافرنجية . فقد شمل رعايا الدول الاوروبية برعايته وحمام وسهل لهم أمورهم . ولم ينس للانجليز انهم ساعدوه في الحصول على منصبي البصرة وبغداد كما أيدوه لدى الباب العالي ابان ازمة سليمان الشاوي عام ١٢٠٠ / ١٧٨٥ . وقدم له الانجليز الاسلحة والذخائر لتمكينه من تثبيت نفوذه والتغلب على اعدائه (٣٥٨) .

وتوفي سليمان باشا في السابع من آب ١٨٠٢ (ربيع ثاني ١٢١٧) تاركا عدداً من المماليك الاصهار يتنازعون الحكم بعده وثلاثة اولاد كبيرهم يدعى سعيد ومع ان كتخداه وصهره ومملوكه علي باشا اعتبر اقوى المرشحين وعين قائمقاماً للولاية ، ولكن لم يرض بذلك كل من المملوك الصهر سليم بك متسلم البصرة السابق واحمد اغا الانكشارية . وشرعت مدافع القلعة التي يسيطر عليها الانكشارية (القابوقول) بقصف دار الولاية حيث أقام علي باشا . فوسط علي باشا المملوك الصهر الثالث ناصيف اغا رئيس الحجاب (كتخدا البوابين) ، وراجت فكرة تنصيب سعيد بن سليمان باشا الكبير ، ولكن القابوقول اصروا على تنصيب سليم اغا قائمقاماً واخراج علي باشا (٣٥٩) .

انتقل علي باشا الى الكرخ لينظم المقاومة ويجمع الاعوان ، وشرع بعد ذلك بحصار القلعة فتم له احتلال دار الحكومة وفر احمد اغا القابوقول من بغداد . ووصل مرسوم من السلطان بتثبيت علي باشا والياً في السابع عشر من رمضان ١٢١٧/١٠ كانون الثاني ١٨٠٣ وسنه اذ ذاك خمس واربعون عاماً . ولم يكن علي باشا اكثر توفيقاً في مجابهة نفس المشاكل التي جابهت سلفه . وفشل في حل قضايا القبائل ووقف اعتداءات الوهابيين واحلال الوفاق بين المماليك . وقد اعتقل ، بعد ثلاث سنوات من استلامه الحكم ، كتخداه ومساعده خالد بك وعين ابن اخته سليمان كتخداه . وتآمر عليه المماليك واغتالوه بينما كان يصلي الصبح في ٢٤ جمادى الآخر ٢٩/١٢٢٢ آب ١٨٠٧ . ولجأ القتلة الى بيت سليمان باشا الكبير ولكن سعيد بن سليمان طردهم فحاول ناصيف اغا صهر سليمان

الكبير ومملوكه وكتخدا البوابين حمايتهم، ولكن الكتخدا سليمان تعقب القتلة واقتص منهم وقتل ناصيف اغا . وحُرر محضر بما حدث وأُرسل الى استانبول ورشح الكتخدا سليمان واليا (٣٦٠) .

تردد الباب العالي في تعيين سليمان او اي مملوك آخر وحاول ان يرسل الصدر السابق يوسف ضياء باشا والياً على بغداد ، ولكن السفير الافرنسي تدخل لصالح سليمان كتخدا ونصح الباب العالي بضرورة تجنب خلق اضطرابات جديدة مع المماليك في العراق (٣٦١) . ورفض سليمان قبول فيض الله افندي متسلم يوسف ضياء باشا وأمر حاكم كركوك باعتقاله ومنعه من الوصول الى بغداد (٣٦٢) .

وأعد كاتب الديوان الجديد في بغداد علي اغا محضراً ثانياً وقعه المفتي والعلماء والاعيان وصدقه القاضي واسترحموا جميعاً من السلطان تعيين سليمان كتخدا وابن اخت الوالي المقتول ، كما دعم السفير الافرنسي الجنرال سباستياني هذا الطلب . وأرفق سليمان كتخدا بالمحضر تعهداً بالولاء والاخلاص وبتأدية عشرة آلاف كيس عن تركة علي باشا . والغي تعيين يوسف ضياء باشا ووجه المنصب الى سليمان ووصلت الخلعة والمرسوم له في ذي الحجة ١٢٢٢ / شباط ١٨٠٨ وسنه لم يتجاوز اذ ذاك الاثنتين وعشرين سنة (٣٦٣) .

ولم يكن سليمان باشا الصغير اكثر توفيقاً من أسلافه . فلا الامن استتب في عهده ولا تحسنت الاحوال . ومع انه استطاع تسوية الخلافات مع القبائل العربية التي خلدت للهدوء النسبي في عهده واسترضى عشيرة العبيد واستفاد من خدمات زعيمها جاسم الشاوي، الا انه فشل في البصرة والموصل والمناطق الكردية . فقد حاول سليم آغا (متسلم البصرة وصهر ومملوك سليمان باشا الكبير) انتزاع الولاية من سليمان باشا الصغير بتشجيع من السلطات العثمانية ، الا ان شيخ المنتفق حمود الثامر استولى على البصرة وسلمها الى احمد بك مندوب والي بغداد وأخيه بالرضاعة . وفر سليم اغا الى ابي شهر ، كما فر ايضاً من البصرة كل من عبد الله

اغا الخزنه‌دار وطاهر اغا الجوكدار اللذان كان الوالي قد اعتقلهما ونفاهما الى البصرة[٣٦٤]. وأثار آل الجليلي فتنة في الموصل لان الدولة عينت على الموصل من ليس منهم وانتهت الفتنة بقتل الوالي وتعيين أحد افراد عائلة الجليلي والياً على الموصل[٣٦٥].
ولكن اكبر فتنة جابهت الوالي كانت في المناطق الكردية التي أجبرت الوالي على ان يقود حملة بنفسه لاخمادها. ولم ينجح الوالي في القضاء على الفتنة بل زادها اشتعالا واتاح الفرصة لايران للتدخل. كما ان جنوده اعتدوا على قرى تابعة لولاية ديار بكر مما أثار ضد الوالي شكاوى عديدة[٣٦٦].

واعتبر الباب العالي ان الفرصة سانحة لاستعادة سيطرتها على بغداد فأرسلت الرئيس افندي حالت افندي سعيد مندوباً فوق العادة الى بغداد لدراسة الاوضاع فيها واتخاذ مايراه مناسباً. وحاول حالت افندي الحصول على العشرة آلاف كيس التي ضمن بها الوالي تركة سلفه ولكن سليمان رفض دفع أي شيء. ورأى حالت افندي نفسه عاجزاً عن تحقيق أي شيء في بغداد فأنهى مهمته فيها وغادرها قاصداً الموصل ليرفع منها تقريراً عن أحوال بغداد. وجاءه من الباب العالي تفويض مطلق باتخاذ الاجراءات التي يراها ضرورية كما زود بفرمانات لتعيين قائمقام الولاية ووال جديد على بغداد وترك لحالت افندي أمر كتابة الاسماء.
وانضم الناقمون على سليمان باشا الى حالت افندي. وقصده في الموصل كل من عبد الرحمن باشا بابان وعبد الله اغا الخزنه‌دار وأيده والي الموصل. وأصدر حالت افندي فرماناً بعزل سليمان باشا كما أصدر فرماناً آخر يجعل عبد الله اغا الخزنه‌دار قائمقاماً للولاية. وزحفت هذه القوى على بغداد فخرج سليمان باشا لقتالها. وثار الحزب العثماني في بغداد بزعامة عبد الرحمن الموصلي واستولوا على قلعة القابوقول وقتلوا اغا القابوقول اسماعيل اغا ونصبوا عبد الرحمن الموصلي خلفاً له. وتغلب اعوان سليمان باشا على الثوار وفر عبد الرحمن الى معسكر حالت افندي. ونشب القتال بين جيش حالت افندي وجيش سليمان في منتصف رمضان ١٢٢٥/تشرين اول ١٨١٠. ورغم تفوق الوالي في اليوم الاول للمعركة

الا ان جنده تخلوا عنه ليلا فألفى نفسه في الصباح بدون جيش ففر باتجاه ديالي حيث قتله أحد شيوخ شمر طوقه وأرسل رأسه الى بغداد[٣٦٧].

لم تقابل أنباء مقتل سليمان بالسرور في بغداد والبصرة ولا في الاوساط العربيـة في العراق إذ كان سليمان الوالي المملوكي الوحيد الذي لم يتعصب ضد العرب بل سعى لكسب ودهم وولائهم. كما انه كان سلفياً في عقيدته الدينية «ونكب عن الابحاث الفلسفية ومنع قضاة أعماله عن اخذ العشور ورتب لهم معلوما من بيت المال بانقضاء الشهور» فاتهم بالانحياز الى الوهابيين. وادخل اصلاحات ادارية ومالية عديدة والغى عدداً من الغرامات واسقط بعض انواع العقوبات وابطل التعذيب و «أبطل كثيراً من العوائد الذميمة» فكسب بذلك عداء اوساط قوية «كما ان ارباب الوظائف اعتادوا النهب والسلب باسم الجباية فعادوه..» ووصف الوزير المقتول بأنه كان ذا «اخلاق حسنة وعدل.. وانصاف ومروءة ودين.. الا انه نظراً لحداثة سنه لم ينظر بعيداً في بعض الامور..»[٣٦٨].

ولم يستفد الباب العالي من القضاء على سليمان باشا الصغير اذا اضطر الى تنصيب احد المماليك خلفاً له. فقد حاول حالت افندي في اول الامر اقصاء المماليك عن حكم بغداد فلما أيقن من استحالة ذلك سعى الى تنصيب سعيد بك ابن سليمان باشا الكبير متخطياً قائمقام الولاية عبد الله اغا التوتنجي الخزنه دار المتهم بالميول الايرانية. وعارض حالت افندي في تنصيب عبد الرحمن باشا بابان الذي تعهد للباب العالي بدفع خمسة أضعاف الميري المعتاد لاتهامه اياه بالميول الاستقلالية والاتجاهات الايرانية. وفشلت الثورة التي قادها عبدالرحمن الموصلي سردار القابوقول الذي حاول بتشجيع من حالت افندي، تنصيب سعيد بك. وسيطر عبد الله اغا على بغداد سيطرة تامة وملأ المناصب باعوانه، فقتل الكتخدا فيض الله افندي والخزنه دار اسماعيل اغا وعين بدلهما الحاج عبد الله كتخدا وطاهر اغا خزنه دار. كذلك عين داود دفترداراً بدلا من محمد سعيد وقاسم اغا سردارا للقابوقول خلفا لعبد الرحمن الموصلي. واضطر حالت افندي

الى اصدار فرمان بتعيين عبد الله اغا والياً على بغداد برتبة وزير اواخر عام ١٢٢٥ / ١٨١٠ . وغادر حالت سعيد بغداد قاصداً استانبول فعين في طريقه سعد الله الجليلي والياً على الموصل مستقلاً عن بغداد .[٣٦٩]

كان عبد الله باشا التوتنجي اول مملوك اشتراه سليمان باشا الكبير ابان وجوده متسلماً في البصرة . ووصفه المؤرخون بانه « امي بسيط جواد كريم وشجاع » . وسيطر عليه مدة حكمه التي دامت قرابة سنتين ونصف كتخداه طاهر اغا الذي قتل معه وانتهى امر عبد الله باشا بالموت قتلا وسنه اذ ذاك نحو خمسين سنة .[٣٧٠]

بدأ عبد الله باشا اعماله بالاساءة الى الذين ساعدوه او احسنوا اليه . فكان اول ضحاياه سليم اغا ، متسلم البصرة السابق الذي سبق له ان انقذ حياة عبد الله باشا وكتخداه في عهد سليمان باشا الصغير ، الذي جاء بغداد متأملا فبادر عبد الله باشا الى قتله . وشرع عبد الله باشا بعد ذلك باضعاف عبد الرحمن باشا البابائي الذي اوصله الى الحكم . فاقصى اعوان البابائي في بغداد ، امثال الحاج عبد الله الكتخدا وقاسم اغا ، من مناصبهم وعين محمد سعيد ثم طاهر اغا كتخدا له وعهد بقيادة القابوقول الى قبطان شط العرب علي اغا . واتفق عبد الله باشا والشاه على عزل عبد الرحمن باشا بابان بالقوة ان لزم الامر . كذلك ناصب سعيد بك ابن مولاه العداء[٣٧١].

اثار الكتخدا طاهر اغا على الوزير فتنة كبيرة بخلافه مع سعيد بك ابن سليمان باشا الكبير . وفر سعيد بك من بغداد خوفا على حياته لا طمعاً بالحكم فتوسط في الصلح القنصل البريطاني واعاده الى بغداد . ولكن الخلاف استحكم ثانية ففر سعيد بك من بغداد للمرة الثانية في شعبان ١٢٢٧ / آب ١٨١٢ ولجأ الى شيخ المنتفق الكفيف حمود الثامر حيث التقى بلاجىء آخر هو جاسم الشاوي زعيم العبيد . وطلب الوالي من الشيخ تسليمهما فأبى وحاول مع غيره من الوسطاء الاصلاح بين سعيد والوالي . ولكن الكتخدا طاهر اغا حمل الوالي على استعمال العنف

وتجريد حملة لتأديب المنتفق. واصدر امراً بعزل حمود عن المشيخة وتنصيب نجم ابن عبدالله بن محمد بن مانع (شقيق ثويني) شيخاً . ورغم تفوق الوالي العسكري الساحق فانه هزم واسر هو و كتخداه وقتل مرشحه للمشيخة بسبب انحياز اتباع الوالي الى سعيد بك . وكانت حياة الوالي و كتخداه معلقة بحياة برغش بن حمود الثامر الذي جرح في المعركة، فلما مات برغش امر بهما حمود فقتلا .[٣٧٢]

ودخل سعيد بغداد يصحبه حمود الثامر في ١٥ ربيع اول ١٢٢٨/١٦ آذار ١٨١٣ ووصل فرمان توليته والياً في ١٥ شوال / تشرين اول . وكان سعيد حدثاً غير مجرب لم يزد عمره يوم نصب والياً على احدى وعشرين سنة . ووصل الى منصب كبير لم يطمح به او يسعى اليه او يعد نفسه له . ولم يحسب حساباً لاعدائه الذين تربصوا به الدوائر وكادوا له لانتزاع المنصب منه . وخرج على خطة اسلافه من المماليك فاتبع سياسة سليمان الصغير بتقريب العرب وعدم الاعتماد كلياً على المماليك[٣٧٣]

فشل سعيد باشا في خلال حكمه في ايجاد موظفين يمكن الاعتماد عليهم ويخلصون له . فقد اسند منصب الكتخدائية بالوكالة الى صهره داود دفتردار سلفه ، الا ان داود كان يطمع باكثر من الكتخدائية فتهرب من خدمة سيده واكتفى موقتاً بالدفتردارية «حباً في برودة الرأس من الغوائل»[٣٧٤] . ونصب سعيد باشا في اول الامر درويش محمد اغا الحاج سليمان كتخدا بالوكالة خلفاً لداود ثم عزله عام ١٢٣٠/١٨١٥ واستخلف الحاج عبد الله اغا لمدة خمسة اشهر واعاد بعد ذلك درويش محمد اغا الى منصبه وجعله اصيلا بعد عام . ولما بدأ نجم سعيد باشا بالافول اكثر من تغيير موظفيه فعزل درويش واعاد الحاج عبد الله اغا « فصار العزل داعية لسرور الاول والمنصب حزنا للآخر .» وارسل الحاج عبد الله الى رجل هناه بالمنصب جوابا جاء فيه « انني كنت اظنك تضمر الخير لي فظهر انك لم تكن كذلك . فلو كنت محبا لما تمنيت لي هذا المنصب في هذا الاوان بل كنت تعزيني به » .[٣٧٥]

واكثر سعيد باشا من تغيير موظفيه . فقد رأينا كيف غير كتخداه خمس مرات . وعزل سردار القابوقول عليوي اغا ونصب خلفا له خضر اغا الموصلي اغا القرنة . وعين لطف الله اغا خازنا له خلفا للخازن السابق خليل اغـا ، ثم استبدله بحادي (حمادي ابن عقلين) واخيرا عين للمنصب يحيى الميراخور. وعزل اواخر ايامه كتخدا البوابين عمر اغا الملي وعين عبد الله اغا بدلا منه (٣٧٦)

ولعب العربيان جاسم الشاوي وحادي ابن ابي عقلين دورا كبيرا في عهد سعيد باشا وكانا سببا في القضاء عليه . وشغل جاسم الشاوي منصب رئيس باب العرب . واغضب ازدياد نفوذ العرب حزبي المماليك والعثمانيين فاكثروا من الوشاية بسعيد الى الباب العالي وخلقوا له الاضطرابات في كل مكان وشنعوا عليه . ورموا احادي بشتى التهم واحاطوا علاقته بالوالي بكثير من الشبهات الاخلاقية . وتكتل هؤلاء حول داود ، فاشير عليه ان يخرج من بغداد ويخطب ايالتها فوافق ما كان اضمره .. فخرج في ١٢ ربيع الاول لسنة ١٢٣١ هـ. (٣٧٧)

وازدادت الاضطرابات في المناطق الكردية والبدوية وزادت تعديات وفتن الخزاعل وشمر والظفير والبابانيين . وابدى داود مقدرة فائقة في تاديب القبائل فساعد ذلك على ابراز كفاءته وترشيحه للمنصب الكبير . وساهمت قبائل العبيد والمنتفق الموالية للوالي في اخماد ثورة القبائل العاصية . وسبب عزل محمود باشا البابانى في منتصف ١٢٣١/١٨١٦ فتنة في المناطق الكردية واثار ذلك العمل غضب شاه ايران . ولم يستطع سعيد باشا تنفيذ امر العزل وبقي محمود باشا في منصبه متحدياً امر العزل. (٣٧٨)

وتوجه داود من بغداد قاصدا كركوك حيث تكتل حوله المماليك والعثمانيون واعداء الوالي الحاكم . وانضم اليه في كركوك محمود باشا البابانى وعليوي اغا الانكشارية السابق وخليل اغا متسلم كركوك ورستم اغامتسلم

البصرة واحمد بك اخو سليمان باشا الصغير بالرضاعة . وشرع داود بتوزيع المناصب فنصب محمود باشا واليا على كوي وحرير وبابان ، وجعل احمد بك وكيل كتخدا وعمر بك الدفتري (ابن الحاج محمد سعيد بك) وكيل دفتردار وعليوي سردارا [٣٧٩]

وحصلت مفاجأة لداود بوصول فرمان بتعيين احمد بك قائمقاما لبغداد وملحقاتها خلفا لسعيد باشا الذي صدر الامر بعزله ونفيه الى حلب . ودخل احمد بك كركوك واعلن نفسه حاكما وبايعه السكان والجند . وهجم احمد على معسكر داود الا ان داود هزمه واستولى على كركوك . وتحرج موقف داود المعنوي بعد ان غدا خارجا على القانون لولا وصول امر جديد في الثالث من محرم ١٢٣٢/٢٣ تشرين الثاني ١٨١٦ بتعينه والياً شرعياً على بغداد والبصرة والموصل . [٣٨٠]

وساء موقف سعيد باشا في بغداد بعد ان تخلى عنه الكثيرون ومن بينهم اخوه صادق . وانجده في اول الامر حمود الثامر شيخ المنتفق بالف وخمسمائة مسلح وصل بهم بغداد في ٢٣ ذي الحجة ١٢٣١/١٣ تشرين الثاني ١٨١٦ كما وصله منجداً عبد الله باشا البابا ني بخمسمائة كردي مسلح . وتحمل سعيد باشا بوجودهم عبئاً مالياً ثقيلا وقلت الاقوات في بغداد وساءت الاحوال وارتفعت الاسعار . وكسب سعيد المعركة الاولى والحق هزيمة بجيش داود وكاد داود نفسه ان يفقد حياته في المعركة في ٢٨ صفر ١٢٣٣/٧ كانون الثاني ١٨١٨ . وساد بغداد شيء من الطمأنينة واعتقد سعيد باشا انه الان في امان فاغتنم الفرصة للتخلص من نفقات وجود المنتفعة والاكراد فاذن لهم بالانصراف بينما شغل هو باجراء تغييرات بين موظفيه . وبدأت ثورة علنية في احياء بغداد تأييداً لداود فاغتنم داود الفرصة واقتحم بغداد في ٥ ربيع الآخر ١٢٣٣/٢٠ شباط ١٨١٨ ولجأ سعيد الى القلعة حيث قتل في العاشر من ربيع الاخر /٢٥ شباط [٣٨١] .

وداود نصراني كرجي ولد في تفليس عام ١٧٦٧/١١٨١ وسُرق صغيراً وبيع الى سليمان باشا الكبير عام ١٧٨٠/١١٩٤ .واعتنى سليمان بتربيته وتدريبه حتى اتقن اللغات العربية والفارسية والتركية فجعله كاتبه وزوجه ابنته . وتدرج داود في المناصب في عهد سليمان باشا فاصبح مهرداراً ، ورفعه عبدالله باشا التوتنجي الى منصب الدفتردار وجعله سعيد باشا كتخدا بالوكالة ثم اعاده دفترداراً . وتولى منصب ولاية بغداد وسنه خمسون عاماً فحكمها اربعة عشر سنة حتى عام ١٨٣٠/١٢٤٦ حينما عزل وانتقل . ثم عفي عنه وولي البوسنة عام ١٢٤٩/١٨٣٣ ورئاسة مجلس الشورى عام ١٢٥٤/١٨٣٨ وولاية انقرة عام ١٢٥٦/١٨٤٠ وتوفي في مكة عام ١٢٦٧/١٨٥١ ودفن في البقيع ولم يترك اولاداً اذ « لم يعمر منهم احد وتجرع مرارة وفاتهم في حياته .. جزاء عمله في قتل ابن سيده وهو سلفه سعيد باشا »[٣٨٢]

ولا تختلف سيرة داود في بغداد عن سير اسلافه . فقد سلك نفس الطريق المملوء بالمؤامرات ونكران الجميل . فتنكر لعبد الله باشا التوتنجي الذي وثق به وعينه دفتردارا واشترك بالمؤامرة ضده وضد كتخداه طاهر اغا. ووثق به سعيد باشا ولكنه تآمر عليه . وكذلك تآمر على داود كتخداه محمد وانضم الى الجيش الايراني في احرج الساعات عام ١٢٣٦/١٨٢٠ واشعل ضد داود نيران فتنة كبيرة بعد اربعة اعوام[٣٨٣]

بدأ داود اعماله بمعاقبة انصار واعوان وموظفي الوالي السابق .واستصدر فرمانا من السلطان باعدام محمد سعيد الدفتري والحاج عبد الله اغا ودرويش محمد اغا وعمر اغا الملي وجاسم الشاوي والتاجر نعمان جلبي الباجه‌جي . ونفذ حكم الاعدام في محمد سعيد الدفتري وعمر اغا الملي كتخدا البوابين رغم خدمات ابن الاول لداود باشا . واعدم حادي بعد ان عذب عذاباً شديداً جعله يلتمس من الوزير التعجيل بقتله ويوسط بذلك محمود باشا البابانى . وعفي عن درويش محمد اغا والحاج عبد الله اغا لكبر سنهما وعن الباجه‌جي ارضاء للتجار لا سيما وان

ثلاثتهم اشتروا حياتهم بثمن كبير . وفر جاسم الشاوي الى الجزيرة العربية فنجا بحياته [٣٨٤]

عاصر داود في مصر محمد علي باشا الكبير وسعى كل منهما الى الاستقلال بولايته عن السلطان العثماني النشيط محمود الثاني الذي كان يسعى بدوره الى ربط الولايات ربطاً قويا بالعاصمة والقضاء على جميع الحركات الانفصالية . وفشل الثلاثة في تحقيق اهدافهم وان كان محمد علي اقربهم الى النجاح . وبينما استطاع محمد علي تأسيس دولة منظمة وتدريب قوة عسكرية كبيرة كانت كافية للقضاء على الوهابيين وانتزاع بعض الولايات العثمانية زمنا، فشل داود في تحقيق اي شيء يمكنه من الاستقلال بالعراق ولم يستطع حتى اخضاع القبائل العراقية . واتفق داود ومحمد علي في عدائهما لبريطانيا وصداقتهما لفرنسا، كذلك كان كلاهما مخادعا وغير وفي . الا ان داود كان رجل متناقضات تنقصه الجرأة بينما كان محمد علي رجلا مقداماً .

ويكاد يكون تاريخ العراق في عهده تكراراً لتاريخ اسلافه. فلم يوفق في القضاء على تذبذب البابانيين وتقربهم من الشاه ولا هو استطاع القضاء على فتن القبائل . وكفاه محمد علي خطر الوهابيين ليجابه خطرا ايرانيا جسيما . وقام كتخداه محمد بنصيبه من المؤامرات التقليدية والتحريض على الفتن وقيادة الثورات ليعيد ما فعله من سبقه من الكتخدائية [٣٨٥]

وواجه داود ثورة صادق بك ابن سليمان باشا الكبير في احرج ساعات الخطر الايراني . فقد فر صادق من بغداد ولجأ الى قبيلة زبيد فحماه شيخها وانضم اليه جاسم الشاوي المحكوم بالاعدام . واشتدت حركته فشن غارات متواصلة على طرق المواصلات بين البصرة وبغداد وهدد الملاحة النهرية بين المدينتين . واستعان داود بمنافس لشيخ زبيد ففل جمع الثوار وانهزم صادق ولجأ الى الشاه وعاد جاسم الشاوي الى ملجئه في البادية [٣٨٦]

وحاول الباب العالي ان يمثل مع داود الدور الذي مثله مع سليمان باشا الصغير ولكن صادق افندي مندوب الباب العالي كان اقل براعة من سلفه حالت افندي فكشف اوراقه بسرعة ولاقى مصرعه في ظروف غامضة . ولجأ الباب العالي الى القوة المسلحة فعهد الى والي حلب علي رضاباشا بقيادة حملة تأديبية دخلت بغداد واسرت داود وقضت على حكم المماليك في العراق اوائل عام ١٢٤٦/١٨٣٠ (٣٨٧)

★ ★

الفصل الرابع

العراق في العهد العثماني - تتمة -

٩٤١/١٥٣٤ — ١٣٣٦/١٩١٨

البصرة في الدور الثاني ١١١٦/١٧٠٣ — ١٢٤٦/١٨٣٠

بدأ هذا الدور والبصرة محتلة من قبل مغامس بن مانع شيخ المنتفق الذي حكمها حتى عام ١١٢٠/١٧٠٨ حينما استعادها منه بالقوة جيش عثماني بقيادة والي بغداد حسن باشا. وانضم الى حسن باشا في حملته ولاة شهرزور ودياربكر وكوتاهية . وبدأ الزحف من بغداد في السابع من رجب فوصل اطراف البصرة في الثاني والعشرين من شعبان . واستمر القتال طوال شهر رمضان ودخل حسن باشا المدينة آخر يوم في الشهر . وهكذا قضى الجيش العثماني ثلاثة شهور (ايلول حتى كانون اول) زاحفاً ومقاتلاً ليتمكن من اجلاء المنتفق عن البصرة (٣٨٨) .

وتوالى على حكم البصرة خلال النصف الاول من القرن ١٢هـ/١٧م عدد من الولاة والمتسلمين ، بعضهم وزراء بثلاثة اطواخ ، رشحهم للمنصب والي بغداد وارتبط بعضهم به مباشرة . فكان اولهم ، مصطفى باشا ، كتخدا وصهر والي بغداد (زوج فاطمة ابنة حسن باشا) الذي رشحه للمنصب . وتلاه بعد عام خوجه حسن باشا ثم عثمان باشا عام ١١٢٤/١٧١٢ فالوزير حسن باشا

عام ١١٢٦/١٧١٤ . وكان الاخير شركسياً من سلحدارية السلطان ومن خريجي مدرسة البلاط العثماني . واسند المنصب عام ١١٢٧/١٧١٥ الى احمد باشا ابن والي بغداد الذي تنقل بعد ذلك بين ولايات قونية وحلب الى ان اعيد ثانية الى البصرة عام ١١٣١/١٧١٩ فبقي فيها الى وفاة والده عام ١١٣٦/١٧٢٣ (٣٨٩) .

ولم يتغير وضع البصرة بعد وفاة والي بغداد حسن باشا وتولية ابنه احمد باشا . فقد عين الصهر عبد الرحمن باشا والياً على البصرة وخلفه في شهرزور الصهر الآخر مصطفى باشا . وتولى البصرة عام ١١٤٩/١٧٣٦ الصهر الكتخدا سليمان باشا ابو ليلة زوج عادلة خاتون ابنة احمد باشا والي بغداد . وتعاقب بعده ولاة ارتبطوا ببغداد الى وفاة والي بغداد احمد باشا عام ١١٦١/١٧٤٨ فاسندت ولاية البصرة الى احمد باشا الكسريه لي فحسين باشا الجليلي ، وفي اواخر العام الى الكتخدا سليمان باشا ابي ليلة الذي جمعت له ولايتا البصرة وبغداد في العام التالي (٣٩٠) .

وحكم البصرة خلال الثلاثين سنة التالية متسلمون عينهم والي بغداد المملوكي لم يوفق أيٌّ منهم الى وضع حد لمضايقات المنتفق والخزاعل وبني كعب ولا في القضاء على الفتن الداخلية . فقد اثار القبطان مصطفى فتنة ضد احمد اغا (الذي عينه سليمان باشا أبي ليلة متسلماً على البصرة في ٢٥ شوال ١١٦٢/١٧٤٩) فاعتقله هو وعمر اغا حاكم القرنة في العاشر من ذي القعدة ١١٦٢/تشرين اول ١٧٤٩ بتحريض من محمد باشا والي بغداد . ولما ثبت للقبطان ان سليمان باشا قد اصبح والياً على بغداد والبصرة ابدى خضوعه وسمح للمتسلم الجديد حسين اغا باستلام مركزه اواخر ربيع الآخر ١١٦٣/شباط ١٧٥٠ . ولكن القبطان اغتنم فرصة انشغال الوالي بفتن الاكراد فاتفق مع المنتفق واهل الجزائر على اشعال نيران الثورة عام ١١٦٤/١٧٥١ . وسارعت قوة عثمانية ارسلها والي بغداد الى اخماد الثورة واجبار القبطان على الفرار وتنصيب متسلم جديد . وحكم البصرة اواخر عهد سليمان احد رفاقه في العبودية المملوك علي اغا الذى بقى في منصبه الى وفاة

سليمان باشا فخلفه والياً على بغداد والبصرة عام ١١٧٦/١٧٦٢ [٣٩١] .

ولم يكن سليمان آغا (الذي اشتهر بسليمان الكبير) اكثر نجاحاً من غيره من متسلمي البصرة رغم مدة حكمه الطويلة (١١٧٩/١٧٦٥-١١٨٢ ، ١١٨٥/١٧٧١ - ١١٩٠/١٧٧٦) . فقد تأزم الخلاف بينه وبين الشيخ عبد الله زعيم المنتفق والشيخ عبد الله الشاوي زعيم العبيد مما دفع الاول الى الثورة والفرار وادي بحياة الثاني . وازداد نشاط الكعبيين في عهده فهددوا أمن البصرة واعتدوا على الملاحة واسروا سفينة عثمانية تابعة لاسطول البصرة عام ١١٨٨/١٧٧٤ . كذلك تعرضت البصرة عام ١١٨٦/١٧٧٢ لطاعون جارف قضى على قسم كبير من سكانها واوقف حركتها التجارية ، ولم تكن قد نجت من آثاره في اواخر العام التالي [٣٩٢] .

وتعرضت البصرة لمحنتها الكبرى اوائل ١١٨٩/١٧٧٥ .فقد تواردت الانباء عن استعدادات القزلباش (الايرانيين الشيعيين) العدائية ضد البصرة فبدأ متسلمها سليمان آغا في اعدادها للدفاع . ووصلت طلائع جيش كريم خان الزندي بقيادة اخيه صادق خان الى شط العرب في الثاني عشر من محرم ١١٨٩/١٦ اذار ١٧٧٥ واستطاعت الوصول الى الشط الثاني . ووصل الاسطول الكعبي لانجاد الايرانيين . وانبثت الدوريات الايرانية حول المدينة في منتصف نيسان وشرعت بمهاجمة الاطراف الشمالية وحاولوا تسلق اسوار المدينة [٣٩٣] .

واحسن المتسلم اعداد وسائل دفاعه . فقد ربط عدداً من الزوارق الكبيرة بالسلاسل وحصرها في نهر العشار لتقف في طريق الاسطول الكعبي . وقدم البصرة شيخا المنتفق ثامر وعبد الله لانجادها كما وصلها مائتا انكشاري. وشارك في الدفاع اهل المدينة وعناصر مختلفة بينهم الارمني والزنجي والعربي والتركي ، بل وبعض الرهبان الكرمليين . وقدم الانكليز للمتسلم نصائحهم حول اعداد الدفاع وساعدوه في انشاء السلسلة ولكنهم خذلوه في آخر الامر . وتمكن اسطول امام عمان من السيطرة على شط العرب طوال الصيف فامن وصول

ما تحتاجه المدينة ، كذلك تمكن عرب المنتفق من ايصال بعض القوافل التموينية الى البصرة . لذا لم يكن الحصار الايراني محكما[٣٩٤] .

ودب اليأس في نفوس المدافعين في ربيع العام الجديد بعد ان ايقنوا بان والي بغداد لن يرسل نجدات اليهم . ونفذت الذخائر في البصرة وازداد الحصار الايراني احكاماً وبدأ الانصار بالتخلي عن المدينة بعد ان ملوا المصابرة . «وولي الوزارة مصطفى فكتب الى متسلم البصرة سليمان ان المدد لكم بعيد فاما ان تصطلح مع العجم واما ان تسلم البلدة لهم . فلما ورد على سليمان ما ارسله مصطفى وقرأه على اهالي البصرة ايقنوا بالهلاك . فخرج جماعة من الاعيان طالبين من صادق خان الامان للنفوس والاعراض . فدخل البصرة ولم يبق مظالم الا ارتكب منها المتون وعمل من فنون الظلم ما لم تتصوره من غيره الظنون ، وقبض على سليمان وجماعة من الاعيان .. وهرب العلماء ومن عز الخذل واضحى كل مسجد دارس وموضع العلم بلا معلم ودارس والاكابر ترسف بالاداهم والاعناق مطوقة باطواق المغارم . . . » وهكذا سقطت البصرة بايدي القزلباش الايرانيين اواخر صفر ١١٩٠/نيسان ١٧٧٦[٣٩٥] .

حكم الايرانيون البصرة حكما غير مستقر او ناجح فترة اربع سنوات . اذ فشل الوالي الايراني محمد علي خان في محاولاته لكسب ولاء المنتفق وبني خالد رغم وجود قوة ايرانية كبيرة ، تبلغ العشرة الاف جندي ، تحت تصرفه . وقاد محمد علي خان جنده لاخضاع المنتفق اوائل عام ٩٢/١١٩٢/١٧٧٨ . واستدرجه الشيخ ثامر زعيم المنتفق حتى اوقعه بكمين نصبه له في ابي حلانة فابيدت القوة الايرانية وقتل قائدها وانتقل حكم البصرة الى حسين خان السستاني . ووصل صادق خان من شيراز مسرعاً لانجاد البصرة اوائل عام ١١٩٣/١٧٧٩ فاصلح وسائل دفاعها واقام حصناً على الضفة اليسرى من الشط المقابل للعشار . ولكن وصلته في منتصف اذار انباء وفاة اخيه كريم خان فغادر البصرة مسرعاً وسحب جيشه من البصرة[٣٩٦] .

واصبح الشيخ ثامر زعيم المنتفق هو الحاكم الفعلي للبصرة بعد جلاء الايرانيين. واطلق الايرانيون سراح متسلم البصرة السابق سليمان آغا فقصد البصرة الا ان ثامر رفض السماح له بدخول البصرة فبقى يترقب الحوادث في الحويزة. وعلم والي بغداد حسن باشا بجلاء الايرانيين عن البصرة فارسل اليها نعمان بك متسلماً فاعترف به الشيخ ثامر. الا ان ثامر قتل في نزاع مع الحويزة فانتقلت الزعامة الى ثويني بن عبد الله الذي نصب سليمان متسلماً. وتقرب سليمان من المقيم البريطاني لتوسيط السفير البريطاني في الحصول على ولاية بغداد له. ونجح سليمان في مسعاه واصبح والياً على بغداد اواخر عام ١١٩٣/١٧٧٩. وترك سليمان القبطان السابق مصطفى متسلماً واخرج المتسلم السابق نعمان بك من السجن وعينه كتخدا بالوكالة وقصد بغداد يصحبه الشيخ ثويني. ولما استقر امر سليمان في بغداد ارسل سليمان آغا القره ماني متسلماً على البصرة (١١٩٤/١٧٨٠ — ١٢٠٠/١٧٨٦). ثم خلفه عليها ابراهيم بك [٣٩٧].

وأساء سليمان باشا الكبير الى الزعماء العرب فتحالفوا ضده وجعلوا البصرة هدفهم الاول. وكان متسلم البصرة ابراهيم بك قد «أقام الفسوق ونافق السوق.. والقينات في كل محفل وناد فما ترك بابا من الفسوق الا فتحه..» فاغتنم ثويني فرصة تذمر الناس من ابراهيم فارسل قوة اعتقلته واكثر موظفيه وأقام حكومة عربية فيها. وجمع ثويني تواقيع أهل البصرة على استرحام أرسله للسلطان مطالباً بالاعتراف به والياً على المدينة. ولكن الحكم العربي لم يدم طويلاً اذ تمكن سليمان باشا الكبير من الحاق هزيمة كبيرة بالعرب واسترداد البصرة اوائل ١٢٠١ / ١٧٨٧ وتنصيب مصطفى آغا الكردي والياً عليها [٣٩٨].

وأضمر مصطفى الكردي التآمر على سيده لحقده على المهردار أحمد آغا الذي رفعه سليمان باشا الى منصب الكتخدائية. وبدأ مصطفى نشاطه بالاتفاق مع الشيخ ثويني واعادته شيخاً على المنتفق وعزل الشيخ حمود الثامر الذي نصبه

سليمان باشا شيخاً . وتودد مصطفى الى قائد الجند العثماني في البصرة اسماعيل آغا التكه‌لي باش آغا اللاوند . كذلك راسل عثمان باشا بابان وسليمان الشاوي لادخالهما في المؤامرة . وأحس سليمان باشا بما يحدث فأوعز الى القبطان مصطفى حجازي بقتل الكردي ، الا أن الاخير كان أسرع الى العمل فبادر الى اغتيال مصطفى حجازي واعلان العصيان . وبدأ سليمان باشا بإعداد حملة تأديبية ضد البصرة مستعيناً كالعادة بالاميرالباباني عثمان باشا دون أن يعلم بأن عثمان شريك بالمؤامرة عليه . ولكن سليمان‌الشاوي كشف السر لسليمان باشا فأخذ حذره . وانهارت مقاومة مصطفى وثويني فلجأ مصطفى الى الكويت وأوغل ثويني في الصحراء . ودخل سليمان باشا البصرة ونصب عيسى المارديني متسلما وجعل حمود الثامر شيخاً على المنتفق . وفي طريق عودته أمر بعزل واعتقال عثمان باشا الذي مالبث أن مرض وتوفي في المعتقل (٣٩٩) .

وغدت البصرة اواخر القرن مركز تجمع حملتين كبيرتين ضد الوهابيين . إذ حشد ثويني فيها قواته عام ١٧٩٧/١٢١٢ وأبحر منها الى الاحساء ولكن الحملة فشلت وقتل ثويني اغتيالاً . وجعلها المتسلم السابق الكتخدا علي باشا مركزاً لجموعه في كانون الاول ١٧٩٨/١٢١٣ ثم أبحر منها الى الاحساء . وهدد البصرة عام ١٨٠٣/١٢١٨ خطر وهابي كبير . اذ وصلت جيوش الامير سعود الى الزبير و « حاصر سعود . البصرة وقتل ونهب وحرق .. ومتسلم البصرة اذ ذاك ابراهيم آغا فصبر وصابر . ورجع حمود اليها بعد ماسافر عنها وشد للمتسلم عضده » (٤٠٠) .

ولعب سليم آغا صهر الوزير ومتسلمه في البصرة دوراً رئيسياً في الفتن التي قامت في هذا العهد . وعين سليم متسلماً على البصرة قبل وفاة سليمان باشا الكبير بعام واحد فلم يرض الباشا عن ادارته فعزله قبيل وفاته . واشترك سليم بالمؤامرة التي قامت ضد علي باشا إثر وفاة سليمان باشا الا أن علي باشا لم يعاقبه بل جعله متسلماً على البصرة فبقي فيها الى مقتل علي باشا عام ١٨٠٧/١٢٢٢ . ونفى الوالي الجديد سليمان باشا الصغير الى البصرة كلاً من عبد الله آغا الخازن وطاهر آغا الجوكدار وأرسل أوامر

سرية الى سليم بقتلها ، إلا أن سليم سهل لهما سبيل الفرار . واغتنم سليم فرصة مجيء حالت افندي سعيد فأرسل مستدعياً طالباً ولاية بغداد وبدأ يتآمر ضد سليمان باشا الصغير . وأرسل سليمان باشا قوة بقيادة أخيه بالرضاعة أحمد بك يدعمها حمود الثامر شيخ المنتفق ففر سليم من البصرة ولجأ الى بوشهر في ربيع ١٢٢٥/١٨١٠ وأصبح أحمد آغا متسلماً. ولما أصبح عبدالله آغا والياً على بغداد وطاهر آغا كتخدا قصدهما سليم متأملا فعجلا بقتله عام ١٢٢٦/١٨١١ (٤٠١) .

وتعرضت البصرة مرة أخرى لحركات المنتفق . اذ عزل داود باشا الشيخ حمود الثامر عن الزعامة وأسندها الى عجيل السعدون في ١٤ صفر ١٢٤٢/١٨٢٦ . وسير حمود ولديه ماجد وفيصل ضد البصرة وأيدهما امام عمان وشيخ كعب . ولكن متسلم البصرة استطاع أن يقنع امام عمان بالانسحاب من المعركة . والتف المنتفق حول عجيل وفشلت محاولة حمود الذي فر هو وولداه الى البادية (٤٠٢) .

ولم تحل هذه الاضطرابات دون تمتع البصرة برخاء نسبي في عهد المماليك . فقد وجد فيها ممثلون تجاريون أو قناصل لفرنسا وانجلترا وهولندا والبرتغال . وغدت البصرة المركز التجاري الرئيسي للبرتغاليين والانجليز في الخليج العربي . وانتعشت الحركة التجارية في الميناء الذي نافس بقوة موانيء بوشير وبندر عباس وغيرهما من الموانيء الايرانية . وترددت القوافل بين البصرة وبغداد وحلب ودمشق . وازدادت الحركة التجارية بين البصرة ودمشق بعد أن أعيد فتح الموانيء الجنوبية في بر الشام وبعد أن أصبح ميناء عكا ميناءاً رئيسياً في عهدي ظاهر العمر واحمد باشا الجزار فسارت القوافل من البصرة الى دمشق فعكا . ولما اضطربت الاحوال على طول هذا الطريق خلال فتنة ظاهر العمر وعلي بك الكبير كانت البصرة تعاني من طاعون جارف تلاه احتلال ايراني . وما أن استتب الامن في ربوع بر الشام حتى كانت البصرة قد استعادت حيويتها (٤٠٣) .

وكانت البصرة إذ ذاك مدينة كبيرة ذات تجارة واسعة . وبلغ عدد سكانها حسب بعض الروايات الافرنسية سبعين الفاً . وغادرت البصرة كل عام قافلة

تجارية ضمت اكثر من ثلاثة آلاف جمل حملت سلعاً مختلفة الى حلب أو دمشق .
كذلك قصد حلب من البصرة قوافل جمال غير محملة وبيعت هذه الجمال في أسواق حلب للسلطات العسكرية العثمانية وللمدنيين . ووصل البصرة كل عام من الهند (مدراس وبمباي وسورات) خمسة اوستة مراكب تحمل ما بين ٥٠٠ـ ٦٠٠ بالة جوخ و ٦٠٠ ـ ٧٠٠ بالة غزل حرير ابيض من البنغال و ٤٠٠ ـ ٥٠٠ بالة منسوجات حريرية وقطنية وكميات من التوابل . واحضر اليمانيون مقادير كبيرة من القهوة (البن) الى البصرة ليعاد تصديرها من هناك . وساهم في هذه التجارة الرابحة عرب وهنود وايطاليون وايرانيون وأرمن ويهود وانجليز وافرنسيون (٤٠٤) .

علاقات البصرة مع جيرانها

كان التغير الهام الوحيد الذي طرأ على علاقات البصرة مع القبائل المجاورة لها هو بروز أسماء جديدة واختفاء أسماء قديمة . فبرزت أسماء بني كعب وازدادت أهمية المنتفق بينما اختفت أسماء قشعم وآل عليان واوشكت أهمية الحويزة على الزوال . ولعبت قبائل بني لام وشمر وزبيد دوراً هاماً مماثلاً لدورها السابق .
وكان الشكل الرئيسي للعلاقات بين القبائل والولاة هو ثورات قبلية وحملات عسكرية حكومية تجرد ضدها لتنهب مواشي القبائل الثائرة وتعزل شيوخها وتعين شيوخاً آخرين . ولم يغير الشاه الايراني موقفه التقليدي العدائي فسعى دوماً الى الاستيلاء على البصرة او إضعافها والقضاء عليها تجارياً لمنافستها موانيء ايران .

الحويزة

بقيت الحويزة مركزاً للمؤامرات ضد الحكم العثماني في جنوبي العراق وملجأ المتآمرين والثائرين . وتمكن أمير الحويزة المولى فرج الله من اخضاع البصرة

ثلاث سنوات لحكمه (رمضان ١١٠٨/١٦٩٧ - ١٩ رمضان ١١١٢/١٧٠١)[٤٠٥] وساهم خلفه المولى عبد الله (١١١٤/١٧٠٢ - ١١٣١/١٧١٩) في اكثر الفتن. فقد أيد المنتفق في ثورتها عام ١١١٦/١٧٠٤ ولجأ اليه شيخها بعد ستة اعوام. كذلك حاول ان يحمي الثوار من بني لام عام ١١٢٣/١٧١١ ورفض تسليمهم للسلطات العثمانية فاغضب العثمانيين ولم يرض الشاه الذي اصدر أمراً بعزله فلجأ الى بني لام طريداً شريداً ثم عفي عنه وعاد الى امارته. ومالبث ان غير موقفه من بني لام فغزاهم عام ١١٢٧/١٧١٦ الا ان السلطات العثمانية تدخلت والحقت هزيمة بقواته. وثار بنو لام مرة اخرى على الدولة بعد ثلاثة أعوام ولجأوا الى الحويزة فسهل امير الحويزة للقوات العثمانية مهمة تأديب الثوار داخل حدود امارته. واغضبت هذه الاعمال الشاه فعزله واجبره على الفرار فلجأ الى بغداد عام ١١٣١/١٧١٩. وتوفي عبد الله في العام التالي فخلفه ابنه محمد ولكن المولى علي نازعه على الامارة.[٤٠٦]

واصبحت الحويزة ابان الحروب الايرانية العثمانية ميداناً للنزاع. وتنازل عنها الامير الافغاني للعثمانيين بموجب صلح عام ١١٤٠/١٧٢٧ فنصب العثمانيون عليها المولى محمد بن المولى عبد الله بن هبة الله. وبدأت اهمية الحويزة بالزوال وبرزت المحمرة الى الوجود.[٤٠٧]

بنو كعب

سكنت هذه القبائل حول شط العرب شرقاً وغرباً واشتغلت بزراعة الارز وتربية المواشي. وتذبذبت في ولائها السياسي بين العثمانيين والايرانيين بحيث لم تخضع بصورة فعلية الى أيٍ من الدولتين. واستغل شيخها وجوده في منطقة صالحة للملاحة ومطروقة ليعد اسطولاً للقراصنة. وتمكن الشيخ مسطور الكعبي من تهديد الطريق النهري بين بغداد والبصرة حتى اضطر الوالي الى تسيير

حملة لتأديبه واحراق سفنه عام ١٧٤٩/١١٦٢ . واعاد الشيخ سليمان العثمان بعد عشر سنوات بناء الاسطول بحيث اصبح مضاهياً في القوة للاسطول العثماني في الخليج . ولم يستطع متسلم البصرة علي بك تأديب الشيخ سليمان عام ١٧٦١/١١٧٥ فاضطر الى مصالحته . وعاد سليمان الى مزاولة نشاطه عندما اصبح علي بك والياً فقاد علي باشا جيشاً ضده واعانته شركة الهند الشرقية بسفينتين حربيتين وتمكن من اخضاع سليمان موقتاً (٤٠٨) .

وبلغ من قوة الشيخ سليمان ان الامبراطوريات الثلاث : بريطانيا وايران والدولة العثمانية تحالفت وساقت حملة مشتركة ضده عام ١٧٦٥/١١٧٩ . وشتت سليمان اساطيل المتحالفين اذ استولى على ثلاث سفن عثمانية واجبر العثمانيين على مصالحته . وتفرغ سليمان بعد ذلك للانجليز فأسر ثلاث سفن بريطانية ولكنه اطلق سراح ضباطها . وارسلت حكومة بومباي (الهند البريطانية) اسطولا من ست سفن للانتقام منه اوائل ١٧٦٥/١١٧٩ ، واقنعت والي بغداد بدعم هذا المجهود بحملة برية بقيادة الكتخدا . ولكن الشيخ سليمان احرق سفينتين انجليزيتين وتسع سفن عثمانية وصد الهجوم البري . كذلك اخفق كريم خان الزندي في محاولتيه عام ١٧٥٧/١١٧٠ و ١٧٦٥/١١٧٩ . وفرض الانجليز عليه حصاراً بحرياً لمدة عامين ثم رفعوه عام ١٧٦٨/١١٨٢ ، أي بعد وفاة سليمان بعامين . (٤٠٩)

وايد الكعبيون كريم خان في حملته على البصرة . واستفحل امر قرصنتهم النهرية عام ١٨١١/١٢٢٦ . ولكن أمرهم كان قد قارب الزوال لاسيما بعد ان تمكن تابع لهم من قبيلة المحيسن من تمصير المحمرة والاستقلال بها بعد عام ١٨٣٠/١٢٤٦ (٤١٠) .

طيء

ولايعرف الا القليل عن نشاط طيء في هذه الفترة . فقد فرض الوالي شيخ

طيء محمد الذياب بتأديب اليزيدية عام ١١٢٧/١٧١٦ وبعد قرابة قرن (١٢٢٤/ ١٨٠٩) لجأ فارس امير الجرباء الى شيخ طيء فارس الحمد مغاضباً للوالي فحماه شيخ طيء . وانضم شيخ طيء في العام التالي الى قوات حالت محمد سعيد الزاحفة على بغداد . (٤١١)

خزعل

اختفى اسم الخزاعل من طيء في عهد حسن باشا وابنه احمد باشا ثم عاد الى البروز في عهد المماليك . وفشل المملوك علي باشا في اخضاع شيخ خزعل حمود الحمد عام ١١٧٨/١٧٦٤ فكلفه هذا الفشل حياته . وتمكن الوالي عمر باشا من الاستيلاء على لملوم مركز الشيخ حمود فاعدم عدداً من الشيوخ وفر حمد ثم عفي عنه . وايد الشيخ حمود قوات كريم خان التي حاصرت واحتلت البصرة كما الحق هزيمة كبيرة بالمنتفق عام ١١٩٤/١٧٨٠ انتهت بقتل شيخ المنتفق ثامر . وتغلب سليمان باشا الكبير على حمود وعزله عن المشيخة ثم عفا عنه واعاده الى منصبه . ولكن حمود ثار بعد عامين (١١٩٩/١٧٨٥) كما ثار ثانية بالاشتراك مع المنتفق والشاوي عام ١٢٠١/١٧٨٦ . وفشلت الثورة الاخيرة وعزل حمود ونصب محسن الحمد شيخاً . ولكن محسن ثار فادب وعزل واعيد حمود شيخاً عام ١٢٠٨/١٧٩٣ : ولم يهدأ رغم كبر سنه فثار بعد اربعة اعوام وحوصر وعزل نهائياً وقسمت المشيخة الى قسمين (٤١٢) . الا ان هذا التدبير لم يقض على فتن آل خزعل الذين ثاروا في الاعوام ١٢١٥/١٨٠٠ ، ١٢١٩/١٨٠٤ ، ١٢٢٩/ ١٨١٤ ، ١٢٣٠/١٨١٥ (٤١٣) .

وكان الوالي قد نصب محسن الغانم شيخاً منافساً لحمود الحمد منذ عام ١١٩٥/ ١٧٨١ ، الا ان الخزاعل التفوا دوماً حول حمود فلم يستطع محسن تثبيت مركزه في اكثر من مشيخة الشامية المحلية التي استقل بها احياناً وضمت الى

حمود في اوقات اخرى . ونصب محسن شيخاً على جميع الخزاعل عام ١٢٠٢/ ١٧٨٧ فبقي في منصبه حتى ثورته عام ١٢٠٧/١٧٩٣ حينما ادبه الكتخدا احمد وعزله واعاد حمود وجعل محسن شيخاً على الشامية فقط . وكان محسن حياً وقادراً على احداث الفتن عام ١٢٣٠/١٨١٥ حينما ادبه داود الدفتري في عهد سعيد باشا وساقه الى بغداد . ولم يخلق سبتي المحسن شيخ الخزاعل المحلي في الجزيرة اية مشاكل للدولة ولم ينافس حمود او محسن الزعامة وانما انقاد دوماً اليهما . وبوفاة حمود ومحسن انتهت فتن آل خزعل واصبح شيخها عوناً للوالي. وبلغ من ولائه انه كاف عام ١٢٣٤/١٨١٨ بجمع الضرائب من جيرانه وبالاشراف على السدود .(٤١٤)

بنو لام

لم تنته فتن بني لام بوفاة شيخها عبد شاه عام ١١٢١-١٧٩٩ . وكان عبد شاه قد ثار مرة اخرى قبيل وفاته متحالفاً مع امير الحويزة ثم انقلب عليه وساعد الوالي حسن باشا(٤١٥) وخلف عبد شاه ابن اخيه عبد العال الذي تحالف مع الحويزة واتفق مع اميرها على نهب سفن التجار وقطع الطريق . وحدث انشقاق بين صفوف بني لام عام ١١٣١/١٧١٩ فاغتنم حسن باشا الفرصة للتدخل فعزل الشيخ فارس اخا عبد العال ونصب عبد السيد شيخاً . وعفا الوالي عن الشيخ الهارب عبد العال ولكنه لم يعده شيخاً بل نصب اخاه عبد القادر(٤١٦). ولم يكن عبد القادر مسالماً اذ استطاع عام ١١٣٨/١٧٢٥ ان يجمع عدداً من القبائل في حلف عرف بحلف ذي الكفل وانضمت اليه شمر ولكن الوالي تغلب على المتحالفين . واغتنم شيخ بني لام فرصة وصول نادر شاه الى بغداد فقصد معسكر الشاه لتقديم الولاء . وجرد احمد باشا عليهم حملة عام ١١٥٠/١٧٣٧ وسانده في زحفه اسطول نهري . ولكن رغم نجاح الحملة العسكري فانها لم

تقض على فتن بني لام الذين خلقوا للوالي اضطرابات في العام التالي لانتصاره . ولجأ احمد باشا الى الخداع فدعا شيوخ بني لام الى وليمة عام ١١٥٤/١٧٤١ وقتلهم غيلة وصبرا . كذلك اغرى الشيخ عبد القادر بالوعود واقنعه بالحضور الى بغداد حيث اعتقله وقتله عام ١١٥٨/١٧٤٥[٤١٧] واختفى اسم بني لام من سجل الاحداث بعدذلك فلم يبرز غير اسم زعيمهم عرار إبن عبد العال الذي تمنع عام ١٢٢٠/١٨٠٥ عن دفع الميري فجردت حملة ضده وعزلته ونصبت عباس الفارس شيخا[٤١٨]

شمر

استطاع الوالي ان يقنع شمر طوقة باستيطان المنطقة الواقعة بين ديالي وكوت العمارة كما استقرت المسعود في اطراف الحسيب وكربلاء واطاعتا وامن الوالي شرهما . وحاول الوالي احمد باشا ان يغدر ببكر الحمام شيخ شمر الجرباء الذي كان مرافقاً للوالي في رحلة صيد عام ١١٥٩/١٧٤٦ ولكن بكر شعر بما يحبأله ففر وقام بعد عشرة اعوام بنشاط معاد للدولة[٤٢٠] .

وازدادت قوة شمر بعد ان اجبر الوهابيون القسم الباقي في نجـد من شمر الجرباء على الجلاء فهاجروا بزعامة مطلق الجرباءالى العراق عام ١٢٠٥/١٧٩١[٤٢١] واشترك فرع العراق من شمر بزعامة فارس آل حمد الجرباء في حملاة الولاة على قبائل العبيد والظفير عام ١٢١٣/١٧٩٨ وساهموا في صد الوهابيين عام ١٢١٦/١٨٠١ وفي القضاء على ثورة الشاوي بعد عامين [٤٢٢] وتغير وضع شمر في عهـد الوالي سعيد باشا الذي ايد قاسم الشاوي والعبيد والرولة فاغتنم زعيم الرولة الشيخ الدريعي الفرصة فغزا شمر عام ١٢٣١/١٨١٦ وقتل شيخها [٤٢٣] . واستعادت شمر نفوذها في عهد ولاية داود باشا ومشيخة صفوك الذي لقب بسلطان البر . وساهم صفوك في صد الغزو الفارسي عام ١٢٣٧/١٨٢٢ فكوفيء باقطاعه عانة

على الفرات[٤٢٤] وانتصر صفوك في العام التالي على عبد الله بن هذال زعيم عنزة في في يوم بصاله واسر هوادجه ولكن عنزه ثأرت لنفسها بعد عام[٤٢٥]. وساعد صفوك داود باشا على انقاذ البصرة من حمود شيخ المنتفق عام ١٢٤٢/١٨٢٦ . وانقلب على داود وساهم في حملة علي رضا باشا . وانتصر على عجيل شيخ المنتفق عام ١٢٤٧/ ١٨٣١ ، الا أن علي رضا باشا ساق ضده حملة هزمته واعتقلته عام ١٢٤٩/ ١٨٣٣ فارسله الى استانبول حيث توفي عام ١٣٠٦/١٨٨٩ . وخلفه ابنه فرحان باشا شيخا على شمر[٤٢٦]

المنتفق

استولى زعيم المنتفق مانع على البصرة وحكمها ثلاث سنوات (١١٠٦/١٦٩٤ -١١٠٨/١٦٩٦) الى ان اخرجه منها امير الحويزة . وعاد ابنه مغامس الى احتلالها (١١١٦/١٧٠٤ - ١١٢٠/١٧٠٨) فحكمها بدوره اربعة اعوام . وفر مغامس طريداً وبقي زمناً متجولا يحرض القبائل على الثورة . الا ان المنتفق ملت الثورة فاستعان احد شيوخها ناصر بالوالي حسن باشا وبشبيب شيخ قشعم[٤٢٧] . وكانت قشعم اولى القبائل العربية التي هدأت واستكانت للولاة وانقادت لهم فعادتها بسبب ذلك اكثر القبائل العربية[٤٢٨]

وخلف مغامس اخوه محمد الذي اتبع هو وابنه سعدون خطة ابيه وجده في معاداة الدولة . فثار محمد عام ١١٣٨/١٧٢٥[٤٢٩] وثار ابنه سعدون عام ١١٥١/١٧٣٨ . والقى احمد باشا القبض على سعدون احتيالا ثم عفا عنه . فجمع سعدون جموعه ونزل بين النجف والكوفة وحاصر الحلة وهدد البصرة التي ادعى انها ملكه « ليس للروم فيها شيء » وافتخر بانه السلطان في هذه الديار .. « وما شأن احمد باشا وما السلطان ؟ انني انشاء الله آخذ بغداد واحكم فيها بالعدل » . ولكن احمد باشا هزمه واسره وارسل رأسه الى استانبول[٤٣٠]

وتزعم المنتفق بعد مقتل سعدون ابنه ثامر ونازعه الزعامة كل من بندر

ومنيخر . واختارت المنتفق بندر زعيما للثورة التي اشعلتها اثر وفاة احمد باشا. وانضم الى المنتفق بنولام والحويزه وسكان الاهوار ولكن والي البصرة سليمان باشا بالبلة تمكن من تمزيق شمل الثوار عام ١١٦١/١٧٤٨.(٤٣١) وبرز منيخر ابان النزاع على ولاية بغداد بين سليمان باشا ومحمد باشا عام ١١٦٣/١٧٥٠. وانضم مينخر الى محمد باشا وساعد قبطان شط العرب على ضبط البصرة وحكمها باسم محمد باشا واعتقل احمد آغا ممثل سليمان باشا . واشترك منيخر في فتنة القبطان مصطفى في العام التالي فارسل سليمان باشا حملة بقيادة الكتخدا الذي اجبر منيخر على الفرار واعاد الشيخ بندر زعيما على المنتفق (٤٣٢) وكان عبدالله بن محمد بن مانع قد لزم الحياد والهدوء ، الا انه اتهم عام ١١٨٢/١٧٦٨ بالتعرض لبعض مقاطعات البصرة . وكان قد حدث خلاف بينه وبين المتسلم الحاج سليمان اغا فاوفد والي بغداد وسيطاً هو عبد الله الشاوي الذي جمع بينهما للصلح . ولكن تهمة العصيان الصقت به ثانية وجردت ضده حملة اجبرته على ترك الديار والفرار .(٤٣٣)

وعاد اسم ثامر السعدون الى البروز مرة اخرى ابان الحصار الايراني للبصرة عام ١١٨٨/١٧٧٤ .فقد اشترك هو وابن عمه ثويني بن عبد الله في الدفاع عن البصرة . واستطاع ثامر ان يلحق هزيمة كبرى بجيش والي البصرة الايراني ادت الى قتل الوالي عام ١١٩٣/١٧٧٩ .ودخل ثامر البصرة بعد جلاء الايرانيين ورفض السماح لسليمان اغا (سليمان باشا الكبير) بدخولها وايد نعمان اغا متسلما عليها . ولكن ثامر هزم وقتل في حربه مع الخزاعل (٤٣٤) فخلفه ابن عمه ثويني بن عبد الله .

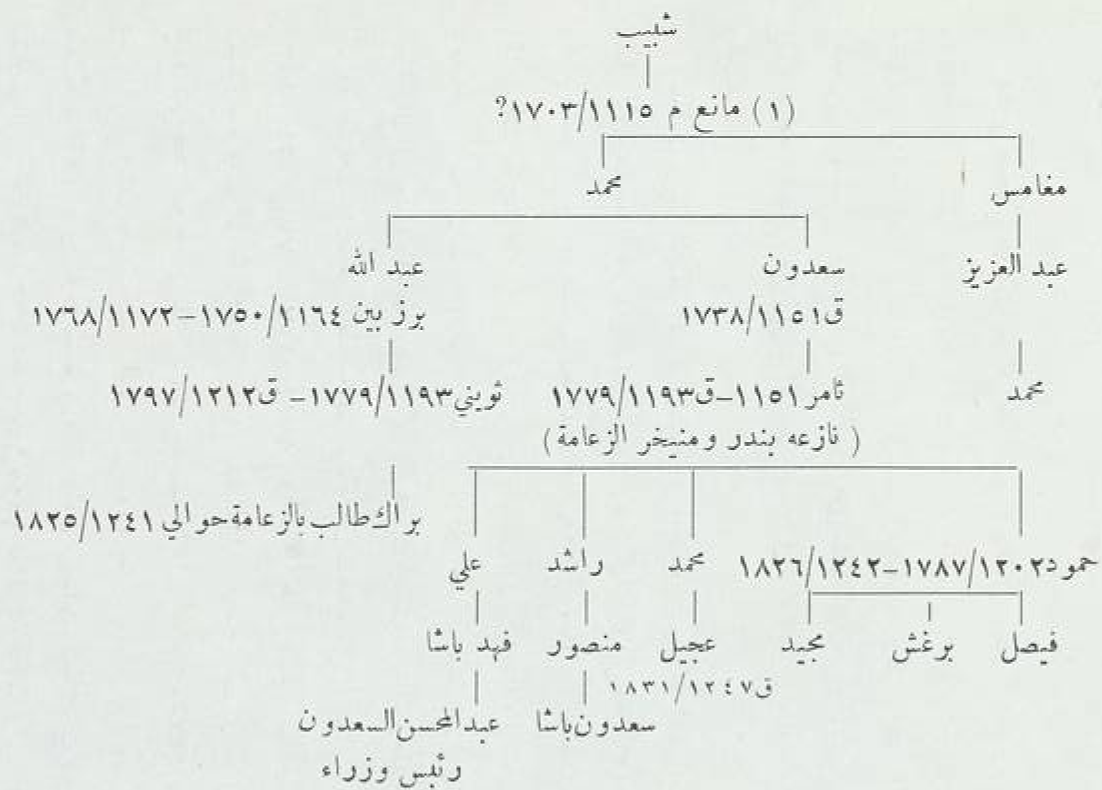
وتصور قصة زعامة ثويني (١١٩٣/١٧٧٩-١٢١٣/١٧٩٨) للمنتفق وعلاقته بالولاة المأساة التي مرت بها القبائل العربية في علاقاتها مع الولاة العثمانيين . فقد دعم ثويني قضية المتسلم سليمان اغا الذي اصبح بعد عام والياً على بغداد والبصرة ليشتهر بسليمان الكبير . ولكن سليمان الكبير اغتنم اول فرصة

للقضاء على صديقه . فاغتنم مناسبة لجوء زعيم عربي آخر هو سليمان الشاوي الى مخيم ثويني ليعتبر عمل ثويني ثورة وخروجاً على القانون . وتحالف مع ثويني والشاوي حمد الحمود شيخ خزعل . وارسل ثويني قوة الى البصرة فاحتلتها واعتقلت متسلمها ابراهيم افندي ونصب ثويني اخاه حاكماً على البصرة . ولكن حمود بن ثامر ، ابن عم ثويني ، انضم الى الوالي فأحدث انقساماً في صفوف المنتفق . واستطاع جيش سليمان باشا الكبير ، الذي قاده بنفسه ، ان يلحق هزيمة بالمنتفق اوائل محرم ١٢٠٢/١٧٨٧ « ولو خذل في هذه الحرب لم يبق وزير ولا حكومة مماليك » وعزل الوزير ثويني من الزعامة وأعطاها لحمود بن ثامر إلا أن متسلم البصرة الجديد مصطفى الكردي أعاد ثويني الى زعامة المنتفق في العام التالي وعزل حمود الذي لجأ الى بغداد، واعترف الوالي بالامر الواقع . واشترك ثويني في فتنة مصطفى الكردي متسلم البصرة عام ١٢٠٣/١٧٨٨ فهزمهما سليمان باشا في منتصف العام وعزل ثويني واعاد حمود زعيماً . وعفي عن ثويني بعد عامين ولكنه لم يعد شيخاً بل فرضت عليه الاقامة في بغداد حيث بقي فيها معزولاً عن زعامة المنتفق حتى عام ١٢١١/١٧٩٦ عندما أعيد الى الزعامة بعد ان تعهد بغزو نجد والقضاء على الوهابيين (٤٣٥) .

وصل ثويني الى البصرة لتولي زعامة المنتفق وقيادة الحملة المجهزة لاسترجاع الاحساء من الوهابيين . وكان الوهابيون قد استولوا على الاحساء وأخرجوا منها بني خالد وفر زعيما بني خالد براك بن عبد المحسن ومحمد بن عريعر الى البصرة مستنجدين بالدولة العثمانية . وجمع ثويني عشائر المنتفق وامده الوالي بخمس قطع من المدافع وبقوة انكشارية من حملة البنادق . وتراجعت القوى الوهابية مذعورة أمام جموع ثويني . ولكن عبداً من عبيد جبور بني خالد اسمه طعيس اغتال ثويني في الرابع من محرم ١٢١٢/١٧٩٧ فتفرقت جموعه منهزمة وتعقبتها القوى الوهابية (٤٣٦) .

واستقرت زعامة المنتفق لحمود بن ثامر الذي دامت زعامته الثالثة ثلاثين سنة (١٢١٢ - ١٨٢٦/١٢٤٢) . وكان حمود قد تزعم المنتفق قبل ذلك مرتين . ودامت زعامته الاولى اقل من عام واحد (١٧٨٧/١٢٠٢ - ١٧٨٨/١٢٠٣) وعزل فترة قصيرة واعيد زعيماً للمرة الثانية لمدة ثمان سنوات (١٢٠٣ — ١٢١١ / ١٧٩٦) . وساهم حمود في الحملات التي نظمها والي بغداد ضد الوهابيين . فاشترك في حملة علي باشا عام ١٧٩٨/١٢١٣ وفي مقاومة الغزو الوهابي العراق في عامي ١٨٠١/١٢١٦ و ١٨٠٣/١٢١٨ وفي الدفاع عن البصرة في العام الاخير . وساهم حمود في القضاء على فتنة متسلم البصرة سليم اغا عام ١٨١٠/١٢٢٥ فانتزع البصرة منه واجبره على الفرار وسلم المدينة الى احمد اغا اخي الوزير سليمان باشا الصغير بالرضاعة.(٤٣٧) واجار حمود من لجأ اليه، فحما سعيد بن سليمان باشا الكبير وقاسم الشاوي وايدهما ضد الوالي عبد الله التوتنجي وخاض معركة في سبيل ذلك ذلك انتهت بقتل الوالي وايصال سعيد باشا الى منصب الولاية عام ١٨١٣/١٢٢٨ . ووقف حمود الى جانب سعيد باشا طوال مدة حكمه ودافع عنه .

وكان طبيعياً ان يغتنم داود باشا اول فرصة لعزله . وافسح ذلك المجال لمناوئي حمود والطامحين بالزعامة فتواردوا على بغداد يغرون صدر الوالي على حمود ويطالبون بالزعامة لانفسهم . وكان من بين من سعى الى الزعامة براك بن ثويني ومحمد بن عبد العزيز بن مغامس ومحمد بن مناع العقيلي المنتفقي وحنيان بن مهنا بن فضل بن صفر الشبيبي المنتفقي الذين تجمعوا في بغداد عام ١٨٢٥/١٢٤١ للدس على حمود . ولم يقف حمود مكتوف اليد امام هذه الاخطار بل بدأ بدوره يشجع الناقمين والثائرين على الوالي . واخيراً وصل الى بغداد عجيل بن محمد بن ثامر في ١٢ صفر ١٨٢٦/١٢٤٢ الذي وجد فيه داود باشا ضالته المنشودة فانعم عليه بعد يومين بخلعة الزعامة . وحاول حمود ان يقاوم فارسل ولديه ماجد وفيصل



شيوخ المنتفق آل السعدون

لغزو البصرة بمساعدة امام عمـان ولكن فشلت الحملة وفر حمود ، وقد فـارق عزه وبصره ، واوغل في البادية واستتبت الزعامة لعجيل (٤٣٩) .

زبيد

عشائر قحطانية وردت العراق مع الفتح الاسلامي وشاركت به ولم ينقطع ورودها . وبقيت اصولها في الجزيرة واستقرت بعض فروعها في بر الشام ومصر . وتفرعت في العراق الى زبيد الاكبر وزبيـد الاصغر . وتفرع عن الاولى الجحيش والبوسلطان والسعيد والبو محمد (من عشائر العمارة) وكانت الرئاسة في العبد الله . وتفرع عن زبيـد الاصغر الجبور في لواء ديالي والحلة ، والدليم والعبيد .

سكنت زبيد الاصغر المنطقة الممتدة من الحلة حتى ديرة الخزاعلة وجندت ثمانية آلاف مسلح . وبرزت اهميتهم كمصدر ازعاج للولاة اوائل القرن ١٢/١٨ . وقطعوا الطريق بزعامة شيخهم عبد القادر عام ١١١٩/١٧٠٧ . واستعان حسن باشا بقوات الموصل وشهرزور وتمكن من تأديبهم . ولكن ذلك لم يمنعهم بعد عامين من الاشتراك بفتنة المنتفق . ولجأ الوالي الى الخداع فاستـدرج زعيمهم عبد القادر الى بغداد واعتقله وقتله (٤٤٠) . وهدأت زبيد بعد ذلك زمناً طويلاً الى ايام حركات نادرشاه . وشن عليهم الولاة غارات تأديبية في الاعوام ١١٥٠/ ١٧٣٧ و ١١٥٤/١٧٤١ و ١١٥٧/١٧٤٤ . واخـيراً لجأ احمـد باشا الى الحيلة فاستدرج زعماءهم الى بغداد وقتل عدداً منهم (٤٤١) . واشتركـت زبيد في كل تجمع قبلي ضد الدولة وتحدى شيخهم حطاب الشلال الدولة عام ١٢٢٠/١٨٠٥ فعزله الوالي وعين حسين البندر الذي عزل بدوره بعد تسعة اعوام ونصب بدلا منه شفلح الشلال . واشترك شفلح في فتنة صادق بن سليمان باشا الكبير وقاسم الشاوي الذين لجآ اليه وحماهما عام ١٢٣٣/١٨١٧ فعزله داود باشا واعـاده بعد

عام ثم عزله ثم اعاده في صفر ١٢٤٢ / ١٨٢٦ فقدم للوالي مساعدته ضد حمود الثامر [٤٤٢] .

العبيد

والعبيد فرع من زبيد الاصغر سكنوا الشامية واشتهروا بتأييدهم للولاة وبسكنى زعمائهم من آل الشاوي لبغداد واحتكارهم منصب باب العرب فيها . ويرد اسمهم لاول مرة في القرن ١٢/١٨ في عهد الوالي المملوكي الثاني عمر باشا . فقد انتدب الوالي المذكور زعيم العبيد الشيخ عبد الله الشاوي للاصلاح بين شيخ المنتفق ومتسلم البصرة عام ١١٨٣/١٧٦٩ . وما لبث الوالي ان غضب على عبد الله الشاوي لاتهامه اياه بتحريض شيخ المنتفق على الفتنة فأمر بقتله . وفر اولاده (سليمان وسلطان وعبد العزيز ومحمد) من بغداد وتجمع العبيد حولهم واحتشدوا في الدجيل . واغار عليهم الوالي واسر سلطان ابن عبد الله وقتله بيده وفر الباقون من اولاد الشيخ عبد الله [٤٤٣] .

وعفي عن اولاد الشيخ عبد الله وعادوا الى بغداد ليلعبوا فيها ادواراً هامة . وبرز من اولاد الشيخ عبد الله كل من الحاج سليمان ومحمد وعبد العزيز وحبيب . ولم يلعب عبد العزيز وحبيب دوراً هاماً . فلا يرد ذكر حبيب الا عندما فر من بغداد عام ١٢٠٠/١٧٨٥ وانضم الى اخيه الثائر الحاج سليمان [٤٤٤] . وفر معه في نفس الحادث الاخ الآخر عبد العزيز الذي عفي عنه . وارسل عبد العزيز عام ١٢١٦/١٨٠١ سفيراً الى الدرعية لمفاوضة الامير الوهابي سعود «فانقلب الشاوي بغير ما امله ولاجله الوزير ارسله الا انه لما شرب من مائه وجلس بين دعاتهم وعلمائهم مازجه من بدعتهم شبهة ونزعة .. » [٤٤٥] وروي عن عبد العزيز انه كان « المعي غاية في التمييز قرأ على علماء قطره .. وتشبث باسباب الديانة واعرض عن كل ما يشين ولازم الجماعات في المساجد ونادم كل ناسك وصار

لا يباشر من الاسباب الدنيوية الا ما كان من الامور الضرورية .. » واتهم عبد العزيز « انه لما ارسله الى الوهابية سليمان باشا الوزير عنّ له عن اعتقادهم ما عن وظن انه الحق .. » فامر سليمان باشا بقتله في اول محرم ١٢١٨/ نيسان ١٨٠٣(٤٤٦) .

واشتهر الحاج سليمان بن عبد الله الشاوي كأكبر شخصية عربية في عهد المماليك . وكان سليمان ايضاً ، كأخوته ، عالماً أديباً نظم قصيدة تاريخية سماها سكب الادب على لامية العرب . ولما قامت فتنة في بغداد بين اسماعيل كتخدا وعجم محمد استدعي سليمان من مقره الريفي لايجاد حل للمشكلة . وحكم سليمان بانسحاب عجم محمد من بغداد فرفض عجم محمد هذا الحل فانضم سليمان الشاوي الى حزب اسماعيل كتخدا وايده الكرخ . ورحب بسليمان باشا الكبير عندما عين واليا على بغداد فقد قربه واولاه ثقته واوفده الى الامارة البابانية لتسوية الخلافات بين امرائها عام ١١٩٦/١٧٨٢(٤٤٧) .

وتمتع سليمان بمركزه الكبير الى أن نشب خلاف بينه وبين المهردار احمد آغا. وايد الوالي مهرداره ، ففر سليمان من بغداد الى هور عقرقوف . وجرد الوالي ضده حملة بقيادة المهردار ففر سليمان وجموعه الى الخابور واستولى المهردار على مواشيه . ولما وصل الخلاف الى هذه المرحلة انقلب الى ثورة كبيرة . وغادر حبيب ومحمد وعبد العزيز ، اخوة سليمان ، بغداد وانضموا اليه في منازله الجديدة في الخابور عام ١٢٠٠/١٧٨٥ . وزحف سليمان الشاوي بجموعه المتزايدة على بغداد والحق هزيمة بقوة الوالي بقيادة خالد اغا كتخدا البوابين قرب الفالوجة ودخلت طلائع سليمان الكرخ واطراف بغداد الاخرى . وقاد سليمان باشا المقاومة بنفسه وكبس جموع الشاوي وشتتها ولجأ الشاوي الى حمود الثامر امير المنتفق وصديق الوالي . ولما رفض حمود تسليم دخيله اعتبر سليمان باشا هذا العمل ثورة . واتسعت ثورة القبائل العربية التي ايدها المنتفق والعبيد وزبيد

والخزاعل وجميع قبائل الفرات الادنى والاوسط . وأرسل المتحالفون قوة الى البصرة فاحتلتها وأتموا بذلك احتلال جنوبي العراق فغدا الموقف خطيراً يهدد مركز الوالي وكيان المماليك . واعد الوالي حملة برية نهرية وتمكن من تشتيت جموع الثوار في محرم ١٢٠٢/تشرين ١٧٨٧ (٤٤٨) .

وعفى الوزير عن سليمان في العام التالي وفرض عليه اقامة اجبارية في ارضه واعاد اليه ممتلكاته . واعتزل سليمان في مزرعته ورفض الاشتراك بالمؤامرة التي دبرها عثمان باشا البابانى ومصطفى اغا الكردي وابلغ اخبارها الى الوالى . ولكنه اضطر الى الثورة مرة اخرى عندما لجأ اليه عجم محمد عام ١٢٠٥/١٧٩٠ ورفض تسليمه . وهاجمه الكتخدا ففر باتجاه حوض الخابور حيث اقام الى ان اغتاله احد اقاربه عام ١٢٠٩/١٧٩٤ (٤٤٩) .

وعاصر سليمان الشاوي واشتهر مثله اخوه محمد الشاوي . وبلغ من علو مركزه انه اختير عام ١١٩٢/١٧٧٨ سفيرا وارسل لمفاوضة الوصي على عرش ايران كريم خان الزندي (٤٥٠). وعاد محمد الشاوي من ايران الى بغداد ليجدها فريسة الفوضى والفتنة فاشترك مع اخيه سليمان في تصفية الجو . واختاره الوالي حسن باشا وكيلا له في بغداد فحمى بغداد من فتن عجم محمد واشترك مع خيالة العبيد في اخماد الفتن (٤٥١). ولزم الحياد عندما نشب الخلاف بين اخيه والوالي، ولكنه لما رأى ان الوالي يضمر الشر للعرب غادر بغداد مع اخويه حبيب وعبد العزيز وانضموا الى اخيهم سليمان عام ١٢٠٠/١٧٨٥ . ولما عفي عن آل الشاوي عاد محمد الى سكنى بغداد حيث استعاد مركزه الكبير وارسله الوالي مندوبا عنه لاصلاح امر البابانيين في الوقت الذي كانت فيه جيوش الوالي تطارد اخاه سليمان (٤٥٢).

ووقف موقفا مؤيدا من علي باشا فكان جزاؤه جزاء سنمار . فقد جمع أهل السنة حوله وانتزع القلعة من القابوقول وساهم في تنصيب علي باشا واليا في جمادى الثاني ١٢١٧/تشرين ١٨٠١ . وكافأه علي باشا على عمله بعد نصف عام . اذ

أمر في اوائل محرم ١٢١٨/١٨٠٣ بخنقه وخنق اخيه عبد العزيز كما اعتقل الحاج احمد بن الحاج سليمان وفر قاسم اكبر اولاد محمد الى قبيلته(٤٥٣).

التف العبيد حول قاسم (جاسم) بن محمد بن عبدالله الشاوي الحميري الذي قادهم الى ملجئهم التقليدي في حوض الخابور. واراد تيمور باشا الملي، والي الرقة، اغتنام الفرصة للانتقام من العبيد وارضاء الوالي ولكن قاسم الحق به هزيمة كبيرة. وعبرت العبيد بعد ذلك الى الشامية فالجزيرة.

وتمركز العبيد حول الخابور حوالي ١٢٢٠/١٨٠٥. وتحالف شيخا العبيد قاسم الشاوي وضامن المحمد مع حمد الحسين شيخ الغرير وعبد الرحمن باشا بابان. وحمل عليهم الوالي علي باشا فانهزم البابان والعبيد والغرير، واستعان الوالي بشمر والعقيل في تعقب العبيد فاوقع بهم وقتل الشيخ ضامن المحمد. ووصل جيش الوالى مرابع العبيد اواخر جمادى الثاني (ايلول) فوجدهم قد فروا امن وجهه فاتلف مزروعاتهم وعاد الى بغداد(٤٥٤). وبقي العبيد بزعامة قاسم مطاردين طوال عهد علي باشا، وقربهم سليمان باشا في اول عام من ولايته وايد قاسم ضد آل الجرباء من شمر(٤٥٥).

وتحسن موقف العبيد آخر عهد سليمان باشا عندما اعلن عزله، فايدوا مندوب السلطان حالت افندي. وسار العبيد والغرير في ركاب حالت افندي الى بغداد للقضاء على سليمان باشا. ولكنهم لم يبرزوا في عهد عبد الله باشا اما في عهد خلفه سعيد باشا فتمتعوا بنفوذ كبير. واصبح قاسم رئيسا لباب العرب ومستشار سعيد باشا الاول(٤٥٦). فلما قتل سعيد واصبح داود واليا اصدر امراً باعدام قاسم فعاد طريدا كسابق عهده، ولكن داود لم يعاد جميع آل الشاوي بل قرب اليه عبد الله بن سليمان الشاوي في عام ولايته الاول وجعله رئيسا لباب العرب، اما قاسم فقد بقي مطارداً يحالف كل ثائر ضد الوزير. فقد تحالف عام ١٢٣٣/١٨١٧ مع الشيخ شفلح الشلال زعيم زبيد وصادق بك ابن سليمان باشا

الكبير ولكن الوالي فرق جموعهم فلجأوا الى عفك وتحصنوا بالاهوار وقطعوا الطارق ونهبوا السفن . وتعاون في العام التالي مع اليزيدية في ثورة فاشلة. وعاد الى الالتجاء الى عفك وفشلت محاولة الوالي ضده عام ١٢٤١/١٨٢٥ (٤٥٧).

ويرد اسم قبائل عربية اخرى كانت مصدر ازعاج للولاة في هذا الدور . فقد ازعجت عنزة الولاة في بغداد بالرغم من أنها قبيلة شامية . وقاومت عنزة بنجاح اندفاع شمر ، وأجبرت شمر على عبور الفرات الى الجزيرة ، كما أجبرت الموالي على اخلاء ديرة حمص عام ١١٧١/١٧٥٦، وسيطرت على ديرة السلمية بعد ١٢٢٠/ ١٨٠٥ . (٤٥٨) ولاقى الولاة ازعاجاً من الظفير الذين كانوا يسكنون المناطق الشمالية ومن الدليم (وهم ايضاً كالعبيد من زبير الاصغر) قرب الفالوجة (٤٥٩).

الموصل :

ازداد اعتماد الموصل على بغداد في هذا العهد حتى غدت شبه لواء ملحق ببغداد لا ولاية مستقلة لها واليها الخاص . ونري ان والي بغداد هو الذي قام عادة بتأديب القبائل العاصية بين الموصل وكركوك وتولى امر بناء جسر التون كوبري على الزاب الاصغر (٤٦٠).

وضعف نفوذ ولاة بغداد قليلاً في عهد الجليلي . وعائلة الجليلي تنسب الى عبد الجليل ، وهو مسيحي جاء الموصل عام ١٠٠٩/١٦٠٠ وقدم احد أحفاده المدعو اسماعيل خدمات هامة للدولة العثمانية في الحرب مع ايران ، فأنعم عليه بالباشوية وولاية الموصل (١١٣٩/١٧٢٦ — ١١٤٣/١٧٣٠) (٤٦١) . وخلفه في منصبة ابنه الحاج حسين باشا الذي أظهر مقدرة فائقة في حماية الموصل من الايرانيين . وكانت الجيوش الايرانية التي وجهها نادر شاه قد وصلت الموصل صباح ٢٥ شوال ١١٤٥/١٧٣٢ فألحق بها حسن باشا هزيمة كبيرة . وأصيبت الموصل عام ١١٥٥/١٧٤٢ بقحط ومجاعة وحرائق ، ولكن قبل أن تمر الموصل

بهذه المصائب بسلام كان نادر شاه قد فرض عليها الحصار في منتصف شعبان ١١٥٦ /أواخر ايلول ١٧٤٢ . وتحملت الموصل بزعامة حسين باشا حصار اثنين واربعين يوماً ، واكثر من اربعين قنبلة وصدت خمس هجمات ، واجبرت نادر شاه على الانسحاب في رمضان . وبادر أهل الموصل فور الانسحاب الى تضميد جروحهم وترميم سورهم والحصون [٤٦٢] .

ونقل حسين عام ١٧٤٨/١١٦١ والياً على البصرة فخلفه في الموصل الصدر السابق محمد باشا . ووصلت إذ ذاك انباء وفاة والي بغداد احمد باشا ، فنقل محمد باشا آخر العام والياً على بغداد وخلفه في الموصل يحيى باشا . ورأت الدولة ان حسين باشا أقدر من غيره على ادارة الموصل فأعادته اليها عام ١٧٤٩/١١٦٢ فبقي والياً عليها حتى وفاته عام ١٧٥٧/١١٧٢ [٤٦٣] .

ودعم سليمان باشا أبو ليلة مطالب محمد أمين باشا الجليلي بن الحاج حسين ليصبح واليا على الموصل خلفا لابيه . وقدم أمين باشا مساعدات هامة لولاة بغداد في حملاتهم على اليزيدية والاكراد . ورفع الى رتبة الوزارة قبيل الحرب العثمانية الروسية ونقل واليا الى ديار بكر واشترك بالحرب ضد روسيا فوقع اسيرا . وقضى في اسر الروس سبع سنوات فلما عقدت معاهدة كاينارجه اطلق سراحه فاعيد الى الموصل واليا للمرة السابعة ثم نقل واليا الى بغداد عام ١٧٧٥/١١٨٩ ولكن توفي قبل ان يستلم عمله [٤٦٤] .

وتوالى على حكم الموصل خلال ربع القرن الذي تلا وفاة الحاج حسين الجليلي قرابة عشرين واليا كان ثلاثة عشر منهم من آل الجليلي . واشتهر من الجليليين عبد الفتاح بن اسماعيل الذي ولي الموصل عام ١٧٦٩/١١٨٣ وتوفي بعد عامين وهو وال على طرابلس بالشام . وخلف محمد امين باشا في المرة الاخيرة ابنه سليمان الذي حكم الموصل عدة مرات وتقلب على ولايات شهرزور وقارس وسيواس . ونازعه على حكم الموصل عبد الباقي بن عبيد اغا الجليلي فتدخل والي بغداد

لمصلحة عبد الباقي عام ١٧٨٤/١١٩٩ ولكن توفي عبد الباقي في العام التالي فخلفه سليمان (٤٥٦).

وكان محمد باشا بن محمد امين باشا الجليلي اشهر ولاة الموصل في عهد المماليك واطولهم حكماً. فقد حكم الموصل ثمانية عشر عاما (١٢٠٤/١٧٩٠-١٢٢٢/١٨٠٧). وخلفه في الولاية ابنه محمود ولكن عارضه ابن عمه اسعد بن الحاج سليمان فآلت الولاية الى قريبهما الضعيف نعمان بن سليمان باشا اوائل العام الجديد (١٢٢٣/١٨٠٨). ولم يتقبل اسعد بك هذا الحل وبقي مصدرا للفتن. ولم يتم نعمان عامه لمرضه فحاول والي بغداد نقل الحكم الى احمد افندي ابن بكر افندي في عام ١٢٢٠/١٨٠٩ كاتب نعمان باشا الذي لم يكن جليليا (٤٦٦).

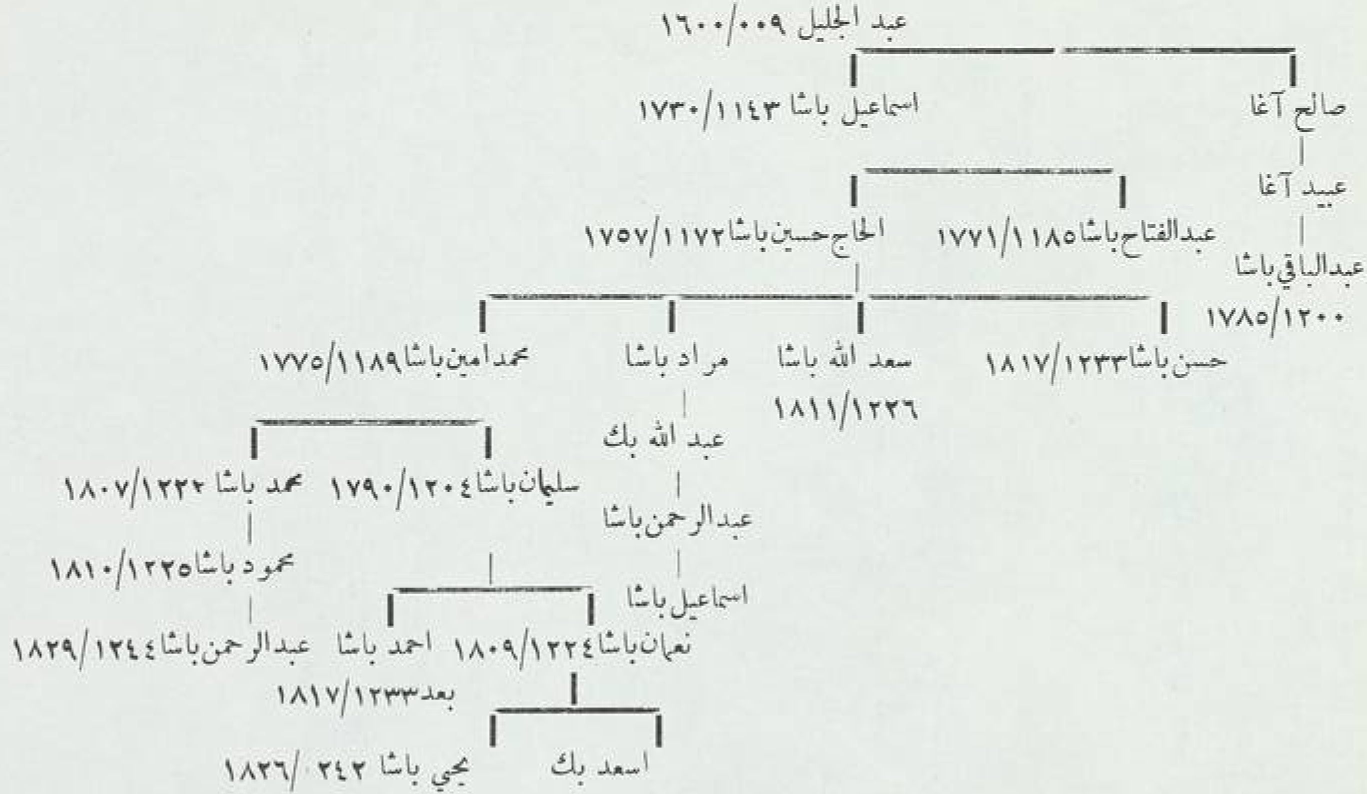
اراد سليمان باشا الصغير ان ينهي العهد الجليلي في الموصل ولكنه لم يكن موفقا. فقد قاوم آل الجليلي هذه المحاولة بعنف بزعامة اسعد بك بن الحاج سليمان باشا. ورغم وجود والي بغداد على رأس قوة عسكرية بالقرب من الموصل فان الجليليين ثاروا واخرجوا أحمد باشا من الموصل. وايدهم في ثورتهم ارطتا القابو قول الحادية والثلاثون والسابعة والعشرون من ارط الجمعات. ووقف في صف احمد باشا لفترة قصيرة الارطة الثانية والخمسون ثم مالبثت ان وقفت على الحياد ثم انضمت الى الثوار. وجمع احمد باشا جموعا من القبائل العربية والكردية وعاد لحرب الجليليين في الموصل. وانتصر احمد باشا في المعركة ولكن رصاصة طائشة اصابته فأردته قتيلا. فثارت ثائرة سليمان باشا وجرد ضد الجليليين حملة بقيادة اخيه بالرضاعة احمد بك متسلم البصرة فامعنت تخريبا ونهبا في القرى المحيطة بالموصل. وتدخل الباب العالي فعين محمود بن محمد الجليلي واليا في ذي القعدة (كانون اول ١٨٠٩) وامر والي بغداد بسحب قواته من ولاية الموصل فسحبها بعد ان حصل على غرامة من الجليليين وتوفي اسعد بك مقهورا لعدم نيله الولاية في ٩ ذي الحجة ١٢٢٤/كانون ثاني ١٨١٠ (٤٦٧). ولم تطل مدة ولاية محمود اذ توفي في العام التالي في ١٨

شوال ١٢٢٥/تشرين ١٨١٠ فوجهت الولاية الى سعدالله بك بن الحاج حسين باشا في ١٣ محرم ١٢٢٦/كانون ثاني ١٨١١[٤٦٨] .

وحاول والي الموصل احمد باشا الجليلي ان يثبت استقلاله عن والي بغداد فاغاظ ذلك داود باشا وسعى لعزله . ووافق الباب العالي على طلب والي بغداد فعزل احمد باشا ونفاه الى حلب وعين حسن بن الحاج حسين الجليلي والياً عام ١٨١٧/١٢٣٣ . ولما ايقن احمد باشا أن مصير والي الموصل يرتبط برغبات والي بغداد بادر الى الذهاب الى بغداد حيث استعاد رضاء داود. ولما توفي حسن باشا بعد ستة اشهر اعيد احمد باشا والياً على الموصل[٤٦٩] .

واصيبت الموصل بكوارث طبيعية متوالية. اذ ابتليت بطاعون تلاه جفاف وقحط وارتفاع اسعار وفقدان المواد الغذائية فاتهم الناس واليهم الجليلي باختزان الاقوات فثاروا عليه . وتزعمت القبائل المناوئة للجليليين هذه الثورة ضد الوالي يحيى باشا بن نعمان باشا الجليلي عام ١٢٤٢/١٨٢٦ فطردوه من المدينة . ولكن الوالي استطاع أن يعود بالقوة الى المدينة لينتقم ممن ثاروا عليه . وتلا ذلك طاعون اصاب الموصل ونكبها[٤٧٠] .

وعاد سكان الموصل بعد عامين الى الثورة على واليهم الجليلي عبد الرحمن باشا بن محمود باشا الذي تولى الحكم أواخر ١٢٤٢/١٨٢٦ . وكمن الثوار للوالي في صباح التاسع من شوال ١٢٤٤/نيسان ١٨٢٩ وارادوه قتيلاً كما قتلوا أخاه وكتخداه محمد . ولكن مقتل الوالي لم يخلص الموصل من الجليليين[٤٧١] . فقد عين الباب العالي بترشيح من والي بغداد ، محمد أمين باشا الجليلي والياً في محرم ١٢٤٥ / تموز ١٨٢٩ . وبدأ أمين باشا أعماله بمحاولة الانتقام من قتلة عبد الرحمن باشا. ولكن زعماء الثوار غادروا الموصل ليحشدوا قوة كبيرة عادوا بها الى الموصل وهزموا الوالي وأجبروه على الفرار إلى بغداد وسلموا الحكم الى قاسم العمري ومحمد سعيد افندي آل ياسين. وايدت الارطه الثانية والخمسون الحركة الجديدة[٤٧٢]



عائلة الجليلي في الموصل

وبعد أشهر قليلة ، في ذي القعدة ايار ١٢٤٦/١٨٣١ ، وصل الموصل علي رضا باشا في طريقه الى بغداد للقضاء على المماليك فانضم اليه قاسم العمري . ودخل قاسم العمري بغداد على رأس طلائع الجيش العثماني ليحكم المدينة نائباً عن علي رضا باشا . وهكذا طويت صحيفتان في بغداد والموصل فانتهى في الاولى حكم المماليك وفي الثانية حكم الجليليين(٤٧٣) .

ولاية شهرزور

بقيت القضايا الكردية اصعب المشاكل التي جابهت ولاة بغداد وأهم العوامل التي اطاحت بالولاة . ولم تختلف تقسيمات الولاية عن تقسيماتها في الدور السابق . وخسرت الدولة العثمانية الامارة الاردلانية التي ازدادت القبضة الايرانية عليها قوة ولاسيما في عهد نادرشاه .

وازداد اعتماد ولاية شهرزور على بغداد وقوي ارتباطها بها . فقد عهد بولاية شهرزور عام ١١٢٧/١٧١٥ الى احمد باشا بن والي بغداد حسن باشا(٤٧٤) . وتناوب حكم الولاية بعد احمد باشا اصهار والي بغداد عبد الرحمن باشا وقره مصطفى باشا(٤٧٥) . وعهد بها بعد ذلك عام ١١٣٧/١٧٢٤ الى عثمان باشا دفتردار والي بغداد(٤٧٦) . وثار سكان كركوك عام ١١٤١/١٧٢٨ على واليهم الظالم محمد باشا البوغازلياني فعزلوه واخرجوه من مدينتهم وجاء أمر سلطاني بقتله فاعيد الصهر عبد الرحمن باشا والياً(٤٧٧) . ولم يبق من مبرر لوجود وال مستقل فيها خلال الربع الاخير من القرن فأرسل اليها والي بغداد متسلماً ناب عنه في حكمها(٤٧٨) .

الامارة العمادية :

اضطربت احوال هذه الامارة في عهد الوالي احمد باشا الذي ارسل اليها حملة احتلتها ووطدت فيها الامن ونظمت علاقاتها ببغداد. واشتهر من امرائها في هذا العهد بهرام باشا الذي توفي عام ١١٨١/١٧٦٧ فخلفه ابنه اسماعيل باشا(٤٧٩) ولم يكن اسماعيل موفقاً في ادارته ولا في علاقاته مع ولاة الموصل وبغداد. فكثرت في عهده الفتن وايد والي بغداد ابن عمه ضده كما غزاه والي الموصل ونهب وخرب عاصمته عام ١١٩٣/١٧٧٩ ثم صالحه. ونقض الصلح اكثر من مرة وتجددت الخلافات فاضطر اسماعيل الى توزيع امارته على اخوته مقابل اعترافهم بزعامته(٤٨٠).

وخلقت وفاة اسماعيل فتناً جديدة. اذ تنازع اولاده الامارة ورفضوا التقيد بوصية ابيهم الذي اوصى لابنه الاصغر محمد الطيار والتفوا حول الابن الاكبر مراد. وتدخل والي بغداد فايد شقيق اسماعيل ووالي زاخو وارسل حملة عام ١٢٢١/١٨٠٦ لدعم مرشحه(٤٨١). واخيراً تغلب على الحكم عادل بن اسماعيل الذي حكم الامارة حتى وفاته عام ١٢٢٤/١٨٠٩ فخلفه اخوه زبير(٤٨٢). وزاد ذلك من ضعف هذه الامارة التي وقعت فريسة سهلة بيد محمد باشا امير راوندز الذي استولى على الامارة وعين اخاه رسول حاكماً عليها عام ١٢٤٨/١٨٣٢(٤٨٣). واستطاع الامير العمادي اسماعيل باشا ان يستعيد الامارة زمناً الى ان طرده منها والي الموصل عام ١٢٥١/١٨٣٥(٤٨٤). وكرر اسماعيل محاولاته الى ان وقع اسيراً بيد والي بغداد محمد رشيد باشا عام ١٢٥٨/١٨٤٢ فقضي بذلك بصورة نهائية على هذه الامارة التي عاشت ستة قرون(٤٨٥).

الامارة البابانية:

افتتح البابانيون القرن الثاني عشر للهجرة بثورة تزعمها الامراء حسن وسليمان . واكتسح الثوار ولاية شهرزور واصطدموا بقتال مع الوالي الذي قتل في المعركة اواخر عام ١٦٨٩/١١٠١ . وتدخل والي بغداد فارسل متسلماً الى شهرزور حكمها الى حين وصول الوالي الجديد حسين باشا . وفشل حسين في القضاء على فتنة سليمان الباباني . واخيراً وبعد فتنة دامت عشرة اعوام ، وصل سليمان الى استانبول عام ١٦٩٩/١١١١ وحصل على مرسوم بتعيينه اميراً على سنجق بابان على ان يكون تابعاً لوالي شهرزور المقيم في كركوك . ولم يعمر سليمان بعد ذلك طويلا فخلفه اخوه تيمورخان الذي توفي عام ١٧٠٣/١١١٥ فعين الاخ الثالث بكر بك اميراً(٤٨٦) .

ولم يوفق بكر بك اكثر من اسلافه في علاقاته مع ولاة شهرزور وبغداد . فقد اختلف مع والي شهرزور (كركوك) فثار عليه واستولى على مقاطعاته . وتدخل والي بغداد في الامر فقاد جيشاً قضى على ثورة بكر واجبر بكراً على الفرار عام ١١٢٦ / ١٧١٤ . وحاول بكر الدخول على الوالي متنكراً ولكن الجند اكتشفوه فامر والي بغداد حسن باشا باعدامه . وبقيت الامارة البابانية بدون امير شرعي(٤٨٧) .

واستطاع خانه محمد بن تيمور خان ان يعيد تأسيس الامارة بعد ثمان سنوات . فقد قدم مساعدات قيمة لوالي بغداد حسن باشا ابان الحروب الايرانية فاستصدر حسن باشا مرسوماً بتعيينه اميراً على بابان عام ١٧٢١/١١٣٤ ويمنحه لقب باشا (اميرامراء)، ثم نقله اميراً على اردلان التي انتزعها من ايران ونصب اخاه خالد باشا بن تيمور اميراً على بابان . ولكن نادر شاه اجبر خالد باشا على الفرار من امارته فلجأ الى الموصل وتوفي فيها(٤٨٨) . وانضم الى نادر شاه سليم بن بكر بك الباباني فجعله الشاه اميراً . وتذبذب سليم في ولائه

بين الشاه والسلطان الامر الذي دفع والي بغداد الى تجريد حملة ضده في عامي ١١٥٠/١٧٤٧ و ١١٦٤/١٧٥٠ . وفر سليم لاجئاً الى ايران ونصب العثمانيون في رمضان ١١٦٤/١١٦٥سليمان باشا ابن خالد باشا اميراً وضموا اليه مقاطعتي كويسنجق وحرير . وفشلت محاولات سليم لاستعادة امارتـه ولكنه نال عفو السلطان وعاد الى بغداد فعاش فيها حتى وفاته عام ١١٧٥/١٧٦١ (٤٨٩) .

حكم سليمان باشا ابن خالد باشا الامارة البابانية اثنتي عشر عاماً هادئة . ولكن عندما تردد في دفع الميري المتأخر الذي طالبه به والي بغداد علي باشا ، قاد والي بغداد ضده حملة عام ١١٧٦/١٧٦٢ هزمته واجبرته على الفرار واللجوء الى كريم خان الزندي . وعين اميراً خلفاً له اخوه احمد باشا الذي فصلت عنه كويسنجق وحرير وجعلتا امارة مستقلة نصب عليها تيمور بن عثمان باشا السوراني (٤٩٠) واغتنم سليمان فرصة انشغال اخيه احمد باشا في حرب في جنوبي العراق فغزا بابان بمساعدة الايرانيين عام ١١٧٧/١٧٧٢ ولكن علي باشا اخرجه منها ثانيـة . ورضي عنه والي بغداد الجديد عمر باشا واعاده الى امارته وضم اليه كويسنجق وحرير وفرض على اخيه احمد باشا اقامة اجبارية في بغداد . اما سليمان فقد اغتيل بعد سنة من عودته (٤٩١) .

وجد والي بغداد نفسه مضطراً للتعيين محمد باشا (اخي سليمان واحمد) اميراً خلفاً لسليمان . وكان محمد اصغر سناً من احمد إلا انه كان متمكناً في بابان بينما كان احمد مقيماً في بغداد ، فخشي والي بغداد حدوث فتنة ان لم يعهد بالمنصب الى محمد باشا . وسلك محمد باشا سلوكاً مرضياً لوالي بغداد فقدم كل ماطلب منه وساهم في الحملة على الخزاعلة بنفسه الا ان عمر باشا والي بغداد لم يعامله معاملة لينة (٤٩٢) وعطف محمد على اخيه احمد واستحصل له على عفو واعاده مكرماً الى بلده وجعله حاكماً على كويسنجق وحرير واربيل حيث قضى ثماني سنوات هادئة . ولكن نشب خلاف بين الاخوة فالقى محمد القبض على احمد بينما فر الاخ الثالث محمود الى بغداد مستنجداً بالوالي عمر باشا . وبادر عمر الى انجاده بحملة عسكرية قادها متسلم البصرة سليمان آغا .

ونجحت الحملة في اقصاء محمد باشا الذي لجأ الى ايران ، ونصبت محمود باشا والياً الا ان محمود تنازل عن الامارة لاخيه احمد باشا . وفشلت محاولة ايرانية لاعادة محمد باشا بالقوة واسر قائدها علي مراد خان واعيد مكرماً الى بلاده . وشرع كريم خان في اعداد الجيوش لغسل عار الهزيمة ، فحاول والي بغداد استرضائه باعادة محمد باشا اميراً . ولكن احمد باشا فر بدوره ولجأ الى كريم خان الذي كان قد عزم على القتال بغض النظر عن الاسباب (٤٩٣) .

وعين المملوك حسن باشا والياً على شهر زور مزوداً بالصلاحيات اللازمة لحرب الايرانيين . واستطاع حسن باشا ان يستميل الى جانبه الاخوين احمد ومحمد وعينهما قادة لجيشين عثمانيين وعهد الى الاول بغزو كرمنشاه والى الثاني بغزو سنا . واستطاعت حملة محمد باشا احتلال عدد من المدن الايرانية في ربيع اول ١١٩١/١٧٧٩ والحاق هزائم كبيرة بالايرانيين . ولكن احمد باشا انقلب على العثمانيين وانضم بجيشه الى الايرانيين فاضطر محمد باشا الى الانسحاب من الاراضي الايرانية ، ونصب الايرانيون احمد باشا بالقوة . وسير حسن باشا قوة بقيادة محمد باشا لاستعادة الامارة البابانية الا ان احمد باشا هزمها واسر اخاه محمد واعتقله . وقبل حسن باشا الامر الواقع واعترف باحمد باشا اميراً شرعياً وغدا اميراً موالياً خاضعاً للسلطان . ولما استدعاه والي بغداد لمساعدته أواخر عام ١١٩٢/١٧٧٨ سمل عيني اخيه محمد قبل أن يغادر الامارة لكي لا يتيح له فرصة المطالبة بالامارة . ولم يهنأ احمد بالامارة اذ توفي بعد فترة قصيرة وقبل ان يصل بغداد ، فعهد بالامارة الى الاخ الثالث محمود عام ١١٩٢/١٧٧٨ (٤٩٤) .

حكم محمود الامارة البابانية خمس سنوات غير هادئة . فقد كان على خلاف مستمر مع سليمان باشا الكبير والي بغداد . وكان محمود قد ارسل ابنه عثمان على رأس قوة عسكرية لتأييد سليمان باشا إلا أن ذلك لم يكن كافياً لارضاء الوالي . وتطرق الشك الى نفسي محمود والوالي الى أن أتيحت فرصة للتعبير

عنه بصورة عملية[٤٩٥] . وكان الوالي قد عهد بمقاطعة شهرزور الى عثمان الكهية كتخدا والي بغداد السابق المملوك حسن باشا . ولم يرض عثمان عن منصبه بل اعتبره ابعاداً له ، وطمح الى العودة الى منصبه السابق . وتلاقت رغبات محمود باشا وعثمان الكهية فتحالفا ضد والي بغداد[٤٩٦] .

ولم يكن سليمان باشا بمعزل عن هذه التطورات ، وكان بوده ان يسوق حملة ضدهم لولا انشغاله بمشاكل البصرة والاعراب . ولكن ما أن شعر سليمان بأن الامن قد استتب في جنوبي العراق حتى بادر الى اعلان محمود وعثمان عاصيين ، وقاد بنفسه حملة لاخضاعهما . وانحاز الى جيش الوالي الطامعون من البابانيين أمثال ابراهيم بن احمد باشا وحسن بن سليمان باشا[٤٩٧] واعترف الوالي بحسن اميراً جديداً على الامارة البابانية بعد ان سلخ عنها ألوية حرير وكوي . ووسط محمود رجال الدين بينه وبين الوالي واعرب عن ولائه فعفا عنه الوالي بعد ان تعهد بالتخلي عن عثمان الكهية وارسال ابنه سليم رهينة الى بغداد . الا ان محمود نقض تعهداته بعد فترة قصيرة فجردت ضده حملة ثانية لم تستطع تأديبه فاضطر الوالي الى ارضائه باعادة ضم حرير وكوي اليه على ان يحكمها نيابة عنه محمود ابن اخيه ابراهيم بن احمد باشا الذي كان مقيماً في بغداد . ونشب الخلاف مرة اخرى فقاد الوالي بنفسه جيشاً عام ١١٩٧/١٧٨٣ وانضم اليه ابراهيم بن احمد باشا وتفرق الاعوان عن محمود باشا . وفر محمود الى ايران وارسل ابنه الى الشاه طالباً المساعدة . وانعم عليه الشاه باحدى مقاطعات اذربيجان ، ولكن الحاكم الفعلي للمقاطعة المدعو بداق خان قاومه وهزمه وقتله عام ١١٩٨/١٧٨٣ . واستطاع ابنه عثمان ان ينجو بنفسه وينال عفو والي بغداد حيث فرضت عليه اقامة اجبارية[٤٩٨] .

وتولى الامارة البابانية ابراهيم باشا بن احمد باشا الذي حكمها بصورة متقطعة من عام ١١٩٧/١٧٨٣ الى عام ١٢١٧/١٨٠٢ . وشرع ابراهيم في بناء مدينة جديدة لتكون عاصمة له سماها السليمانية على اسم سليمان باشا الكبير فأتمها عام

١٧٨٤/١١٩٩ وانتقل اليها من مركزه السابق قلعة جولان. ونمت هذه المدينة بسرعة حتى بلغ عدد سكانها عام ١٣٣٥ / ١٨٢٠ نحوا من عشرة الاف نسمة. واشترك ابراهيم باشا في الحملات العسكرية التي جهزها والي بغداد فساهم في اخماد ثورة الشاوي سنة ١٧٨٦/١٢٠٠ وفي تخليص البصرة من المنتفق عام ١٧٨٦/١٢٠١. ولكن الوزير اتهمه بالتقصير في الحملة الاخيرة فعزله وعين عثمان باشا بن محمود باشا اميرا(٤٩٨).

ولم يقدر لعثمان ان يحكم طويلا بل لاقى مصيراً محزناً كمصير ابيه. وقام عثمان في العام الاول والثاني من حكمه بتقديم مساعدات قيمة لوالي بغداد في حرب الخزاعلة والمنتفق. ولكنه اشترك عام ١٧٨٨/١٢٠٣ بمؤامرة متسلم البصرة وشيخ المنتفق فكشف عنه الحاج سليمان الشاوي. ورغم اشتراك عثمان بالمؤامرة فانه لبى نداء الوالي وجاء بغداد لمساندة الحملة الموجهة ضد متسلم البصرة الثائر. وفي سلخ رمضان اصدر والي بغداد امرا بعزل واعتقال عثمان في السجن فتوفي آخر العام. ولم تدم امارة ابراهيم الثانية غير عام واحد فعزل وخلفه عبد الرحمن اخو عثمان بينما لجأ ابراهيم الى ايران فنال عفواً بعد فترة قصيرة وعاد الى الاقامة في بغداد(٤٩٩).

لعب عبد الرحمن بن محمود باشا دوراً هاماً في تاريخ شهر زور فقد اشترك في ثورة ابيه محمود وفي مغامراته الايرانية كما ايد اخاه عثمان ابان امارته. ولما عزل واعتقل اخوه قصد بغداد حيث نال العفو والعطف من الوالي الذي اعتبر وجوده اداة تهديد للامير البابابي الحاكم. ولم يطل انتظاره في بغداد فقد وجد نفسه اميراً بعد عام واحد من اعتقال ووفاة اخيه عثمان فبقي اميرا في المرة الاولى لمدة ثمان سنوات (١٧٨٩/١٢٠٤ - ١٧٩٧/١٢١٢). وتولى عبد الرحمن الامارة ست مرات انتهت آخرها في ذي الحجة ١٨١٣/١٢٢٨. فقد عزل في المرة الاولى عام ١٧٩٨/١٢١٢ واسندت الامارة الى ابراهيم للمرة الثالثة وابقى لعبد الرحمن كوى وحرير. وغضب الوزير قبيل وفاته على

عبد الرحمن واخيه سليم فنفاهما الى الحلة[500] . ولما توفي سليمان باشا الكبير ثارت فتنة على خليفته علي باشا واطلق المتآمرون سراح عبد الرحمن وسليم عام ١٨٠٢/١٢١٧ فجاءا الى بغداد لدعم الحركة المناوئة لعلي باشا . ولكن علي باشا تغلب على اخصامه ففر البابانيان واختفيا في الاعظمية. ولكن وفاة ابراهيم الباباني في العام التالي اجبرت الوالي على العفو عن عبد الرحمن واعادته اميرا على بابان للمرة الثانية[501] .

وكانت امارة عبد الرحمن الثانية اقصر زمناً واقل توفيقاً من الاولى فقد ايد في اوائلها الوالي بغداد ضد البلباس واليزيدية والعبيد . ولكنه اغتنم احدى الفرص ليقتل محمد باشا حاكم كوي. ومع ان الوالي سكت عن هذا العمل وضم كوي الى عبد الرحمن الا انه بدأ استعداداته لعزله متهماً اياه بمساعدة ضامن المحمد شيخ العبيد وحمد الحسن شيخ عنزة في ثورتهما وبالتآمر مع الكتخدا خالد الكيخية . وبادر الوزير الى عزل خالد الكيخية وقتله وتنصيب ابن اخته سليمان، امير لواء اربيل، كتخداله. وانهزم الثوار وقتل ضامن ولجأ عبد الرحمن الى ايران فعين الوالي على الامارة البابانية خالد باشا ابن احمد باشا واخا ابراهيم باشا في منتصف ١٨٠٥/١٢٢٠[502] ولكن عبد الرحمن عاد بعد اقل من عام على رأس قوة ايرانية نصبته اميراً بالقوة فاضطر علي باشا الى الاعتراف بالامر الواقع في جمادى الاولى ١٨٠٦/١٢٢١ . وبلغ عبد الرحمن بعد عام من امارته الثالثة انباء مقتل الوالي علي باشا فقام بمحاولة فاشلة لاحتلال كوي وحرير وحاول خلق بعض الاضطرابات بينما اغتنم الفرصة منافسه خالد باشا ليؤكد ولاءه للوالي الجديد سليمان باشا الصغير . وبادر الوالي الجديد الى سوق حملة لعزل عبد الرحمن وتنصيب سليمان باشا حاكم كويسنجق حاكما على الامارة البابانية . واغضب ذلك خالد باشا الباباني فلجأ الى ايران ووحد قواته مع قوات عبد الرحمن للمطالبة بوجوب اسناد الامارة الى امير باباني . وتدخلت ايران دبلوماسيا واضطر سليمان باشا الى تنصيب عبد الرحمن باشا اميراً للمرة الرابعة اواخر ١٨٠٨/١٢٢٣[503] .

ولم ينس عبد الرحمن لوالي بغداد ما فعله فتآمر عليه وايد الجهود التي رمت لانهاء حكم سليمان باشا الصغير وتنصيب عبد الله باشا التوتنجي . فقد انضم عبد الرحمن بقواته الى جيش حالت افندي سعيد الذي قضى على سليمان باشا الصغير اواخر رمضان ١٢٢٥/ تشرين ١٨١٠ (٥٠٤). وخضع عبد الله باشا اوائل عهده لتوجيهات عبد الرحمن باشا البابانى ونفذ له رغباته التي كان منها تنصيب خالد باشا حاكما على درنة وباجلان . وغادر عبد الرحمن باشا بغداد قاصداً السليمانية في ١١ صفر ١٨١١/١٢٢٦ فخف تأثيره على الوالي الذي استعاد حرية التفكير والتصرف . وشرع الوالي بالتخلص من اعوان البابانى في بغداد امثال قاسم آغا الكركوكلي سردار القابوقول والكتخدا الحاج عبد الله بك . ودخل الوالي في اتفاق مع الشاه الايراني لعزل عبد الرحمن وتنصيب خالد وتم لهما ذلك . الا ان الوالي لم يرحب بتوغل الجيوش الايرانية في الاراضي البابانية فشرع في خلق المصاعب لهم ومساعدة عبد الرحمن باشا الذي فرض عليه الايرانيون الحصار . واغتنم عبد الرحمن الفرصة للايقاع بين الحلفاء ونجح في ذلك . وخسر عبد الرحمن الامارة البابانية التي تولاها ابن عمه خالد الا انه استبقى الوية كوي وحرير اوائل ١٨١٢/١٢٢٧ . وبعد هدوء ثلاثة اشهر هاجم عبد الرحمن ابن عمه في السليمانية ففر خالد الى بغداد واضطر والي بغداد الى الاعتراف بعبد الرحمن اميرا للمرة الخامسة (٥٠٥). وصدر امر بعزله في جمادى الاولى من العام نفسه وساق الوالي جيشا ضده فهزمه واجبره على اللجوء الى ايران ونصب خالد باشا اميرا للمرة الثالثة . وتدخلت ايران مرة اخرى فاضطر عبد الله باشا الى استدعاء خالد الى بغداد واعطائه اللواء المعتاد ، لواء مندلي ، واعيد عبد الرحمن اميرا للمرة السادسة اواخر العام نفسه . وبعد اقل من عام وردت الانباء بوفاة عبد الرحمن وبان الاعيان اختاروا ابنه محمود اميرا . ولم ير الوالي الجديد سعيد باشا بدا من الاعتراف بما حدث (٥٠٦) .

وامتلأت بغداد بالاجئين من الامراء البابانيين الذين كانوا يسعون لنيل

رضا الوالي للوصول الى الامارة . وكان من بين اللاجئين خالد باشا بن احمد باشا يصحبه ابنه محمد وعدد من الفرسان الاتباع فاقطع خالد الوية مندلي وخانقين وعلي أباد لينفق على نفسه وجنده . كذلك لجأ الى بغداد عبد الله واحمد وعمر اخوة عبد الرحمن باشا فعطف عليهم الوالي سعيد باشا ومنح الاول الوية مندلي وخانقين وعلي أباد بعد ان نزعها من خالد باشا . واحتاج حاكم الحلة الى مساعدة جنود خالد التي كان يقودها ابنه محمد فاقطع الابن لواء اربيل للانفاق على جنده عام ١٨١٦/١٢٣١ ونصب الاب، خالد باشا، اميرا على كويسنج (كوي) وحرير. كذلك اصدر الوالي ، في العام نفسه ، امرا بعزل محمود باشا عن الامارة وتنصيب اخيه عبد الله بدلا منه الا ان محمود تحدى الامر بالقوة وبقي اميرا بمساعدة الايرانيين[٥٠٧] .

واستغل داود هذا الاضطراب في ايران عندما ثار على سعيد باشا. وانضم محمود الى صف داود بينما ايد خالد وعبد الله الوالي سعيد باشا . ولما استتب الامر لداود في بغداد ثبت محمود في الامارة واضاف اليه كويسنج وحرير وعفا عن عبد الله وخالد وفرض عليهما الاقامة في بغداد[٥٠٨] . ولكن محمود نقض تعهده بقطع علاقاته مع ايران فعاقبه داود بسلخ الوية كويسنج وحرير وتنصيب حسن اخي محمود حاكما عليها مع منحه لقب باشا . واستنجد محمود باشا بايران فوجهت قوة كبيرة لانجاده . وارسل والي بغداد قوة كبيرة لصد العدوان الايراني بقيادة عبد الله باشا البابانى الذي عين اميرا للمرة الثانية عام ١٨١٧/١٢٣٣ وفشلت القوات الايرانية في تحقيق اهدافها ففقد محمود باشا امله فيهم وعاد الى التقرب من والي بغداد . وعقد صلح مع ايران نص على اعادة محمود اميرا على بابان وتعيين عبـــد الله اميرا على كويسنج وحرير[٥٠٩] . واحضر الإقامة في بغداد كل من حسن باشا بن عبد الرحمن باشا حاكم كويسنج وحرير السابق وسليمان باشا بن ابراهيم باشا وعبد العزيز بك ابن عبد الفتاح باشا متصرف درنة السابق ، فاقطع الثاني لواء زنكباد واقطع الثالث لوائي درنة وباجلان مع

الباشوية. وارسل محمود باشا امه لاقناع اخيه حسن باشا بالعودة الى بلاده فرضي وعاد . وبقي مقيما في بغداد الامير السابق خالد باشا بن احمد باشا بينما اقام ابنه محمد باشا في كركوك . واتهم محمد باشا بانه لايردع اعوانه عن الاعتداء على الرعايا فصدر امر الى متسلم كركوك باعتقاله الا انه فر من السجن فاعتقل ابوه خالد باشا في بغداد عام ١٨١٩/١٢٣٥ واخلى سبيله ثم اعتقل فترة قصيرة في العام التالي عندما لجأ ابنه الى ايران[٥١٠].

وحدث خلاف بين محمود واخيه عبد الله فاتاح ذلك الفرصة للايرانيين للتدخل . واعتقل محمود اخاه فترة قصيرة ثم اطلق سراحه فلجأ الى ايران عام ١٨٢٠/١٢٣٦ . وكثر عدد اللاجئين البابانيين الى ايران ذلك العام فكان من بينهم عبد الله باشا ابن عبد الرحمن باشا وسليمان باشا ابن ابراهيم باشا ومحمد باشا ابن خالد باشا . واغتنم الشاه زاده هذه الفرصة للتدخل وازعاج والي بغداد ، فارسل قوة بقيادة عبد الله باشا لتنصيبه اميراً على بابان وعزل اخيه محمود . وارسل والي بغداد قوة بقيادة الكتخدا محمد آغا لمساعدة محمود باشا . وتدخل الشاهزادة بنفسه في القتال الذي انتهى بهزيمة جيش الكتخدا في اواخر ذي الحجة ولجوء الكتخدا نفسه الى الشاهزادة محمد علي ميرزا خوفا من العقاب . واستطاع محمد علي ميرزا ان ينصب عبد الله اميرا ويزحف باتجاه بغداد في صفر ١٢٣٧ / تشرين اول ١٨٢١ . ولكن اصيب الجيش الايراني بوباء الطاعون الذي انتشر في العراق . ومرض الشاهزادة فمال الى الصلح وتم الاتفاق على ان يعترف والي بغداد بامارة عبد الله باشا البابانى . وتوفي الشاهزادة بعد ايام قليلة يوم السبت ٢٦ صفر ١٢٣٧ / تشرين ثاني ١٨٢١ . وفشلت غزوة ايرانية جديدة للعراق قادها الشاهزادة الجديد حسين بن محمد علي ميرزا فاغتنم محمود البابانى الفرصة ليستعيد امارته في شعبان ١٢٣٧ / ايار ١٨٢٢[٥١١].

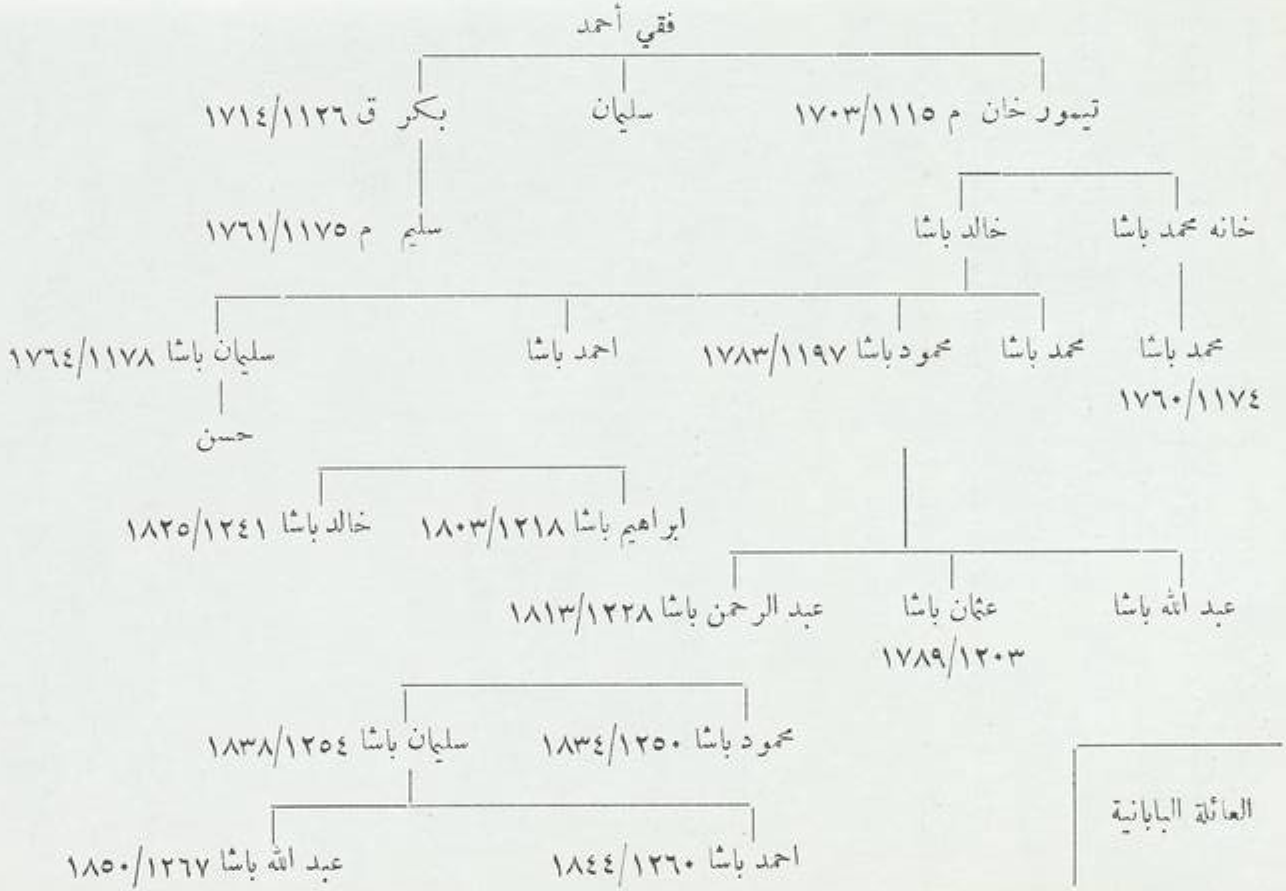
واستمر تقلب الامراء البابانيين على الحكم وتنافس مرشحي بغداد واصبهان (أصفهان) على الامارة حتى منتصف القرن . وتناوب على الحكم في هذه الفترة

كل من محمود واخيه سليمان وابن عمه محمد بن خالد وعين والي بغداد عام ١٢٤١/١٨٢٥ محمد باشا بن خالد باشا اميرا . فاستنجد محمود بالايرانيين. وتوفي في ذلك العام كل من خالد باشا بن احمد باشا وسليمان باشا ابن ابراهيم باشا فقل بذلك عدد الطامعين بالامارة البابانية[٥١٢] . واستمر النزاع بين محمود واخيه سليمان حتى وفاة الاول عام ١٢٥٠/١٨٣٤ ، وكلما تمسك احد منهما بالولاء للشاه اعلن الآخر ولاءه للسلطان وهكذا فلا يثبت احد منهما على ولاء . فاحتل سليمان السليمانية عام ١٢٤٣/١٨٢٧ ابان غياب اخيه محمود عنها فاستنجد محمود بايران وسليمان ببغداد . وتدخل الجند الايراني في النزاع لا اقل من ثلاث مرات . واخيراً فر محمود ولجأ الى الاستانة عام ١٢٥٠/١٨٣٤ حيث توفي . وتوفي سليمان عام ٥٤ /١٨٣٨ فخلفه ابنه احمد[٥١٣] .

ولم يكن حكم احمد هادئاً ولا كان الا من عهده مستتباً . فقد ناوأه اقاربه والايرانيون والعثمانيون . واستطاع الجيش الايراني ان يفرض محمود باشا اميراً لسنة واحدة عام ١٢٥٦/١٨٤٠ فاثار بعمله هذا عاصفة سياسية فانسحب الجيش الايراني وعاد احمد باشا اميراً . وعزل احمد باشا عام ١٢٦٠/١٨٤٤ ففر الى ايران ثم الى استانبول وخلفه اخوه الاصغر عبد الله باشا الذي عزل بدوره بعد سبع سنوات واستدعي الى استانبول وخلفه عزيز بك البابابي لفترة قصيرة . واخيراً الغي المنصب البابابي وارسل اسماعيل باشا متصرفاً عثمانياً مركزه السليمانية عام ١٢٦٧/١٨٥٠ [٥١٤] .

امارة راوندز

برز في هذا العهد اميرها مصطفى بك الذي كان على نزاع مع البابانيين رغم مصاهرته لهم . وانتقل الحكم الى كور محمد (محمد الاعمى) ابن مصطفى الذي شرع باخضاع الامارات المجاورة . فانتزع حرير من البابانيين ووسع امارته حتى



العائلة البابانية

الزاب الاسفل (الاصغر). وهاجم عام ١٢٤٧/١٨٣١ اليزيديين واوقع بهم واحتل العمادية في العام التالي وهدد ماردين ونصيبين وأحتل اربيل والتون كوبري. واعترف به والي بغداد علي رضا باشا عام ١٢٤٩/١٨٣٣ وحصل له على الباشوية. واحتل دهوك وزاخو وجزيرة ابن عمرو بحيث اصبح مصدر ازعاج للسلطات العثمانية. ووجهت ضده حملة بقيادة الصدر رشيد باشا الذي تمكن من اسر كور محمد واعدامه فانتهت بذلك هذه الامارة عام ١٢٥٢/١٨٣٦ (٥١٥).

امارة جزيرة ابن عمرو

اشتهر من حكام هذه الامارة بدر خان باشا الذي اصبح اميراً عام ١٢٢٧/١٨١٢ وسنه لم يتجاوز الثامنة عشر. وبذل جهوداً كبيرة لتقوية مركزه ودعم استقلاله، فأسس مصانع للبنادق والذخائر وضرب عام ١٢٥٨/١٨٤٢ نقوداً باسمه. ولكن فتنة النساطرة التي اخضعها بقسوة اثارت عليه الدول الاوروبية واجبرت الباب العالي على تجريد حملات عسكرية ضده. وفشلت الحملة الاولى ونجحت الثانية عام ١٢٦٤/١٨٤٨ وقضي على هذه الامارة. الا ان الثورات لم تنقطع في جزيرة ابن عمرو اذ ثار اولاد بدر خان في عامي ١٢٩٥/١٨٧٨ و ١٣٠٧/١٨٨٩ (٥١٦).

اليزيدية — امارة الشيخان

تقع هذه الامارة الى الشرق من دجلة بين الزاب الكبير والخابور وتضم الشيخان ودهوك. وكانت تتبع الموصل نظرياً الا انها كانت في الواقع تابعة لامارة العمادية. وساعدهم مركزهم الوعر في جبل سنجار على السيطرة على طرق القوافل بين الموصل وحلب وماردين. وقام جميع الولاة الذين وصلوا في حملاتهم الى امكنة قريبة من سنجار بحملات تنكيلية ضد اليزيدية لاسيما في الاعوام

١١٦٦/١٧٥٢، ١٢٠٦/١٧٩١، ١٢١٧/١٨٠٢، ١٢٢٤/١٨٠٩ ، ١٢٤١/١٨٢٥.
ومحمد الوالي عادة الى قطع الاشجار وهدم القرى وحرق البيوت ونهب الاموال وسبي النساء وقتل الرجال لينال من الباب العالي الخلع السنية مكافأة له على الرؤوس المقطوعة التي ارسلها الى استانبول (٥١٧) .

الادارة ومشاكل الحكم

جابه المماليك خلال مدة حكمهم مشاكل عديدة لم يتمكنوا من ايجاد حلول ناجعة لها . فلا هم تمكنوا من انهاء خلافاتهم الداخلية ولا استطاعوا اعلان استقلالهم عن حكومة السلطان العثماني ولا تمكنوا من ايجاد حل مرض ينظم علاقاتهم بالباب العالي . كذلك فشل المماليك في القضاء على الخطر الايراني الذي بقي جاثماً على صدر العراق يهدد حكم المماليك والحكم العثماني . ولم يستطع المماليك اقامة علاقات سليمة مع رعاياهم فبقيت الدولة مكروهة من الرعية . واستمر العرب والاكراد في اتباع خطة التحدي للولاة . وازداد نفوذ الافرنج (الاوروبيين) في البلاد بحيث اتيح لممثلي فرنسا وانجلترا التدخل في تنصيب الولاة . وبرز فوق كل هذا خطر جديد هو الخطر الوهابي . وساءت الاحوال الاقتصادية تبعاً لذلك . وتوالت الاوبئة والمجاعات والثورات والفتن وانقطعت السبل وتوقف سير القوافل . وتأثر العراق باحداث بر الشام ومصر والجزيرة العربية .

لم تتوقف الخلافات الداخلية بين الامراء المماليك بحيث لم يتح الى وال منهم ان ينجو من مؤامرات اخوانه بالعبودية . وذهب اكثرهم ضحية هذه المؤامرات التي انتهت بقتل ستة من مجموع عشرة ولاة . ولاقى الكتخدائيون والمتسلمون مصيراً محزناً مماثلا لمصير الولاة . ولم يترك احد من المماليك فرصة للتآمر الا اغتنمها بحيث بدت العلاقة بينهم كأنما هي علاقة تآمر لا ولاء .

وكان الباب العالي بالمرصاد للماليك يحيك الدسائس ويشجع المتآمرين ويقبل الوشايات دون ان يحسن التصرف . فلم يتمكن الباب العالي ولا المماليك من الوصول الى حل معقول لقضية الولاء . وفشل الباب العالي في القضاء عليهم رغم محاولاته المتكررة ولكنه نجح في منعهم من الانفصال عنه . وكأنما تظافر الباب العالي والمماليك على منح العراق حكماً دعامته الشك والتمرد والخوف .

وبقيت علاقات العراق بجارتها ايران متوترة والحروب مستمرة على نطاق ضيق رغم معاهدات الصلح الكثيرة التي حددت الحدود بين البلدين . ولو قيض لايران حكم صالح مستقر لخسر العثمانيون العراق بل ولربما خسرها العرب . ولكن الفوضى التي اتصف بها المماليك في شؤونهم الداخلية وفي علاقاتهم مع الباب العالي كانت ايضاً من صفات علاقاتهم مع ايران . وفشلت الحكومة الايرانية في اتباع سياسة معقولة نحو العراق والدولة العثمانية . فلا هي جندت قواها لاحتلال العراق ولا قبلت بالاعتراف بانفصال العراق عنها ولا حاولت اقامة علاقات ودية مع جارتها .

ولعل الخطأ الاكبر والمشكلة الرئيسية في هذا العهد ومفهوم الحكام والرعية للدولة والحكم والعلاقة بين الحاكم والمحكوم . فكأنما وجدت الدولة لمصلحة الحاكمين فقط الذين لم يهتموا الا بتثبيت مراكزهم وحماية مصالحهم الخاصة ، فان اتيح لهم الوقت والمال خلدوا اسماءهم باقامة ابنية عامة . أما المحكوم فهو رعية لانه ضعيف فاذا ما انس بنفسه قوة تمرد . وشعر الطرفان ان العلاقة بينهما هي علاقة عداء تنظمه القوة التي تجعل من القوي حاكماً ومن الضعيف محكوماً . وكأنما كان حتما وواجباً على العدو الحاكم ان يحتقر ويخشى عدوه المحكوم والا يتيح له فرصة للانتعاش لان المحكوم اذا انتعش وشعر بنفسه قوة بادر الى الثورة ليعكس العلاقة القائمة . وكانت غاية الثورة ، اية ثورة ، هي تغيير الحاكم لا تحرير المحكوم .

على مثل هذه الاسس قامت العلاقات في العراق بين المماليك واعدائهم ،

وبمثل هذه العقلية حاول المماليك حل مشاكلهم. فلا عجب اذا ما رأينا كل محاولة للحل تؤدي الى خلق مشكلة جديدة. قامت العلاقات على اسس من الخوف والرياء لا على اسس من الولاء والمصلحة المتبادلة. ووجد الوالي نفسه وحيداً لا صديق له ولا ملجأ له من هذه الوحدة الا القتل او الموت. ولم يطمئن الوالي الى السلطان ولا الى الشاه الى مماليكه ولم يطمئن حتى الى اهل بيته واولاد. وخشيت الرعية شره ولم تتوقع منه خيراً لذا لم تهمل فرصة للثورة الا اغتنمتها.

وكان الاكراد في ثورة مستمرة مستفيدين من وجودهم على حدود ايران. وانقسم الامراء الاكراد على انفسهم. فاذا حاول احدهم الوصول الى الحكم بمساعدة والي بغداد عمد اخوه او ابن عمه الى الاستعانة بشاه ايران لتصبح المقاطعات الكردية مسرحاً للعصابات التي تجلب على البلاد الدمار وتنشر البؤس والفاقة. ولما تمنى احدهم ان يحل الوئام بين الامراء ويسود السلم اجابه الامير الحاكم «ان هذا توقع شيء مستحيل الوقوع اللهم الا ان يسلط الله على الامراء طاعونا وبيلا يفتك بهم الفتك الذريع فلا يترك منهم سوى واحد» (٥١٨).

وشجع الامراء الاكراد على العصيان مفهوم السلطات العثمانية العجيب للولاء. فلم يهتم والي بغداد بالشكليات واعتبر الولاء قضية مالية عسكرية. فاذا دفع الامير المال الميري بانتظام وقدم مساعدة عسكرية قد تكون رمزية وابقى الخطبة والسكة للسلطان جاز له ان يتمرد خارج هذا النطاق كما يشاء وان يستقل الاستقلال الذي يريده. وكان من السهل الحصول على العفو. فاذا فشلت ثورة الامير اشترى العفو بهدية مالية وعاد الى منصبه، وقد يعود الى منصب اكبر. فقد ثار زعيم الملية الاكراد المدعو تيمور باشا واغار على القوافل وقطع الطرق. ودعي ولاة بغداد وديار بكر والرقة لتأديبه. ودامت ثورته عدداً من السنين ولم تتمكن الدولة من القضاء على فتنته الا عام ١٢٠٩/١٧٩٤. ولكن الدولة عفت عنه واعادته واليا على الولاية التي ثار في اطرافها وخرق امنها بعد ست سنوات من القضاء على فتنته (٥١٩). ولم يكن غريبا ان يثور الامير البابائي ثلاث

او اربع مرات ويخون سلطانه ويتحالف مع العدو ثم يصدر عنه عفو ويثوب ويعود اميراً مكرماً محترماً مخلصاً للسلطان ولحكومته .

وكان امر القبائل العربية اعجب من امر الاكراد . فلا يمر عام دون ان يوجه الوالي حملة على قبيلة من القبائل المتهمة بالعصيان . وقد يلجأ الوالي الى تحريض قبيلة على اخرى . ولم تكن علاقات الوالي بالقبائل علاقة راع مسئول برعيته بل كانت علاقة قبيلة كبيرة يمثلها الوالي بالقبائل المعادية الاخرى. وكثيراً ماغزا الوالي هذه القبائل وعاد مثقلا بالمنهوبات والسبايا .

وقاسى العرب الكثير على يد المماليك . فقد ابعدوا عن سائر المناصب الكبيرة ولم يبق بيدهم الا رئاسة باب العرب التي كانت شبه وراثية في آل الشاوي زعماء قبيلة العبيد من فروع زبيد الاصغر . وقاسى زعماء آل الشاوي كثيراً على يد المماليك فقتل اربعة من كبار زعمائهم وتحول العبيد من قبيلة موالية الى قبيلة ثائرة . وقاست البصرة ، بوصفها معقل العروبة وركن المقاومة العربية ، الكثير من النكبات على يد المماليك .

وبدأ الافرنج بالتدخل في شئون الولاية . وكانت انكلترا وفرنسا هما الدولتان صاحبتا النفوذ الكبير في بغداد . وايدت انكلترا سليمان الكبير في الحصول على منصبه وحمته زمن ازمة الشاوي وزودته بالاسلحة والمدربين ودعمت مطالب صهره ومملوكه علي باشا الذي خلفه . وتدخل الممثل البريطاني في النزاع بين عبد الله باشا التوتنجي وسعيد باشا وقام بسياحة مشبوهة في المناطق الكردية (٥٢٠) . وتقلص النفوذ البريطاني في عهد المملوك الاخير داود فعمل الانجليز على القضاء على عهده كجزء من سياستهم في ذلك العهد في محاربة الحركات الانفصالية في الدولة العثمانية .

وتدخل الافرنسيون في العراق في وقت مبكر وسبقوا الانجليز في تأسيس قنصلية لهم في بغداد . وتمتع قنصلهم بنفوذ كبير في سراي الوالي عمر باشا (١١٩٠م/١٧٧٦) الذي شجع التجارة الافرنسية . الا ان فرنسا لم ترغب حينذاك

بتشجيع نوابا عمر باشا الأستقلالية واعتبرت انفصال العراق عن الدولة العثمانية ضاراً بمصالح فرنسا (٥٢١) وازداد اهتمام فرنسا بالعراق في عهد حكومة الثورة الافرنسية وفي عهد نابليون . فايد الافرنسيون احمد باشا كتخدا سليمان باشا الكبير بينما ايد الانجليز علي باشا الذي اغتال احمد باشا وخلفه في منصبه فقضى بذلك على النفوذ الافرنسي في سراي سليمان باشا الكبير (٥٢٢) ولكي تنقذ فرنسا نفوذها المتداعي في بغداد ارسلت روسو قنصلا ، الا ان وصول الحملة الافرنسية الى مصر ادى الى اعتقال روسو في ماردين حتى عام ١٢١٧/١٨٠٢ (٥٢٣). واستعادت فرنسا نفوذها اواخر عهد علي باشا واستطاعت ان تدعم صديقها سليمان باشا الصغير . ولكن ما ان تخلص الباب العالي من النفوذ الافرنسي حتى بادر الى التخلص من سليمان باشا الصغير (٥٢٤). واستعاد الافرنسيون مركزهم ثانية في عهد داود .

ووصلت العراق انباء الوهابيين المثيرة منذ عام ١٢١١/١٧٩٦ . فقد وصلت العراق جموع اللاجئين من قبائل بني خالد ، الذين كانوا يحكمون الاحساء ، الفارين من وجه سعود بن عبد العزيز . وكانت تلك الاحداث من الاسباب التي دفعت الوالي الى اعادة ثويني شيخاً على المنتفق ليقود حملته الفاشلة ضد الوهابيين في صيف ١٢١٢/١٧٩٧ . وانتقم الوهابيون من المنتفق فاغاروا على قراهم وقتلوا منهم كثيرين كما اغاروا على جموع شمر وقتلوا زعيمهم مطلق بن محمد الجرباء (٥٢٥). واعد الوالي اوائل العام الهجري الجديد (ربيع اول ١٢١٣/ آب ١٧٩٨) جيشاً بقيادة كتخداه علي باشا لحرب الوهابيين . ووصل الجيش البصرة في كانون الاول ونقل معداته براً وبحراً الى الاحساء . وكانت حملة فاشلة عاد منها الكتخدا اواخر العام الهجري ووصل بغداد اوائل العام الجديد (صفر ١٢١٤/تموز ١٧٩٩) (٥٢٦) .

وبينما كان الكتخدا يجمع جيوشه لهذه الحرب الغريبة في الاحساء ، كان جزء آخر من العالم العربي ، بل قلب العالم العربي ، يخوض حرباً عنيفة غريبة

ولكن من نوع آخر . فقد وصل جيش الثورة الافرنسية بقيادة نابليون الى ارض مصر في الوقت الذي كان فيه الوهابيون يهددون ويغزون العراق وبر الشام وسائر انحاء الجزيرة العربية . واستهدفت الحملتان القضاء على المجتمع العربي الاسلامي القائم وتغيير النظم السائدة . ولكن كان لقادة الغزوتين آراء مختلفة في المجتمع والنظم الصحيحة التي ارادوا فرضها. فبينما نادى قادة الغزوة الوهابية بالعودة الى سيرة السلف الصالح وبشروا بدعوة سلفية ، دعا قادة الغزوة الافرنسية الى اقامة مجتمع جديد لا صلة له بالماضي ولا بتقاليده . وعرضت الغزوتان المجتمع العربي القائم لاشد محنة واجهها في تاريخه الاسلامي .

واستقبلت بغداد في صيف ١٧٩٩/١٢١٤ اعجب سفارة شاهدتها في تاريخها. فقد زينت سراي الوالي والبس رجاله ملابس تدل على الجلال والثروة كما اصطف الجند والحرس في حللهم المزركشة والبستهم المزينة لاستقبال السفير الخطير . وشعر الجميع ان على نجاح هذه السفارة يتوقف مصير المجتمع القائم الذين يودون انقاذه من « البدعة » الوهابية . وظهر بدوي يلبس ما يبدو كالاسمال ويمشي بخطا سريعة الى حيث كان يجلس الوالي دون ان يعير ماراه انتباهاً . والقى بين يدي الباشا ، وهو جالس القرفصاء ، كلمته بلهجة بدوية جافة . وقبل الوالي بسرور اي صلح يضمن حصر البدعة في الجزيرة العربية وحماية المجتمع في ولايته من هذا الخطر (٥٢٧) .

ولكن الصلح سرعان ما نقض قبل ان يجف مداده . ففي اواخر العام اعتدى خزاعلة على قافلة نجدية وقتلوا ثلاثماية من افرادها . ولما ابى الوالي دفع دية القتلى وفشلت سفارة عبد العزيز الشاوي اعلن الوهابي الغاء المعاهدة عام ١٨٠١/١٢١٦ . وفي ربيع ذلك العام قصد الوهابيون كربلاء فدخلوها في ١٨ ذي الحجة / نيسان ١٨٠٢ « وقتلوا غالب اهلها في الاسواق والبيوت وهدموا القبة . . واخذوا جميع ماوجدوا . . من انواع الاموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة . . » وعم الخوف العراق واعلن الحزن والحداد في ايران (٥٢٨) .

وازداد الخطر الوهابي حدة في عهد علي باشا اثر اغتيال الامير الوهابي عبد العزيز السعود اواخر رجب ١٢١٨/تشرين ١٨٠٣. فقد اعتبر ابنه سعود هذا العمل مؤامرة بغدادية فصمم على الثأر من واليها. وقصد سعود البصرة ونهب ضواحيها وفشل في اخذها، ثم عاود الكرة في العام التالي. وجهز علي باشا جيشاً بقيادة امير لواء اربيل وابن اخته سليمان بك وسيره الى جبل شمر فلاقت الحملة فشلا ذريعاً. وعاود سعود غزو العراق عام ١٨٠٥/١٢٢٠ فقصد النجف فوجدها محصنة ثم غزا السماوة واطراف البصرة [٥٢٩]. وظل الوهابيون يهددون العراق الى ان شغلوا بصد الحملة المصرية التي ارسلها ضدهم محمد علي باشا.

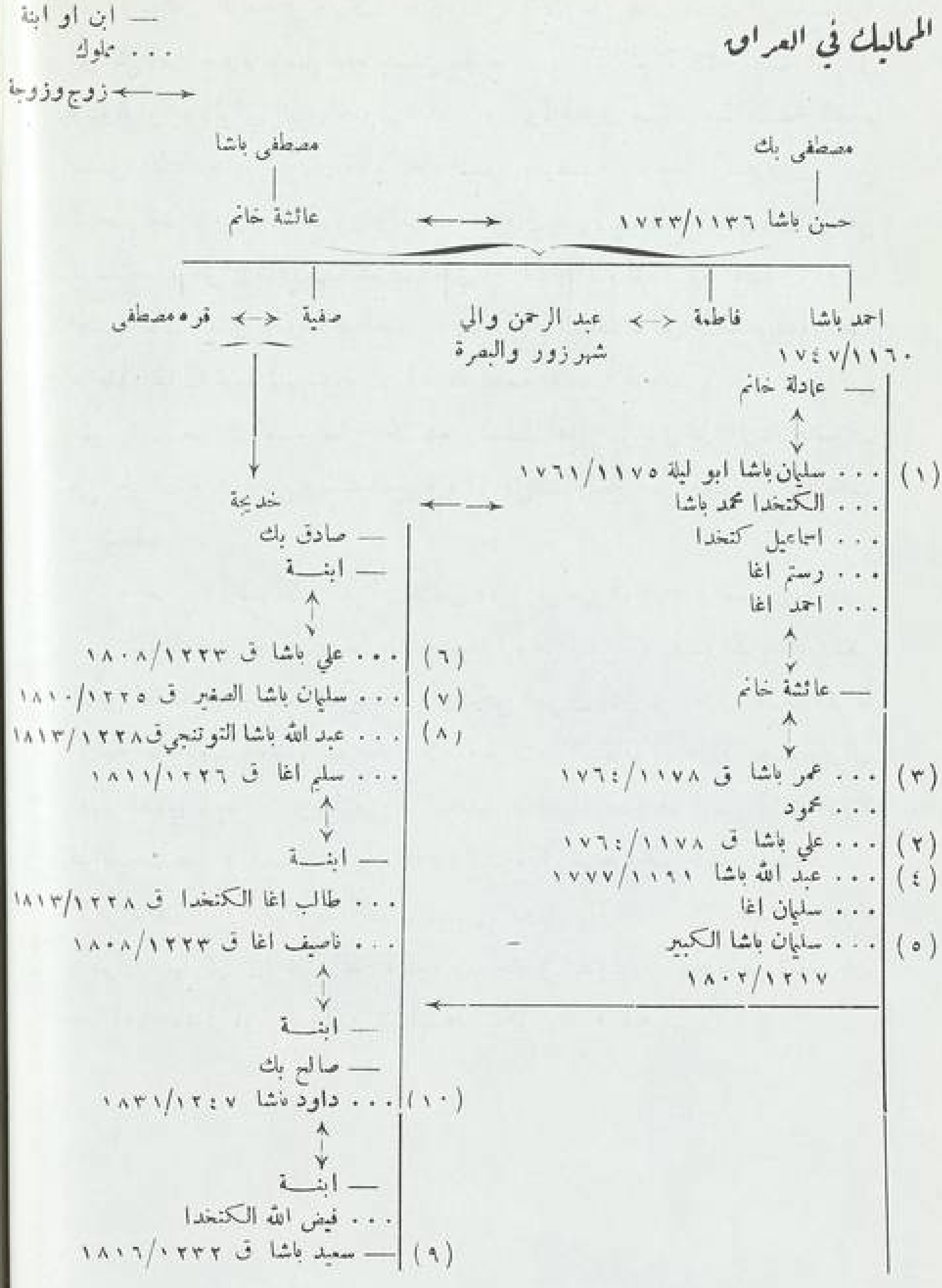
وابتليت العراق فوق كل ذلك بالاوبئة والمجاعات. فنتك الطاعون فتكا ذريعاً ببغداد والبصرة والموصل في الاعوام ١١٨٤/١٧٧٠، ١١٨٦/١٧٧٢، ١٢١٨/١٨٠٣. ووصل عدد الموتى في بغداد وحدها الى اربعماية وفاة في اليوم الواحد. وصحب الطاعون في اكثر الاحيان قحط ومجاعة اتتا على كثير ممن سلم من الطاعون. وانقذت بغداد اكثر من مرة من الايرانيين بسبب انتشار الكوليرا بين جيوشهم. وانه لمن سخرية القدر ان يتم القضاء على وباء المماليك بطاعون وفيضان اضعفا مقاومة داود باشا آخر ولاتهم [٥٣٠].

وكان من الممكن الا يتأثر العراق بفشل الحكام بسبب سطحية الحكم لو ان هذا الفشل لم يسبب للبلد نكبات اقتصادية. فالعراق بلد يعتمد على الزراعة التي تعتمد بدورها على وجود نظام حسن للري. ولكن تنظيم الري وفتح القنوات امور تحتاج الى حكومات رشيدة وامن مستتب وتعاون بين الحاكم والمحكوم وولاء واضح المعالم اساسه المصلحة المتبادلة لا الخوف وحده. وحرمت العراق من كل هذه الامور. فاهملت القنوات وتدهورت الزراعة. وانقلب العراق من بلد منتج يعتمد اقتصاده على الانتاج والتصدير الى بلد يعتمد اقتصاده على موقعه الجغرافي بين الخليج العربي والبحر الابيض المتوسط الذي جعل منه طريقاً للتجارة العالمية بين الشرق والغرب.

وساهمت الرعية في صرف الحكام عن الاصلاح . فقد نظرت الرعية شزراً الى كل اصلاح ولم يؤمن احد بحسن نية حاكم . كذلك شك الباب العالي ودولة ايران بالوالي الذي يحاول الاصلاح . ولما حاول سليمان باشا الصغير القيام ببعض الاصلاحات الادارية البسيطة اتهموه بالوهابية . وجلا كثيرون عن النجف لقلة الماء وتهدم السور وتعرض للعربان ، ولم يستطع الوالي ان يتدخل لاصلاح الاحوال لئلا يتهمه الباب العالي او الشاه الايراني بسوء القصد . ولما اقتنع الباب العالي بان الاصلاح ضروري كتب السلطان الى الشاه طالباموافقته مرفقاً الطلب بحجة شرعية تثبت الحاجة الماسة للاصلاح وتذكر ان « اراضي النهر كانت موات لعدم عناية الحكام وتسلط اهل البوادي على الرعايا فاشرف على الخراب وكانوا على وشك الهجرة » فوافق الشاه اخيراً على بعض الاصلاحات في النجف .

واخيراً ، وبينما كان العراق يقاسي الامرين من الوباء والفيضان ، انتهى حكم المماليك من العراق وبدأ عهد جديد . ومر زمن غير قصير قبل ان يشعر الناس ان تغييراً حقيقياً قد حدث . ولكن العراق كان يمر خلال هذا القرن الاخير من العهد العثماني بتجربة اصلاحية لم يشعر السكان بمداها الا بعد زوال العهد العثماني . بدأ الناس يشعرون ان عهد سطحية الحكم قد انتهى وان الدولة قداصبحت غولاً (لِفيَثاناً Leviathan) يبتلع كل شيء ويحشر انفه في خصوصيات الافراد ، فازدادوا كرهاً لهذا الغول المسمى بالدولة . وازداد الناس ابتعاداً عن الدولة ونفوراً منها كلما ازدادت الدولة قوة وتدخلاً في شؤونهم . ولم يشعر الناس ان هذا الازدياد في قوة الدولة ونشاطها قد يكون ذا فائدة لهم .

المماليك في العراق



الفصل الخامس

العراق في العهد العثماني – تتمة

٩٤١/١٥٣٤ – ١٣٣٦/١٩١٨

العراق في الدور الثالث ١٢٤٧/١٨٣١ – ١٣٣٦/١٩١٨

لم تكن الحملة العسكرية التي قادها علي رضا باشا اللاز للقضاء على داود باشا حملة تأديبية عادية كالحملات التي كانت توجه عادة ضد العصاة ، بل كانت حملة من نوع جديد تحمل بذرة جديدة . فقد تشبع السلطان العثماني محمود الثاني بالافكار الافرنسية في الادارة وصمم على تطبيقها في امبراطوريته ، وعزم على القضاء على سطحية الحكم القديم ولا مركزيته ليحل محلها نظام حكم مركزي قوي .

ولم يشعر أهل العراق في عهد علي رضا باشا بان نوع الحكم قد تغير . فقد حكم علي رضا باشا العراق احدى عشر سنة لم يشعر خلالها الناس بانه يطبق نظام حكم جديد . واستعان علي رضا باشا ، بحكم الضرورة ، بموظفين من المماليك الذين احتكروا ادارة العراق قرابة قرن من الزمن . ورُمي علي رضا باشا وخليفته نجيب باشا (١٢٥٨/١٨٤٢ – ١٢٦٥/١٨٤٨) بالظلم والتعسف في جباية الاموال . وحكم في بغداد خلال الاربعين سنة التي مرت من عزل داود باشا الى تعيين مدحت باشا أحد عشر والياً .

واذا كان علي باشا « لا يبالي بادارة اموره ، ويتركها بايدي اعوان من المماليك يضطهدون الرعية ويجمعون الاموال كما كانوا يفعلون ايام المماليك[٥٣١]،
واذا ما حمل محمد نجيب باشا افكارا « بالية . . فبلغ في ايامه الظلم والعسف حدا كبيرا . . [٥٣٢] » . فان شيئاً مؤكداً قد حدث في العراق لم يستطع المعاصرون ادراك اهميته . واصبحت العراق ولاية تابعة فعلياً لامبراطورية يريد سلطانها ان يحكمها بنفسه حكما مركزيا حسب احدث طرق الادارة المركزية التي تمخضت عنها الثورة الافرنسية . وشعر السلطان ان لا سبيل لتحقيق اهدافه الا بالقضاء على جميع الامارات القديمة . فقضى على مماليك العراق عام ١٢٤٧/١٨٣١ وعلى الجليليين في الموصل عام ١٢٥٠/١٨٣٤ وعلى امارتي بهدينان (العمادية) وراوندوز عام ١٢٥٢/١٨٣٦ وعلى الامارة البابانية عام ١٢٦٧/١٨٥٠ ونجح في اخماد جذوة الخطر الوهابي بواسطة واليه محمد علي باشا الذي اعاد اخضاع اكثر شبه الجزيرة العربية للحكم العثماني . ولكن محمود فشل في اخضاع محمد علي كما فشل في اخضاع القبائل البدوية .

ودخل العراق ، كجزء من الامبراطورية العثمانية ، عهدا جديدا عام ١٢٥٥/١٨٣٩ عرف بعهد التنظيمات الخيرية . وجرت في بغداد احتفالات كبيرة واطلقت المدافع واعلن عن « وضع قوانين جديدة لانكشاف القابليات في الاهلين وحفظ نفوسهم واموالهم واعراضهم . . وتعيين الضرائب وتحديد مدة الجندية وتأكيد الثقافة[٥٣٣] » . وطبقت بصورة تدريجية اصلاحات بدت غريبة لاهل ذلك العصر . فقد طبق عام ١٢٥١/١٨٣٥ نظام المخاتير فاصبح المختار شبه موظف اداري مسئول عن محلة معينة[٥٣٤] . كذلك اعلن بعد ثلاثة أعوام عن العمل بنظم الحجر الصحي وجوازات السفر وشرع بتأسيس المدارس الجديدة (الرشدية)[٥٣٥] . ولما قرىء مرسوم خط كلخانة في بغداد اواخر شوال ١٥٥٥/١٨٣٩ اوجس الاهلون « خيفة أن يؤدي ذلك الى تقوية سلطة الدولة . . وهكذا كانت النفرة راسخة في الاذهان ولاتزال خشية التسلط ملحوظة »[٥٣٦] .

لم ينجح احد من الولاة الذين جاءوا قبل مدحت باشا في فرض الاصلاح المطلوب . فقد شغل علي باشا ، رغم حكمه الطويل ، بفتن المنتفق وبني عقيل وشمر وراوندوز والجليليين وثورتي مفتي بغداد ومتسلم البصرة . كذلك واجه خلفه محمد نجيب باشا (شعبان ١٨٤٢/١٢٥٨ - ٢٢ شعبان ١٨٤٩/١٢٦٥) ثورتي كربلاء والموصل . ولم يحدث ما يستحق الذكر في عهدي عبد الكريم نادر باشا ، او عبدي باشا (١٨٤٩/١٢٦٥ - ١٨٥٠/١٢٦٧) ومحمد وجيه (وجيهي) باشا (١٨٥٠/١٢٦٧ - صفر ١٢٦٨/ ١٨٥١). ونقل الاخير بعد حكم دام عشرة اشهر لخلافه مع مشير الفيلق نامق باشا حول السياسة العشائرية .(٥٣٧)

وحاول نامق باشا (ربيع اول ١٢٦٨/ كانون اول ١٨٥١ - ٢٩ شوال ١٢٦٩ / صيف ١٨٥٣) ان يتبع سياسة الشدة نحو القبائل العربية . وكان نامق باشا قد جاء بغداد في رجب ١٢٦٥/ ايار ١٨٤٩ مشيراً لفيلق العراق والحجاز خلفاً لعبدي باشا الذي كان اول من شغل هذا المنصب عام ١٧٤٨/١٢٦٤ قبل ان يصبح والياً . ولما حدث الخلاف بين نامق باشا والوالي وجيهي باشا اخذت الدولة برأي نامق وجعلته والياً . وبدأ نامق باشا اعماله بنفي شيخي زوبع وخزعل وعدد من صغار الشيوخ واعتقال احد شيوخ شمر وفرض اقامة اجبارية على شيخ المنتفق . وازدادت فتن المنتفق وزبيد في عهده واختل الامن اختلالا كبيرا حتى ان اهل بغداد نفسها لم يتمكنوا من حصد زروعهم لخوفهم من زبيد « وبقي امر الخلق محلول ، فلم يجدوا ملكا يصون اموالهم . ولم يتفق بالعراق الخلال واختلال كما في هذه الايام .» (٥٣٨) واشتدت حملة الافرنج على نامق واتهموه بالتعصب وقدم السفير الافرنسي مذكرة قوية الى الباب العالي حمل فيها على نامق باشا (٥٣٩) . ولما بان فشل نامق باشا استدعي الى استانبول .

ولم يكن الوالي « القدير النزيه الصارم » محمد رشيد باشا الكوزلكي (ذو القعدة ١٨٥٣/١٢٦٩ - م ٢٢ ذو الحجة ١٢٧٣/ آب ١٨٥٧) اكثر نجاحاً من سلفه . وحاول اتباع سياسة اكثر ليناً نحو القبائل المتمردة فنال بعض النجاح . وشكا

الاهلون من تشدده في جمع المال لحاجة الدولة العثمانية الماسة للمال ابان حرب القرم ، فقد جمع الوالي الاعيان وطلب منهم اعانة للدولة في حربها مع روسيا، كما فرض اعانات للقيام ببعض الاعمال العمرانية ، كذلك زاد بعض الرسوم وضمن املاك الدولة لمن يدفع اكبر قيمة ممكنة . واتهم بتراخيه في حقوق الناس وتهاونه في قضاء حوائجهم وقيل عنه ان رأيه كان مصروفاً « الى تحصيل الدراهم وفكره مشغول بتدبير الحيل التي يستلب بها اموال العباد . » واشتدت الحملة على سياسته المالية حتى قيل انه « . . حسد من يتعاطى المعاملة في البيع والشراء . . ومن حين ماورد بغداد الى ان هلك ماتصدق على فقير بدرهم واحد وهو كذوب حسود قاسي القلب بخيل . » واتهم بالمتاجرة وبسيطرة الماليين اليهود والنصارى عليه .[٥٤٠]

ورأى الاوروبيون فيه غير ذلك . فقد اعتبروه نزيها عدوا للتفسخ محبا للعمران ناجحا في ادارته . وقد تم في عهده جمع الاموال لشراء سفينتين نهريتين صنعتا في بلجيكا وسميتا البصرة وبغداد . وامر بكري عدد من الانهر في لواء الحلة ، وفتح انهرا جديدة وبنى سد الصقلاوية غربي الفالوجة فساهم بذلك على تحسين الري . وتوفي هذا الوالي ، قبل ان يتم اعماله ، يوم الاربعاء في ٢٢ ذي الحجة ١٢٧٣/آب ١٨٥٧ .[٥٤١]

ولم يوفق الولاة السردار الاكرم عمر باشا (٤ رجب ١٢٧٤/١٨ شباط ١٨٥٨ - ٢٧ صفر ١٢٧٦/ ٢٥ ايلول ١٨٥٩) ومصطفى نوري باشا (شعبان ١٢٧٦ / آذار ١٨٦٠ - شعبان ١٢٧٧ / شباط ١٨٦١) واحمد توفيق باشا (٢٢ شعبان ١٢٧٧/شباط ١٨٦١ - ٢٥ ربيع اول ١٢٧٨ / ايلول ١٨٦١) خلال فترات حكمهم القصيرة للقيام باعمال هامة . فقد صرف عمر باشا (المجري الاصل) عنايته للجيش النظامي محاولا التخلص من المتطوعين (الهايته، الباش بوزق) مركزاً جهوده على تطبيق نظام الجندية الاجبارية. وقاوم السكان محاولاته وكثرت الفتن وترك كثيرون مزارعهم واوطانهم هربا من الجندية.[٥٤٢]

ولم ترض الدولة عن قسوته في معاملة القبائل فعزلته وارسلت كاتب السر مصطفى نوري باشا والياً . وكان نوري باشا امياً ، لا يعرف الا الاكل والبلع ، فغدا كتخداه واسطة للرشوة . وثارت عليه عشيرة البو محمد وتمردت المنتفق وساءت احوال الولاية فعزل بو قياً [٥٤٣] وعهد بالولاية الى مشير الفيلق السادس احمد توفيق باشا الذي اعتبر خبيراً باحوال العراق وقادراً على اصلاح احوالها المالية المتضعضعة ، ولكن بان فشله بعد شهور قليلة فعزل . [٥٤٤]

وجاء بغداد واليا للمرة الثانية نامق باشا (٢ شعبان ١٢٧٨/شباط ١٨٦٢ — ١٣ ربيع اول ١٢٨٤ /تموز ١٨٦٧) الذي منح صلاحية الاشراف على الفيالق السادس وعلى بغداد والبصرة والموصل وشهرزور . وركز نامق باشا جهوده على اصلاح الاوضاع المالية فنجح في ذلك وتحسن وضعه المالي الى حد مكنه من اقامة بعض الابنية العامة كالثكنة (القشلة) ودار الحدادة (الدميرخانة) . [٥٤٥] ولكنه فشل ، كما فشل في ولايته الاولى ، في اتباع سياسة قبلية سليمة فأثار عليه المنتفق وشمر وعشائر السماوة . [٥٤٦] ولعل العمل الايجابي البارز الذي حدث في عهده هو وصول الباخرتين النهريتين بغداد والبصرة ، اللتين كان قد اوصى عليهما في زمن ولايته السابقة ، فأودع ادارتهما الى رئيس اطباء الفيلق . وبدأت في عهده السفن البريطانية النهرية عملها في العراق . [٥٤٧] واستدعي نامق باشا ليصبح وزيراً للحربية فخلفه لفترة قصيرة حاكم كركوك السابق تقي الدين باشا (١٧ ربيع اول ١٢٨٤ / تموز ١٨٦٧ — ذو الحجة ١٢٨٥/ نيسان ١٨٦٨) . [٥٤٨]

مدحت باشا ١٨ محرم ١٢٨٦/٣٠ نيسان ١٨٦٩ — ربيع الاول ١١٨٩/ ايار ١٨٧٢

واخيراً عهد الباب العالي الى اكفأ رجاله بتطبيق قانون الولايات الصادر عام ١٢٨١/١٨٦٤ والقيام بالاصلاحات المطلوبة . [٥٤٩] وكان مدحت باشا قد اثبت مقدرته في الولايات البلقانية واستطاع ان يطبق نظام الولاية على ولاية الدانوب . وعقدت عليه آمال كبيرة عندما عهد اليه بولاية بغداد التي

وصلها في ١٨ محرم ١٢٨٦/نيسان ١٨٦٩ .[٥٥٠] وقريء مرسوم تعيينه الذي حوى مباديء جديدة في الحكم لم يسمع بها الناس في بغداد من قبل . وجاء في فرمان (المرسوم السلطاني) تعيينه مايلي :[٥٥١]

« الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأي الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد اركان السعادة والاجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى ومن افاخم وكلاء دولتي العلية رئيس شورى الدولة السابق الموجه لعهدة استيهاله واقتداره هذه المرة نظارة ادارة امور الفيلق السادس الهمايوني مع انضمام ولاية بغداد والحائز على وسام .. والوسام .. وزيري وسمير درايتي مدحت باشا ادام الله اجلاله ..

« ان خطة بغداد الجسيمة من اعظم القطع التي تتألف منها ممالك دولتي العلية المحروسة .. وانها صالحة لكل اعمار وترق .. ولما كانت اعز الآمال .. ان تحصل على كافة اسباب العمران ، وهذه الآمال لاتتم .. الا ان يقع الاختيار على من هو عارف قادر .. وانت لحد الآن قد قمت بأمور مهمة لسلطنتي السنية فشوهدت منك غيرة وفطنة واقدام ودراية .. وانك ستكون عند حسن ظن سلطنتي .. فتودي واجب المهمة بتمامها .. الامر الذي دعا ان اصدر ارادتي السنية في اليوم الثاني من ذي القعدة لسنة ١٢٨٥ فاعهد بهذا الامر للياقتك في ادارة الولاية ملكياً وعسكرياً ..

فاذا وصلت الى مركز منصبك قمت بأمور الولاية العسكرية وزاولت مصالح الاهلين والعسكريين طبق قواعد الشرع والقانون بروية وعناية .. وان تزيد في العمران وتوفر الثروة .. والراحة والرفاه والامن لجميع الاهلين من سكان وعشائر وان توسع دائرة الزراعة والحرث والتجارة .. وتمنع التعدي وتراعي حسن الالفة بين العربان والعشائر .. والاهلين السكان .. وان يشتغلوا في امر زراعتهم وحراثتهم ومنع تجاوز الواحد على الآخر منهم في الحقوق . واجراء الجزاء الشرعي والقانوني بتمامه بحق من يتجاسر بالحركة خلاف الشرع

والنظام ، وان يراعي الموظفون .. جادة العفة والاستقامة .. وان يبادر الى الاهتمام بجارتنا ايران البهية ..»

وبعد قراءة الفرمان القى مدحت باشا كلمة بالتركية اوضح فيها الامور التي ورد ذكرها في الفرمان . فقد اوضح الوالي ان الدولة قد طرحت جانباً سياستها القديمة في الحكم وان الحكم لن يكون سطحياً بعد الآن (٥٥٢) . فقد قررت الدولة التدخل في كافة الميادين الثقافية والاقتصادية. ولم تعد تكتفي بصيانة امن الدولة في الداخل والخارج بل صممت على توجيه الافراد الى العمل لزيادة الانتاج وتنمية الثروة العامة .

نادى مدحت باشا بثلاثة مبادىء هامة في الحكم تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم . وبعد ان اعترف مدحت باشا بتدهور احوال البلاد اعلن المبدأ الاول القائل ان « لامنجاة من هذه الورطة الا بالانقياد الى المتبوع الاعظم ـ السلطان ـ . » واطاعة من ينتدبهم السلطان للعمل في العراق « وبسلم اليهم بما ارادوا » ليستطيعوا تنفيذ رغبات السلطان الذي يرغب بالمحافظة على حقوق الاهلين ومراعاة راحتهم ورفاهيتهم والعدل بينهم . ولم يأت مدحت باشا بجديد عندما نادى بهذا المبدأ لانه اقدم مبادىء الحكم في التاريخ . ولكنه ، في المبدأين الثانيين ، نادى بثورة جديدة في اصول الحكم .

فقد حمل الدولة مسئوليات جديدة عندما اعلن عزمه على دفع العراق في طريق الرقي والتقدم والثروة محملا مسئولية هذا العمل لوال قدير وموظفين مخلصين . فقد آمن مدحت بالحاجة الى « مركز ادارة ينظر في وسائل الحاجات والثروة والامن » والى موظفين يعمل الواحد منهم « في حدود وظيفته للقيام بخدمة الاهلين وسلامتهم وسعادتهم » . فلم يؤمن مدحت باشا بان الشعب قادر على النهوض وحده الا اذا دفعته في طريق الرقي حكومة مستنيرة تملك جهاز موظفين صالح . ورأى أن تتحمل الدولة مسئولية رفع مستوى الشعب في ميادين الثقافة والاقتصاد .

ونادى مدحت باشا بمبدأ ثالث في الحكم افرد فيه للشعب اهمية ودوراً كبيراً في انجاح اي مشروع اصلاحي . وهذا مادفعه الى محاولة شرح خططه لشعبه ليضمن تعاونهم واياه لانجاحها . ورغم مطالبته اياهم بالسمع والطاعة الا انه ارادهم ان يتفهموا اهمية المشاريع التي يريد تنفيذها لزيادة رفاهية الاهلين وسعادتهم في ظل العدل والرأفة . لقد ادرك مدحت باشا ، واراد من الشعب ان يدرك معه ، ان « نفع الامة .. هو فائدة للدولة وفائدة للامة » وان الوقت قد آن لان يقوم الولاء على اساس من المنفعة المتبادلة لا على الخوف والرهبة .

وتشابهت بعد ذلك ، طوال عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، فرمانات الولاة وخطبهم . فقد حوت جميعها (باستثناء فرمان حازم بك آخر ولاة عبد الحميد) نفس المقدمة التي تذكر القاب الوالي . فالوالي في جميع هذه المراسيم باشا و « دستور مكرم ومشير مفخم » وصاحب فكر ثاقب ورأي صائب » وحامل الوسامين العثماني والمجيدي من الدرجة الاولى [٥٥٣] . اما ابو بكر حازم بك فقد كان اقل مرتبة من اسلافه ولم يلقب الا بافتخار « الاعالي والاعاظم مختار الاكابر والافاخم المستجمع لجميع المعالي والمكارم المختص بمزيد عناية الملك الدائم .. دام علوه » [٥٥٤] .

ونصت جميع فرمانات الولاة ،باستثناء فرمان عبد الرحمن باشا في ولايته الاولى ، على القواعد التي نص عليها فرمان مدحت باشا . فقد طلب منهم جميعاً « رؤية امور الولاية .. وتمشيتها تطبيقاً على الشرع الشريف والقانون المنيف » اذ بقي الشرع الاسلامي التشريع الرئيسي السائد في البلاد . وابدى السلطان عبد الحميد عناية خاصة بابراز نفسه حامياً للشريعة الاسلامية وجامعاً لشمل المسلمين . ونصت الفرمانات ايضاً على وجوب العناية بتنمية الثروة العامة في البلاد وحسن معاملة رعايا ايران الذين يترددون على العراق [٥٥٥] .

وركز فرمان عبدالرحمن باشا الاول الاهتمام على « دائرة الاحكام العدلية » . فقد عانى الناس من وجود نوعين من المحاكم ، شرعية ونظامية ، تطبق الاولى منها

الشرع الاسلامي بينما تطبق الثانية قوانين مدنية يفترض عدم مخالفتها لاحكام الشريعة الاسلامية . وكثرت الدعاوي الحقوقية في البلاد لا سيما بعد ادخال نظام الطابو (تسجيل الاراضي) فبدأ الناس يشكون من بطء المحاكمات واحياناً من تحيز الحكام . وبدأت هذه القضايا تحتل مركزاً رئيسياً في اذهان الناس وغدت مصدر شكواهم الرئيسي (٥٥٦) .

ويلاحظ امر طريف جديد في فرمانات ولاة السنوات الثمانية الاخيرة من عهد عبد الحميد . فقد ازداد السلطان غروراً وشعوراً باهميته ، وربما ازداد خوفاً على مركزه ، فدعا الولاة الى « استجلاب الدعوات الخيرية من كل احد » لطرفه الاسني السلطاني « المستجمع للمجد والشرف » وصرف « القدرة لجعل مصالح الولاية .. مطابقة لمقصدي الملكي دائرة على محورها المطلوب . » (٥٥٧)

وازداد الولاة نفاقاً ورياءً لولي نعمتهم « سيدنا ملاذ الخلافة ومأوى العدالة » . فقال عنه حسن باشا انه « مهبط الالهامات الالهية وموضع الفيوضات النبوية » الذي « ازدان به مقام الخلافة وافتخر بوجوده سرير السلطنة » . وجعله نامق باشا الصغير « شمس برج الخلافة والسلطنة . » (٥٥٨) اما حازم بك ، آخر ولاة عبد الحميد ، فقد أعلن عجزه عن الكلام لما أصابه « من المهابة العظمى المتحصلة من بلاغة فرمان الحضرة الملوكية » (٥٥٩) . وختم الولاة كلماتهم بالدعاء « لحضرة ظل الله على العالم » ليديم الله « ظله الظليل الملوكي على مفارق المسلمين والعثمانيين الى يوم القيامة » وليزيد الله في عمره « وشأنه وشوكته » وان يوفق الله الجميع « لما فيه رضاه ورضاء خليفته » (٥٦٠) .

وطلع سري باشا على الناس بفلسفة جديدة للحكم . فقد قال بان الولاية امانة وان الوالي « هو المتحمل أعباء الاهلين » المسئول عن « منع الاذى وحفظ الراحة وتعمير البلاد » على أن يتمسك بحبل « الشريعة المطهرة .. مدار اعتصامنا » ويطيع الله والرسول والسلطان . ودعا الناس الى طاعة السلطان لان « كل ما امر به امير المؤمنين واجب الامتثال .. وبالطاعة صلاح الدين

والدنيا » . واراد ان يتشبه بالخلفاء الراشدين فطلب من الناس ايقاظه اذا ما اعترته غفلة في اداء الواجب « وان بدا مني قصور فاخطروني ، وليس بعيب ظهور الخطأ . وانما العيب الاصرار على الخطأ . والحق احق ان يتبع »[٥٦١].

اقترن اسم مدحت باشا باصلاحات كثيرة في العراق ادت مع غيرها الى تغيير وجه العراق . فقد اوجد مطبعة رسمية لتنشر له جريدته الرسمية ولتساهم في طبع الكتب ونشر المعرفة . وعمل الوالي على فتح المدارس النظرية والمهنية . وادخل اصلاحات عامة على الموازين والمقاييس والنقود المتداولة . واصلح المواصلات وكري الانهر وشجع الملاحة والتجارة وبنى مستشفى في بغداد . ولكن ابرز ما نسب الى مدحت هما التشكيلات الادارية الجديدة ونظام تسجيل الاراضي (الطابو) .

التشكيلات لادارية :

صدر نظام الادارة الجديد في منتصف عام ١٢٨١/ اوائل ١٨٦٥ ولكن لم يعمل به فورا في العراق . ولم يبدأ العمل بصورة جدية في تطبيق هذا النظام الا في عهد مدحت باشا الذي صدر في عهده النظام المؤرخ في ٢٩ شوال ١٢٨٧/١٨٧١ الذي طبقه مدحت باشا وبقي ساري المفعول حتى نهاية العهد العثماني . وقد ادخل عليه تعديلان بسيطان بموجب القانونين الصادرين في ١٨ ربيع الآخر ١٣٣٠/١٩١٢ وفي ١٧ ربيع الآخر ١٣٣١/١٩١٣ . وبموجب هذه القوانين انقسم العراق الى ثلاث ولايات كما يلي :[٥٦٢]

اولا — ولاية بغداد وتتألف من ثلاثة ألوية هي :

١ — لواء بغداد ويتبعه ستة اقضية هي اقضية خراسان وخانقين والكاظمية وسامراء والدليم وعانة . وقد عدلت هذه التقسيمات اوائل القرن العشرين بحيث انقسم اللواء الى احد عشر قضاء وستة عشر ناحية وسبع واربعين قرية .

٢ - لواء كربلاء :

انقسم هذا اللواء اوائل القرن العشرين الى ثلاثة اقضية وخمس نواح .

٣ - لواء الحلة :

ضم لواء الحلة خمسة اقضية هي الهندية والسماوة والديوانية والنجف والشامية.

وتغيرت هذه التقسيمات أوائل القرن العشرين . فقد اصبح قضاء الدليم لواء وربط به قضاء عانة . كذلك اصبح قضاء الديوانية لواء ضم ثلاثة اقضية وثلاث عشرة ناحية .

ثانيا - ولاية البصرة :

انقسمت هذه الولاية الى اربعة الوية هي :

١ - لواء البصرة : ويتبعه قضاءان وخمس نواح ومائة واحدى وعشرون قرية .

٢ - لواء المنتفق : ويتبعه ثلاثة اقضية وست عشرة ناحية وست قرى .

٣ - لواء نجد : ويتبعه قضاءا القطيف وقطر واربع نواح وتسع وستين قرية .

٤ - لواء العمارة : كان بدون اقضية في القرن التاسع عشر ولكنه انقسم اوائل القرن العشرين الى ثلاثة اقضية واربع نواح واربع عشرة قرية .

ثالثا - ولاية الموصل :

انقسمت هذه الولاية الى ثلاثة الوية هي :

١ - لواء الموصل : ويتبعه اقضية الموصل ودهوك وسنجار والعمادية وزاخو وعقرة . وضمت هذه الاقضية ثماني نواح والف ومائة وثمان وثلاثين قرية .

٢ - لواء كركوك : وضم اقضية راوندز واربل وكويسنج ورانية وكفري . وانقسمت هذه الاقضية الى سبع نواح ضمت الف ومائة وسبع وخمسين قرية .

٣ ـ لواء السليمانية : ضم هذا اللواء اقضية كالعنبر وبازيان وشهربازار وقره طاغ ومركه والجاف . وعدلت هذه التشكيلات اوائل القرن العشرين الى اربع اقضية وسبع نواح وضمت الف وست وعشرين قرية .

عهد بادارة الولاية الى ولاة تفاوتت رتبهم فانقسموا الى ثلاث مراتب . فتولى حكم بغداد وال من المرتبة الاولى راتبه عشرون الف غرش ثم ارتفع راتبه بصورة تدريجية حتى وصل الى ستين الف غرش سنوياً . تولى البصرة وال من المرتبة الثانية براتب قدره سبع عشرة الف غرش . أمـا الموصل فـكان واليها من المرتبة الثالثة وراتبه خمسة عشر الف غرش . ووجد في مركز كل ولاية معاون وال ومتصرف مركز وقائمقام مركز ، فادار المتصرف لواءه والقائمقام قضاءه [٥٦٣] .

وتألف في كل ولاية ، استناداً الى خط كلخانه ، مجلس كبير او مجلس ادارة ابتداء من عام ١٢٦٧/١٨٥٠ . وضم هذا المجلس كاعضاء رسميين الدفتري والمكتوبجي والمحاسب ونقيب الاشراف ونقيبا الاحناف والشافعية . وجرى املاء المقاعد الاخرى في المجلس بطريق الانتخاب على ان يكون من بينهم يهودي ومسيحي وكان اكثر الاعضاء ، في رأي احد اعضائه المفتي ابي الثناء الالوسي ، من الجهلة الذين اضروا بالادارة وانساقوا وراء اطماعهم ففرض عليهم ارائهم [٥٦٤] .

واستفادت المدن والقرى من التنظيمات الادارية الجديدة . فقد جعل الحي في المدينة وحدة ادارية يشرف عليها مختار منذ عام ١٢٥١/١٨٣٥ . كذلك اسس في المدن الرئيسية بلديات بحيث لم تخل بلدة مهمة بعد عام ١٣١٨/١٩٠٠ من بلدية . ووجد في بغداد نفسها ثلاث بلديات . وبوشر برصف الطرق وتنظيفها والعناية بالصحة العامة في المدن منذ عهد مدحت باشا [٥٦٥] .

تسجيل الاراضي (الطابو) :

حاول مدحت باشا اصلاح نظام الاراضي والتملك في بغداد . وقد ضمن

في دعايته لمشروعه فلسفته في الحكم اذ قال « وآمال الحكومات اليوم ليس المراد بها سلب الاهلين ما عندهم وانما همها مصروف لزيادة الثروة العامة ومراعاة نفع الاهلين ... والزارع لايملك ارضه .. فاقتضى سوقه الى ان يكون مالكا لينال رفاها » . وبعد أن مهدت جريدة الزوراء بمثل هذه الاقوال لمشروع تمليك الاراضي نشرت بعد عشرة اشهر ، في العدد ١٢٥ الصادر في ١٩ ذي الحجة ١٢٨٧/ آذار ١٨٧١ ، نص قانون اصلاح نظام الاراضي والتملك الذي اقره السلطان في ٢٣ شوال ١٢٨٧ / كانون ثاني ١٧٧١ وجاء في مقدمته ما يلي :

« ان اغلب الاراضي للقطر العراقي تدار بالتزام ولا تفوض الى احد ولذا ترى الملتزمين يهتمون بالاستفادة من مدة التزامهم فقط ولا يبالون بأعمار الاراضي فلم ترق الزراعة والفلاحة فيها .. (لذا) فان الاراضي الواسعة للقطر العراقي اصبحت خالية من آثار العمران . ولاشك ان تكثير الثروة والعمران في الملك متوقف على تأمين حقوق الاهالي بالتصرف فيه .. ولذلك قرر .. اقطاع الاراضي المذكورة واحالتها الى طالبيها »(٥٦٦) .

وسارع مدحت باشا الى بيع مساحات واسعة من اراضي الحكومة باقساط قليلة سهلة الدفع . فمنح اصحاب التجارات القديمة والقرويين الذين كروا انهرا اوغرسوا بساتين واستثمروها(٥٦٧) .

واستمر العمل بنشاط في سياسة تسجيل الاراضي في عهد خلفاء مدحت باشا . فقد نقل قائمقام النجف الى بغداد ليشغل منصب اول مأمور تسجيل مدني في العراق عام ١٢٨٩/١٨٧٢ ، أي في العام الذي انتهى فيه حكم مدحت باشا(٥٦٨) وكانت العقارات قبل ذلك تسجل اما في المحاكم الشرعية بالنسبة للمسلمين او في الكنائس عند المسيحين بموجب حجة او وثيقة اوفي البيع بموجب شيطار عند اليهود وهي من سطر وسطور ومعناها السجل المكتوب(٥٦٩) . وتابعت الحكومة سياسة تفويض الاراضي الاميرية عن طريق الاعلان والمزايدة فاتمت تفويض

مساحات واسعة حتى عام ١٢٩٥/١٨٧٨ [٥٧٠] .

وواجهت الدولة مشاكل عديدة في تفويض الاراضي وتسجيلها فلم تملك دائرة التسجيل (الطابو) الجهاز والاستعدادات اللازمة للاشراف على هذا العمل . وشعرت هذه الدائرة انها بحاجة الى المساحين والخرائط بالاضافة الى النقص الكبير في الموظفين النزيهين . ونتج عن ذلك ان منحت دائرة التسجيل سندات مغلوطة بقطع ارض غير موجودة او يملكها آخرون . ولكن هذه الاخطاء، زودت المحاكم المدنية الجديدة بقضايا كثيرة واوجدت عملا للمحامين الذين ارتقت مهنتهم وتحسنت نظرة الناس اليهم [٥٧١] .

وكان لابد من اصلاح طرق الري ليتمكن الاهلون من استصلاح الاراضي وزيادة واردات الدولة . ولم تستهدف الدولة من استصلاح الاراضي وسائط الري واسكان القبائل بمجرد الاصلاح والنفع العام بل سعت الى زيادة سيطرتها على القبائل عن طريق ايجاد مصلحة مادية ثابتة لشيوخهم لايستطيعون نقلها وتهريبها الى الصحراء . فالشيخ الذي تملك ارضا وزرعها نخيلا اهتم بالحصول على رضاء الدولة التي تستطيع بسهولة ان تخرب مزرعته او تقطع عنها ماء الري فيموت زرعه عطشاً او تضع يدها على ارضه . [٥٧٢]

وسعى الولاة الى بناء سدود وحفر انهر جديدة لزيادة مساحة الاراضي القابلة للتفويض . وحفرت اكثر الانهر والقنوات في مواضع القنوات والانهر المندثرة القديمة . واقام رشيد باشا الكزلكي اوائل ١٢٧٠/١٨٥٣ سد الصقلاوية وحفر نهر السرية غربي الفالوجة في مكان نهر الكنعانية المندرس . واثر هذا السد على فرع الحلة فتحولت مياه الفرات من فرع الحلة الرئيسي الى فرع الهندية الثانوي بعد عام ١٢٩٧/١٨٨٠ ، فجيء بمهندسين افرنسيين لبناء سد الهندية لضمان استمرار جريان المياه في فرع الحلة . واتم المهندسون عملهم عام ١٣٠٩/١٨٩١ ولكن مالبث السد ان تصدع عام ١٣٢١/١٩٠٣ فلم يجر في فرع الحلة اكثر من عشر مياه النهر وتهددت الحلة والديوانية بالجفاف . واخيراً عهد الى المهندس البريطاني ولكوكس بدراسة الوضع واصلاحه فنجح في مهمته [٥٧٣] .

بغداد في العهد الحميدي

توالى على حكم بغـداد بعد مدحت باشا وحتى اعلان الدستور ست عشرة والياً خلال ست وثلاثين سنة (ربيع اول ١٢٨٩/ايار ١٨٧٢ - ٢٤ جمادي الآخر ١٣٢٦/٢٣ تموز ١٩٠٨) . ولم يزد حكم اي منهم على ثـلاث سنوات باستثنـاء الوالي السابع تقي الدين باشا آل المدرس (صفر ١٢٩٨/١٨٨٠ - ٤ رجب ١٣٠٤/ ٢٩ آذار ١٨٨٧) والوالي العاشر الحاج حسن باشا (١٩ محرم ١٣٠٩/ اواخر آب ١٨٩١ - محرم ١٣١٤/١٨٩٦) . ولم يقدم اي من هؤلاء الولاة خدمـات هامة للعراق . وانتمى هؤلاء الولاة الى عنـاصر مختلفة فكان من بينهم التركي والكريدي والالباني والعربي .

ولكن العهد كان عهد تطور سريع بالنسبة للعراق يجبر حتى الولاة الضعاف على السير في ركب التقدم . فقد شهد العراق في العهد الحميدي تغييرات عميقة في كافة نواحي الحياة . وتطور الجهاز الحاكم وطبق نظماً جديدة وازدادت علاقته بالشعب ومداخلاته في شئون الافراد . وكما شعر الشعب بثقل وطأة الحكومة في عهدها الجديد كذلك احس بالفوائد التي بدأ يجنيها من ازدياد تدخل الحكومة في القضايا الاقتصادية والاجتماعية .

حاولت الدولة تنظيم جباية الاموال والقضاء على مساوىء الالتزام . واعلن الغاء الالتزام عام ١٢٥٥/١٨٣٩ وعهدت الدولة الى موظفين بجباية الضرائب . وحددت الضرائب على النخيل والارض المزروعة والاغنام (الكودة) فلم تعد عرضة لتقلبات كبيرة . وشجع هذا التحديد اهل البصرة على التوسع في استثمار اراضيهم وزيادة مساحة الاراضي المزروعة نخيلاً (٥٧٤) .

وخطت الدولة خطوات واسعة في طريق تنظيم ادارة المدن . فقد انشئت مجالس بلدية منتخبة في اكثر المدن العراقية وعهد اليها بمهمة المحـافظة على نظافة

المدن وانارة شوارعها ليلا . وتأسس في بغداد منذ عـام ١٨٧٨/١٢٩٥ ثلاث بلديات لم توحد الا عـام ١٣٢٥/١٩٠٧ [٥٧٥] . وكانت الدائرة الاولى « بلدية الكرخ » اكثر البلديات نشاطاً . فقد اتمت اضاءة شوارعها عام ١٢٩٦ /١٨٧٩ واستحضرت عام ١٣١٠/١٨٩٢ مضخـات لتزويد السكان بالمياه [٥٧٦] . وزود مدحت باشا مدينة بغداد بمستشفى كبير وحديقة عامة وخط ترامواي يصلهـا بحي الكاظمية [٥٧٧] . وتم عام ١٢٩٩/١٨٨٢ انشـاء مصنعين في بغداد والبصرة لتزويد سكان المدينتين بالثلج ابان اشهر الصيف الشديدة الحرارة [٥٧٨] . ولكن هذه البلديات فشلت ، رغم مساعدة السلطـات لها ، في تنظيم وتوحيـد الموازين والمكاييل [٥٧٩] .

وحاولت الدولة ان تنظم النشاط التجاري في المدن فعملت على اقامة غرف تجارية فيها . واجبر الدلالون والسماسرة منذ عام ١٣٠١ / ١٨٨٤ على تسجيل اسمائهم في الغرف التجارية لنيل رخص العمل فيها [٥٨٠] . وفرض على الشركات عام ٨ ١٣/١٩١٠ ان تسجل نفسها لدى الغرف التجارية لتنـال اذناً بممارسة نشاطها . واقيم في بغداد بعد عامين معرض صناعي زراعي . ويلاحظ سيطرة الارمن واليهود على غرفة تجارة بغداد الاولى . اذ ترأس الغرفة ارمني يساعده نائب رئيس ومستشار وعضوين من اليهود بالاضافة الى عدد من الاعضـاء المسلمين والمسيحيين [٥٨١] .

وسعت الدولة الى ادخال صناعات جديدة في البلاد . فقد اشترى مدحت باشا مصانع والآت لطحن القمح وتقشير الارز والغزل والنسيج . كذلك استحضرت مصانع لتؤمن حاجة الجند من ملابس وخيام وطرابيش . ووصل انتاج مصنع النسيج الى ثلاثمائة متر من الاقمشة الصوفية واربعمائة متر من الانسجة القطنية في اليوم الواحد . [٥٨٢] وحولت مدرسة وقفية الوالي المملوكي علي باشا الى مدرسة صناعية لتخريج فنيين قادرين على خدمة النهضة الصناعية الجـديدة ، وتم افتتاح

هذه المدرسة اوائل ١٨٧٠/١٢٨٧ فانضم اليها ١٤٤ طالباً لدراسة مهن الحدادة والنسيج وصناعة الاحذية [٥٨٣].

وتشكلت اواخر العهد الحميدي الهيئة الاصلاحية لنشر الثقافة في العراق. ونجحت هذه الهيئة في عملها واسست في العراق ٢٤ مدرسة ابتدائيـة للذكور وثلاث مدارس للاناث تم افتتاحها في ٤ جمادي الثاني ١٤/١٣٢٦ تموز ١٩٠٨، أي قبل نهاية العهد الحميدي بأيام قليلة [٥٨٤]. وتأسس في بغداد في العهد الحميدي عدد من المدارس الحميدية (الابتدائية) والرشدية (ثانوية) ومكتب اعدادي عسكري وآخر رشدي عسكري. وتأخر تأسيس كلية الحقوق الى قبيل انتهاء العهد الحميدي [٥٨٥].

البصرة ١٨٣١/١٢٤٧ — ١٩٠٨/١٣٢٦

لم تستقر البصرة على حالة واحدة خلال هذه الفترة فقد كانت اكثر الوقت ولاية مستقلة يتمتع فيها والي بغداد بنفوذ كبير وتعين الدولة من يرشحه والياً عليها. وجعلت البصرة في اوقات كثيرة متصرفية تابعة لبغـداد. واصبحت البصرة ولاية مستقلة عام ١٨٥٠/١٢٦٩ ولكنها اعيدت متصرفية عام ١٢٧٩/١٨٦٢. وجعلها مدحت باشا ولاية. وبقيت كذلك حتى عام ١٨٨٢/١٢٩٩ حينما ضمت الى بغداد لمدة سنتين ثم اعيدت ولايـة مستقلة عن بغداد فبقيت كذلك حتى نهاية العهد الحميدي [٥٨٦].

ولم تحض البصرة بالاهتمام الذي تستحقه كميناء العراق الوحيد. فقد اهمل الميناء طوال القرن التاسع عشر الى ان فكر والي بغداد عام ١٨٨١/١٢٩٩ باصلاحه واقامة منارة في الفاو [٥٨٧]. ودخل ميناء البصرة كل عام ١٦٧ سفينة بخارية وثمانين سفينة شراعية كبيرة بالاضافة الى خمسين الف قارب. وقـدم الميناء باخرة من الهند كل عشرة ايام [٥٨٨]. وتحسنت المواصلات النهرية بين

البصرة وبغداد بعد عام ١٢٨٧/١٨٦١ بحيث وصلتها قادمة من بغداد باخرة نهرية انجليزية واخرى عثمانية كل عشرة ايام . وصدرت البصرة كميات كبيرة من التمور لاسيما الى الولايات المتحدة الامريكية

البصرة وجيرانها

لم تنج البصرة خلال هذه الفترة من ازعاج جيرانها العرب والعجم . ولكن لم يقم الشاه الايراني باية محاولة جديدة لضم البصرة بل اكتفى بتثبيت نفوذه على طول الضفة الشرقية لشط العرب . كذلك لعبت القبائل العربية دورها الهام التقليدي في حياة البصرة وبغداد وبقيت مصدر ازعاج مستمر لحكام الولايتين . ولا تبرز في هذا الدور قبائل جديدة كما لم تختف من المسرح قبائل هامة .

بنو كعب

استقر بنو كعب بزعامة البوناصر اوائل القرن ١٣/١٨ على طول الضفة الشرقية لشط العرب ومالوا لايران ودانوا بالولاء للشاه الذي قبل منهم ولاءً رمزيا . وقامت امارتهم على انقاض امارة الحويزه التي كانت مصدر ازعاج للبصرة خلال القرنين السابقين .

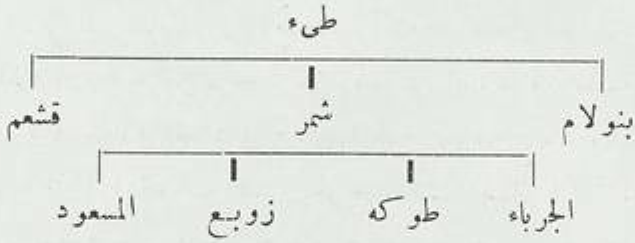
وتمكن احد افراد قبيلة المحيسن من بني كعب من تثبيت مركزه الى الشمال من نهر كارون وبنى لنفسه مدينة على يمين النهر وقرب مصبا في شط العرب (١٢٣٦/١٨٢٠ — ١٢٤٠/١٨٢٤) . وتعرضت هذه البلدة في اول عهده لحملة قادها ضدها والي بغداد علي رضا باشا اللاز في شعبان ١٢٥٣/١٨٣٧ . واحتل علي رضا باشا المحمرة ونصب عبدالرضا شيخاً على كعب مركزه في الفلاحية[٥٩٠] . ولكن لم يقدر لاجراءات علي رضا باشا ان تدوم طويلا .

لقد حددت معاهدة ارضروم الثانية مستقبل المحمرة وبني كعب واصبحت

الضفة الشرقية من شط العرب من المحمرة شمالا حتى مصب شط العرب جنوباً ارضاً ايرانية بالرغم من ان سكانها كانوا عرباً . وابقت الحكومة الايرانية على الاستقلال الذاتي لامارة المحيسن في المحمرة واعترفت بامارة الشيخ جابر (م ١٢٩٨/١٨٨١) وبابنه مزعل (م ١٣١٥/١٨٩٧ (٥٩١)) . ولكن ما ان زال حكم القاجار من ايران حتى انتهى امر امارة بني كعب . فقد نزع الشاه رضا بهلوي الامارة من يد الشيخ خزعل في ٢٠ نيسان ١٩٢٥ واحتجزه في طهران حتى وفاته في ٢٦ ايار ١٩٣٦ (٥٩٢) .

طي

لعبت فروع طي دوراً هاماً في هذا العهد . فقد برزت قبائل شمر وبنو لام وضعف دور قشعم



وهدأت بنو لام اكثر هذه الفترة واستقرت في قضاء الكوت . وخلق شيخهم مزبان بعض المتاعب للولاة عام ١٢٨٨/١٨٧١ ثم هدأت القبيلة بعد ذلك . وتعرض شيخهم غضبان للملاحة النهرية عام ١٣٢٧/١٩٠٩ فعزله والي البصرة . ولكن الدولة احتاجت الى خدماته خلال الحرب العالمية الاولى فاعادته شيخا . وانتقلت زعامة بنى لام بعده الى ابنه حاتم (٥٩٣) .

شمر

ازداد نفوذ شيخ شمر صفوق الفارس اثر انتهاء عهد المماليك ولقب ، بعد النصر الذي ناله على المنتفق ، بسلطان البر . ولكن نشب خلاف بينه وبين والي بغداد انتهى بهزيمته واسره عام ١٢٤٩/١٨٣٣ ثم قتل غيلة عام ١٢٦٤/١٨٤٧ (٥٩٣) وبرز عدد من الشيوخ الذين تنازعوا زعامة شمر امثال سمير الزيدان وعبد الكريم بن صفوق . واغتنم عبد الكريم بن صفوق فرصة انشغال مدحت باشا في الاحساء فثار وهاجم قرى الموصل وبغداد . وتعاون ضده واليا بغداد وديار بكر فهزماه واجبراه على الفرار الى نجد . وتمكن ناصر باشا شيخ المنتفق من اعتقاله وتسليمه الى والي بغداد حيث حوكم وحكم عليه بالاعدام . ونفذ فيه حكم الاعدام في الموصل عام ١٢٨٩/١٨٧٢ (٥٩٥).

وخلف فرحان اخاه عبد الكريم في زعامة شمر . وانعم على فرحان بالباشوية ودعي الى استانبول وتزوج فتاة تركية . وحاول ان يقود عشيرته الى حياة استقرار . وحرص فرحان حتى وفاته على ابقاء علاقاته حسنة مع والي بغداد . وتوفي فرحان في بغداد في ٦ ذي القعدة ١٣٠٧/صيف ١٨٩٠ بعد مرض طويل (٥٩٦) فخلفه ابنه الحميدي خريج مكتب العشائر في استانبول (٥٩٧)

وكان الشيخ فرحان قد فقد اواخر حياته سيطرته على قبائل شمر . فعاش الشيخ بطيخ شيخ شمر طوقه خمسة عشر عاما حياة قاطع طريق الى ان تاب وعفى عنه عام ١٣٠١/١٨٨٣ واشترط عليه ان يركن هو وعشيرته للزراعة . وتعرض قسم من شمر بزعامة فارس الصفوق لغزوة من عنزة عام ١٣٠٣/١٨٨٥ ، كذلك حدث نزاع بين فارس والدليم فتدخلت الدولة للاصلاح بين الفريقين (٥٩٨)

المنتفق

بقيت المنتفق اكبر واعقد مشكلة قبلية واجهتها حكومة بغداد خلال القرن

التاسع عشر . وفشلت جميع محاولات الولاة لايجاد حل يضمن استقرار المنتفق ودوام ولائها للدولة .

وكان شيخ المنتفق عجيل السعدون صديقا وسنداً لداود باشا ، فلما انتهى عهد داود غدا مغضوباً عليه من العهد الجديد . واغتنم شيخ شمر صفوق الفارس هذه الفرصة فشن غارة على المنتفق وتغلب على عجيل الذي سقط صريعاً عام ١٢٤٥/١٨٣١ (٥٩٩) وتنازع الزعامة بعد مقتل عجيل ابنه فارس وابن عمه منصور بن راشد ثامر ، وتغلب منصور بمساعدة زبيد على فارس في ٢٣ ربيع الثاني ١٢٦٧/١٨٥١ (٦٠٠) ونال تأييد الوالي الذي امر باعتقال فارس وعزله والبس منصور خلعة الزعامة في ذي القعدة ١٢٦٩/١٨٥٣ (٦٠١). واغتنم والي بغداد هذه الفرصة لينتقص من نفوذ شيخ المنتفق وليفرض عليه سلخ بعض المقاطعات عنه ؛ فسلخت السماوة في العام الاول وسوق الشيوخ بعد زمن وجيز .

لم ينعم منصور بأي استقرار في زعامته . فقد نازعه عليها عام ١٢٧٧ / ١٨٦١ بندر الناصر الثامر الذي اغرى الوالي بدفع ٤٩٠ كيس سنوياً لينصبه شيخاً فالبسه الوالي خلعة الزعامة (٦٠٢) ، وجعل منافسه الشيخ منصور عضواً في الديوان الكبير (مجلس الادارة) في بغداد ، فسعى منصور الى اقناع الوالي نامق باشا بالغاء المشيخة وجعل المنتفق لواء يحكمه متصرف . وتعهد منصور بحمل المنتفق على قبول مثل هذا الوضع اذا نصبته الدولة حاكما عليهم . واقتنع نامق باشا بالفكرة وجعله قائمقاماً على المنتفق في جمادي الاول ١٢٨٠/١٨٦٣ وعين سليمان فائق مساعداً له . وكان الشيخ بندر موجوداً في بغداد حين صدور الامر الجديد فمات قهراً بعد يوم واحد . وعارض الوضع الجديد ناصر اخو منصور الذي كان موجوداً في بغداد ، وايده اكثر اعيان المنتفق (٦٠٣). واضطرب الامن واشتدت المعارضة ، فوجد نامق باشا انه لا يستطيع فرض الوضع الجديد بالقوة فعزل منصور واعاد المشيخة ونصب فهد العلي الثامر شيخاً

لمدة ثلاث سنوات بموجب وثيقة (شرطنامة) كتب باللغة العربية . وعارض ناصر ومنصور في مشيخة فهد ، ولكن نامق ايد فهد وخصص لناصر راتباً واجبره على البقاء في بغداد بينما فر منصور الى البادية ليصبح مصدر ازعاج للدولة. وتم في العام الثاني من مشيخة فهد مد السلك التلغرافي في اراضي المنتفق. ولما انتهت مدة التزام فهد اسند الالتزام الجديد الى ناصر لثلاث سنوات بعدان دفع مبلغاً اكبر ، وانعم عليه برتبة أمير امراء (بيلربي) في ٢٦ شوال ١٢٨٣/ آذار ١٨٦٧ (٦٠٤) .

وجاء ناصر الى بغداد بعد ثلاث سنوات ليفاوض الوالي مدحت باشا في تجديد التزامه ومشيخته . ولجأ مدحت الى المناورة وشرع بمفاوضة فهد مطالباً اياه بسلخ مناطق واسعة عن المنتفق . ولكن ناصر زاود عليه وتعهد بتطبيق نظام الولايات والغاء المشيخة . وسار ناصر ومعاونوه الى المنتفق في ٢ جمادي الاول ١٢٨٦/ آب ١٨٦٩ ليبدأ عهداً جديداً . وارسلت معه قوة عسكرية لتأييده مؤلفة من سريتي مشاة وسريتي فرسان . وقسم لواء المنتفق الجديد الى اربع قائمقاميات . واصدر مدحت باشا بيانا برر فيه التنظيمات الجديدة ونشره في العدد الحادي عشر من جريدة الزوراء . وجاء في البيان مايلي :

« انتم جميعاً من تبعة الدولة .. واراضيكم قابلة للعمارة . وقد بقيتم محرومين من الراحة والرفاه والامن . وصرتم في حالة ضيق وعناء ، من جراء الالتزام والرسومات . وكان من اللازم تطبيق الشريعة .. فصار يراعى النكال فيؤخذ من القاتل الف شامي ومن يتعدى على العفاف يؤخذ منه الصيحة وتجري المصادرات .. مما لايرضى به السلطان .. وان الحكومة وضعت قوانين ونظامات منعت بهـــا امثال هذه الامور وصارت تجري الولاية على نظام العدل والرأفة .. (فقررنا تطبيق ذلك على المنتفق) .. فلزم ادخالها في عداد الوية بغداد لتكون في فلاح ونعيم . وجعلنا المتصرف عليها ناصر باشا وجعلنا معه موظفين .. هذا من متممات الاعمال الخيرية .. ولا غرض الا ان

ينال الاهلون حقوقهم الصريحة وينالوا العدل والرأفة .. وقد الغينا النكال والصيحة والداودية (ضريبة على البيوت) وامثالها من الرسوم التي لم تكن مشروعة . وان الاعمال ستجري وفق الشرع والقانون ، والمصادرة والتجريم ممنوعان ، وكل واحد امين على ماله وملكه ، وله حق التصرف باراضيه .. والغيت كافة العوائد والرسوم ، والغيت المقاطعة والالتزامات .. ولا يؤخذ من الحاصلات اكثر من العشر وسوف يعاقب من يخالف ذلك اياً كان .. والمراجعات والشكاوى تجري على الترتيب فالمدير يشتكى عليه عند القائمقام والقائمقام عند المتصرف والمتصرف عند الوالي »[٦٠٥].

وشرع ناصر بتحويل ديرة المنتفق الى لواء بصورة عملية وواقعية . فقد قسم اللواء الى قائمقاميات وبنى له عاصمة جديدة وساعده في عمله عدد من الموظفين المدنيين . وعين في اللواء الجديد ، كمساعدين للمتصرف ، محاسب ونائب شرع (قاض) ومدير مدرسة ومعلمين وغير ذلك من الموظفين الذين نص على وجودهم نظام الولايات . وقسم اللواء الى قائمقاميات الشطرة وسوق الشيوخ والجبلية . وعين فالح بن ناصر باشا قائمقاماً في الشطرة كما جعل مريد بك قائمقاماً في الجبلية[٦٠٦] وشرع ناصر ببناء الناصرية لتصبح عاصمة اللواء الجديد . وخططها المهندس البلجيكي المسيو جول تللي ووضع ناصر باشا حجر الاساس في دار حكومتها عام ١٢٨٦/ ١٨٦٩ . وكان نعوم سركيس امين خزانة المتصرف اول مواطن بنى لنفسه فيها داراً . وبنى ناصر باشا جامعـــاً واسواقاً وخانات ومقاهي وجسراً[٦٠٧] . ولم يرض ذلك العربان الذين علقوا على الوضع الجديد بانشاد :

يا ابو عـلي الورده　　　اميرنا صـاير مـدير

عادتنا ذبـح العساكر　　　وشعاد لو جانا المشير[٦٠٨] .

ولم يستقر ناصر في منصبه طويلا . فقد عين في رجب ١٢٩١/ ايلول ١٨٧٤ والياً على البصرة مع ضم لواء المنتفق اليها . وخلفه متصرفا على لواء المنتفق ابنه فالح ثم ابن عمه فهد فابراهيم بن مزعل السعدون . ونقل ناصر في شعبان ١٢٩٢/

تشرين اول ١٨٧٥ الى القدس ثم الى استانبول بعد عامين (٦٠٩). واوعزت السلطات الى اهالي البصرة بتقديم عرائض الدولة « يستنكرون فيها اعمال واليها السابق ناصر باشا وانه مستبد جبار ومنذ انفصاله انتعشت المدينة ورأت حياة جديدة وعندما سمعوا انه سيعود طلبوا ان تنصفهم الدولة والا اضطروا الى الهجرة ». ونشرت جريدة الجوائب هذه العريضة التي وقعها ١٨٠ من اعيان البصرة. واغتنمت جريدة « وقت » وغيرها من الصحف التركية هذه الفرصة للتنديد بادارة هذا الوالي العربي (٦١٠) واتخذ هذا حجة لاستبقاء ناصر باشا في العاصمة وابعاده عن المناصب الادارية في بلاده وعين عضوا في مجلس الشورى. وتوفى ناصر في استانبول في ربيع اول ١٣٠٣/كانون اول ١٨٨٥ (٦١١).

وخلق منصور خلال هذه الفترة الكثير من المشاكل لسلطات بغداد. وكانت الدولة قد فرضت عليه عام ١٢٩٥ /١٨٧٨ الاقامة في بغداد وجعلته عضوا في مجلس الادارة فيها (٦١٢)، الا انه تمكن من الفرار عام ١٢٩٧ / ١٨٨٠ واعلن العصيان (٦٢٣). ونال منصور تأييد عشائر المنتفق الذين التفوا حوله كما انضم اليه ابن اخيه فالح باشا بن ناصر باشا. واصر قائد فيلق بغداد على استعمال الشدة ضد المنتفق وايدته استانبول وعزلت الوالي الذي خالفه في الرأي. ولكن قوات بغداد لم تكن كافية لتأديب منصور الذي التف حوله عشرة آلاف مقاتل واعلن نفسه « سلطان البر ». واستطاع الفريق عزت باشا، رئيس اركان الفيلق السادس، ان يغري امير ربيعة بالتخلي عن منصور فسهل عليه الحاق هزيمة كبيرة بمنصور. وفر منصور وفالح الى البادية ثم عفى عنهما. وارسل منصور الى استانبول حيث فرضت عليه الاقامة الاجبارية وعين عضوا في مجلس الشورى. (٦٦٤) وتوفي منصور في استانبول في ١٨ ذي القعدة ١٣٠٣/ آب ١٨٨٦ وشيع جثمانه في بغداد بصورة رسمية. (٦١٥) وتوفي ابن عمه فهد باشا السعدون بعد ذلك بعشرة اعوام.

وتنازع زعامة المنتفق سعدون بن منصور وفالح بن ناصر. ونال سعدون

الامارة والباشوية بمساعي عمه ناصر باشا لخدماته في مد السلك البرقي . وما لبث سعدون ان ثار على الدولة فوجهت ضده حملة بقيادة عزة باشا عام ١٨٨١/١٢٩٧ . واوقع سعدون بالجيش العثماني عام ١٣٢٢ / ١٩٠٤ ولكن مجيء الاتحاديين الى الحكم وانتمائه اليهم انقذه من العقاب . وغضبت عليه الدولة ثانية فاعتقلته ونفته الى حلب عام ١٩١٠/١٣٢٨ حيث توفي منفيا في ذي القعدة ١٣٢٩ /كانون اول ١٩١١ .[٦١٦] وخلفه في زعامة المنتفق ابنه عجيمي باشا الذي بقي طريداً الى ان عاد الاتحاديون الى الحكم فقربوه واعتمدوا عليه في تهديد حركة طالب النقيب العربية في البصرة .[٦١٧]

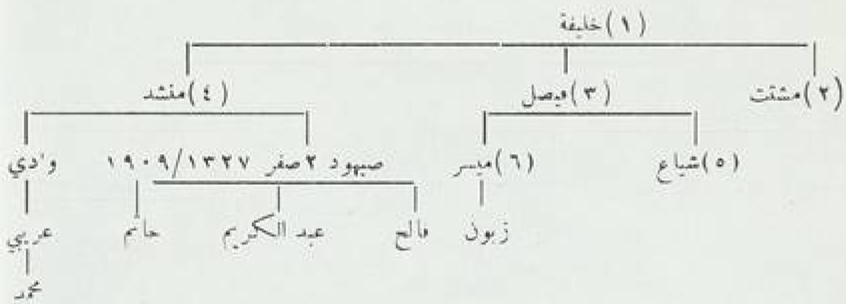
زبيد



تابعت عشائر زبيد غاراتها على الريف وتعرضها للملاحة النهرية خالقة مصاعب عديدة لولاة بغداد . وكانت البومحمد اكثر عشائر زبيد ازعاجا للولاة وخرقا للامن .

حدثت منازعات داخلية على الزعامة في قبيلة البومحمد . فقد خلف مشتت اباه خليفة في الزعامة فنازعه عليها اخوه فيصل . وتغلب فيصل وقتل اخاه ثم شرع في خلق متاعب للدولة مستعيناً بالايرانيين . واجبرته حملة عثمانية على الفرار واللجوء الى ايران عام ١٨٥٩/١٢٧٦ وخلفه في الزعامة اخوه منشد.[٦١٨] ورأت السلطات العثمانية ان بناء مركز عسكري في لواء العمارة يسهل عليها حفظ الامن فبنت مدينة العمارة عام ١٨٦١/١٢٧٨ .[٦١٩]

وتمكن شياع بن فيصل من انتزاع زعامة البومحمد خالقاً متاعب جديدة للدولة . واضطرته السلطات العثمانية عام ١٢٩٤ /١٨٧٧ الى الفرار الى ايران ثم عفت عنه واعادته واشترطت عليه الانصراف الى الزراعة[٦٢٠] . وتوفي شياع عام ١٢٩٨ / ١٨٨١ فتنازع الزعامة اولاد منشد واولاد فيصل ، فاستقرت اول الامر بيد ميسر بن فيصل ثم انتقلت الى وادي وصيهود ابني منشد .[٦٢١] وازداد نفوذ الدولة بسبب هذه الخلافات بحيث استطاع والي البصرة عارف المارديني ان يعزل الشيوخ ويفسخ المقاطعات التي في التزامهم ويصادر اموالهم عام ١٣٢٧/ ١٩٠٩ . ورأت الدولة خلال الحرب العالمية الثانية انها بحاجة الى خدمات شيوخ البومحمد فانعمت عليهم باوسمة واعادت اليهم املاكهم واموالهم عام ١٣٣٣/١٩١٤ .[٦٢٢]



عنزة

وتابعت عنزة غزواتها ضد جيرانها . فقد اغارت عام ١٢٦٩ / ١٨٥٢ على عقيل ونهبت قافلة الشام.[٦٢٣] وغزا زعيم عنزة الشيخ ساجر الرفيدي قبائل شمر عام ١٢٨٦/١٨٦٩ فتصدت له قوات الدولة ومنعته من عبور الفرات.[٦٢٤] وتوفي ساجر بعد ثلاثة اعوام فنصبت الدولة الشيخ عبد المحسن الهذال زعيما وسمته قائمقام المحسنية التابعة لكربلاء . وتعهد عبد المحسن باسكان عنزة في قضائه.[٦٢٥]

وبرز فهد الهذال كزعيم على عنزة ينافسه على الزعامة عجيل بن راكان . واخيراً اعترفت الدولة بفهد الهذال زعيما عام ١٣٢٥ / ١٩٠٨ . وغدا ابن هذال مالكا للبساتين في سقي الفرات الاعلى .(٦٢٦)

الموصل

اعيد يحيى باشا الجليلي والياً على الموصل للمرة الاخيرة عام ١٨٣٣/١٢٤٩ ولكن ضبطت في العام التالي مراسلات تثبت ان يحيى باشا قد حرض صفوك زعيم شمر على الثورة فعزل وعين محمد سعيد باشا آل ياسين والياً .(٦٢٧) ولم تطل ولاية سعيد باشا اذ خلفه بعد عام محمد باشا اينجه بيرقدار منقولا من شهرزور . وحكم البيرقدار الموصل حتى وفاته عام ١٢٦٠ / ١٨٤٤ تسع سنوات حافلة بالاحداث . فقد فرض القرعة (التجنيد الاجباري) بالقوة على اهل الموصل وسلط مدفعيته على المدينة عندما حاول اهلها المقاومة . وخلف البيرقدار في المدينة شواهد مادية كثيرة على نشاطه وانتاجه . فقد بنى دارا للحكومة وثكنة عسكرية ومستشفى وسوقاً للحنطة ومصنعاً للمدافع والبارود انتج ثمانين مدفعاً .(٦٢٨)

وتوالى على حكم الموصل خلال السنوات الاربع التي تلت وفاة البيرقدار ثلاث ولاة هم شريف باشا ومحمد باشا الكريدي وطيار باشا ووجيهي باشا . وشغل الثلاثة بحرب اليزيدية في سنجار فأفحشوا فيهم قتلا ونهباً . ونقل وجيهي باشا عام ١٨٤٩/١٢٦٥ واليا على بغداد وجعلت الموصل لواءا ربط ببغداد . وبقيت الموصل لواءا حتى عام ١٨٧٩/١٢٩٦ حينما اعيدت ولاية مرة اخرى وعين فيضي باشا والياً عليها فوصلها في ١٣ ربيع الثاني / ٥ نيسان . وخلفه تحسين باشا عام ١٨٨٢/١٢٩٩ ثم عمر وهبي باشا عام ١٩٠٨/١٣٠٩ .(٦٢٩)

وتطورت الموصل اثناء ذلك تطوراً بطيئاً . فلم تفتح فيها مدارس

حكومية حتى عام ١٨٦١/١٢٧٨ . ولم يزد عدد المدارس الحكومية بعد عشرة اعوام على مدرستين . وتأخر انشاء المطابع والصحف الحكومية حتى عام ١٨٨٥/١٣٠٣ . واقتصر عدد مدارسها الحكومية عام ١٩١٢/١٣٣٠ على مكتب اعدادي وآخر رشدي ودار معلمين ومدرسة صناعة . ولكن الطوائف المسيحية كانت نشيطة اذ ذاك فأنشأ الدومنيكان مطبعة عام ١٨٦٠/١٢٧٧ وافتتحت راهبات المحبة مدرسة للبنات عام ١٨٧٣/١٢٩٠ (٦٣٠) .

شهرزور

قلت اهمية هذه الولاية وغدت آخر القرن لواءا ملحقا بولاية الموصل . وكانت الدولة قد انهت في منتصف القرن التاسع عشر امر الامارات الكردية في شهرزور فقضت على الامارة البابانية وامارات راوندز وجزيرة ابن عمرو . فقد عزلت الدولة احمد باشا بن سليمان باشا (١٨٣٨/١٢٥٤ - ١٨٤٧/١٢١٤) وعينت اخاه الاصغر عبد الله باشا اميرا بلقب قائمقام . وعزل عبد الله عام ١٢٦٧/ ١٨٥٠ ونقل الى استانبول حيث تقلب في مناصب عديدة . وحل محله في الامارة عزيز بك آل بابان لفترة قصيرة ثم عزل وعين اسماعيل باشا متصرفا عثمانيا عام ١٨٥٠/١٢٦٧ (٦٣٠) . كذلك استسلم للجيش العثماني كور محمد باشا الرواندزي الصوراني عام ١٨٣٦/١٢٥٢ فارسل الى استانبول حيث اعدم (٦٣١) . ونجحت حملة عثمانية بالقضاء على امارة جزيرة ابن عمرو عام ١٨٤٨/١٢٦٤ (٦٣٢) . هكذا كانت السلطات العثمانية اكثر توفيقا في اخضاع الارستقراطية الكردية منها في اخضاع شيوخ البادية العرب .

العراق في العهد الدستوري ١٩٠٨/١٣٢٦ـ١٩١٨/١٣٣٦

واعلنت المشروطية (الدستور) في ٢٤ جمادي الثاني ١٣٢٦/٢٣ تموز

١٩٧٨ دون ان يفهم عامة الشعب مغزى ما حدث . رأى البعض فيها اعلانا بالمساواة بين المسلمين وغير المسلمين فعدوا ذلك اهانة فانفوا من ترداد الفاظ الحرية والعدالة والمساواة والاخوة التي رأوا فيها اذلالاً للاسلام والمسلمين . واستغرب الناس الروايات العديدة التي تردد ذكرها عن مظالم عبد الحميد واستبداده . ولم يفهم الاقليلون معنى الاقوال التي ترددت عن خنق الحريات في عهد عبد الحميد .

وكانت العقدة الكبرى هي العلاقة بين الدستور والشريعة الاسلامية . وقال البعض « ان الشريعة اذا كانت موجودة فما وجه الاعتماد على القانون الاساسي او الحقوق الاساسية .. ان هذه الادارة وسيلة لتدخل الاجانب . » ورأى البعض في الحريات التي اعلنت عنها ضربة على الاسلام وامرا منكرا . واشتد الشعور ضد هذه الحريات الجديدة حتى تمخض عن مظاهرة صاخبة في بغداد في ١٧ رمضان ١٣٢٦/١٣ تشرين اول ١٩٠٨ اي بعد اقل من ثلاثة شهور . ونادى المتظاهرون مطالبين بالشريعة التي « سلبها ونهبها » الاتحاديون .(٦٣٣)

وقام انصار الدستور والحريات باعمال تبرر مخاوف « حماة الشريعة » . فقد ارتكبت المخالفات الدينية بصورة علنية بدت كأنما هي متحد للدين . وظهرت مطبوعات عديدة في شكل نشرات ومجلات وجرائد تدعو الى آراء متباينة وتزيح النقاب عن البلبلة الفكرية التي سادت في ذلك العصر . وانتشرت المراقص والملاهي والحانات وسهل على الافراد تحقيق شهواتهم « فلا دين يردع ولا سيطرة عامة يفزع عليها ولا قوة قاهرة تحول دون التوغل في هذه الامور فاكتسبت شكل مصيبة » (٦٣٤) .

ولكن العهد الدستوري ، رغم قصر مدته ، حقق اشياء كثيرة للعراق ، فقد جاء الولاة في عهد الدستور بافكار جديدة في الحكم عبر عنها جمال بك

(جمال باشا السفاح) في خطابه الذي القاه في الخامس من رمضان ١٣٢٩/ ايلول ١٩١١ حين قال :

« .. فمدنية الخطة العراقية وصلت الى نقطة وانتهت الى غاية لم يتيسر الوصول اليها لقطر من اقطار العالم كله ، فالذي اوجد الساعة ، واثبت كروية الارض ، وعين دائرة نصف النهار ..

وابتدأ انحطاط الخطة العراقية منذ خمسمائة سنة او ستمائة تقريباً غير ان الدور الحميدي اوصله غايته ..

والملة بحمد الله لما استردت حقوقها بعد هذا الانقلاب الاخير وتأسس حكومتنا المشروعة والمشروطة ..

وقوة الحكومة المشروطة ومدار استنادها هو المجموع المتشكل من الافراد ومن اجل ذلك كانت الحكومة والملة شيئاً واحداً متحد الوجود ..» (٦٣٥)

ويلاحظ ان هذا الوالي العثماني قد حمل الحكم العثماني مسؤولية انحطاط احوال العراق . فقد ابان ان الانحطاط قد بدأ « قبل خمسماية او ستماية سنه » اي منذ القرن الرابع عشر وقد حكم العثمانيون العراق اكثر من ثلثي فترة الانحطاط هذه . واوضح ان الانقلاب الدستوري قد اعاد للامة حقوقها فانتهى العهد الذي انقسم فيه العالم الاسلامي الى حكام ورعايا واصبح الحكام والرعايا شيئاً واحدا .

وتغيرت صيغ الاوامر السلطانية التي عين بموجبها الولاة . فقد جاء في مرسوم تعيين حسين جلال بك عام ١٣٣١/١٩١٣ ان هذا المرسوم قد صدر « بموجب قرار مجلس الوكلاء الفخام – اي مجلس الوزراء – الذي عقد في الخامس من شهر جمادي الآخرة لسنة ١٣٣١ » ونص المرسوم على وجوب التمسك « والتوسل بالشريعة المطهرة » و« القوانين والنظامات الموضوعة » وامر بتطبيق « القوانين الموضوعة على ابناء الوطن » بالتساوي بين « الشريعة المطهرة » و« القوانين وهكذا فان الحيرة

بين «الشريعة المطهرة» و«القوانين الموضوعة» بقيت قائمة[٦٣٦]. الا ان صيغ المخاطبة بقيت بدون تغيير. فاذا كان الوالي من حملة لقب باشا خوطب بـ« الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب... الخ».
اما اذا كان من حملة لقب بك فقط فانه يخاطب بـ« افتخار الاعالي والاعاظم مختار الاكابر والافاخم مستجمع جميع المعالي والمكارم المختص بمزيد عناية الملك الدائم..»[٦٣٧]

ومثل العراق في مجلس النواب الجديد سبعة عشر نائباً. وكان من بين الممثلين افراد من العائلات الاقطاعية الكبيرة امثال طالب آل النقيب (البصرة) وعبد المحسن السعدون (المنتفق) وعبد المجيد الشاوي (العبيد) واسماعيل حقي بابان (عن الاكراد) وساسون حسقيل (اليهودي) وغيرهم[٦٣٨]. ولم يشعر اكثر النواب بمسئولية كبيرة نحو البلد الذي مثلوه بل سعوا لتحقيق اهدافهم الخاصة وأيدوا الوزارة القائمة لكي ينالوا منها وظائف أكبر راتباً من النيابة[٦٣٩].
ولم تتغير نوعية ممثلي العراق في انتخابات عام ١٣٣٠/١٩١٢. وقد وصف الرصافي ممثلي العراق بقوله:[٦٤٠]

يا اهل بغداد متى ينجلي	هذا العمى عنكم وهذا الفتور
قد اعلن الدستور لكنكم	لم تظفروا منه ولا بالقشور
يقول من شاهد مبعوثكم	سبحان من يبعث من في القبور

وفشل النواب في تحقيق اي مكسب لبلدهم. فلا هم استطاعوا ان يحملوا الدولة على تحسين نوعية الموظفين في العراق وتنسيقهم وابقاء الصالح وعزل الفاسد، ولا هم استطاعوا اقناع الدولة باصلاح الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية. بل وفشلوا في حمل مجلس النواب على تبني اقتراحهم بتعيين الموظفين من العارفين باللغة العربية.» ولم يتمكنوا من اقناع الدولة بجعل اللغة العربية لغة التدريس الا عام ١٣٢٨/١٩١٠. ولم تصبح العربية لغة التدريس في كلية الحقوق ودار المعلمين في بغداد الا عام ١٣٣٢/١٩١٤[٦٤١].

توالى على حكم بغداد من اعلان الدستور (٢٤ جمادي الثاني ١٣٢٦/٢٣تموز ١٩٠٨) الى سقوطها بيد الانجليز (١٧ جمادى الاول ١٣٣٥/١١ آذار ١٩١٧) احد عشر والياً خلال فترة تقل عن تسع سنوات. وكانت مدة ولاية الوالي قصيرة لاتتجاوز نصف العام بالنسبة لسبع ولاة، وقارب حكم ثلاثة منهم عاماً واحداً بينما حكم وال واحد لفترة زادت على سنة. واستكثر احدهم مدة ولاية جمال بك التي دامت عاماً واحداً (١ رمضان ١٣٢٩/٢٦ آب ١٩١١ — ٤ رمضان ١٣٣٠/١٧ آب ١٩١٢) واعتبر طولها دليلاً «على حسن ادارته ودرايته، اذ قل من يسوس ولايته في هذا العصر وتطول مدته هذا الطول»[٦٤٢].

ولم يشتهر احد من هؤلاء الولاة بعمل بارز ولا قام بخدمة هامة للعراق. وجاء كل واحد منهم بفرمان يشرح خطة العمل التي سيسير عليها وشرح مضمون الفرمان عادة بخطاب يلقيه الوالي فور توليه منصبه. ونصت جميع هذه الفرمانات على المساواة بين الرعايا ووجوب تطبيق القانون والشريعة وحل مشاكل الاراضي وتحسين المواصلات والري والاهتمام بتنظيم الجيش والاسطول والدرك والشرطة وتنسيق الموظفين وترقية الصناعة والمعارف والزراعة والتجارة[٦٤٣]. وجعل والي بغداد مسئولاً عن تنفيذ اصلاحات مماثلة في ولايتي الموصل والبصرة[٦٤٤]. وابدى وال (حسين جلال بك) واحد عزمه على «تطبيق اللسان المحلي في المكاتب والمحاكم بشرط ان يحافظوا على اللسان الرسمي للحكومة.. وجعل الفلاحين.. اصحاب اراضي يستفيدون من ترابها»[٦٤٥].

وركز الولاة اهتمامهم الفعلي على اعادة تنظيم الجيش وقوى الامن. واكدت اكثر الفرمانات على الولاة وجوب الاهتمام برفع مستوى قوى الامن واعادة تنظيمها.[٦٤٦]

الشرطة والدرك

تحسنت سوية الامن في العراق تدريجياً سيما بعد عام ١٩٠٠. فقد اسس

مدحت باشا قوة بوليسية من كردوس مشاة يتألف من ٤٠٠٠ نفر وكتيبة خيالة من ٢٤٠٠ فارس كما الغيت قوة الباش بوزوق [٦٤٧]. وشكلت قوة للبادية بعد عام ١٩٠٠ باشارة من فون دي غولييج باشا [٦٤٨].

واهتم الولاة بالتدريب النظري لضباط وافراد قوى الامن. فافتتح في بغداد عام ١٣٢٨/١٩١٠ مكتب للجندرمة (الدرك) في عهد الوالي حسين ناظم باشا [٦٤٩]. ونص فرمان خلفه جمال بك والمؤرخ في رجب ١٣٢٩ / ١٩١١ على وجوب «تنسيق الجندرمة ايضاً في بغداد والبصرة واصلاح شئونها .. وان .. تنحصر مخابراتهم مع قيادة الجندرمة . . بواسطة مقام الولاية . . وان تنسق الشرطة في بغداد والبصرة بتأسيس مكتب لهم وان يراعى الانتظام فيه وان يكون تحت نظارتك وان تهتم بأمور الشرطة والمفوضين وما يتعلق بهم من معاشات وتجهيزات .. واكمال النواقص» [٦٥٠]. وتكرر التأكيد على هذا الامر في فرمان محمد زكي باشا المؤرخ في شوال ١١٣/١٩١٢ «وان ينسق امر الجندرمة ويجري اصلاحه في بغداد والبصرة . . وتنسيق الشرطة وتأسيسها في بغداد ..» [٦٥١].

الجيش السادس

تأسس في العراق عام ١٢٦٤/١٨٤٧ فيلق باسم الفيلق السادس او فيلق العراق والحجاز ونقل ناظر المدارس العسكرية عبدي باشا (عبد الكريم نادر باشا) مشيرا لهذا الفيلق في ربيع الاول من ذلك العام . وكان عبدي باشا من خريجي المدرسة الحربية في فينا [٦٥٢] . وعين عبدي باشا في رجب من العام التالي واليا على بغداد فخلفه في قيادة الفيلق نامق باشا [٦٥٣] . وجمع لنامق باشا اوائل ١٢٦٨/ ١٨٥٠ قيادة الفيلق وولاية بغداد فشغل المنصبين معا الى ٢٩ شوال ١٢٦٩/١٨٥١ [٦٥٤] . واستمر بعد ذلك الجمع بين المنصبين في شخص الوالي .

وكان الجيش السادس من أضعف الجيوش العثمانية واقلها نظاماً واسلحة واسوئها تدريباً . فقد تألف من فرقتي مشاة وفرقة فرسان وقطعة مدفعية . وجند افراد الجيش بطريق القرعة والجندية الاجبارية . الا ان التجنيد الاجباري لم يطبق عملياً الا في المدن والقرى وباستثناءات واسعة وكثيرة . وتهرب الناس من الخدمة العسكرية بشتى الطرق وكثرت حوادث فرار الجنود .(٦٥٥)

ونظمت الخدمة العسكرية في الجيش العثماني على أربع درجات فبلغ مجموع سني خدمتها عشرون سنة (٦٥٦) .

اولاً – نظامية وهي اجبارية لمدة اربع سنوات .

ثانياً – احتياطية تابعة للنظامية ولمدة سنتين .

ثالثاً – الرديف ست سنوات .

رابعاً – المستحفظة متممة للرديف ولمدة ثماني سنوات .

وعدل قانون التجنيد في رجب ١٣٢٨/تموز ١٩٠٩ بحيث فرض على كل عثماني بلغ الحادية والعشرين من عمره، مسلما كان او غير مسلم ، ان يخدم ثلاث سنوات في السلك النظامي وخمسة في الاحتياط واثني عشر عاماً في الرديف وخمس سنوات في المستحفظة فبلغت بذلك مدة الخدمة خمسا وعشرين سنة . واعفي رجال البحرية من خدمة المستحفظة (٦٥٧) .

وكان مستوى ضباط الجيش السادس افضل من مستوى جنده . فقد دخلوا المدارس الحربية في بغداد واستانبول وارسلوا احيانا لاتمام دراستهم في كليات الاركان في ألمانيا او فرنسا او النمسا (٦٥٨) . فقد اقبل الطلاب العراقيون على الالتحاق بالمدرسة الحربية في استانبول فور افتتاحها عام ١٢٥٠/١٨٣٤(٦٥٩) واسست مدرسة اعدادية عسكرية في بغداد عام ١٢٩٧/١٨٧٩ فتخرج منها بعد عامين ثلاثة عشر شابا عراقيا ارسلوا الى استانبول لاكمال تدريبهم ودراستهم . وافتتح مكتب عسكري رشدي في بغداد عام ١٣٢٦/١٩٠٨ .

وكان مستوى التعليم في هذه المدارس العسكرية افضل منه في المدارس المدنية[٦٦٠] .

وسعى عدد من الولاة الى رفع مستوى الجيش وتزويده محليا بحاجاته وتحسين خدماته العامة . فأكثر حسين ناظم باشا (٢٥ ربيع آخر ١٣٢٨/ ١٩١٠ - ١٦ ربيع الاول ١٣٢٩/اذار ١٩١١) من التمارين العسكرية والاستعراضات. واهتم نامق باشا (اوائل١٢٦٨/تشرين ١٩٥١-١٢٦٩/صيف ١٩٥٣) ببناء ثكنات ومعسكرات اهمها معسكر العمارة كما اسس مصنعاً للاسلحة الصغيرة .وبنيت مستشفيات عسكرية في المدن الكبيرة لرفع المستوى الصحي للقوى العسكرية . واعتمد الجيش في سوقياته ونقلياته على الملاحة النهرية [٦٦١] .

واعيد تنظيم الجيش السادس بعد اعلان الدستور . فضم الجيش السادس فرق المشاة ٢١-٢٤ وفرقة الخيالة السادسة، اي اربع فرق مشاة وفرقة خيالة . وضمت كل فرقة لوائين، كما ضم كل لواء ستة عشر طابورا احدها طابور قناصة. وتجمعت مدفعية الجيش السادس في بغداد والديوانية . وتوزعت آليات الجيش السادس في العراق على الشكل الموضح في الجدول المرفق[٦٦٢] :

وازداد اهتمام الباب العالي برفع مستوى الجيش السادس بعد ان وضحت اطماع انجلترا في العراق . وجاء في فرمان الوالي حسين ناظم باشا المؤرخ ربيع الآخر ١٣٢٨/١٩١٠ ما يلي :

« وبناء على رغبتنا في .. تنسيق واصلاح فيلقنا السادس . صدرت ارادتي الملوكية بتوجيه الولاية وقيادة الفيلق اليك .. واما ولايتا الموصل والبصرة فلكونهما داخلتين ضمن دائرة الفيلق السادس، فعلى واليهما ان يتحدا معكم بالرأي في الامن العمومي والضبط .. وقد حرر للبحرية شراء اربع مدرعات لاستعمالها لسوق العسكر . وحرر للمالية بارسال ما يسد النقص . »[٦٦٣]

رقم الفرقة	مكان القيادة	اللواء	مكانه	الالاي	
٢١ مشاة	بغداد	٤١	بغداد	٨١	بغداد
				٨٢	كاظمية
		٤٢	ناصرية	٨٣	ناصرية
				٨٤	ديوانية
٢٢ مشاة	سليمانية	٤٣	سليمانية	٨٥	سليمانية
				٨٦	حلبجة
		٤٤	خانقين	٨٧	خانقين
				٨٨	بعقوبة
٢٣ مشاة	كركوك	٤٥	كركوك	٨٩	كركوك
				٩٠	بازيان
		٤٦	راوندز	٩١	راوندز
				٩٢	كويسنج
٢٤ مشاة	موصل	٤٧	موصل	٩٣	موصل
				٩٤	بعشيقة
		٤٨	دهوك	٩٥	دهوك
				٩٦	عقرة
٦ خيالة	بغداد	١٦	بغداد	٣١	بغداد
				٣٢	بغداد
		١٧	بغداد	٣٣	حلة
				٣٤	كركوك
		١٨	بغداد	٣٥	سليمانية
				٣٦	موصل

ولكن جميع هذه الجهود لم يقدر لها النجاح . فقد بقي الجيش عاجزا عن اخماد فتنتين في آن واحد . كذلك فشل في الجزيرة العربية واضطر الى اخلاء نجد والاحساء تاركا اياهما للوهابيين . ولم يستطع الجيش ان يتدخل بقوة لوقف الغزو بين القبائل فلجأ الولاة الى رجال الدين للحصول على فتاوى بتحريم الغزو.

وكانت البحرية العثمانية في المياه العراقية اسوأ حالا من الجيش . واقتصر الاسطول على الزورقين قليد البحر والوس . واضيف الى الاسطول عام ١٣٢٠ / ١٩٠٢ قارب المدفعية زوهاب الذي اسره الايطاليون في البحر الاحمر عام ١٣٢٩/١٩١١. وضمت الى الاسطول عام ١٣٢٦/١٩٠٨ السفينة مرمرة[٦٦٤].

مستوى الامن

لم ينجح احد من الولاة في نشر الامن والاستقرار في العراق بسبب تمرد القبائل القوية . ويكاد لا يخلو عام من ثورة قبلية او اكثر . وقد تتطور هذه الثورة الى قيام حلف من القبائل الثائرة كما حدث في عهدي مدحت باشا وتقي الدين باشا . ولقيت محاولات الولاة في حمل عدد من الشيوخ على الاستقرار بعض النجاح . وسجل بعض شيوخ القبائل الارض باسمهم واستثمروها فتغيرت علاقتهم بالدولة والاتباع وبالارض. وسهل هذا على الدولة مهمة حفظ الامن ، اذ لم يكن بامكان هؤلاء الشيوخ حمل هذه الثروة الثابتة والفرار بها من وجه جند الدولة فبقيت هذه الثروة رهينة بيد الدولة لضمان حسن سلوك الشيوخ . [٦٦٥] ولكن رغم كل ذلك قامت ثورات قبلية خطرة .

تعرضت حكومة بغداد لثورة قبلية خطيرة اوائل عهد مدحت باشا عام ١٢٨٦/١٨٦٩ . فقد وجهت قوة عسكرية مع متصرف الحلة لجباية الضرائب من قبائل عفك والديوانية . واحاطت القبائل على حين غرة بالحملة وابادتها . وانتشرت الثورة وقطعت الاسلاك البرقية . فجهز مدحت باشا حملة تأديبية

بقيادة سامح باشا تؤيدها خيالة المنتفق بقيادة ناصر باشا السعدون . ولما فشل سامح باشا في فرض هيبة الدولة قاد مدحت باشا الحملة بنفسه وتمكن من التغلب على الثوار بعد ان قطع الماء عن الاهوار التي لجأوا اليها .(٦٦٦)

وقاد زعيم المنتفق منصور باشا (اخو ناصر باشا) ثورة كبيرة ضد الدولة عام ١٢٨٦/١٨٨٠ . وساق والي بغداد ضد الثوار ثمانية آلاف جندي بقيادة الفريق عزة باشا . وكاد الجيش ان يتعرض لكارثة رهيبة بسبب خطط الثوار البارعة وكثرة جموعهم . وتمكن القائد العثماني من اقناع امير ربيعة بالتخلي عن مساعدة الثوار . واخيراً نجح عزة باشا في القضاء على الثورة(٦٦٧) .

وتجددت الاضطرابات في عام ١٣٢٧/١٩٠٩ . وثار في ذلك العام نزاع مسلح بين عشائر البوسلطان والجحيش ، وامتنعت عشائر المنتفق عن اداء الضرائب ، وتعرضت السفن النهرية المارة في لواء العمارة لهجمات بني لام . كذلك نشبت في ذلك العام منازعات عديدة بين الدليم وزوبع ، والعزة والعنبكية ، والقرطان والفداغة وغيرهم .(٦٦٨)

واعتقد الوالي حسين ناظم باشا (ربيع الآخر ١٣٢٨/١٩١٠ - ١٣٢٩/١٩١١) ان خير وسيلة لمكافحة هذه الفتن هي الحصول على عون رجال الدين وتأييدهم . واصدر علماء السنة فتاوى « بقتل المجاهر بالظلم أي الآخذ اموال الناس علانية بطريق الغلبة والقهر كما يفعله عصاة الاعراب وغيرهم من النهب والغارة » . وايد هذه الفتوى مفتي بغداد محمد سعيد الزهاوي ونقيب اشرافها السيد عبد الرحمن النقيب وثلاثة من كبار المدرسين في بغداد وهم الشيخ عبد الوهاب النائب (مدرس جامع منورة خاتون) والسيد محمود شكري الالوسي (مدرس جامع الحيدر خانة) والشيخ محمد سعيد (المدرس الاول في جامع الامام الاعظم ابي حنيفة) بالاضافة الى السيد محمد نافع المفتي الطبقجهلي والعالم الهندي غلام رسول . كذلك افتى علماء الشيعة « بانه يجب منع العشائر من هذه الاعمال بالنصائح والوعظ فان ابوا فحينئذ يركن الى التهديد والتخويف

والا جاز التنكيل بهم » وايدهم عدد من علماء الشيعة في النجف والحلة وكربلاء والكاظمية (٦٦٩) .

واعاد جمال بك في رمضان ١٣٢٩/ايلول ١٩١١ تأكيد هذه الفتاوى داعماً اياها بحملات عسكرية . واصدر بياناً اشار فيه الى غنى العراق القديم وازدهاره واظهر ان اهم الاسباب التي ادت الى خرابه وزيادة شقاء ابنائه «ما اعتدتموه مدفوعين اليه بالجهل من القتل والنهب اللذين تسمونهما الغزو » . وندد جمال في بيانه بهذه العادة مبيناً اضرارها مستغرباً استمرارها بين موحدين منبهاً الى الحكم الشرعي القاضي بأن جزاء « الذي يقتل النفس التي حرم الله وينهب اموال الناس ويعيث في الارض فساداً ، يذوق يوم القيامة عذاب الجحيم ويصلى سعيراً » وان « من قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها » ، وهدد المخالفين بالعقاب الشديد (٦٧٠) .

ولكن لم يمض عام واحد على هذه البيانات حتى تجددت الفتن ، ونشب قتال بين المنتفق والظفير والبدور عام ١٣٣٠ /١٩١٢ كما عاشت شمر بالامن . وثارت بعد عامين عشائر السمارة والجبور وغيرها . (٦٧١) ونشبت الحرب العالمية الاولى فاتاحت للقبائل العراقية فرصة التذبذب بين الطرفين المتنازعين اللذين بذلا الكثير لخطب ود هذه القبائل .

وانحطت سوية الامن في مدينة البصرة اكثر منها في اي مدينة عراقية . فقد تعرضت البصرة لازعاج القبائل المحيطة بها اوالمسيطرة على طريق بغداد . ونشب خلاف مستمر بين اعيان البصرة وشيوخ المنتفق كان سبباً من اسباب ثورة المنتفق عام ١٢٩٨ /١٨٨٠ (٦٧٢) وسعى اعيان البصرة للتخلص من واليهم المنتفقي ناصر باشا السعدون . ولما تم لهم نقله عام ١٢٩٥ /١٨٧٨ ارسلوا الى العاصمة مضبطة وقعها ١٨٠ من اعيان البصرة يستنكرون فيها اعمال واليهـا السابق ناصر باشا وانه « مستبد جبار ومنذ انفصاله انتعشت المدينة ورأت حياة جديدة » (٦٧٣) وجمع رئيس مجلس تجارة البصرة قاسم باشا آل زهير التواقيع

على مضبطة تستعرض علاقات البصرة بالمنتفق جاء فيها :

« ان امارة المنتفق كانت متغلبة علينا وعلى املاكنا وكثير منا من ترك املاكه اذ ذاك ونجا بنفسه لكثرة ظلمهم وجورهم عدا الاملاك التي اغتصبوها منا . ولما من الله علينا بحكومة منيب باشا في عهد نامق باشا والي بغداد حارب الموجودين من هذه العشيرة في اطراف البصرة فغلبهم وطردهم واراحنا من تعديهم وظلمهم .

ولما رأى آل السعدون وعشائرهم ذلك سعوا في تغيير الحال وشرعوا يرجفون بان مهر الولاة في يد قاسم باشا وان المحاكم تحت امره مع ان صدق الباشا في خدمة الوطن اشهر من ان يذكر ، فمن ذلك انه انشأ مكتباً وطنياً وجلب له المعلمين البارعين ، وصاروا يسعون في دفع الباشا وابعاده عن وطنه واول من سعى في ذلك ناصر باشا لما كان والي البصرة الا انه لم يوفق بسبب العدل الحميدي »[٦٧٤] .

واضطرت الدولة ، ارضاءاً للمنتفق ، الى نفي قاسم باشا من البصرة ثم جعلته عضواً في شورى الدولة في استانبول عام ١٣٠٠/١٨٨٣[٦٧٥] وبقيت اسرته متنفذة في البصرة حتى مطلع القرن العشرين . ومثل البصرة في مجلس النواب العثماني عام ١٩٠٨/١٣٢٦ احمدباشا الزهير والسيد طالب آل النقيب[٦٧٦] .

البصرة بعد اعلان الدستور :

برز طالب باشا النقيب كاقوى شخصية في البصرة بعد اعلان الدستور . وجمع طالب باشا بسخائه عددا كبيراً من الاعوان حوله وتقلد زعامة المعارضة للاتحاديين في العراق . وكان على خلاف مستمر مع ولاة البصرة العثمانيين . واضطر الوالي سليمان نظيف بك (جمادي الاول / ايار - رمضان ١٣٢٨/ايلول ١٩١٠) الى الاستقالة بعد ولاية لم تزد على اربعة اشهر « لما رأى من المعاكسات من

اهل النفوذ وفي مقدمتهم السيد طالب فقد كان والحاكم بامره او الحاكم المطلق.»
وقبلت استقالة سليمان بك وعين متصرف كربلاء جلال بك خلفاً له فبقي في
منصبه حتى عام ١٣٣٠/١٩١٢ (٦٧٧).

ولكن البصرة بقيت ملتهبة بالفتن والمؤمرات، فقد عقد طالب باشا مؤتمراً
عربياً في داره في البصرة في ٢ ربيع اول ١٣٣١/ ٢٠ شباط ١٩١٣ حضره اعيان
البصرة الذين قدموا اثر انتهاء المؤتمر عريضة الى الدولة طالبوا فيها بعقد مجلس
الولاية وصرف الاموال التي تجبى محلياً على شؤون محلية، وهذا اول طلب
بالحكم الذاتي للبصرة. وتوترت الحالة في البصرة لاسيما عندما رفض الوالي علاء
الدين الدروبي طلباً بعزل الموظفين المعادين للعرب وهدد طالب باشا باللجوء
الى العنف. وبلغ التوتر القمة حينما اقدم مجهولون على اغتيال آمر موقع
البصرة ومتصرف لواء الناصرية في شعبان ١٣٣١/ ٢٠ حزيران ١٩١٣ (٦٧٨).

ولم تزد الازمة طالب باشا الا ثباتاً وتصميما، فقد عقد مؤتمراً عربياً في
المحمرة حضره هو وشيخ المحمرة وشيخ الكويت (٦٧٩). ودرس المؤتمر مستقبل
الادارة في العراق وقرر ان يبذل كل زعيم منهم جهده لينال العراق استقلاله.
وندبوا الرسل لاثارة الناس في كربلاء والنجف. واحيط القوميون العرب في
بغداد واستانبول وبيروت وباريز بما حدث. وعاد طالب الى البصرة ليهدد
وليشكل جمعية الاصلاح. واضطرب حبل الامن وغدت البصرة غير صالحة
لسكنى العثمانيين. وحرضت الدولة العثمانية قبائل المنتفق على تهديد البصرة.
واحس القنصل البريطاني بالخطر فاستدعى سفينة حربية بريطانية لحماية المصالح
البريطانية في الميناء. واخيراً صدر مرسوم عثماني في شوال ١٣٣١/آب ١٩١٣
يمنح الولايات العربية امتيازات جديدة تتفق ومطالب العرب فخفف
التوتر (٦٨٠).

وحدث نشاط مماثل في بغداد واكثر المدن العربية، فقد تألفت في بغداد
اربع كتل سياسية كانت اكثر اتصالا بالحركة العربية من حركة طالب المحلية.

وهذه الكتل الاربع هي : الكتلة البغدادية المحلية ،الكتلة الموالية لطالب باشا الكتلة المتصلة بالسوريين، الكتلة المتصلة بمصر . ووزعت هذه الكتل نشرات سرية علقت على الجدران ليلا وحثت العرب على النهوض في وجه المغتصب . وارسلت توفيق السويدي وعراقياً آخر لتمثيل العراق في المؤتمر العربي في باريس في شعبان ١٣٣١/١٧ - ٢٣ حزيران ١٩١٣ . وبادرت السلطات العثمانية الى اعتقال يوسف السويدي (والد توفيق) وثلاثة آخرين لتماديهم في عدائهم للاتراك. وجرت انتخابات لمجلس ولاية بغداد ففاز معارضوا الحزب الحاكم - اي معارضو الاتحاد والترقي .(٦٨١) وتنادى عدد من الزعماء الى عقد مؤتمر عربي في الكويت للنظر في مشاكل العرب . وكانت ردود الامراء العرب مشجعة . واعتقدت صحيفة التايمس اللندنية في عددها الصادر في ٢٧ كانون الاول ١٩١٣ ان امراء العرب قد مسحوا خلافاتهم(٦٨٢) .

ولكن خطراً جديداً بدأ يهدد البصرة والعراق ، فقبل مرور عام واحد على هذه الاحداث نشبت الحرب العالمية الاولى ، ودخلت السفن الحربية البريطانية مياه شط العرب في السادس من تشرين الثاني عام ١٩١٤ واسكتت المدافع الساحلية العثمانية وانزلت قوات انجليزية وهندية ، وتم للانجليز دخول واحتلال البصرة في ١٧ تشرين الثاني ، وبادر الانجليز الى احلال الادارة المدنية الهندية محل الادارة العثمانية وانتهى بذلك العهد العثماني في البصرة(٦٨٣) .

نهاية عهد :

انتهى العهد العثماني في العراق بعد ان دام زهاء اربعة قرون . ولكن العراق الذي انسحب منه الجيش العثماني نهائياً اواخر ١٣٣٦/١٩١٨ كان غير العراق الذي احتله هذا الجيش خلال النصف الاول من القرن السادس عشر للميلاد ، فقد حدثت في العراق تغييرات كثيرة وهامة في جميع ميادين الحياة .

وكان امراً طبيعياً ان تحدث اكثر التغييرات في المدن . فقد ادخل اليها نظام البلديات واضيئت شوارعها ووسعت وزينت بعدد من المباني العامة . وبنيت مدارس جديدة ومستشفيات وفنادق . وتحسنت المواصلات داخل المدن فبنيت جسور حديدية على الانهر والقنوات المارة بها ومدت خطوط الترام الكهربائي ، واضيئت عدد من المدن بالكهرباء ، وافتتحت اول سينما في العراق في بغداد عام ١٣٢٩ / ١٩١١ . وازداد عدد المدن ونما عدد سكانها وانتشر العمران (٦٨٤) .

وتحسنت طرق المواصلات في العراق تحسناً بطيئاً . فقد تأخر العراق في مضمار السكك الحديدية رغم ان التفكير بها بدأ في النصف الاول من القرن التاسع عشر . فقد درس جسني Chesney مشروعاً لسكة حديد في الثلث الاول من القرن ، وقام اندريو في منتصف القرن بدراسة جديدة . وتبعها عدد من الخبراء والمغامرين الايطاليين والروس والافرنسيين دون ان يحقق احد شيئاً . واسست شركة محلية لمد خط بين خانقين وبغداد ولكنها لم تستطع جمع المال الكافي . وكثر الحديث اوائل القرن العشرين عن خط بغداد برلين ولكن قضايا سياسية معقدة اثيرت ووقفت في سبيل تنفيذ المشروع (٦٨٥) .

وبقي النهر خط المواصلات الرئيسي التقليدي في العراق . وتشكلت عام ١٢٨٧/١٨٦١ شركة ملاحة الدجلة والفرات التجارية التي اسستها عائلة لنش الانجليزية واستمرت لمدة جيلين تسير سفنها بين البصرة وبغداد . وتأسست في العراق خلال القرن التاسع عشر عدة شركات ملاحة محلية ثم ادغمت ببعضها لتشكل الادارة العمانية عام ١٢٨٤/١٨٦١ . ورغم تنافس الشركتين الا انهما اتفقتا على مقاومة مشاريع سكك الحديد لتهديد هذه المشاريع لمصالحهما (٦٨٦) .

ودخلت خطوط التلغراف العراق اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر واتصلت العراق بالهند وايران وتركيا بخطوط برقية . وابدت الدولة العثمانية عناية فائقة بمد خطوط البرق الداخلي لتساعدها على فرض رقابتها على

المقاطعات والمناطق المضطربة. واسست ادارة للبرق في بغداد عام ١٢٧٧/١٨٦٠، وتم في العام التالي اول اتصال برقي بين بغداد واستانبول. وتم عام ١٢٨٠/١٨٦٣ مد خط بين بغداد والبصرة كما تم في العام التالي مد خط بغداد خانقين. ووجد في بغداد منذ عام ١٢٨٦/١٨٦٩ خدمات بريدية بريطانية وعثمانية . ولم يدخل الهاتف العراق الا قبيل نشوب الحرب العامة بينما بقيت الاتصالات اللاسلكية مجرد مشاريع (٦٨٧) .

ولم يطرأ تحسين هام على الطرق البرية . وبقي انتشار العربة بطيئاً اوائل القرن العشرين وشبه معدوم خلال القرون السابقة . وبنيت جسور قليلة اهمها جسر التون كوبري على الزاب . ومدت خطوط ترام بين الكوفة والنجف تجرها الحيوانات . وفشل مشروع افرنسي عام ١٢٨٢/١٨٦٥ لتسيير عربات بين دمشق وبغداد . ووصلت اول سيارة الى بغداد عام ١٩٠٨ قادمة من حلب . ولم يزد عدد السيارات في العراق عام ١٣٣٢/١٩١٤ على عشر سيارات يملكها الاعيان بالاضافة الى باص واحد يسير على خط بغداد - بعقوبة. واشتهر والي بغداد جاويد باشا ١٣٣٢ / ١٩١٤ باقتنائه سيارة ثمنها ستمائة ليرة عثمانية (٦٨٨) .

وتبنت الحكومة العثمانية مشروعات خبير الري البريطاني ولكوكس الذي قدر تكاليفها بثلاثين مليون ليرة عثمانية (٢٦,٥ مليون ليرة استرلينية). وورد في المقترحات بناء سدين على الفرات واثنين على الدجلة واستخدام منخفض الثرثار لتصريف مياه الفيضان وحفر عدد من القنوات لتصريف ملوحة الارض. وطرح مشروع عطاء سد الهندية على الفرات في رمضان ١٣٢٨/ ايلول ١٩١٠ وبوشر بالعمل بسرعة فائقة بحيث تم افتتاحه اواخر صيف ١٣٣١ / ١٩١٣ فكلف انجازه نصف مليون جنيه استرليني. وانجزت المراحل الاولى لاستخدام منخفض الحبانية لتصريف مياه فيضان الفرات. وزاد استعمال المضخات البخارية لسحب المياه للري ، ولكن لم تتحسن طرق مكافحة الفيضان في العراق (٦٨٩).

وحدث تحسن كبير في ميدان التربية والتعليم والثقافة . فقد افتتحت مدارس ابتدائية وثانوية وصناعية في عدد من المدن العراقية . واسست اول مدرسة (ابتدائية) رشدية في بغداد عام ١٨٦٩/١٢٨٦ وافتتحت مدرسة ثانوية عام ١٨٧٠/١٢٨٧ ومدرسة ابتدائية للبنات عام ١٨٩٨/١٣١٦ . وكانت لغة التدريس في هذه المدارس هي اللغة التركية . ولم تصبح اللغة العربية لغة تدريس رسمية الا قبيل الحرب . وافتتحت كلية حقوق ودار معلمين ودار معلمات واعدادي ملكي وعسكري ورشدي ملكي وعسكري . والتحق عدد من اولاد العشائر بمكتب العشائر في استانبول عام ١٨٩١/١٩٠٣ ثم توالى التحاق اولاد العشائر بهذا المكتب [٦٩٠] .

وصحب نشر المعارف اهتمام بالطباعة والصحافة . ولا يعرف بالضبط متى دخلت اول مطبعة الى العراق ولا متى صدرت اول جريدة . وتروى اخبار عن جريدة جورنال العراق التي صدرت في بغداد عام ١٨١٧/١٢٣٢ وطبعت بمطبعة حجرية . ويعتقد ان هذه الاخبار غير صحيحة . كما ان كتاب دوحة الوزراء الذي قيل انه طبع في دار طباعة دار السلام في بغداد اوائل جمادى الاولى ١٨٣٠/١٢٤٦ طبع في الواقع في مطبعة تبريز الايرانية التي اسست قبل عام ١٨٢٥/١٢٤١ [٦٩١] .

واول مطبعة ثبت وجودها في العراق هي مطبعة كربلاء الحجرية التي اتى بها ايراني عام ١٨٥٦/١٢٧٣ وطبع فيها كتاب مقامات الالوسي . وأسس الاباء الكرمليون بعد اربع سنوات مطبعة في الموصل ضمت حروفاً عربية وسريانية وافرنسية وطبعت كتباً دينية ولغوية . وجيء بمطبعة حجرية من ايران الى بغداد عام ١٨٦١/١٢٧٨ وسميت بمطبعة كامل التبريزي ، وهذه هي اول مطبعة ثبت وجودها في بغداد .

وتوالى بعد ذلك تأسيس المطابع الرسمية والخاصة في العراق . فقد احضر مدحت باشا مطبعة حجرية من باريز عام ١٨٧٠/١٢٨٦ عرفت باسم مطبعة الزوراء وكانت تطبع جريدة الزوراء الرسمية . وأسست مطبعة رسمية في

الموصل عام ١٨٧٥/١٢٩٢ ومطبعــة رسمية اخرى صغيرة في البصرة . واهدى الانجليز عام ١٨٨٧/١٣٠٤ دير الزعفران اليعقوبي شرقي ماردين مطبعة ، كما أسس يبودي مطبعة في بغداد عام ١٧٩٤/١٣١٢ لم تطبع أي كتاب عربي قبل عام ١٩٠٢/١٣٢٠ . وتأخر انشاء المطابع العربية حتى عام ١٨٨٤/١٣٠٢ حينما اوجد عبد الوهاب افندي المطبعة الحميدية الحجرية في بغداد . وتلاه بعد ذلك بثماني سنوات ابراهيم افنـدي الذي أسس مطبعة دار السلام في العمارة . وسنت الحكومة قانونا للمطبوعات في ٥ شعبان ١٨٦٤/١٢٨١ ثم جعلتها حرة بدون اجازة عام ١٩٠٨/١٣٢٦ (٦٩٢) .

وبرز نشاط صحفي كبير في العراق اوائل القرن العشرين . فبعـد ان لم يكن في العراق اكثر من جريــدة واحدة ومجلة واحدة عام ١٩٠٤/١٣٢٢ ، صدر فيها خلال العشر سنوات التالية اكثر من ستين جريدة وتسع مجـلات . وصدر اكثر من نصف هذه الصحف خلال عامي ١٩١٠ – ١٩١١ . وصدر في بغداد وحدها عام ١٩١١/١٣٢٩ تسع عشرة جريدة (٦٩٣) .

وغزت العراق افـكار جديدة قبيل الحرب . فقد استقلت بلغاريا والبانيا وكثير غيرها ، وحتى لبنان نال وضعاً خاصاً ممتازاً . وساعد اعلان الدستور على تأليف احزاب جديدة انخرط بها شبان العراق . وانضم الضباط العراقيون في الجيش العثماني الى جمعية العهد السرية . كذلك انضم عدد من العراقيين الى الاحزاب المعارضة للاتحاديين أمثـــال حزب حرية معتدل وحزب حرية وائتلاف . وتطرف العراقيون في امانيهم . وقال رشيد العمري للقنصل البريطاني في الموصل عام ١٩١١/١٣٢٩ « ما دام الالبانيون قد حصلوا على ما طالبوا به من المطاليب فانني آمل بأنا سنعمل الشيء نفسه » . وكان طالب باشا النقيب في البصرة والسويدي في بغداد اكثر تطرفاً من زميلها الموصلي (٦٩٤) .

واتصفت المعارضة العراقية للحكم العثماني بكثير من الصراحة والجرأة .

فقد اسقطوا مرشحي الاتحاديين في بغداد والبصرة . وكان العراق البلد العربي الوحيد الذي برزت فيه معارضة قوية للعثمانيين حتى في عهد عبد الحميد . ولم تكن هذه المعارضة معارضة مهاجرين يهربون الى باريز والقاهرة ويصيحون من بعيد في حماية الافرنج ، بل عارضوا وهم في بلادهم معرضين انفسهم لشتى انواع الانتقام [٦٩٥].

ولا شك ان العراق قد خطا خطوات كبيرة في مضمار الرقي خلال نصف القرن الاخير من العهد العثماني . ولكن العثمانيين لم يحققوا للعراق ما حققه اسماعيل ، رغم مساوئه ، لمصر .

حقاً لقد اورث اسماعيل مصر ديناً زاد على مائة مليون جنيه بينما كانت العراق سليمة من الدين الا ما اصابها كنصيبها من الدين العثماني العام ، الا ان هذا الدين لم يكن شيئاً رئيسياً . فلم يؤثر وجود الدين او عدمه ، قلته او كثرته ، على استقلال البلد . ولم يمنع عدم وجود الدين الاجانب من التدخل في شئون البلد واحتلاله واستعماره . الا ان الفرق بين العراق ومصر كبير . فمصر بلد واحد لم يتجزأ في عهد من العهود بل بقي قطراً موحداً في عهود استقلاله وفي عهود الاحتلال والاستعمار . واكثرية سكان مصر الساحقة من المسلمين السنيين الشافعيين لا يختلف بعضهم عن بعض شيئاً . اما العراق فلم يكن في العهد العثماني امة ولا شعباً بل مجموعة مدن وارياف وقبائل متباينة . والكره المتبادل بين هذه الفئات لا يقل عن كرههم للاجنبي . وكان الرابط الوحيد بينهم هو الراية العثمانية والحكام العثمانيون الذين كرهوهم كما كرهوا بعضهم بعضا . ولم يشعر اهل العراق انهم سكان بلد واحد الا بعد ان اصبح للعراق جيش واحد هو الجيش السادس .

هكذا كان العراق عندما غادره الجيش العثماني اواخر عام ١٣٣٦/١٩١٨ . كان قد خطا خطوات قوية في ميدان التقدم والرقي والشعور القومي . وكان العراق الذي احتله العثمانيون خلال النصف الاول من القرن السادس عشر بلداً

تخربا مجزءاً يكاد يفقد طابعه العربي بعد ان تخلى عن رسالته القديمة كحامل لمشعل الحضارة العربية .

وقاسى العراق كثيراً خلال الحرب العالمية الاولى بعد ان اصبحت اراضيه ميدانا للقتـال البطيء المرير . فقد احتل الانجليز البصرة اواخر تشرين الثاني ١٩١٤ ولكنهم لم يستأنفوا تقدمهم شمالا الا في ربيع العام التالي . ووصلت القوات الانجليزية اواخر ايلول ١٩١٥ الى سلمان باك التي تبعد ثلاثين كيلومتراً عن بغداد ، ولكن وصلت نجدات عثمانية فاجبرت الانجليز في تشرين الثاني على التراجـع الى الكوت . وضرب العثمانيون الحصار على الكوت قرابة خمسة اشهر الى أن استسلمت حامية الكوت الانجليزية بدون قيـد او شرط وخسرت ثلاثة عشر الف اسير . وفشلت محـاولة بريطانية لشراء ضمير القائد العثماني بمليوني جنيه (٦٩٦) .

واستأنف الانجليز زحفهم اواخر عام ١٩١٦ . وتراجع الجيش العثماني بسرعة فاخلى بغداد في ١٦ جمادي الاولى ١٣٣٥/١٠ آذار ١٩١٧ فدخلها الانجليز في اليوم التالي . وسقطت مدن العراق تبـاعاً بيد الانجليز . وثبت العثمانيون في الموصل الى ما بعد اعلان الهدنة في ٢٦ محرم ١٣٣٧ / ١ تشرين الثاني ١٩١٨ . ولكن الجيش الانجليزي اجبر العثمانيين على اخلاء الموصل بعد اعلان الهدنة ، ودخلها الانجليز في الثامن من تشرين الثاني (٦٩٧) . وهكذا طويت صفحة طويلة من صفحات تاريخ العراق لتبدأ صفحات جديدة لم تكن افضل منها .

* *

الفصل السادس

شبه الجزيرة العربية

١٥٠٠/٩٠٦ — ١٩١٨/١٣٣٦

بدأ القرن العاشر هجري (السادس عشر ميلادي) وشبه الجزيرة العربية منقسمة الى عدد كبير من الوحدات السياسية . ولم تكن الامور في هذه الوحدات مستقرة بل تعرضت الى عدد من الاحداث التي عصفت بامنها الداخلي والخارجي وعرضت سلامتها للخطر . وانشق سكان الجزيرة على نفسهم لاختلافات مذهبية عنيفة . فقد انقسموا بين المذاهب الاسلامية المختلفة فكان منهم الشيعي الزيدي في اليمن والخارجي الاباضي في عمان والسني الشافعي في جنوبي اليمن وعدن والسني الحنبلي في اواسط الجزيرة والشيعي في السواحل والجزر الشرقية ومزيج كبير من كل هذا في الحجاز . واختلفت طرق المعيشة والحياة الاجتماعية من مكان الى آخر . فعاش قسم كبير حياة قبلية بدوية بينما سكن كثيرون القرى واشتغلوا بالزراعة وامتهن سكان المدن التجارة .

وتعرضت الجزيرة العربية منذ القرن السادس عشر الى عوامل خارجية عديدة زادت في تمزيقها السياسي . فقد ازداد تدخل المماليك في غرب الجزيرة بحيث اتخذ هذا التدخل شكل حملة عسكرية حاولت اخضاع سائر الاجزاء الغربية لحكم مصر . وتعرضت سواحل الجزيرة الى غزو البرتغاليين الذين

نجحوا في التمركز على السواحل الشرقية وفشلوا في الاماكن الاخرى . وحل العثمانيون محل المماليك في غرب الجزيرة ونازعوا البرتغاليين السيطرة على شرقها. وتدخل الصفويون الايرانيون محاولين بسط نفوذهم على الساحل الشرقي وجزره ودخل الانجليز والهولنديون هذا الميدان اواخر القرن . واحتكر الانجليز السيطرة على مياه شبه الجزيرة ابتداء من القرن الثاني عشر / الثامن عشر .

وبما ان الوحدات السياسية التي انقسمت اليها شبه الجزيرة لم تبق ثابتة ، فقد يكون من السهل دراستها على اساس وحدات جغرافية ثابتة . ويمكن تقسيم شبه الجزيرة على هذا الاساس الى اربع وحدات رئيسية هي :

١ ـ المناطق الساحلية الشرقية : وتشمل الكويت والاحساء والبحرين وقطر ومسقط وعمان والامارات المحمية على طول الساحل الاخضر بين قطر ومسقط وواحة البريمي .

٢ ـ المناطق الساحلية الجنوبية : وتشمل حضرموت وعدن ومحمياتها والربع الخالي .

٣ ـ المناطق الساحلية الغربية : وتشمل اليمن وعسير والحجاز .

٤ ـ اواسط الجزيرة : وتشمل نجد وجبل شمر .

المناطق الساحلية الشرقية

الكويت :

تقع امارة الكويت في الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربي على هيئة مثلث ضلعه الشمالي عند حدود العراق وضلعه الجنوبي على مشارف المملكة العربية السعودية وضلعه الثالث الشرقي على شاطيء الخليج العربي . ويبلغ طولها من الشمال الى الجنوب ١٨٠ ميلاً (٢٨٠ كيلو متراً) وعرضها من الشرق الى الغرب ٢٥ ميلاً (٣٨ كيلو متراً) ومساحتها ستة آلاف ميل مربع (٨٨٠٠ كيلو متر مربع) . وأرضها صحراوية قارية المناخ ترتفع درجة الحرارة فيها

صيفا الى ٤٨ درجة مئوية في الظل اثناء النهار . ولا تهطل فيها امطار الا نادرا وتفتقر الى الينابيع . وتقع على طول الساحل عدد من الجزر الصغيرة أهمها جزيرة بوبيان ، وهي اكبرها ، وجزيرة فيلكا التي يسكنها عدد قليل[٦٩٨].

ولم يكن اسم الكويت معروفا قبل القرن الثاني عشر هـ/ الثامن عشر م. وبنى فيها امير الاحساء محمد بن عريعر حصنا جعله مستودعا ومركزاً للرعي والغزو وربما كان بناء هذا الحصن سبباً في اعطاء الكويت هذه التسمية. فالاسم مشتق من الكوت ومعناها الحصن او الملجأ الذي يقام عادة على شط بحر اوضفة نهر[٦٩٩]. وبقيت المنطقة تابعة لبني خالد الى ان استخلصها منهم حوالي ١١٢٩ / ١٧١٦ بنو عتبة من عنزة بزعامة الشيخ سليمان بن احمد آل صباح وخليفة بن محمد آل خليفة وجابر العتبي رئيس الجلاهمة . واتفق الحلفاء على تقاسم السيطرة على الموقع فتولى آل صباح الادارة وآل خليفة التجارة والجلاهمة شئون البحر على ان يقتسموا الارباح بالتساوي. ثم انشق آل خليفة عن شركائهم وسكنوا الزبارة قرب قطر ولحق بهم الجلاهمة الذين اجبرهم صباح على مغادرة الكويت ليستقل بها في منتصف القرن[٧٠٠].

ونمت الكويت بسرعة . فقد وجدها نيبور عامرة غنية سكانها عشرة آلاف نسمة ولها اسطول تجاري من ثمانماية مركب شراعي . وازدادت اهميتها التجارية بعد سقوط البصرة بيد كريم خان الزندي عام ١٦٨٩/١٧٧٥[٧٠١].

وخلف عبد الله اباه صباح الذي توفي عام ١١٩٠/١٧٧٦ . ويعتبر صباح أول امراء الكويت وجد العائلة الحاكمة فيها . وحكم عبد الله المدينة قرابة اربعين سنة (١١٩٠ / ١٧٧٦ - ١٢٢٩/١٨١٤)[٧٠٢]. ونمت الكويت في اوائل عهده بسبب انتقال المراكز التجارية الاوروبية من البصرة اليها اثر سقوط البصرة بيد الايرانيين . وعاد التجار الاوربيون الى البصرة عام ١١٩٣ / ١٧٧٩ ثم غادروها ثانية الى الكويت عام ١٢٠٨/١٧٩٣[٧٠٣]. وتعرضت الكويت اواخر عهد عبد الله لخطر الوهابيين . وتدخل الانكليز لمنع جيش ابراهيم باشا المصري من

التمركز في الكويت عام ١٨٣٨ فاكتفوا بارسال مندوب سياسي اليها(٧٠٤) وكان الحكم في الكويت قد انتقل الى جابر بن عبد الله بن صباح (١٢٢٩-١٨١٤ ١٢٧٦/١٨٥٩) الذي حكم الكويت ستا واربعين سنة . وكان جابر مواليا للعثمانيين فقدم لهم مساعدات عسكرية في اكثر من مناسبة . ولم يحدث مايستحق الذكر في عهد ابنه وخلفه صباح (م رجب ١٢٠٣/١٨٦٦) سوى تأزم العلاقات بينه وبين عبد الله آل سعود(٧٠٥).

وازداد النفوذ العثماني في عهد عبد الله الثاني بن صباح بن جابر (رجب ١٢٨٣/١٨٦٦ - ذو القعدة ١٣٠٩ ايلول ١٨٩٢) . فقد اتبع الشيخ عبد الله سياسه موالية للعثمانيين فعينه مدحت باشا قائمقاما (اي متصرفا) على الكويت مرتبطاً بولاية البصرة . وقدم الشيخ عبد الله مساعدة عسكرية للحملة العثمانية التي ارسلها مدحت باشا لاحتلال الاحساء . وخلفه في الحكم اخوه محمد (قتل في ذي القعدة ١٣١٣/ آب ١٨٩٥) الذي كان كاخيه موالياً للعثمانيين . واشرك محمد اخاه جراح بالحكم فاغضب بذلك الاخ الثالث مبارك . واعترفت الحكومة البريطانية في عهده في عام ١٣١٠/١٨٩٢ بتبعية الكويت للعثمانيين(٧٠٦).

وروعت الكويت ليلة ٢٥ ذي العقدة ١٣١٣/١٨٩٦ بقتل الامير واخيه واستيلاء مبارك الصباح على الحكم . وثار عليه خال اولاد اخيه يوسف آل ابراهيم الذي استعان بوالي البصرة حمدي باشا . الا أن العثمانيين رأوا قبول الامر الواقع فاعترفوا بشرعية ولاية مبارك . ولجأ يوسف الى قاسم بن ثاني شيخ قطر فاستعان مبارك بمتصرف الاحساء . واستنجد يوسف بالانجليز وبابن رشيد . وانتصر ابن رشيد على مبارك في معركة الصريف في ذي القعدة ١٣١٨/١٧ آذار ١٩٠١ . وكان الامير عبد الرحمن السعود وابنه عبد العزيز قد لجآ الى الكويت فراراً من ابن رشيد عام ١٣١٦/١٨٩٨(٧٠٧).

ورأى العثمانيون ان الوقت مناسب للتدخل فوصلت الكويت بعثة برئاسة نقيب اشراف البصرة وعرضت على مبارك عضوية مجلس الشورى في استانبول أو

الاقامة في اي مكان شاء والتخلي عن مشيخة الكويت على ان تجري عليه الدولة العثمانية راتباً محترماً . واستنجد مبارك بالانجليز الذين ايدوه وعقد معهم معاهدات ١٠ رمضان ١٣١٦/١٣ كانون الثاني ١٨٩٩، ومحرم ١٣١٨/ ايار ١٩٠٠، وذي الحجة ١٣٢١/ اذار ١٩٠٤ التي تعهد بها بجعل سياسته الخارجية مرتبطة ببريطانيا مقابل تعهد بريطانيا بحمايتها له وإبقاء الامارة في بيته وعدم تدخلها في شؤون الكويت الداخلية[٧٠٨] .

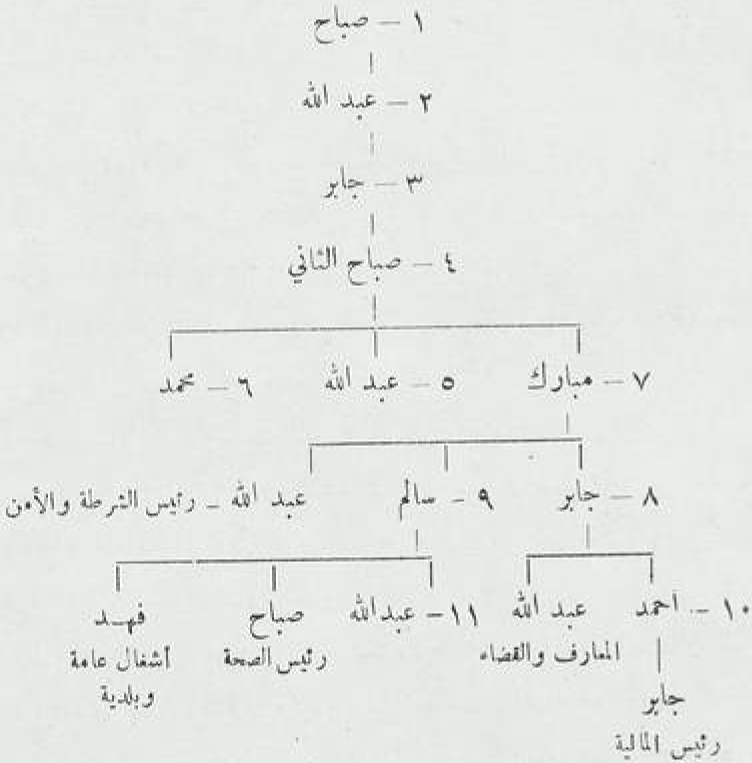
ووقف الشيخ مبارك اثر ذلك موقفاً حازماً من العثمانيين ، فلم يرحب بالبعثة الالمانية التي وصلت الكويت عام ١٣١٧/١٩٠٠ برئاسة القنصل الالماني في بغداد لدراسة خط بغداد برلين . ولما دخلت قوة عثمانية ارض الكويت بعد عام وهدده ابن رشيد ارسلت بريطانيا بارجة حربية لحماية الكويت . وانتقم منه العثمانيون بمصادرة املاكه في البصرة[٧٠٩] .

ولم يقف مبارك مكتوف الايدي امام خطر ابن رشيد بل سارع الى العمل . وايد حملة قادها الامير عبد العزيز السعودي فتمكنت في رمضان ١٣١٩/ ٥ كانون الثاني ١٩٠٢ من احتلال الرياض واعادة الحكم السعودي اليها . وايده ابن سعود عام ١٣٢١/١٩٠٣ في دحر محاولة سلطان الدويش ضد الكويت . واستراح مبارك من اعدائه اثر وفاة خصمه يوسف آل ابراهيم عام ١٣٢٣/١٩٠٤ ومقتل خصمه ابن رشيد بعد ذلك بسنة واحدة[٧١٠] .

وسويت علاقاته بالعثمانيين الذين تخلوا عن الكويت . فقد زار اللورد كرزون الكويت عام ١٣٢٢/١٩٠٣ وعين فيها ممثلا سياسياً لبريطانيا، فاضطر العثمانيون الى الاعتراف بالامر الواقع ومجاملة الشيخ مبارك فافرجوا بعد عام عن ممتلكاته المصادرة[٧١١] . وحاول مبارك بدوره مجاملة العثمانيين فتبرع لضحايا حريق استانبول عام ١٣٢٩/١٩١١ كما تبرع لحرب طرابلس فمنحه السلطان العثماني الوسام المجيدي[٧١٢] . وتنازل العثمانيون عن الكويت عام ١٣٣١/١٩١٣ واعترفوا بمركز بريطانيا الممتاز فيها[٧١٣] . كذلك اعترف ابن سعود عام ١٣٣٣/١٩١٥

بالوضع الجديد في الكويت [٧١٤] . وايد مبارك الحملة البريطانية ضد البصرة فتعهدت بريطانيا في ذي الحجة ١٣٣٢/٣ تشرين الثاني ١٩١٤ بالاعتراف باستقلاله تحت الحماية البريطانية [٧٥١] . وتوفي الشيخ مبارك مساء الاثنين ٢٠ محرم ١٣٣٤ ١٩ تشرين الثاني ١٩١٥ فخلفه ابنه جابر (م ربيع اول ١٣٣٥/٥ شباط ١٩١٧) [٧١٦]

وحكم الكويت بعد وفاة الشيخ مبارك الكبير حتى اليوم اثنان من اولاده واثنان من احفاده . ودام حكم جابر بن مبارك اربعة عشر شهرا غير حافلة بالاحداث ثم خلفه اخوه سالم ابن مبارك (ربيع اول ١٢٣٥/٥ شباط ١٩١٧ - رجب ١٣٣٧/٢٧ شباط ١٩٢١) . وتعرضت الكويت في عهده لغزويتين وهابيتين في عامي ١٣٣٧/ايلول ١٩١٩ ومحرم ١٣٣٨/١٩٢٠ [٧١٧] . وحكم



بعد سالم ابن اخيه احمد بن جابر بن مبارك (م ١٠ ربيع الاول ١٣٦٩ / آخر كانون الثاني ١٩٥٠) فخلفه ابن عمه الحاكم الحالي الشيخ عبد الله بن سالم بن مبارك الذي تولى الحكم في اوائل ربيع الثاني ١٣٦٩/ ٢٥ شباط ١٩٥٠ وهو الامير الحادي عشر من افراد السلالة الحاكمة في الكويت (٧١٨).

الاحساء :

اطلق هذا الاسم على المنطقة الساحلية الممتدة من البصرة الى عمان، ودعيت قديماً بالبحرين وهجر، اما اليوم فيطلق الاسم على المنطقة الساحلية من جنوب الكويت الى شمال قطر. واكثر هذه المنطقة ارض جرداء غير مزروعة بحيث لا يزيد طول المنطقة الساحلية الخصبة على اثنى عشر ميلا بالاضافة الى عدد من المناطق الصغيرة المتباعدة. ويسكن المنطقة قبائل يعتنق اكثرها المذهب الشيعي ويشكلون الاكثرية الساحقة في القطيف وربع السكان في الهفوف (٧١٩).

كان اجود بن زامل الجبري العامري العقيلي القيسي اميراً على الاحساء اوائل القرن العاشر/السادس عشر (٧٢٠). وتعرضت الاحساء اثناء ذلك لضغط البرتغاليين الذين سيطروا على هرمز وسواحل عمان وفرضوا على شيخ قطيف الخضوع الى ملك هرمز التابع لملك البرتغال (٧٢١). وبدأ العثمانيون في منتصف القرن محاولاتهم للسيطرة على سواحل الخليج. وتم للعثمانيين اواخر ٩٥٣/١٥٤٦ احتلال البصرة وخضع لهم بعد اعوام قليلة حصن القطيف في الاحساء. واغاظ ذلك الامر البرتغاليين الذين بادروا الى ارسال اسطولهم لحرق الحصن وهدمه (٧٢٢). وهذا ما دعا العثمانيين الى ارسال اسطولهم بقيادة بيري بك الى مياه الخليج عام ٩٥٩/١٥٥٢.

وقرر العثمانيون الحاق الاحساء بولاياتهم وحكمها حكماً مباشراً. فارسلوا جيشاً بقيادة فتحي باشا الذي قضى على امارة سلالة اجود عام ١٠٠٠/١٥٩٢.

وخلف فتحي الوالي علي باشا عام ٦٢١ الذي اورث الولاية لابنه بكر ثم يحيى الذي توفي عام ١٠٧٦/١٦٦٥ . وتولى الحكم محمد باشا الذي ايد ثوار البصرة ضد اميرها حسين باشا افراسياب (٧٢٣).

وشرع حسين باشا افراسياب في اعداد الخطط لاحتلال الاحساء واستمال اليه عشائر الاحساء ، وفي مقدمتها بنو خالد بزعامة براك الذي كان يطمع في حكم الاحساء . وارسل حسين باشا جيشاً بقيادة احد امرائه المدعو سلمان فتمكن بمساعدة بني خالد من الاستيلاء على الاحساء . ولكن براك زعيم بني خالد تنكر للحلف بعد النصر واخرج جند البصرة من البلاد واستقل بها . فارسل الامير الافراسيابي جيشاً بقيادة يحيى الذي احتل الاحساء واجبر براك على الفرار . اما والي الاحساء محمد باشا فقد لجأ الى شريف مكة وارسل الى السلطان مستنجداً شارحاً له ماحدث ثم قصد بغداد املا بنيل مساعدة والي بغداد ضد امير البصرة . وصدرت اوامر السلطان الى الوالي بتأديب حسين افراسياب والقضاء على حكم عائلته فتم ذلك للجيش العثماني عام ١٠٧٨ /١٦٦٨ (٧٢٤).

وتزعزع اثناء ذلك نفوذ الحاكم الافراسيابي في الاحساء. فقد خلف يحيى على البصرة امير اسمه عمر الحلبي . ولم يعترف بنو خالد بحكمه بل هاجموه وحاصروه . وانسحب عمر من الاحساء بعد ان سلمها الى عيسى بن علي اخي والي الاحساء السابق . ولم يتمكن عيسى من تثبيت حكمه فسلم البلاد الى براك زعيم بني خالد فانتقل بذلك الحكم في الاحساء الى بني خالد عام ١٠٧٩ ١٦٦٩ (٧٢٥).

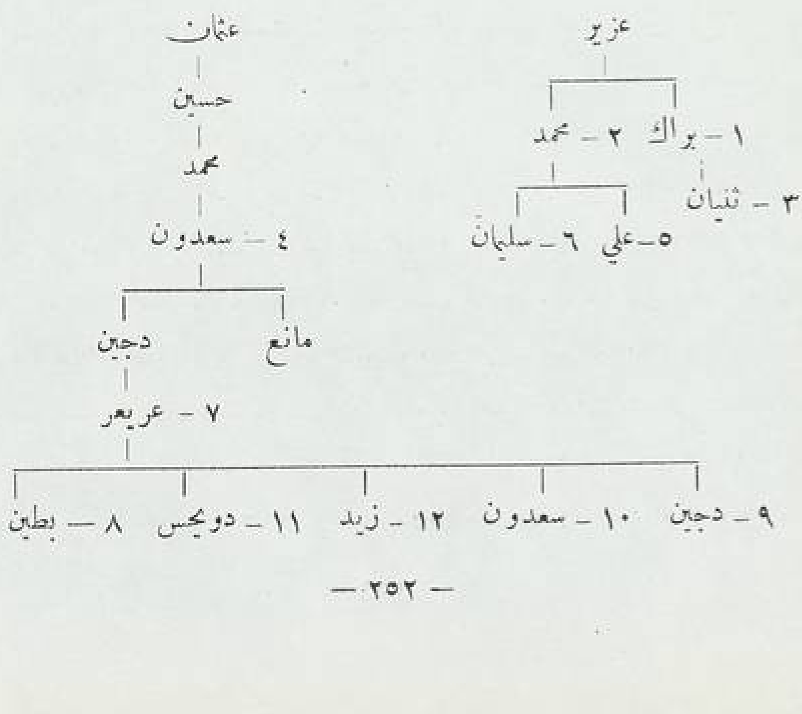
حكم براك (بن غرير بن عثمان بن مسعود بن ربيعة الحميدي) الاحساء ثلاثة عشر عاما (١٦٦٩ - /١٦٨٢). وكانت سنوات حكمه حافلة بالاحداث الطبيعية كالمجاعات والجراد والاوبئة . وحاول براك مد نفوذه في قلب شبه الجزيرة فوصلت قواه الى الدرعية في اواسط نجد (٧٢٦). وخلفه أخوه محمد (م ١٦٠١) الذي تابع سياسة براك التوسعية فوصل الخرج ووادي حنيفة وسدير . وتعرضت

الاحساء في عهده الجراد والطاعون [٧٢٧] . ولم يدم حكم ثنيان بن براك الا عاما واحداً اذ قتل في احدى غزواته عام ١١٠٢/١٦٩١ فخلفه سعدون بن محمد بن حسين بن عثمان (١١٠٢/١٦٩١ - ١١٣٥/١٧٢٣) . وكان والده محمد قد برز كيد براك اليمنى في حربهم ضد الجند العثماني وجند البصرة . وغزا سعدون الخرج ونجد والعارض ونهب اطراف الدرعية وتحالف مع عبد الله بن معمر امير العيينة [٧٢٨] . وتوفي سعدون وهو في طريقه لغزو نجد فتنازع الحكم ولداه دجين ومانع كما ثار مطالباً بالامارة علي وسليمان ولدا محمد بن غرير . واستتب الامر لعلي بن محمد بن غرير (١١٣٥/١٧٢٣ - ١١٣٨/١٧٢٦) [٧٢٩] . وفشلت محاولة دجين لاغتيال سليمان بن محمد كما فشلت ثورته عام ١١٣٩/١٧٢٦ رغم مساعدة المنتفق وظفير له [٧٣٠] .

وحدث تطور خطير في تاريخ الاحساء في منتصف القرن الثاني عشر/الثامن عشر . فقد برزت دعوة محمد بن عبد الوهاب في العيينة . ورأى امير الاحساء سليمان بن محمد بن غرير (١١٦٥/١٧٥٢) في هذه الدعوة خطرا عليه فهدد حليفه وتابعه امير العيينة بقطع الاعانة السنوية البالغة ١٢٠٠ قطعة ذهبية ان لم يقتل محمد ابن عبد الوهاب فاضطر الامير الى اخراج محمد بن عبد الوهاب من بلده [٧٣١] . وقامت ثورة ضد سليمان اجبرته على مغادرة امارته فتوفي في الخرج واستولى على الحكم عريعر بن دجين (١١٦٥/١٧٥٢ - ١١٨٨/١٧٧٤) . وركز عريعر نشاطه ضد الوهابيين متحالفا مع سكان الوشم والرياض وبعض الخرج والسدير . وهاجم عريعر نجد وقصف الدرعية بالمدافع في خريف ١١٧٧/١٧٦٤ . وقاد حملة ثانية ضد القصيم عام ١١٨٨/١٧٧٤ واستولى على بريدة وتوفي وهو يعد العدة لاحتلال الدرعية [٧٣٢] . ولم يستطع بطين بن عريعر متابعة عمل ابيه اذ ثار عليه اخواه دجين وسعدون . وقتل بطين مخنوقا ومات دجين مسموماً واستلم الحكم سعدون بن عريعر [٧٣٣] (١١٨٩/١٧٧٥ - ١٢٠٠/١٧٨٦) . وشغل سعدون بحرب الوهابيين في نجد . وقاد سعدون حملة ضد الوهابيين عام

١١٩٣ / ١٧٧٩ فانتصر على اعدائـــه ولكنه لم يسحقهم . وكذلـك فشل عام ١١٩٦ / ١٧٨٢ في تحقيق نصر كامل على اعدائه (٧٣٤) . وثار عليه دويحس بن عريعر بمساعدة ثويني زعيم المنتفق واجبره عام ١٢٠٢/١٧٨٦ على الفرار والملجوء الى عدوه الامير الوهابي في الدرعية (٧٣٥) . ولم يدم حكم دويحس بن عريعر طويلا اذ هزمه الامير الوهابي عـام ١٢٠٤/١٧٨٨ ففر لاجئاً الى المنتفق وخلفه اخوه زيد بن عريعر (٧٣٦) . واستطـاع الامير الوهابي سعود اخضاع الاحساء وتعيين محمد الحملي حاكما وهابياً على الاحساء اوائل ١٢٠٨ /١٧٩٣ (٧٣٧) . وثار اهل الهفوف على حاكمهم الوهابي وقتلوه في الخريف واستعاد زيد بن عريعر امارته . فقاد الامير سعود الوهابي حملة هزمت زيد واجبرته على الفرار ونشر في الاحساء الرعب والنار والقتل . ودانت الاحساء للوهابيين وانتهى حكم بني خالد (٧٣٨) .

أمراء الاحساء



واستمر الحكم الوهابي في الاحساء متقطعاً الى عام ١٢٧٩ / ١٨٧١ حينما اعادها والي بغداد مدحت باشا لواءاً عثمانياً . فقد اغتنمت الدولة فرصة وفاة الامير فيصل السعودي عام ١٢٨٢/١٨٦٥ وحدوث خلاف بين اولاده فنشطت للعمل . واستنجد الامير عبد الله بن فيصل بمدحت باشا ليساعده ضد اخيه سعود فارسل مدحت باشا جيشاً بقيادة نافذ باشا يؤيده شيخ المنتفق وشيخ الكويت . وتحرك الجيش العثماني من البصرة اوائل ١٢٨٧ / ١٨٧٠ . فدخل القطيف عاصمة الاحساء في ٩ ربيع اول ١٢٨٨ / ايار ١٨٧١ ثم احتل الهفوف والمبرز فتم للحملة احتلال الاحساء .واصبحت الاحساء متصرفية (لواءا) مرتبطة بولاية البصرة وسموها لواء نجد [٧٣٩] .

بقيت الاحساء بيد العثمانيين الى نشوب حرب البلقان عام ١٣٣١/١٩١٣ . فقد اغتنم الامير عبد العزيز السعود الفرصة واحتل الاحساء اواخر جمادي الثاني واخرج المتصرف والجند العثماني منها .وبرر الامير السعودي عمله هذا بان اهل البلاد كاتبوه ودعوه لانقاذهم من الحكم السيء كما ان الاحساء هي جزء من بلاد نجد، وابدى خوفه من ان تتنازل الدولة عن الاحساء للدول الاجنبية كما تنازلت عن الكويت والبحرين وعمان وقطر وغيرها [٧٤٠] .

البحرين

وتشمل الآن جزر البحرين (أوال) والمحرق وام نعسان وسِتره وعدداً من الجزر الصخرية الصغيرة . واطلق اسم البحرين في الازمنة القديمة على سواحل شبه الجزيرة المقابلة للجزر بما في ذلك شبه جزيرة قطر [٧٤١] .

كانت البحرين اوائل القرن العاشر / السادس عشر جزءاً من املاك ملك هرمز . وخضعت البحرين للنفوذ البرتغالي اثر خضوع ملك هرمز للبرتغاليين عام ١٥٠٧/٩١٣ . وانفجرت في البحرين ثورتان ضد البرتغاليين في عامي ١٥٢٢/٩٢٨ و ١٥٢٩/٩٣٥ ، فاخمد الاسطول البرتغالي الثورة الاولى بقسوة ولكنه اصيب

بكارثة في محاولته اخماد الثورة الثانية . وعادت البحرين الى الخضوع الى البرتغاليين حتى نهاية القرن (٧٤٢) . وانتهت محاولة عثمانية عام ١٥٥٩/٩٦٧ لاحتلال البحرين بكارثة كبيرة انتهت باستسلام القوة العثمانية (٧٤٣) .

وبدأ الايرانيون اوائل القرن ١٧/١١ محاولاتهم لاحتلال البحرين . ونجحوا عام ١٦٠٢/١٠١١ في انتزاعها من البرتغاليين . وبقيت البحرين خاضعة لايران الى ان انتزعها امام مسقط عام ١٧١٧/١١٢٩ (٧٤٤) . واعاد نادر شاه الايراني احتلالها بعد عشرين عاماً وعين عليها الشيخ نصر آل ابراهيم العربي حاكماً (٧٤٥) . وبقي الحكم الايراني غير مستقر فيها الى ان تم لآل خليفة تحريرها من الحكم الايراني عام ١٧٨٣/١١٩٧ (٧٤٦) .

وكان آل خليفة بزعامة محمد قد غادروا الكويت عام ١٧٦٦/١١٧٩ وسكنوا الزبارة . وخلف محمد في الزعامة ابنه خليفة م ١٧٨٢/١١٩٧ (٧٤٧) . واغتنم آل خليفة فرصة وفاة كريم خان الزندي ونشوب الفتن الاهلية في ايران فهاجم احمد بن محمد بن خليفة جزر البحرين وحرروها عام ١٧٨٣/١١٩٨ . ولكنهم تعرضوا عام ١٧٩٩/١٢١٤ لغزوة وهابية اخرجتهم من الزبارة ففر الشيخ سليمان بن احمد الى جزر البحرين وتحصن فيها . ولكن سلطان مسقط سلطان بن احمد غزا جزر البحرين في العام نفسه واحتلها ونفى كبار رجال العائلات الى مسقط وعين ابنه سالم حاكماً على الجزر . واستنجد آل خليفة بالوهابيين الذين وجهوا حملة بقيادة ابراهيم بن عفيصان عام ١٨٠١/١٢١٦ فهزمت سعيد ابن سلطان مسقط واحتلت البحرين ولكنها لم تسلمها لآل خليفة بل حكمتها حكماً وهابياً واعتقلت افراد عائلة آل خليفة وارسلتهم الى الدرعية . فاستنجد آل خليفة بعدوهم السابق سلطان مسقط الذي اخرج الوهابيين من البحرين . وشغل الوهابيون اثناء ذلك بالحملة المصرية ، فحاولوا استعادة البحرين بمساعدة عبد الله بن احمد احد شيوخ آل خليفة المعتقلين (٧٤٨) .

استعاد سليمان بن احمد ، بمساعدة اخيه عبد الله ، جزر البحرين . وحاول

ابن عفيصان دخول الجزر فهزم عام ١٢٢٥ / ١٨١٠ وطورد الى بر قطر . وحاول سلطان مسقط استعادة البحرين فهزم عام ١٨١٦/١٢٣١ كما هزمت حملة ثانية له فاضطر الى مصالحة سليمان[٧٤٩] .

وخلف سليمان اخوه عبد الله بن احمد (١٢٣٥ / ١٨٢٠-١٢٥٨/١٨٤٢) . واستولى عبد الله على بعض مدن الاحساء الساحلية ومنها القطيف . وواجهته اواخر حكمه ثورات اولاده واولاد اخيه . ونجح محمد بن خليفة بن سليمان في اخراج عبد الله من البحرين ففر عبد الله الى الكويت مستنجداً بشيخها وبالوهابيين وبسلطان مسقط دون ان ينجح في مساعيه . وتوفي عبد الله طريداً حزيناً في مسقط[٧٥٠] .

ولم يكن حكم محمد بن خليفة في (١٢٥٨/١٨٤٢-١٢٨٦ / ١٨٧٠) هادئا ولا مستقرا . فقد واجهته ثورة اولاد عبد الله الذين استنجدوا باخوالهم آل ابن علي بزعامة عيسى بن طريف وبفيصل بن تركي الوهابي . وانتصر محمد بن خليفة على اعدائه وقتل ابن طريف وفشلت الحملة الوهابية . وتوسط الامير الوهابي للاصلاح بين محمد واولاد عبد الله وسمح لاولاد عبد الله بسكنى البحرين . وثار عليه في قطر الشيخ قاسم بن ثاني فداهم محمد الدوحة واعمل في اهلها السيف وأسر ابن ثاني[٧٥١] . وغضب الانجليز لابن ثاني فقصفت سفنهم البحرين واجبروا محمد على الفرار ونصبوا اخاه علي شيخا[٧٥٢] . وعاد محمد الى البحرين وقتل اخاه علي واستعاد الحكم فتدخل الانجليز مرة اخرى واعتقلوا محمد ونفوه الى بمباي في الهند ثم سمحوا له بالذهاب الى مكة حيث توفي عام ١٨٨٩/١٣٠٧، وفرضوا عيسى بن علي شيخا (١٢٧٦/١٨٧٠ - ١٩٢٣/١٣٤١)[٧٥٣] .

طال حكم الشيخ عيسى في البحرين أكثر من نصف قرن حافلة بالاحداث . فقد ازداد في عهده نفوذ الانجليز الذين نصبوه شيخا ثم عزلوه . وبدأ التدخل الانجليزي في البحرين عام ٨/١٢٣٥ كانون الثاني ١٨٢٠ حينما عقدوا معاهدة مع الشيخ سليمان بن احمد اتفاقية لمنع القرصنة . وضغط الانجليز على الشيخ

عبد الله بن احمد لمنعه من الخضوع للنفوذ المصري اثر استيلاء جيش ابراهيم باشا على نجد والاحساء ، ووقعوا مع الشيخ محمد بن خليفة عام ١٢٦٣/١٨٤٧ معاهدة لمنع الاتجار بالرقيق . ووقع الشيخ محمد عام ١٢٧٧/١٨٦١ معاهدة اعترف بها بشرعية الاتفاقيات السابقة وتعهد بوقف اعمال القرصنة وعرض الخلافات بينه وبين جيرانه على بريطانيا التي تعهدت بحمايته . كذلك اعترف بحق المقيم السياسي البريطاني في الخليج بمحاكمة الرعايا البريطانيين المقيمين في البحرين . واحتج العثمانيون والايرانيون على هذا العمل واعتبرت كل من الدولتين نفسها صاحبة السيادة الشرعية على البحرين (٧٥٤) .

وتدخل الانجليز مرة اخرى عام ١٢٨٤/١٨٦٧ لوقف النزاع الناشب بين شيخ البحرين وامير قطر . ولما شعرت بريطانيا ان الاحتلال العثماني للاحساء يهدد نفوذها في البحرين بادرت الى خلع الشيخ محمد ونفيه وتنصيب الشيخ عيسى وتثبت نفوذهم في الجزر . وفرض الانجليز بعد عشرة اعوام معاهدة على الشيخ عيسى تعهد بموجبها بان لا يعقد اتفاقيات مع اية دولة اجنبية وان لا يسمح لغير بريطانيا بتعيين ممثل لها في البحرين او اقامة مركز لتموين السفن بالفحم . ووقع معاهدة جديدة في آذار ١٨٩٢ تعهد بموجبها بان لا يبيع ولا يؤجر ولا يتنازل عن اي جزء من البحرين لاية دولة غير بريطانيا (٧٥٥) . وتدخل الانجليز لحماية الشيخ عام ١٣١١/١٨٩٣ من غزوة اعدها علي بن علي بن ثاني حاكم قطر بتشجيع من العثمانيين في الاحساء . وحطم الانجليز الحملة وفرضوا معاهدة صلح على شيخ قطر (٧٥٦) . ورأى الانجليز في هذه المناسبة فرصة جديدة لتثبيت نفوذهم فارسلوا الى الجزيرة عام ١٣١٨/١٩٠٠ نائب ممثل سياسي رفعوا مرتبته بعد اربعة اعوام الى ممثل . وشرع هذا الممثل بالتدخل في شؤون البحرين الداخلية وفرض « اصلاحات » لا سيما في طريقة جباية الضرائب الجمركية (٧٥٧) .

وحدث ان اسيء الى خادم الماني في الجزيرة عام ١٣٢١/١٩٠٣ فسارع الانجليز الى فرض شروط جديدة . فقد حضر برسي كوكس المقيم البريطاني

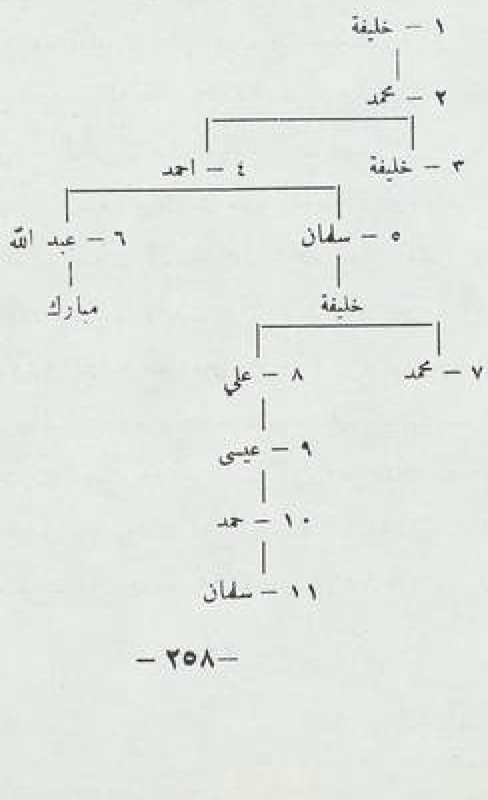
في الخليج وقدم انذاراً الى الشيخ عيسى الذي اضطر الى قبوله . ونفي ابن اخي الشيخ الذي اتهم بالاساءة الى الخادم واحرقت سفن البحرين الحربية واصبحت الوكالة البريطانية صاحبة الرأي في كل ما يخص الاجانب . وفرض الانجليز احد الايرانيين المدعو خان بهدور محمد شريف رئيساً لبلدية العاصمة المنامة فاظهر هذا الرجل في كل مناسبة كرهه الشديد للعرب[٧٥٨] . وتدخل الانجليز مرة اخرى عام ١٣٤١/ايار ١٩٢٣ اثر فتنة بين عربي نجدي وفارسي ايراني فعزلوا الشيخ عيسى ونصبوا ابنه حمد حاكماً والغوا المحاكم الوطنية واقاموا ديوانا يشترك فيه الشيخ والمقيم البريطاني للفصل في القضايا . واحتج الملك السعودي فارضي بعزل رئيس البلدية الايراني[٧٥٩] . وتوفي الشيخ عيسى منفياً معزولا في شعبان ١٣٥١/كانون اول ١٩٣٢ . وعين مستشار انجليزي للشيخ وعهد بامر دوائر الجمارك والصحة والاشغال والمواصلات والزراعة لمدراء انجليز[٧٦٠] . وتوفي الشيخ حمد في ٦ نيسان ١٩٤٢ فخلفه ابنه الشيخ الحالي سلمان بن حمد .

وادعت كل من ايران والامبراطورية العثمانية بان لها السيادة على البحرين . وحاول ابراهيم باشا ، بعد تغلبه على الوهابيين ، مد سيطرته الى البحرين بوصفها جزءاً من نجد ولكن بريطانيا تدخلت لحماية البحرين وابلغت حكومة الباب العالي بانها لا ترضى بوضع البحرين تحت سيادة الباب العالي او حمايته وبانها قد اعترفت بالبحرين كدولة مستقلة وعقدت معها معاهدة . ووصلت البحرين عام ١٢٧٥/١٨٥٨ بعثة عثمانية اقنعت الشيخ محمد برفع العلم العثماني وتقديم الولاء للسلطان ولكن تدخلت بريطانيا والغت هذا الاجراء . ووقع القبطان وليم بروس في ٣٠ آب ١٨٢٥ اتفاقية مع امير شيراز الايراني اعترف فيها بالسيادة الايرانية على البحرين رغم اعتراف بريطانيا قبل ذلك بخمس سنوات باستقلال شيخ البحرين ، لذا بادرت الحكومة البريطانية الى رفض تلك المعاهدة كما رفضها شاه ايران لاسباب اخرى . وتبادلت ايران وبريطانيا مذكرات حول البحرين عام ١٨٦٩ . وردت بريطانيا بتاريخ ٢٩ نيسان ١٨٦٩ على المذكرة الايرانية

واعدة اياها بان تولي الاحتجاج الايراني العناية اللازمة . اما تركيا (وريثة الدولة العثمانية) فقد تنازلت عن حقوقها في البحرين بموجب المادة ١٦ من معاهدة لوزان المعقودة في ٢٤ تموز ١٩٢٣ [٧٦١] .

ولم تثر ايران موضوع السيادة على البحرين مرة اخرى حتى عام ١٩٢٧ . واحتجت ايران ذلك العام على نص المادة ١٦ من المعاهدة السعودية البريطانية المعقودة في ٢٠ ايار ١٩٢٧ والتي تعهد الملك السعودي بموجبها بالمحافظة على العلاقات الودية مع البحرين والكويت وشيوخ قطر وساحل وعمان « الذين تربطهم بحكومة صاحب الجلالة البريطانية معاهدات خاصة » . وانكرت بريطانيا في جوابها على هذه المذكرة بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٢٨ وجود اي مبررات شرعية للمطالب الايرانية . وقدمت ايران مذكرة ثانية في ٢ آب ١٩٢٨ فندتها بريطانيا في ١٨ شباط ١٩٢٩ . واحتجت ايران مرة اخرى في ٢٣ حزيران

شجرة نسب شيوخ البحرين من آل خليفة



۱۹۳۰ على منح الشيخ امتياز التنقيب عن البترول لاحدى الشركات وقدمت مذكرة احتجاج اخرى الى حكومة الولايات المتحدة الاميركية في ۲۳ ايار ۱۹۳٤ . وجدد رئيس الوزارة الايرانية عام ۱۹٤٦ ادعاء ايران . وظلت ايران تجدد هذه المطالب وتؤكد ادعاءاتها من حين لآخر لاسباب تتعلق بالسياسة الداخلية[٧٦٢] .

وواضح ان ما تدعيه ايران من حقوق في البحرين لا يستند الا الى حق فتح قديم انتهى اثره ولم يدم الا فترة قصيرة . ولو جاز الاعتراف بمثل هذا الحق لاية دولة من الدول لكثر اصحاب الحق بالسيادة على ايران نفسها . وتتجاهل ايران وبريطانيا في المذكرات المتبادلة حق سكان البحرين في تقرير مصيرهم ، وتتنكران لعروبة البحرين الثابتة .

قطر

لم تبرز شبه جزيرة قطر كوحدة سياسية منفصلة الا اواخر القرن التاسع عشر . وسكان قطر اصلهم من الوشم (نجد) وهاجروا قبل قرنين ونصف فسكنوا واحة جبرين ثم الزبارة .

واعتبر شيوخ البحرين قطر جزءا من املاكهم . واساء عاملهم معاملة قبائل قطر واعتقل عام ۱۲۸۱/۱۸٦٤ شيخ النعيم ونفاه . فاستنجدت النعيم بالشيخ قاسم بن محمد بن ثاني الذي اجبر عامل البحرين على الفرار . وارسل شيخ البحرين حملة الى قطر اجبرت النعيم على الجلاء واخمدت الثورة . ولكن نشبت ثورة جديدة بعد عامين انتهت بقتل عامل البحرين وتدخل الامير فيصل بن تركي امير الرياض . وحاول الشيخ قاسم استرضاء شيخ البحرين فقصده زائراً ومصالحاً ولكن القي القبض عليه واعتقل . وهاجم قومه البحرين لانقاذه ولكنهم هزموا اوائل صفر ۱۲۸٤/حزيران ۱۸٦۷ ، وتعقبتهم قوات البحرين الى ساحل قطر . وتمكن اهل قطر من اختطاف احد اقارب شيخ البحرين ثم اخلوا سبيله مقابل فك اسر الشيخ قاسم الذي اصبح سيد قطر الفعلي[٧٦٣] .

واغتنم العثمانيون الفرصة لفرض سيادتهم على قطر . ودخلت القوات العثمانية قطر عام ١٨٧١/١٢٨٨ واجبروا الشيخ قاسم على الفرار . واعترف العثمانيون اول الامر بزعامة احمد اخي قاسم ثم اعتقلوه . وتمكن الشيخ قاسم من الحاق هزيمة بالعثمانيين وتحرير اخيه واستعادة سيطرته على قطر . ونجح قاسم في صد حاكم ابي ضبي واستعادة الدوحة منه وفرض صلح عليه (١٣٠٣-١٣٠٦/١٨٨٨) وفشلت محاولة قاسم لغزو البحرين عـام ١٣١١/١٨٩٣ اذ تدخل الاسطول البريطاني وحطم قوارب الغزو القطرية وفرض على الشيخ قاسم معاهدة صلح. واغتنمت بريطانيا فرصة نشوب الحرب العالمية الاولى وجلاء القوات والنفوذ العثماني عن قطر عام ١٩١٥/١٣٣٤ ففرضوا بعد عام معـاهدة حماية على الشيخ قاسم . وخلف قاسم ابنه الشيخ عبد الله الذي منح امتيازا لاستثمار البترول عام ١٩٣٥ . وتنازل الشيخ عبد الله عن الحكم لابنه علي عام ١٣٦٩/١٩٤٩ وتوفي عام ١٩٥٧[٧٦٤] .

ثاني (ولد في الزبارة في القرن ١٨)

محمد

١ – قاسم　　　احمد

علي　　٢–عبد الله　تنازل ١٣٦٩/١٩٤٩ وتوفى ١٣٧٧/١٩٥٧

ق. ١٣٠٥/١٨٨٧

٣ – علي

وتبلغ مساحة قطر ثمانية آلاف ميل مربع (١٣٠٠٠ كيلو متر مربع) وسكانها زهاء اربعين الفا . وهي غنية ببترولها الذي نال امتيازه شركة قطر التي تتشبه في تشكيلها شركة نفط العراق . اخذت هذه الشركة امتيازها في ١٧ ايار ١٩٣٥ لمدة ٧٥ سنة تنتهي عام ٢٠١٠ ، كما اخذت شركة اخرى تابعة لشركة شل امتيازاً ببترول المياه الاقليمية لمدة ٧٥ سنة (١٩٥٢ – ١٠٢٧) . وبدأ انتاج

البترول عام ١٩٤٩ وغدت قطر بعد ثلاثة اعوام البلد الحادي عشر في انتاج البترول في العالم .

عُمان

تقع عُمان في الجزء الشمالي من الجهة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية . وهي على شكل مثلث يحده من الشرق البحر العربي ومن الشمال الخليج العربي ومن الغرب المملكة العربية السعودية . وتضم هذه البقعة سلطنة مسقط وامامة عمان وامارة الجبل الاخضر والامارات السبع الواقعة على الساحل المهادن المطل على الخليج العربي وهي الشارقة ودُبي وابو ظَبي وعِجمان وام القيوين ورأس الخيمة والفجيرة [765] .

واشتهرت هذه المنطقة منذ القرن الاول بانها مركز اضطراب دائم . فقد استقر بها الخوارج الاباظيون الذين قاموا بثورات عديدة على الخلفاء الامويين والعباسيين . ونجح بنو جلندي بزعامة جلندي بن مسعود الازدي في تزعم حركة انفصالية بدأت عام ١٣٧/٧٥٤ . وحكم عمان من هذه السلالة تسع وعشرون اماما اباظيا كان آخرهم ابو جاد موسى بن موسى المتوفي عام ٥٧٩/١١٨٣ . ولكن حكمهم لم يكن مستقرا . فقد تعرضوا لحملات عديدة ارسلها الخلفاء وبنو بويه . وخضعت البلاد للقرامطة اكثر من نصف قرن (٣٠٧/٩١٩-٣٧٥ ٩٨٥) [766] .

وحكم عمان بعد ذلك بنو نبهان في (٥٧٩/١١٤٤ - ٨٠٩/١٤٠٦) ولقبوا بالملوك . وحكم من بني نبهان عدد من الملوك كان اولهم الفلاح ابن الحسن وآخرهم مالك بن علي الحواري (م ٨٣٣/١٤٣٠) . وثار عليهم الاباظيون وبايعوا اماماً اباظياً من الازد ، فاقتصر حكم بني نبهان على الجبل الاخضر الذي بقي بايديهم الى يومنا هذا [767] . وحكم من الازديين تسع أئمة كان اولهم الامام ابو الحسن عبد الله بن خميس بن عامر الازدي (٨٣٩/١٤٣٥

آخر ١٤٤٢/٨٤٥) وتاسعهم بركات بن محمدبن اسماعيل (م ٩٦٨/١٥٦١)[٧٦٨] وفي عهد بركات وابيه تعرضت عمان للغزو البرتغالي .

وصل البرتغاليون مياه الخليج العربي في وقت خضعت فيه سواحل عمان لحكم ملك هرمز الذي اقام حصونا قوية في مسقط وغيرها من مدن الساحل العماني . وتعرض ميناء رأس الحد في منتصف آب ١٥٠٦ (ربيع اول ٩١٢) لقصف الاسطول البرتغالي الذي دمر المدينة والسفن الراسية في الميناء . وتعرضت لمثل ذلك في العام نفسه موانيء مسقط وصحار وخورفكان وهرمز نفسها . واستقر البرتغاليون في هرمز وبنوا فيها حصنا وخضع لهم ملكها ، ولكنهم غادروها وهجروا حصنهم فيها بعد عامين[٧٦٩] .

وتنازع البرتغاليون والايرانيون والعثمانيون السيادة على مياه الخليج طوال القرن السادس عشر . ونجح شاه ايران في حمل ملك هرمز على تقديم ولائه له بعيد جلاء البرتغاليين عن هرمز . وفشلت محاولة برتغالية لاستعادة هرمز عام ٩٢٠/١٥١٤ فقاد البوكرك بنفسه اسطولا في العام التالي وتمكن من اخضاعها. واعترف الشاه بالسيادة البرتغالية على هرمز مقابل وعد برتغالي بمساعدته ضد العثمانيين . ومالبث البوكرك ان عاد مريضاً الى الهند وتوفي اخر العام بعد أن حكم في الهند منذ ان خلف ألميدا (١٥٠٥ - ١٥٠٩) في تشرين الثاني ٩١٥/١٥٠٩ ، وقاد الاسطول البرتغالي في المياه الشرقية اكثر من عشرة اعوام. وشدد البرتغاليون قبضتهم على هرمز فسيطروا على جماركها عام ٩٢٨/١٥٢٢ وقمعوا بشدة ثورات هرمز ومسقط وصحار والبحرين ، ونصبوا محمود شاه ملكا على هرمز وسنه لايتجاوز الثالثة عشرة واجبروا اباه على الفرار . ووقع محمود في رمضان ٩٢٩/تموز ١٥٢٣ معاهدة سلم بموجبها مقاليد الامور في هرمز للبرتغاليين . وفرض البرتغاليون على ملك هرمز عام ٩٢٩/١٥٤٢ شروطاً جديدة[٧٧٠] .

وازداد نشاط العثمانيين في مياه الخليج وقاموا بمحاولات عديدة للقضاء

على النفوذ البرتغالي مكرسين موارد مصر لهذا الهدف . فقد وصل اسطول عثماني الى مياه الخليج عام ٩٣٥/١٥٢٩ ولكن لم يلق ترحيباً فخسر الجولة بسبب عدم وجود قاعدة له في الخليج. ولم يكن العراق قد اصبح عثمانياً بعد. ووجد العثمانيون انفسهم بحاجة الى العراق والى ميناء البصرة كقاعدة لدفع الخطر البرتغالي فاحتل العثمانيون العراق باستثناء البصرة التي احتلوها عام ٩٥٣/١٥٤٦ وبدأوا باعداد دار لصناعة السفن فيها. وخضع عرب قطيف للعثمانيين وسلموا اليهم حصنها فانتقم البرتغاليون من المدينة ودمروا الحصن عام ٩٥٨/١٥٥٠. وفشلت محاولة بيري بك عام ٩٥٩/١٥٥٨ في احتلال هرمز ولكنها استولت على مسقط . وعهد بقيادة اسطول البصرة الى حاكم القطيف مراد بك فلم يستطع تحقيق شيء وفشل في انجاد مسقط التي استعادها البرتغاليون .(٧٧١)

واعد العثمانيون اسطولا رابعاً في السويس عهدوا بقيادته الى سيدي علي رئيس احد مساعدي خير الدين بربروسا وسنان باشا . واسند الى سيدي علي قيادة اسطولي البصرة والسويس العثمانيين عام ٩٦٠/١٥٥٣ فتوجه الى البصرة اواخر ٩٦١ (اوائل شباط ١٤٥٤) وكان همه الاول اعداد سفنه بحيث تصبح صالحة لخوض معارك حربية . وفي شعبان ٩٦١/تموز ١٥٥٤ اقلع الاسطول العثماني من ميناء البصرة الى القطيف ثم الى البحرين . وكانت البحرين عثمانية يحكمها اذ ذاك مراد رئيس الذي سبق ذكره . وعادت طلائعه تخبره بان لا اثر للاسطول البرتغالي . ولما وصل هرمز ارسل خبرا الى والي البصرة يخبره بوصوله المحيط الهندي سالماً . ولكن في العاشر من رمضان وجد نفسه فجأة وجهاً لوجه امام الاسطول البرتغالي. ودام القتال طول النهار وانسحب البرتغاليون في الليل. واستمر الاسطول العثماني في سيره محاذيا ساحل عمان فالتقى ثانية بالاسطول البرتغالي المتمركز في مسقط في ٢٦ رمضان . ولحقت بالاسطول العثماني اصابات بليغة حتى اضطر سيدي علي رئيس الى نصب شراع تمهيدا للانسحاب . ودفعته الريح باتجاه شرقي شمالي فوصل ميناء بندر شاهبور الفارسي" يوم عيد رمضان

فتزدوا منها بالماء . ثم اتجه ثانية الى اليمن فقارب ظفار ثم قذفته الريح ثانية الى ساحل الهند فاذا هو امام ديو البرتغالية فسارع الى تغيير اتجاهه حتى وصل الكاجرات والتجأ الى ميناء سورات. وبادر الملاحون والجنود العثمانيون الى هجر سفنهم والعودة برا الى بلادهم. اما سيدي علي فقد باع سفنه وعاد برا حاملا الى السلطان ثمن اسطوله . (٧٧٢)

وضعفت القوة البحرية البرتغالية والعثمانية في البحار الشرقية اواخر القرن السادس عشر . فلم يقم العثمانيون باية محاولة جديدة كبيرة بعد فشل سيدي علي رئيس، اما البرتغاليون فقد ضم وطنهم الام الى اسبانيا سنة ١٥٨١/٩٨٩ واصبحت ممتلكاتهم فريسة سهلة لاعداء اسبانيا . وكانت هولندا هي العدو الرئيسي لاسبانيا ثم تبعتها انجلترا واستطاع كلاهما ان ينتزع السيادة البحرية من اسبانيا والبرتغال . وفي عام ١٥٩/١٠٠٢ كان الهولنديون قد الفوا شركة للتجارة الشرقية وبعد اعوام قليلة تبعهم الانجليز سنة ١٦٠٠/١٠٠٩ فمنحوا شركة الهند الشرقية اول امتياز لها . (٧٧٣)

وتغير الوضع الحربي في الخليج الفارسي في اوائل القرن السابع عشر . فقد وجد امير البصرة نفسه مضطرا الى محالفة البرتغاليين ضد شاه العجم كما وجد الشاه نفسه حليفاً للانجليز والهولنديين . واستطاع الشاه بمساعدة حلفائه الجدد ان ينتزع البحرين من البرتغاليين ويضغط على هرمز . ونجح البرتغاليون في الدفاع عن هرمز بل واحتلوا ميناء بندر عباس الايراني عام ١٦١٢/١٠٢١ . واستطاع الشاه بعد عامين ان يخرجهم من بندر عباس ثم منح الهولنديين قاعدة حربية فيها (٧٧٤) .

وبدأت سفن شركة الهند الشرقية الانجليزية تتردد على موانيء الخليج العربي والهند اوائل القرن السابع عشر . وكانت ملكة الانكليز قد منحت في ٣١ كانون اول ١٦٠٠ (جمادي الثاني ١٠٠٩) امتيازا بتأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية كشركة متممة لشركة الليفانت التي سبقتها بخمس قرن. ونظمت

شركة الهند الشرقية رحلات تجارية سنوية الى الهند . وتمكن قائد اسطول الشركة عام ١٦١٢/١٠٢١ من انتزاع امتيازات من حاكم سورات الهندي فاقر امبراطور الهند المغولي هذه الامتيازات . وعينت الشركة بعد ثلاثة أعوام سفيرا انكليزيا في بلاط امبراطور الهند المغولي .(٧٧٥)

وشرع الانكليز ايضاً بالتقرب من شاه ايران عدو العثمانيين التقليدي . فقد قصد الشقيقان السر انطوني شرلي Anthony Sherley والسر روبرت شرلي Robert بلاط الشاه عباس الكبير عام ١٥٩٨/١٠٠٧ وعملا على تدريب جيشه وتحريضه على الدخول في حلف مع دول الغرب ضد السلطان العثماني . ونجح الشقيقان في كسب ثقة الشاه الذي عهد لانطوني بمهمة ديبلوماسية في عواصم الغرب لوضع اسس هذا التحالف . ودرب جيش الشاه على اصول الحرب الحديثة وزود بخمسماية مدفع نحاسي وستين الف بندقية ، فتمكن الشاه بهذه القوة من استعادة تبريز ونهاوند وغيرهما واخراج الجيش العثماني من سائر الاراضي الايرانية عام ١٦٠٥/١٠١٤ . وكافأ الشاه السر روبرت ومواطنيه على خدماتهم بمنح الانكليز حق الاتجار مع ايران بواسطة ميناء جسك ومنحهم امتيازا بذلك عام ١٦١٦/١٠٢٥ (٧٧٦) .

وبالرغم من تردد الشركة ومحاولات البرتغاليين فقد وصل ميناء جسك في كانون الاول ١٦١٦ (ذي الحجة ١٠٢٥) السفينة الانجليزية جيمس James قادمة من سورات بعد رحلة دامت سبعاً وعشرين يوما . وفشلت جهود البرتغاليين في التعرض للسفينة التي استطاعت أن تفرغ حمولتها في محرم ١٠٢٦/ كانون الثاني ١٦١٧ وتبيعها بسهولة . واكتشف تجار سورات الانجليز ان هذه التجارة مربحة فبادروا الى فتح وكالة تجارية لهم في الميناء الايراني في عام ١٠٢٨/ ١٦١٩ رغم معارضة السفير الانجليزي في دلهي . وهزمت السفن الانجليزية اسطولا برتغالياً حاول اعتراضها عام ١٦٢٠/١٠٢٩ وعادت هذه السفن الى سورات محملة بأكثر من خمسماية بالة حرير (٧٧٧) .

وعزم الشاه على الاستيلاء على هرمز بمعونة الانجليز . وتمكن الحليفان من اخضاع قشم الحصن البرتغالي على الساحل الايراني في ربيع الاول ١٠٣١ / كانون الثاني ١٦٢٢ . وبدأ الحلفاء هجومهم على هرمز في ربيع الثاني/شباط . واستسلمت هرمز في نيسان ووقع في الاسر ثلاثة آلاف برتغالي . وهكذا طويت صفحة برتغالية في هرمز التي ارتفع عليها علم البرتغال أكثر من قرن . واصبحت هرمز جزيرة ايرانية . ولم يبق بيد البرتغاليين في الخليج سوى ساحل مسقط . ووجه الشاه قواه بعد هذا النصر ضد بغداد فاحتلها في العام التالي . ولكنه فشل في اخذ البصرة وبقي اميرها الافراسيابي مواليا للسلطان العثماني فقاوم الايرانيين بمساعدة البرتغاليين(٧٧٨) .

لم يبق بيد البرتغاليين غير مراكزهم على ساحل عمان . فانتزعوا صحار عام ١٦١٦/١٠٢٥ وأبادوا حاميتها ولكنهم خسروا بعد اربعة اعوام مركزهم قرب رأس الخيمة . وانتزع الايرانيون لفترة قصيرة حصون صحار وخورفكان وحاولوا احتلال مسقط نفسها ولكن عاد البرتغاليون فاستعادوا حصونهم المفقودة وأخرجوا الايرانيين منها وهددوا الموانىء والسفن الايرانية في الخليج . وسمح لهم امير البصرة الافراسيابي بفتح وكالة تجارية وبيعة برتغالية في البصرة عام ١٦٢٢/١٠٣١ فغدت البصرة مركزاً برتغالياً هاما(٧٧٩) .

وحدثت تطورات هامة في داخلية عمان غيرت ستراتيجية الخليج العربي . فقد استتب الأمر في داخلية عمان للامام الاباضي ناصر بن مرشد بن سلطان عام ١٦٢٤/١٠٣٤ واخضع « الملوك » المحليين واستولى على الميناء العماني الوحيد الذي لم يكن بيد البرتغال وهو ميناء لاوة . وشرع الامام ناصر بمهاجمة الحصون البرتغالية ففشل في اخذ مسقط عام ١٦٤٠/١٠٥٠ ولكنه نجح في اخذ صحار عام ١٦٤٣/١٠٥٣(٧٨٠) .

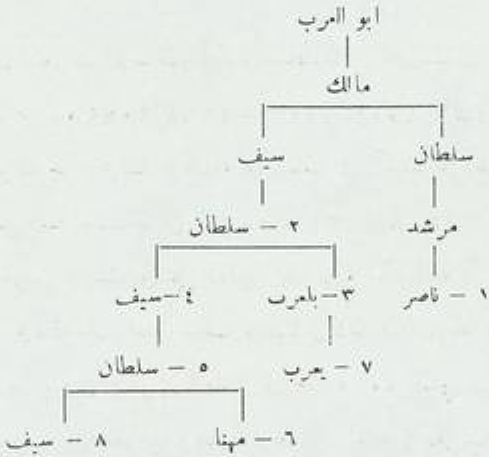
وتابع الامام سلطان بن سيف (١٦٤٩/١٠٥٩ - ١٦٦٨/١٠٧٩) سياسة ابن عمه وسلفه في تطهير البلاد من البرتغاليين . وحاصر مسقط عام ١٠٥٨ /

١٦٤٨ ثم عاد عنها بعد أن فرض على البرتغاليين شروطاً قاسية . وهاجمها ثانية في العام التالي فتمكن من تحريرها في ٢٣ كانون الثاني ١٦٥٠ (١٩ محرم ١٠٦٠) فتم بذلك تطهير عمان من البرتغاليين . ولم يكتف الامام سيف بما حققه بل شرع بمهاجمة الحصون البرتغالية في الهند فقصد ديو وسواحل الكاجرات وعاد بغنائم كبيرة[٧٨١] .

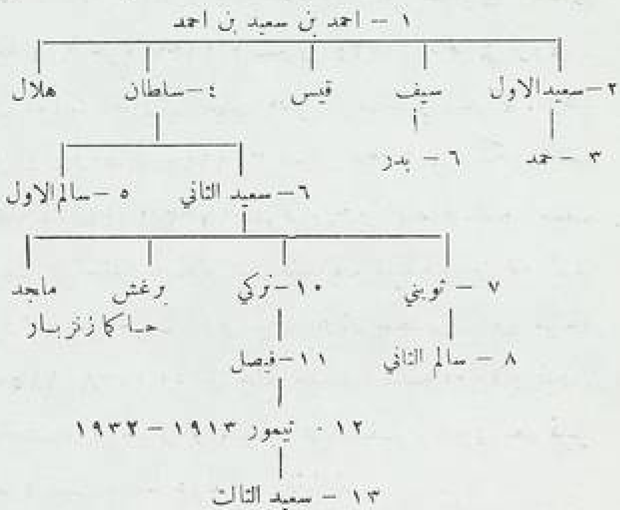
وثارت فتنة بين بلعرب وسيف ولدي سلطان . واستتب الامر آخر الأمر لسيف ابن سلطان (١٠٧٩/١٦٦٨ — ١١٢٣/١٧١١) الذي تابع سياسة أبيه . واحتل العمانيون جزيرة بمبا وميناء مومباسا في كينيا على ساحل افريقيا الشرقي[٧٨٢] . ودخل ابنه سلطان بن سيف (م ١١٣١/٨ ١٧) في نزاع مع الايرانيين فحرر البحرين واستولى على بعض الموانىء الايرانية[٧٨٣] . ونشبت فتنة اهلية في عمان اثر وفاته بين ولديه سيف ومهنا وكان الاول يافعا والثاني بالغا . وكان هوى العامة مع الاول وهوى العلماء والخاصة مع الثاني . وبويع مهنا فثار عليه ابن عمه يعرب بن بلعرب واسره وقتله . وحكم يعرب اول الامر باسم سيف بن سلطان ثم نادى بنفسه اماما اصيلا . وثار بلعرب بن ناصر دفاعا عن حق ابن اخته سيف واعاده اماما . وثار محمد بن ناصر الغافري العدناني واسر الامام ونودي به في ٦ محرم ١١٣٧/٢ تشرين ١٧٢٤ اماما في نزوي . وانتقض عليه خلف بن مبارك الهناوي اليماني فقتل الزعيمان في المعركة . وعاد الناس فبايعوا سيف في اول رمضان ١١٤٠/٢ نيسان ١٧٢٨ . ولكن الفتنة ظلت قائمة اذ بايع العلماء عام ١١٤٥/١٧٣٢ بلعرب بن حمير اماما فاستنجد سيف بنادر شاه . وندم سيف على استدعائه للايرانيين فتحالف ثانية مع ابن عمه الذي تنازل له عن الامامة وصمما على حرب الايرانيين . وثار سلطان بن مرشد وادعى الامامة عام ١١٥٠/١٧٣٨ ونادى بخلع سيف لاستنجاده بالايرانيين . واستغاث سيف بالايرانيين مرة اخرى واستولوا على مسقط . وتوفي بعد قليل كل من سيف وسلطان فانتهت بذلك دولة اليعاربة[٧٨٤] .

وبرز اثناء ذلك تاجر يدعى احمد بن سعيد كان مستشاراً للامام سيف وساهم في الدفاع عن صحار . وتزعم احمد حركة مقاومة الايرانيين وحرر مسقط فبويع اماماً عام ١١٥٤/١٧٤١ .

الائمة اليعاربة في عمان ١٠٣٤/١٦٢٥—١١٥٤/١٧٤١



سلاطين عمان من آل بوسعيد ١١٥٤/١٧٤١ الى يومنا هذا



تزعم التاجر احمد بن سعيد المقاومة ضد الايرانيين واخرجهم من البلاد فنودي به سلطانا (١١٥٤/١٧٤١ – ذي القعدة ١١٨٨/١٧٧٥) . وتم له في ٢٠ تشرين الثاني ١٧٤٤ تطهير ساحل عمان من الفلول الايرانية وابادة آخر من بقي منهم . وبنى السلطان الامام احمد اسطولا حربياً قوياً فطهر شواطىء ملبار من القراصنة وانجد البصرة ضد الايرانيين عام ١١٨٨/١٧٧٥ ولكن فشل احمد في القضاء على حكم اليعاربة في الحزم والنخل كما بقيت بلاد الظاهرة وواحة البريمي وساحل عمان الشمالي الغربي بيد بني غافر القيسيين العدنانيين (٧٨٥) .

وحدثت فتنة اواخر عهد احمد وبعد وفاته . فقد ثار عليه ولداه سيف وسلطان واحتلا بعض حصون مسقط فاستطاع احمد أن ينهي هذه الفتنة بصورة سلمية . وبايع الناس بعده ابنه سعيد (١١٨٨/١٧٧٥ – ١١٩٣/١٧٧٩) وفشلت محاولات لتنصيب هلال او قيس اخوي سعيد . وثار على سعيد ابنه حمد (م ١٢٠٦/١٧٩٢) الذي ابقى لابيه اسم الامامة . وخرج على حمد عمه سيف الذي فشلت ثورته ففر الى زنجبار . وتوفي حمد فحاول ابوه سعيد أن يستعيد السيطرة الفعلية الا ان اخاه سلطان بن احمد استولى على الحكم واستبد بالامر (٧٨٦) .

توصل سلطان بن احمد (١٢٠٧/١٧٩٢ – ١٢١٩/١٨٠٤) الى الحكم فوجد عمان بلداً مجزئا ومهدداً . فقد استقل امام عمان في داخلية البلاد جاعلا رستاق عاصمة له ، وانفصل بنو غافر في البريمي والظاهرة ، واستقر الجواسم في رأس الخيمة والسواحل القريبة . ولم يبق بيد سلطان مسقط سوى ساحل الباطنة . ولم يمض زمن قصير على ولاية سلطان حتى كان ابراهيم بن سليمان بن عفيصان قد استقر في البريمي لنشر الدعوة الوهابية . وفرض الوهابيون معاهدة ولاء على الجواسم عام ١٢١٤/١٧٩٩ وسيطروا على الزبارة . وفشلت محاولات سلطان بن أحمد لصدهم ولم يستطع الحصول على مساعدة شريف مكة . والحق

الوهابيون به هزيمة كبيرة وكادوا يحتلون مسقط نفسها لولا وصول انباء وفاة الامير عبد العزيز[٧٨٧] .

ولكن سلطان نجح في مشاريعه الخارجية. فقد احتل بندر عباس وهرمز وبعض الموانيء في مكران على الساحل الايراني . وعقد سلطان معاهدة مع بريطانيا عام ١٧٩٨/١٢١٣ تعهد بموجبها بعدم التعامل مع فرنسا والسماح باقامة وكالة بريطانية وحامية عسكرية في ميناء بندر عباس الايراني التابع لامام مسقط . ووصل مسقط في العام التالي مندوب بريطاني استطاع ان يقنعه بقبول ممثل بريطاني في مسقط . وعادت علاقات الامام بفرنسا ودية بعد جلاء الافرنسيين عن مصر عام ١٨٠٢[٧٨٨] .

وقتل سلطان في طريق عودته الى مسقط على يد الجواسم في ١٣ شعبان ١٢١٩/ ٣٠ تشرين الثاني ١٨٠٤ فنشبت فتنة بين ولديه سالم وسعيد وعمه سعيد الذي بقي اماماً رمزياً في رستاق . واستنجد ولداه بشاه ايران ضد الوهابيين ولكن الحملة الايرانية فشلت في ابعاد الخطر الوهابي . وسيطر على الامور بمساعدة الوهابيين بدر بن سيف الذي حكم باسم سعيد بن سلطان ، الا ان سعيداً اغتاله واستلم الحكم بنفسه عام ١٨٠٦/١٢٢١ . وفشلت محاولة عمه قيس بن احمد بن سعيد حاكم صحار للاستيلاء على الحكم[٧٨٩] .

حكم سعيد بن سلطان ساحل عمان قرابة نصف قرن (١٨٠٦/١٢٢١ — ١٨٥٦/١٢٧٢) . واستطاع في اوائل عهده ان يستعيد ممتلكاته الافريقية التي شغلته عن كثير من الامور الهامة في بلاده . وتعرض لخطر وهابي شديد فالحق به الوهابيون هزائم في الاعوام ١٨٠٩/١٢٢٤ و١٢٢٥ /١٨١٠ و ١٢٢٨ /١٨١٣ . واشترك في حلف مع الانجليز ضد رأس الخيمة في الاعوام ١٨٠٩/١٢٢٤ و ١٨١٦/١٢٣١ و ١٨١٩/١٢٣٤ فأدت هذه الحملات الى خضوع رأس الخيمة والمشيخات المجاورة للانجليز واجبارها على توقيع معاهدة ٢٠ شباط ١٨٢٠ . وعقد مع الانجليز عام ١٨٣٩/١٢٥٥ معاهدة تجارية كما وقع معهم في الاعوام

١٨٢٢/١٢٣٧ و ١٨٤٥/١٢٦١ اتفاقيات لمكافحة الاتجار بالرقيق . ومنح الانجليز عام ١٨٤٦/١٢٦٢ اعفاءات جمركية واسعة (٧٩٠) . وتوثقت علاقاته مع بريطانيا فأهداها جزر كوريا موريا عام ١٨٥٤/١٢٧٠ (٧٩١). ولكن بريطانيا لم تقدر له صداقته حينما وقفت موقفاً عدائياً لعمان ابان النزاع بين عمان وايران. فقد احتلت ايران المراكز العمانية في بندر عباس وساحل كرمان في نفس العام الذي تخلى فيه السلطان عن جزر كوريا موريا لبريطانيا. واستطاع السلطان ان يستعيد ممتلكاته الايرانية الا ان الشاه ارسل حملة ثانية فاحتلتها . وتدخلت بريطانيا لتمنع السلطان من استعادتها ولتفرض معاهدة ايرانية عمانية في شعبان ١٢٧٢ / نيسان ١٨٥٦ تخلى السلطان بموجبها عن ممتلكاته الايرانية (٧٩١) . وما لبث سعيد ان توفي حزيناً بعد نصف عام .

ونشبت فتنة بين اولاده ماجد وتركي وثويني . وتدخل الانجليز فقسموا الدولة بين ماجد وثويني عام ١٨٦١/١٢٧٧ . ونال ماجد الممتلكات الافريقية مقابل تعهده بدفع تعويض سنوي لسلطان مسقط . أما تركي فقد اعتصم في المناطق الجنوبية ورفض الاعتراف بسيادة اخيه الاكبر ثويني . وحكم ثويني البلاد عشر سنوات (١٨٥٦/١٢٧٢ - ١٨٦٦/١٢٨٣) مليئة بالاضطرابات . واستنجد ثويني بالوهابيين الذين انجدوه ولكن فرضوا عليه دفع اتاوة سنوية . وكثر عليه الثوار فانجده الانجليز وامدوه بالمدافع والعتاد وشجعوه على غزو البريمي . وكافأ ثويني الانجليز بمنحهم حقوق مد خطوط تلغرافية . وفشل ثويني في الاستفادة من الاتفاقية البريطانية الافرنسية الموقعة عام ١٨٦٢/١٢٧٨ ، والتي اعترف فيها الطرفان باستقلال سلطنتي مسقط وزنجبار (٧٩٢) .

وانتهت حياة ثويني نهاية مفجعة . فقد تآمر ضده ابنه سالم ١٨٦٦/١٢٩٣ - ١٨٦٩/١٢٨٧) واغتاله واعتقل تركي بن سعيد . واعترفت بريطانيا بسلطنة سالم ولكن اهل عمان لم يعترفوا به وثاروا عليه بزعامة عزان بن قيس . كذلك افلت تركي من سجنه واحتل صحار وكاد ان يدخل مسقط لولا تدخل الانكليز

الذين اعتقلوه ونفوه الى الهند[٧٩٣] . وكثرت الثورات على سالم ففر الى الرياض طالباً المساعدة الوهابية بعد ان تخلى عنه الانجليز . وبايع أهل عمان عزان بن قيس (١٢٨٧/١٨٦٩ - ١٢٨٨/١٨٧١) اماما . واحتل عزان واحة البريمي بالاشتراك مع حاكم أبي ظبي وشيخ بني عامر . واختلف عزان مع حلفائه الذين هزموه[٧٩٤] . وعاد اثناء ذلك تركي بن سعيد من الهند فتغلب على عزان وقتله واعلن نفسه سلطاناً (١٢٨٨/١٨٧١–١٣٠٥/١٨٨٨) . اما البريمي فقد احتلها حاكم الشارقة واعادها للوهابيين[٧٩٥] . وازداد النفوذ البريطاني في عهد تركي وابنه فيصل (١٣٠٥/١٨٨٨–١٣٣١/١٩١٣) . فقد عقد تركي معاهدة مع بريطانيا لمكافحة تجارة الرقيق عام ١٢٩٠/١٨٧٣ ، واعترف بالقنصل البريطاني قاضيا يفصل في الخصومات بين الرعايا البريطانين كما سمح للقنصل بحرس بريطاني[٧٩٦] . وتعهد تركي عام ١٣٠٨/١٨٩١ بألا يتنازل عن أي جزء من ممتلكاته وألا يفرض قيوداً على التجارة إلا بموافقة بريطانيا[٧٩٧] . ومع ذلك لم يقدم الانجليز له اية مساعدة عندما ثارت عليه القبائل عام ١٣١٠/١٨٩٥ ولم يتدخلوا الا بعد نجاحه في اخماد الثورة اذ قدمت له حكومة الهند كمية من الاسلحة والذخيرة[٧٩٨] . ولكن تدخل الانجليز بعنف عندما رأوا في السلطان فيصل ميلا نحو الافرنسيين . وكان تركي قد سمح للافرنسيين بفتح قنصلية عام ١٢٩٨/١٨٨١ واعطى مثل هذا الحق للولايات المتحدة[٧٩٩] . وازداد فيصل تقربا من الافرنسيين فمنحهم حق اقامة مركز تموين للفحم . وارسلت بريطانيا انذارا شديداً الى فيصل بالغاء الامتياز في التاسع من شباط ١٨٩٩ (شوال ١٣١٦) فاضطر الى قبوله في السادس عشر منه[٨٠٠] .

وخلف فيصل ابنه تيمور (١٣٣١/١٩١٣ - ١٣٥٠/١٩٣١) الذي حكم البلاد ثمانية عشر عاماً ثم تنازل عن السلطنة لابنه السلطان الحالي سعيد بن تيمور وذهب الى الهند ليعيش فيها عيشة هادئة[٨٠١] . وشغل تيمور وابنه سعيد بنزاع شديد مع سكان الداخل . فقد ثار سكان داخلية عمان وانتخبوا سالم بن راشد الخروصي اماما

(١٣٣١/١٩١٣ - ١٣٣٨/١٩٢٠)[٨٠٢] . وسيطر سالم على اكثر عمان باستثناء مسقط وبعض الموانىء التي اعلنت بريطانيا حمايتها لها منذ عام ١٣١٣/١٨٩٥ . واضطر السلطان تيمور الى توقيع معاهدة السيب مع الامام الجديد محمد بن عبد الله الخليلي (م ١٣٧٣/١٩٥٤) في عام ١٣٣٩/١٩٢٠ اعترف بموجبها باستقلال عمان . ووقع المعاهدة نيابة عن السلطان القنصل البريطاني وينجت كما وقعها الشيخ عيسى بن صالح الحارثي امير الجبل الاخضر نيابة عن الامام[٨٠٣]. ونقض السلطان هذه المعاهدة بعد وفاة الامام الخليلي وتولية الامام غالب بن علي بن هلال (آخر شعبان ١٣٧٣/١٩٥٤ -) وارسل حملة عسكرية بقيادة ضابط بريطاني فاحتلت نزوى عاصمة امام عمان في شباط ١٩٥٥ فلجأ الامام الى الجبل الاخضر ولكنه اضطر الى مغادرة عمان الى العربية السعودية عام ١٩٥٨[٨٠٤].

زنجبار

وهي جزيرة صغيرة تقع قرب ساحل تنجانيقا ومساحتها ١٦٢٠٠ كيلو متراً مربعاً وسكانها قرابة ثلث مليون . سكنها عرب مهاجرون من مناطق الخليج العربي اسسوا مدينة كلوا . وخضعت عام ٩٠٩/١٥٠٣ للبرتغاليين ثم حررها امام مسقط سيف بن سلطان عام ١١٤٤/١٧٣٢ . وارسل الامام حملة بحرية احتلت مومباسا وزنجبار وبمبا وربطتها بعمان . وتمتع حكام هذه المناطق باستقلال ذاتي كبير . وحاول حاكم مومباسا احمد بن محمد (م ١٢٢٩/١٨١٤) وابنه عبد الله (م ١٢٣٨/١٨٢٣) الانفصال نهائياً عن عمان . وانتقل الحكم الى سليمان بن علي (١٢٣٨/١٨٢٣ - ١٢٤٢/١٨٢٦) الذي طلب مساعدة الحاكم البريطاني في بومباي ورفع العلم البريطاني على مومباسا ليحمي نفسه من اسطول مسقط . وثار عليه سالم بن احمد واستعاد امائلته حكم مومباسا . وصد سالم حملتين في عامي ١٢٤٥/١٨٢٩ و ١٢٤٨/١٨٣٢ . واضطر الإمام الى الاعتراف بسالم حاكماً وراثياً على مومباسا مقابل اعتراف سالم بسيادة الامام . وتوفي سالم عام

١٨٣٥/١٢٥١ فخلفه ابنه رشيد الذي ثار في العام التالي لولايته . واستطاع خالد بن الامام سعيد ان يقضي بخدعة على العائلة الحاكمة في بومباسا . وغدت زنجبار أثناء ذلك قاعدة للحملات العمانية حيث قضى الامام السلطان سعيد وقتا طويلا وبنى قصراً ودفن فيها [٨٠٥] . واستقلت زنجبار عن مسقط بعد وفاة السلطان سعيد عام ١٨٥٦/١٢٧٢ . واعترف سلطان مسقط والحكومة البريطانية بماجد بن سعيد سلطانا مستقلا في زنجبار عام ١٨٦١/١٢٧٧ وتعهدت فرنسا وانجلترا في العام التالي باحترام استقلاله . وتوفي ماجد عام ١٨٧٠/١٢٨٧ فخلفه اخوه برغش بن سعيد (١٢٨٧ / ١٨٧٠ - ١٨٩٣/١٣١١) [٨٠٦] .

ولم تحترم الحكومة البريطانية معاهدة ١٨٦٢/١٢٧٨ بل اغتنمت كل فرصة للحد من استقلال سلطان زنجبار . فقد تعهدت عام ١٨٧٣/١٢٩٠ بأن تدفع لسلطان مسقط التعويض السنوي الذي تعهد ماجد بدفعه مقابل تعهد السلطان برغش بوقف تجارة الرقيق . واقتسمت انكلترا وفرنسا والمانيا ممتلكات سلطان زنجبار على الارض الافريقية (١٨٨٥/١٣٠٣ – ١٨٩٣/١٣١١) . وشددت بريطانيا قبضتها على البلاد واعادت تنظيم اداراتها واجبرت السلطان السيد علي على التنازل عن العرش عام ١٩١١/١٣٢٩ ، واجبرت خلفه خليفة بن حروب على تأسيس مجلس استشاري ومجالس تنفيذية وتشريعية في عامي ١٩٢٥/١٣٤٤ – ١٩٢٦ [٨٠٧] .

ساحل عمان او الشمالي او الساحل المهادن

تطلق هذه الاسماء على ذلك الجزء من ساحل الجزيرة العربية على الخليج العربي الممتد من عمان الى قطر والبالغ طوله ٤٠٠ ميل/ ٦٤٤ كم . وتبلغ مساحة المنطقة هذه قرابة ثلاثين الف ميل مربع/٤٨٠٠٠ كم ، يسكنها ما لا يزيد عن مائة الف نسمة . وتنقسم المنطقة الى عدد من الوحدات السياسية التي يتراوح عددها من سبعة الى اثنتي عشرة وحدة .

. وتعتبر مشيخة **الشارقة** اهم هذه الامارات واقدمها بالرغم من انها لا تشغل اكثر من عشرة اميال/١٦ كم من الساحل ولا يزيد عدد سكانها على عشر سكان المنطقة . الا ان اكثر المشيخات الاخرى كانت في وقت من الاوقات جزءاً من مشيخة الشارقة . وسيطرت العائلة الحاكمة في الشارقة قبل قرن من الزمن على اكثر الساحل ووقفت على قدم المساواة في معاملاتها مع سلطان مسقط والامير الوهابي . وامتد سلطانها الى الاراضي الايرانية وسيطرت على الملاحة في الخليج العربي . وامتلك القواسم (العائلة الحاكمة في الشارقة) اوائل القرن التاسع عشر اسطولا كبيراً ضم ثلاثا وستين سفينة كبيرة وثمانمائة سفينة صغيرة. وعمل في الاسطول قرابة عشرين الف ملاح ، اي اكثر من ضعف سكان الشارقة في الوقت الحالي [٨٠٨] .

اغتنم القواسم فرصة الفوضى التي عمت ايران اثر اغتيال نادر شاه فسيطروا على عدد من المواقع على الساحل الايراني . واستطاع كريم خان الزندي ان يخرجهم من ايران ولكنهم عادوا بعد وفاة كريم خان. وتزعمهم اذ ذاك الشيخ رشيد القاسمي (١١٧١/١٧٥٨ - ١١٩١/١٧٧٧) الذي تنازل عن الحكم لابنه صقر القاسمي (١١٩١/١٧٧٧ - ١٢١٨/١٨٠٣) الذي قام نشاط بحري كبير في مياه الخليج [٨٠٩]. وخلفه بعد وفاته ابنه سلطان (١٢١٨/١٨٠٣-١٢٧٢/١٨٥٦). واصطدم سلطان بثلاثة اعداء اقوياء هم بريطانيا والوهابيين وسلطان عمان . وكان سلطان كفؤاً للاخير ولكنه خسر جولاته مع العدوين الاولين . فقد انتصر على سلطان عمان في خورفكان وتوغل في المناطق الاباضية عام ١٢٢٣/١٨٠٨ مؤسسا لاولاده امارات جديدة ، فاعطى ابنه ماجد كلبا وابنه احمد دبا . واتخذ سلطان ميناء الشارقة عاصمة له وجعل عمه حسن بن رحمة نائباً في رأس الخيمة [٨١٠] . ولكن ما لبث سلطان ان واجهته هزيمة على يد الوهابيين ، انتهت باسره ونفيه الى الدرعية . وولى الوهابيون ابن عمه حسين بن علي حاكما وهابياً . وفر سلطان من الدرعية ولجأ الى سلطان مسقط [٨١١] .

واغتنم سلطان مسقط الفرصة للانتقام بمساعدة الاسطول البريطاني. واعدت حملة بحرية بريطانية في رجب ١٢٢٤/ايلول ١٨٠٧ انضم اليها سلطان مسقط وقصد الجميع رأس الخيمة فوصلوها في رمضان /١١ تشرين الثاني . وقصف الاسطول رأس الخيمة ثلاثة ايام ثم انزل قوة الى الشاطيء فاحتلت المدينة ودمرتها واغرقت سفن القواسم واسرت حسن بن رحمة ثم تراجعت لوصول انباء عن حركات قوة وهابية كبيرة بقيادة مطلق المطيري . وفشلت محاولة اعادة سلطان الى رأس الخيمة ولكنه اعيد الى الشارقة (٨١٢).

واستعاد القواسم قوتهم بعد فترة قصيرة. فقد تم لهم عام ١٢٢٨/١٨١٣ بناء اسطول جديد تمكن من فرض سيطرته على الملاحة في الخليج . واغتنم شيخ الشارقة فرصة مقتل العامل الوهابي مطلق المطيري فاحتل واحة البريمي ولكن اخرجه الوهابيون منها (٨١٣) . وقاد سلطان عمان حملات فاشلة ضد رأس الخيمة خلال الفترة ١٢٢٨/١٨١٢ - ١٢٣١/١٨١٦ مستعيناً بالانجليز في حملته الاخيرة (٨١٤) واخيراً اعدت حملة بريطانية كبيرة انضم اليها سلطان مسقط واحتلت رأس الخيمة في ٢٣ صفر ١٢٣٥/٩ كانون الاول ١٨١٩ واحرقت اسطول القواسم. واجبر حسن بن رحمة شيخ رأس الخيمة والشيخ شخبوط حاكم دبي والشيخ سلطان على توقيع معاهدة في ٢٥ ربيع اول ١٢٣٥/٨ كانون الثاني ١٨٢٠ . ووقعها معه شيوخ الساحل وشيخ البحرين وتعهدوا بموجبها بوقف نشاطهم البحري وقضي بذلك على قوة العرب البحرية في مياه الخليج (٨١٥).

ولكن المعاهدة لم تتعرض للنشاط البري ولم تضع حداً للقتال البري بين الشيوخ . وتدخل سلطان في النزاع بين دبي وابي ظبي في ربيع اول ١٢٥٤ ايار /١٨٣٨ مؤيداً الاول، كما تدخل في العام التالي في النزاع الناشب بين دبي وام القيوين . ولما حاول شيخ دبي اثارة الفتنة في الشارقة محرضاً صقراً على الثورة ضد ابيه سلطان تمكن سلطان من اخماد الفتنة ففر صقر لاجئاً الى دبي . وتحالف سلطان مع شيخ ابي ظبي للقضاء على مشيخة دبي ولكن شيخ ابي ظبي

اشترى رضاء سلطان بمائتين وخمسين جنيها فانهار الحلف . وتدخل سلطان بعد عامين لنجدة دبي ضد غزوة قام بها شيخ ابي ظبي . واشترك في حلف عام١٢٦٣/ ١٨٤٩ لاخراج شيخ ابي ظبي من البريمي كما ايد حركة معادية ضد ابي ظبي قامت في دبي . وكانت اهم اعمال الشيخ سلطان هي اجباره سلطان مسقط على الاعتراف باستقلاله وتخطيط الحدود بين الدولتين . واخيرا توفي سلطان بعدحكم طويل دام نصف قرن فتجزأت امارته بعده (٨١٦) .

خلف صقر اباه سلطان في الشارقة . ولكنه لم يستطع فرض سيطرته على كافة اجزاء امارة ابيه التي تفتت الى مشيخات عديدة . فتم انفصال ام القيوين (ام الغواني) التي بدأت محاولاتها للانفصال عام ١٢٣٥/١٨٢٠ . كذلك انفصل العجمان والفجيرة . واستقل احد اخوان صقر بمقاطعة كلبا واستقل آخر في دبا وانفصل احد اقاربه في رأس الخيمة . ووجد صقر نفسه لا يسيطر الا على جزء صغير فحاول استرجاع ما فقده ولكنه قتل وهو يحاول اخضاع ام القيوين (٨١٧) .

ولم تستقر الامور بعد وفاته . فقد خلفه اخوه عبد الله بن سلطان ثم ابنه محمد بن صقر بن سلطان . وتمكن خالد بن سلطان من عزل ابن اخيه محمد والاستيلاء على الحكم . وحالف خالد الوهابين ضد سلطان مسقط واضطره الى اعادة تخطيط الحدود لصالح الشارقة (٨١٨) . وخلفه بعد وفاته عام١٢٨٥/١٨٦٨ اخوه ابراهيم لمدة عام واحد ثم استولى على الحكم الاخ الآخر سالم . وحاول الامير تركي بن احمد السديري حاكم الاحساء الوهابي ان يعيد الحكم الى اولاد خالد ولكنه هزم وجرح ومات ، الا ان سالم تنازل لابن اخيه صقر بن خالد . وتمكن عمه سالم واولاده في عهده من الاستقلال بحكم رأس الخيمة (٨٢٩) . وتولى الحكم بعد صقر المدعو خالد بن احمد الذي حكم حكماً استبدادياً فلجأ اقاربه واولاد الشيخ صقر الى دبي . واخيراً هاجم اولاد صقر الشارقة وحاصروها وعزلوا خالهم خالد واعلنوا احدهم سلطان بن صقر حاكما عام

١٩٢٤/١٣٤٣ . وحكم سلطان حتى مرضه عام ١٩٥١/١٣٧٠ فسلم الحكم الى اخيه محمد بن صقر وتوفي مريضاً في لندن في ١٩٥٢/١٣٧١ . ودام حكم محمد بن صقر اثني عشر يوماً بعد وفاة اخيه ثم تنازل عنه لابن اخيه صقر بن سلطان الحاكم الحالي . وفي عهد الحاكم الحالي ضمت كلبا وخورفكان ثانية الى الشارقة (٨٢٠) .

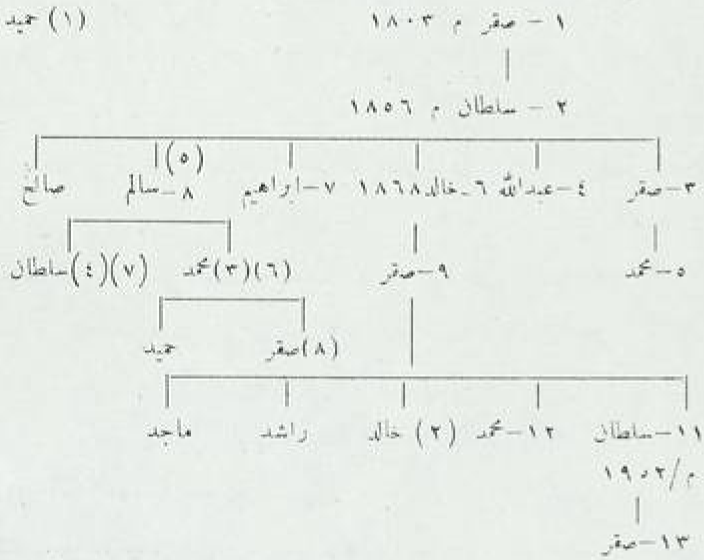
وكانت **كلبا** في السابق جزءاً من الشارقة ثم استقل بها احد اولاد سلطان ابن صقر. واعترفت بها بريطانيا وحدة سياسية مستقلة محمية عام ١٩٣٧/١٣٥٦. واغتيل شيخها عام ١٩٤٧/١٣٦٦ فحكمها كوصي خالد بن حمد حاكم الشارقة المعزول نيابة عن القاصر عليّ ابن الشيخ المقتول . وحاول احد افراد الاسرة الحاكمة في رأس الخيمة الاستيلاء على الحكم في كلبا ونجح في ذلك عام ١٣٨٠/ ١٩٥١ ولكنه اخرج وضمت المقاطعة الى الشارقة (٨٢١) .

وكانت الشارقة مركزاً للممثل البريطاني الرئيسي في المنطقة حتى عام ١٩٥٤/١٣٧٤ ولكن مركزه نقل بعد ذلك الى دبي وانشأت بريطانيا في الشارقة مطاراً عسكرياً مدنياً وجعلتها عام ١٩٥١/١٣٧٠ مركز قوة دفاع ساحل عمان (٨٢٢) .

ولم يتم انفصال **رأس الخيمة** عن الشارقة الا في عهد صقر بن خالد عام ١٣٣٨/ ١٩١٩. وكان صقر قد ولى حميد بن عبد الله ثم ابنه خالد عمالا على رأس الخيمة. وتوفي خالد بن صقر حدثا واسند الحكم الى محمد ثم الى سلطان ولدي سالم الحاكم السابق للشارقة . ولكن سلطان اساء الى الشيخ صقر بقتله صهر صقر .ونشبت فتنة اثر ذلك ادت الى اعلان سالم والد سلطان استقلاله في رأس الخيمة عام ١٩١٢/١٣٣٠. وخلف سالم ابنه محمد الذي تنازل لاخيه سلطان. ولكن اولاد محمد لم يعترفوا بولاية عمهم سلطان بل ثاروا عليه وخلعوه ونصبوا صقر بن محمد حاكما عام ١٩٤٨/١٣٦٧ ومازال الحاكمان السابقان محمد وسلطان احياء .(٨٢٣)

العائلة الحاكمة في الشارقة ورأس الخيمة

الارقام بين قوسين تشير الى حكام رأس الخيمة والاخرى الى حكام الشارقة



١٠ - خالد بن احمد

وتعتبر مشيخة ابي ظبي اهم المشيخات بعد الشارقة . وكانت دبي جزءاً منها الا انها انفصلت بعد وفاة الشيخ طحنون بمساعدة شيخ الشارقة سلطان بن صقر القاسمي واعلن مكتوم بن بطي شيخا عليها [٨٢٤]. وقام حاكم ابي ظبي خليفة بن شخبوط في الاعوام ١٨٣٨/١٢٥٤ - ١٨٤٠ بمحاولة لضم واحة البريمي فصد عنها . وعاود الكرة الشيخ سعيد بن طحنون عام ١٨٤٨/١٢٦٤ فاخرجته منها قوة وهابية . وقام شيوخ ابي ظبي بمحاولات عديدة فاشلة لاعادة فرض حكمهم على دبي في عامي ١٨٤٠/١٢٥٥ - ١٨٤١ . ويحكم اباظبي الان الشيخ شخبوط بن سلطان الذي وصل الى الحكم بعد اغتيال عمه ١٩٢٨/١٣٤٧ . [٨٢٤]

وانفصلت دبي عن ابي ظبي بزعامة مكتوم بن بطي الذي اعترفت بريطانيا

باستقلاله . واخرج مكتوم الحكام السابقين من آل بو فلاح من بني ياس اقارب حكام أبي ظبي (٨٢٥) . ولم تعرف دبي الاستقرار خلال القرن الماضي . فقد دخلت في نزاعات مستمرة مع ام القيوين والشارقة وابي ظبي . وحكم دبي اوائل هذا القرن سعيد بن مكتوم (١٩٠٥/١٣٥٣ — ١٩٥١/١٣٧٠) ثم خلفه ابنه الحاكم الحالي رشيد بن سعيد . وحاول مانع بن راشد بن مكتوم نائب الشيخ سعيد ان يقوم ببعض الاصلاحات وافتتح فيها مدرستين ابتدائيتين فلم يرض الشيخ سعيد عن اعماله . ولجأ مانع الى الشارقة ودبي وحوصرت دبي فتدخلت بريطانيا وعقد صلح . واستخدمت بريطانيا القوة ضد دبي عام ١٩٥٥/١٣٨٥ لارغام شيخها على اجلاء عمه راشد بن سعيد لأنه لم يسمح بتقديم التحية اللائقة بالممثل البريطاني الذي كان قد جعل دبي مركزاً له في العام السابق (٨٢٦).

والمشيخات الاخرى على طول هذا الساحل قليلة الاهمية . فمشيخة **أم القيوين او أم الغواني** صغيرة المساحة قليلة السكان لا يزيد تعدادهم على ثلاثة آلاف يعيشون في واحة داخلية ومدينة ساحلية ، ويحكمها منذ عام ١٩٢٩/١٣٤٨ الشيخ احمد بن راشد آل معلي الذي خلف عمه المقتول . وتشبهها مشيخة **العجمان** من حيث المساحة وعدد السكان ويحكمها راشد بن حميد النعيمي الذي خلف اباه عام ١٩٢٨/١٣٤١ وكانت في القرن الماضي جزءاً من الشارقة (٨٢٨). اما **الفجيرة** فتقع بين كلبا وخور فكان وعدد سكانها مماثل لعدد سكان المشيختين السابقتين . ولم تعترف بريطانيا باستقلال هذه المشيخة الا في عهد شيخها الحالي الذي خلف والده في جمادي الثاني ١٣٧١/اذار ١٩٥٢ ، وكان الاسطول البريطاني قد قصفها في عهد والد الشيخ الحالي (٨٢٨).

وتعتبر **البريمي** اهم المقاطعات الثلاث الاخرى وهي ذائد وهفيت والبريمي . اما **ذائد** فهي منطقة محايدة بين الشارقة وكلبا ، وتقع **الهفيت** قرب واحة البريمي (٨٣٠) . وتقع واحة البريمي شرقي مشيخة ابي ظبي وعلى بعد مائة ميل ١٦٠ كم عن الساحل وتضم الواحة ثمانية قرى يدعي سلطان مسقط ملكية اثنتين

وتدعى ابى ظبي ملكية ستة . وخضعت الواحة للوهابيين اوائل القرن التاسع عشر وتمركز فيها مطلق المطيري الذي فرض على سلطان مسقط دفع اتاوة سنوية . ونكث سلطان مسقط بعهده فهزمه مطلق ، الا ان مطلق اغتيل في طريق عودته الى قاعدته عام ١٨١٣/١٢٢٨ فخلفه في القيادة ابنه بتال ثم عبد الله بن مزروع . ولما قضى ابراهيم باشا على الدولة الوهابية الاولى عام ١٨١٨/١٢٣٣ واحتل الدرعية لجأ بتال الى مسقط بينما لجأ عدد كبير من زعماء الوهابيين الى رأس الخيمة . واغتنم امير الشارقة (صاحب رأس الخيمة) الفرصة فاحتل البريمي ولكن اخرجه منها عمر بن عفيصان الوهابي . وتوالى على حكمها من الوهابيين عمر بن عفيصان ثم عبد الله بن مسعود القويعي ثم سعد بن محمد معيقل . واخيراً حكمها سعد بن مطلق المطيري عام ١٨٣٦/١٢٥٢ بعد ان انتقم من قتلة ابيه . وحاول حاكم ابي ظبي بعد سنتين احتلالها فاخرجته منها قبائل النعيم . وعاد اليها سعد بن مطلق حاكما عام ١٨٤٠/١٢٥٦ واجبر سلطان مسقط على دفع اتاوة له عام ١٨٤٥/١٢٦١ . وهاجمها بعد ثلاثة اعوام حاكم ابي ظبي فلجأ سعد الى دبي ونال مساعدة شيخي دبي والشارقة ضد شيخ ابي ظبي . وزارها الامير عبد الله الفيصل السعودي عام ١٨٥٣/١٢٧٠ برفقة احمد السديري امير الاحساء ونظم الحكم الوهابي فيها [١٨٣] . واكد الملك عبد العزيز سيادته على الواحة عام ١٩٢٥/١٣٤٣ حينما اوفد سعيد آل فيصل لتفقد احوالها . وتنبهت بريطانيا الى الواحة عام ١٩٤٩/١٣٦٨ حينما وصلتها فرقة تنقيبية تابعة لشركة الزيت العربية الامريكية (ارامكو) . وعقد مؤتمر في لندن عام ١٩٥١/١٣٧٠ وآخر في الدمام في العام التالي لبحث موضوع السيادة على البريمي . وارسل الملك عبد العزيز قوة صغيرة بقيادة تركي بن عطيشان تمركزت في الواحة عام ١٩٥٢/١٣٧١ . واتفقت بريطانيا والسعودية على طرح المسألة على التحكيم في ٧ صفر ١٣٧٢/ ٢٦ تشرين اول ١٩٥٢ . كذلك وقعت اتفاقية تحكيم جديدة بعد عامين . ولكن السلطات البريطانية ايدت ارسال قوة من مسقط وقوات ساحل

عمان تؤيدها الطائرت فاحتلت الواحة واجبرت القوات السعودية على الجلاء[٨٣٢].
وتسيطر بريطانيا الآن سيطرة تامة على هذا الساحل الممزق . فلم تكتف بمعاهدة ١٢٣٥/١٨٢٠ التي جددت سنويا بل فرضت عام ١٢٥٩/١٨٤٣ معاهدة مدتها عشر سنوات ثم جعلتها عام ١٢٧٠/١٨٥٣ معاهدة دائمية ابدية تعهد بموجبها شيوخ الشارقة ودبي والعجمان وام القيوين وابي ظبي بوقف الأعمال الحربية بحراً . واتبعتها عام ١٣١٠/١٨٩٢ بمعاهدة اعطت بريطانيا وضعاً خاصاً وحرمت على الشيوخ التصرف بأرضهم ومنح امتيازات او قواعد بدون موافقة بريطانيا[٨٣٣] . ولم تمنحهم بريطانيا مقابل ذلك اية حماية ضد الغزو البري بل تركتهم يحارب بعضهم بعضاً ويقفون وحدهم امام الخطر الوهابي . ومنحت بريطانيا نفسها حق القيام بأعمال قرصنة سياسية ضد هذه المشيخيات . فنراها تهدد وتقصف راس الخيمة اكثر من مرة . وتابعت بريطانيا هذه السياسة حتى في السنين الاخيرة . فقد قصفت الفجيرة عام ١٣٧١/١٩٥٢ وحاصرت دبي عام ١٣٧٤/١٩٥٥ ولكن وقفت على الحياد عندما نشب القتال بين دبي وابي ظبي عام ١٣٦٧/١٩٤٨[٨٣٤] . وكانت المحميات هذه تابعة لحكومة الهند البريطانية ، فلما استقلت الهند ربطت المحميات في جمادي ١٣٦٦/ اول نيسان ١٩٤٧ بوزارة المستعمرات في لندن[٨٣٥] . واقامت بريطانيا وكالات سياسية في دبي والدوحة وابي ظبي بينما اقام الممثل الرئيسي في الشارقة ثم نقل مقره الى دبي[٨٣٦] . ونظمت بريطانيا مؤتمراً سنوياً للشيوخ فاجتمع المؤتمر الأول المنعقد في صفر ١٣٦٤/ شباط ١٩٤٥ في البريمي برئاسة المندوب البريطاني . وشكلت بريطانيا عام ١٣٧٠/١٩٥١ قوة محلية بقيادة بريطانية جاوز عدد افرادها الالف واستخدمتهم في عملية احتلال البريمي . ولعل هذه المنطقة هي من المناطق القليلة في العالم التي تستطيع فيها دولة كبيرة متمدنة أن تقوم بأعمال قرصنة دون ان يعلم الرأي العام العالمي ليفرض على هذه الدولة وجوب اتباع خطط اكثر انسانية[٨٣٧] .

المناطق الساحلية الجنوبية

حضرموت :

تشمل حضرموت أكثر ساحل الجزيرة العربية الجنوبي . وتقع على بعد خمس عشرة درجة عرض شمالي خط الاستواء وخمسين درجة طول شرقي جرينتش . وتبلغ مساحة حضرموت عشرة آلاف ميل مربع (١٢٧٥٢ كم٢)(٨٣٨) .

بدأ القرن العاشر / السادس عشر وحضرموت خاضعة لحكم الدولة الكثيرية . وكان بنو كثير قد برزوا في القرن السابع هجري / الثالث عشر وتوصلوا الى الملك بعد قرن ثم دالت دولتهم اواخر القرن التاسع / الخامس عشر(٨٣٩) وأعاد جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر الكثيري (٩٠١/١٤٩٦ - ٩٠٥/١٤٩٩) تأسيس الدولة الكثيرية فخلفه ابنه عبد الله لمدة خمسة سنوات ثم تلاه محمد بن عبد الله الذي لم يستطع المحافظة على الدولة الناشئة فغدت مهددة بالزوال(٨٤٠) . ولكن برز اذ ذاك في شبام بدر اخو محمد محاولا صيانة ملك بني كثير . فقصد امام اليمن الزيدي اواخر ٩٢٥/١٥١٩ مستنجداً فأمده الامام بقبيلة يافع فاحتل بمساعدتها الشحر وشبام وتريم واكثر حضرموت(٨٤١) . وعارضه في حكمه اخوه محمد بن عبد الله وابن عمه محمد بن بدر بن محمد الكثيري الذي كان والده حاكما على شبام حتى وفاته عام ٩١٥/١٥٠٩ . وبادر بدر الى القاء القبض على اخيه وابن عمه فتوفي الثاني في السجن في رمضان ٩٤٩/١٥٤٣ واخلي سبيل الاول عام ٩٥١/١٥٤٤ فسافر الى الحجاز(٨٤٢) .

وتعرضت حضرموت عام ٩٤٥/١٥٣٨ للحملة العثمانية التي ارسلها السلطان سليمان القانوني لحرب البرتغاليين فقضت على الدولة الطاهرية في عدن واخضعت

الامام الزيدي في اليمن . وحصن بدر سواحله وبلاده وصد الجيش العثماني الزاحف ، فارتد العثمانيون الى زبيد . وحوصر العثمانيون في زبيد من قبل الثوار الزيديين الذين كادوا أن يفتكوا بهم ، فخشي بدر الكثيري ان يؤدي ذلك الى ازدياد الخطر البرتغالي فأرسل عام ١٥٤٦/٩٥٣ نجدة الى العثمانيين مكنتهم من الحاق هزيمة بالزيديين واخضاع اليمن وعدن . واعترف بدر عام ١٥٦٢/٩٧٠ بالسيادة العثمانية وارسل الى السلطان العثماني هدايا وبعض الاسرى الافرنج (٨٤٣) . ولم يرض عن ذلك عبد الله بن بدر فتآمر على ابيه واعتقله وخلعه في صفر ١٥٦٨/٩٧٦ . وتقبل بدر عمل ابنه بروح طيبة وتوفي في العام التالي لخلعه (٨٤٤) .

ولم يحدث في عهد عبد الله بن بدر (١٥٦٨/٩٧٦ – ١٥٧٦/٩٨٤) وعهد ابنه جعفر بن عبد الله (قتل ١٥٨٢/٩٩٠) ما يستحق الذكر . وقام بالأمر بعدهما السلطان عمر بن بدر العادل (م ١٦١٢/١٠٢١) الذي امتاز عهده بالاستقرار والانتعاش . وتنازل السلطان عبد الله بن عمر بن بدر عن الملك عام ١٦١٥/١٠٢٤ وتوفي متعبداً مجاوراً في مكة عام ١٦٣٥/١٠٤٥ وخلفه ابنه بدر(١٦١٥/١٠٢٤ – ١٦٥٩/١٠٦٩)(٨٤٥). وتآمر على بدر عمه بدر بن عمر مستعيناً بالامام الزيدي المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم (١٦٤٥/١٠٥٥ – ١٦٧٦/١٠٨٧) . فبادر السلطان الى اعتقاله . ورفض السلطان طلب الامام باخلاء سبيل بدر بن عمر فأرسل الامام في صفر ١٦٥٤/١٠٦٥ جيشاً مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل بقيادة ابن اخيه أحمد بن الحسن الصفي المشهور بسيل الليل الذي هزم قوات حضرموت ونصب بدر بن عمر حاكما على ظفار واجبر السلطان بدر بن عبد الله على الخضوع للامام . واغتنم بدر فرصة انسحاب القوات الزيدية فهاجم عمه في ظفار عام ١٦٥٧/١٠٦٨ ففر بدر بن عمر لاجئاً الى الامام . وارسل الامام جيشاً جديداً استولى على حضرموت واعتقل السلطان

بدر بن عبد الله وارسله الى صنعاء ونصب بدر بن عمر سلطاناً يحكمها بالنيابة عن الامام. وخلفه في الحكم عام ١٠٧٣/١٦٦٢ ابنه السلطان عمر بن بدر ثم ابنه الآخر عيسى بن بدر (م ١٠٨١/١٦٧٠) فحسن بن عبد الله بن عمر (م ١٠٩٣/ ١٦٨٢) [٨٤٦].

وضعف نفوذ الامام في حضرموت وشغل الامام عن ذلك بالفتن الكثيرة التي نشبت في اليمن. فثار اهل ظفار عام ١٠٧٩/١٦٦٨ وطردوا عامل الامام واظهروا الطاعة للسلطان عيسى بن بدر الكثيري الذي بقي والياً للامام. ولكن لما ازدادت الفتن في اليمن وبان عجز الامام اعلن السلطان حسن بن عبد الله بن عمر استقلاله واخر ١٠٩٣/١٦٨٢ وتوفي في العام نفسه. [٨٤٧] وخلفه السلطان علي بن بدر (م ١١٠٧/ ١٦٩٥) ثم عيسى بن بدر الذي اهمل شئون الدولة وسلمها الى اليوافع. فثار بنو كثير بزعامة عمر بن جعفر الكثيري الذي استنجد عام ١١١٧/١٧٠٥ بامام اليمن واستولى على الشحر ولكن يافعاً اخرجته منها ثانية فلجأ الى اليمن. وفشلت محاولة يمانية ثانية عام ١١٢٩/ ١٧١٧ لاحتلال حضرموت وتوفي السلطان عمر منفيا. وسيطر اليوافع على اكثر حضرموت وحاربوا المذهب الزيدي فيها ومنعوا انتشاره [٨٤٨].

وبرز اوائل القرن الثالث عشر أو التاسع عشر زعيم جديد حاول اعادة ملك بني كثير. فقد عاد جعفر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبد الله بن عمر ابن جعفر بن طويرق)من جاوه والهند عام ١٢١٨/١٨٠٣ وأعاد تأسيس الدولة وتوفي عام ١٢٢٣/١٨٠٨. وخلفه لعام واحد اخوه عمر بن علي. وجاء من حيدر اباد في الهند غالب بن محسن بن عبد الله الكثيري الذي تزعم قومه وانتزع تريم من اليوافع [٨٤٩]. وحدث في الوقت نفسه ان ازدادت الفتن بين اليوافع في شبام فرأوا ان يبايعوا حاكما من آل كثير فنصبوا عام ١٢٣٤/١٨١٨ عمر ابن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري اميرا على شبام. وتوفي عمر عام ١٢٣٧/ ١٨٢١ فخلفه ابنه منصور (١٢٣٧/١٨٢١-١٢٧٤/١٨٥٧). واستطاع منصور

عام ١٨٣٩/١٢٥٥ ان يقوي نفسه في شبام ويخرج منها من بقي من اليوافع[٨٥٠]
وفي الوقت نفسه استأنف غالب بن محسن هجماته على اليوافع ففشل في اخذ الشحر عام ١٨٦٠/١٢٦٨ ولكنه نجح في اخذها عام ١٢٦٨/١٨٦٥ ثم خسرها .
وتوفي السلطان غالب في رجب ١٢٨٧/١٨٧٠[٨٥١] .

ولجأ اليوافع الى عمر بن عوض القعيطي اليافعي وأحد المقربين من حاكم حيدر اباد في الهند . وكان عمر قد هاجر الى الهند عام ١٢٠٧/١٧٩٢ وخدم في حيدر اباد زميلا لغالب بن محسن الكثيري . وعاد عمر القعيطي من الهند لتزعم يافع مناوئا زميله السابق غالب بن محسن زعيم بني كثير ، فاستطاع انتزاع شبام من بني كثير . ولما استولى السلطان غالب بن محسن الكثيري على الشحر عام ١٢٨٢/١٨٦٥ حاصره السلطان عمر ففر غالب في ثياب امرأة واحتل عمر الشحر[٨٥٢] . ولما تم للسلطان عمر اضعاف بني كثير التفت الى المكلا فحاول انتزاعها من حليفه وقريبه عمر بن صلاح الكسادي اليافعي . وطلب السلطان عمر من السلطات البريطانية في عدن مساعدته ضد الكسادي ففرضوا على الكسادي التنازل عن امارته مقابل مايتي الف ربية . ولما رفض الكسادي جاءت بارجة بريطانية الى ميناء المكلا عام ١٢٩٩/١٨٨١ فهددته واجبرته على التخلي عن امارته ونقلته الى عدن ثم الى زنجبار وسلمت المكلا للسلطان عمر الذي وقع معاهدة حماية مع بريطانيا في عام ١٣٠٥/١٨٨٨ . واحتل السلطان عمر مقاطعة حجر عام ١٣١٨/١٩٠٠ وتدخلت السلطات البريطانية مؤيدة له في فتنة عائلية نشبت بعد عام . وتوفي السلطان عمر (م ١٣٣٧/١٩١٨)[٨٥٣] .

عاود السلطان السيد غالب القعيطي محاولاته ضد سلطان بني كثير السلطان علي بن منصور الكثيري . ثم توسط حاكم عدن البريطاني بين السلطانين اللذين جاءا الى عدن للمفاوضة . ووقع السلطانان (معاهدة مؤبدة) في عدن في ٢٧ شعبان ١٣٣٦/حزيران ١٩١٨ في احد عشر مادة جاء فيها ما يلي :[٨٥٤]
مادة ١ — يرتضي السلطان القعيطي .. وسلاطين آل عبد الله اهل كثير

ان يكون اقليم حضرموت اقليما واحداً وان الاقليم المذكور هو من تعلقات الدولة البريطانية تابعا لسلطان الشحر والمكلا .

مادة ٢ و ٣ — اعتراف من السلطان القعيطي بسيادة بني كثير على مدن وقبائل معينة محددة .

مادة ٤ — تعهد آل كثير بعدم التدخل بشؤون مقاطعات حضرموت غير المذكورة في ٢ و ٣ .

مادة ٥ — يرتضي سلاطين آل عبدالله ان يقبلوا المعاهدة المنعقدة بين الدولة البريطانية ودولة القعيطي في سنة ١٨٨٨ رابطة لهم وكأنهم جعلوها ويرضون بأن يتمثلوا شروطها بأمانة ويرتضون ايضاً ان تكون جميع معاملاتهم ومراسلاتهم مع الدولة البريطانية بواسطة السلطان القعيطي مولى الشحر والمكلا .

مادة ١١ — . سوف تجتهد الدولة البريطانية ان تصلح جميع المخاصمات الناشئة في المستقبل بين المذكورين بعد تاريخ هذه المعاهدة بالتحكيم وبواسطة والي عدن. أما المواد الاخرى فقد نصت على تعاون السلطانين (مادة ٦، ٧، ١٠) وطريقة تزاورهما (مادة ٩) وحرية التجارة بين بلديهما (مادة ٨) .

واعترض بنو كثير على هذه المعاهدة . فقد رأوا أنها تجعل الدولة الكثيرية تابعة للقعيطية التابعة بدورها لبريطانيا. ولكن بني كثير اضطروا آخر الامر الى ابرام المعاهدة . وازداد التعاون بين السلطانين بعد ذلك . واذاع السلطانان في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٤٦/١٩٢٨ بياناً أعلنا فيه تعاونهما «على الاصلاح واقامة الامن والعدل والانصاف كما تقتضيه الشريعة الاسلامية» واقامة مندوبين لكل منهما في اراضي الآخر . واوفد السلطانان مندوبا الى اندونيسيا ليحث الحضارمة المهاجرين على المساهمة في اصلاح احوال وطنهم الاول. ولبى الحضارمة في اندونيسيا والملايو النداء وعقدوا مؤتمراً في ٢٥ شوال ١٣٤٦/١٧ نيسان ١٩٢٨ واستمر انعقاد المؤتمر حتى العاشر من ذي العقدة . وقاطع اليوافع في جاوه هذا المؤتمر وحثوا

السلطان القعيطي على عدم الاعتراف به . ورفض عمر بن عوض القعيطي قرارات المؤتمر (٨٥٥) .

وتوفي السلطان منصور الكثيري في ٩ ذي الحجة ١٣٤٧/ ايار ١٩٢٩ فخلفه ابنه السلطان علي بن منصور الكثيري المقيم في عاصمته سيون ثم السلطان جعفر بن منصور الكثيري فابن اخيه السلطان الحسين بن علي بن منصور . وعاش السلطان عمر القعيطي حتى ذي الحجة ١٣٥٤/شباط ١٩٣٦ قاضياً اكثر اوقاته في عمله في حيدر اباد كقائد للقوات الحضرمية فيها وناب عنه في حكم المكلا ابن اخيه صالح بن غالب القعيطي اليافعي الذي نودي به سلطاناً عام ١٣٥٤/١٩٣٦ والذي اعلن ان روابطه مع بريطانيا ستبقى ودية على الدوام مؤكداً محافظته « على الولاء للتاج البريطاني » واعرب السلطان عن عزمه على انشاء معهد زراعي وادخال الآلات الزراعية الحديثة وتشجيع التجارة وصيانة الامن واقامة محاكم جديدة وتشكيل مجلس استشاري (٨٥٦) . وخلف صالح بعد وفاته عام ١٩٥٦ ابنه عوض .

عدن والمحميات

لم يكن لعدن والمحميات تاريخ مستقل عن اليمن قبل القرن الثالث عشر/التاسع عشر الا خلال فترات قصيرة من تاريخها السابق . فقد قامت بعدن **دولة آل معن** (١٠٢١/٤١٢ / ٤٦٠ — ١٠٦٨) الذين حكموا عدن ولحج وحضرموت واعمالها الى ان اخرجهم منها المكرم الصليحي . وقامت بعدهم في عدن **دولة بني زريع الشيعية** (١٠٧٠/٤٩٧ — ١١٨٤/٥٦٩) التي قضى عليها الايوبيون . واتبعت عدن بعد ذلك الى **الايوبيين** (١١٧٣/٥٦٩—١٢٢٨/٦٢٥) **وبني رسول** (٦٢٦ / ١٢٢٨ — ٨٥٨ / ١٤٥٣) الى ان اقامت فيها **دولة بني طاهر** (١٤٥٤/٨٥٨ — ١٥٣٨/٩٤٥) . وخضعت عدن بعد ذلك للولاة العثمانيين .

واستطاع اهل هذه المنطقة ، رغم كونهم يمنيين ، ان يبقوا انفسهم مستقلين عن زيدية اليمن محافظين على سنيتهم الشافعية . وكانت دولة بني طاهر دولة شافعية وعلى نزاع مستمر مع الامام الزيدي (٨٥٧) .

وتعرضت عدن لخطر البرتغاليين . وصد الطاهريون محاولات برتغالية ضد عدن (١٥١٠/٩١٦ - ٩٢٠/ ١٥١) وساعدوا الحملة المصرية التي مرت بعدن عام ١٥٠٧/٩١٣ في طريقها لحرب البرتغاليين . ولكن المصريين عادوا عام ١٥١٦/٩٢٢ يحاولون احتلال عدن ففشلوا ، كما فشلت محاولة زيدية ضد عدن عام ١٥٣٥/٩٤٢ . واخيراً استطاع الاسطول العثماني انتزاع عدن والقضاء على الطاهريين عام ١٥٣٨/٩٤٥ . وثار علي بن سليمان البدوي وسيطر على عدن الى ان قضى عليه العثمانيون عام ١٥٤٧/٩٥٤ . وازداد نفوذ يافع حول عدن اوائل القرن ١٧/١١ . وقاوم اليوافع النفوذ الزيدي وابعدوه عن عدن وساهموا في اجلائه عن حضرموت واسسوا فيها الدولة القعيطية اليافعية .

واعلن الشيخ الفضل العبدلي استقلاله في منطقة عدن عام ١٧٢٨/١١٤٥ ملقبا نفسه بالسلطان . وخلفه ابنه عبد الكريم (١٧٤٤/١١٥٥ - ١٧٦٦/١١٨٠) ثم حفيده عبد الهادي (- ١٧٨٠/١١٩٤) . ونازع عبد الهادي الحكم عمه محسن . وانتقل الحكم الى فضل بن عبد الكريم (م ١٧٩٢/١٢٠٧) ثم الى احمد بن عبد الكريم (م ١٨٢٧/١٢٤٣) . وتم في عهد الاخير عقد المعاهدة البريطانية الاولى .

وكان الاهتمام البريطاني بعدن قد بدأ قبل ذلك بقرنين . وترددت السفن البريطانية على عدن بين عامي ١٦١٢/١٠٢١ - ١٦١٧/١٠٢٧ (٨٥٨) . واحتلت بريطانيا جزيرة ميون (بريم) عام ١٧٩٩/١٢١٤ ثم اخلتها لقلة الماء (٨٥٩) .

ولم يبدأ الاهتمام البريطاني الفعال بعدن والمحميات الا بعد عام ١٨٠٢/١٢١٧ ، فقد عقدت بريطانيا معاهدة مع السلطان احمد بن عبد الكريم سلطان لحج في جمادي الاول ١٢١٧/٦ ايلول ١٨٠٢ من سبع عشر مادة ، وتعهد السلطان

باعطاء بريطانيا ارضاً في غربي المدينة ومنح الرعايا البريطانيين قطعة ارض اخرى كمقبرة . وجعل ميناء عدن ميناءاً مفتوحاً للتجارة الانجليزية لا يدفع فيه الانجليز الا ٢٪ من قيمة البضائع التي يستوردونها او يصدرونها على ألا يدفع هذا الرسم الا مرة واحدة على السلعة الواحدة . وابيح للسلطان رفع الرسوم الجمركية بعد عشر سنوات الى ٣٪ (٨٦٠) .

ولكن العلاقات بين السلطان وبريطانيا لم تستقر بموجب هذه المعاهدة . واستحصل البريطانيون على فرمان عثماني يبيح لهم احتلال عدن ثمناً لمساعدتهم للعثمانيين ضد محمد علي . ونهب بعض سكان لحج سفينة شراعية هندية غارقة في رمضان ١٨٣٦/١٢٥١ فبادر الاسطول البريطاني الى قصف عدن واحتلالها في ٤ ذو القعدة ١٩/١٢٥٤ كانون الثاني ١٨٣٩ . واعترف السلطان محسن بن فضل (١٢٤٣ / ١٨٢٧ - ١٢٧٩ / ١٨٦٢) في السادس من ربيع الثاني ١٢٥٥ / ١٩ حزيران ١٨٣٩ بالسيادة البريطانية مقابل اعتراف بريطانيا باستقلاله الداخلي وتعهدها بدفع راتب شهري له (٨٦١) .

وانتشرت في الجزيرة العربية اخبار بان عدن قد « دخلها فرقة من الكفار الافرنج يدعون انجليزاً واخرجوا منها ملوكها بني العبدلي سلاطين لحج » . واستنفر احد اشراف مكة الشريف اسماعيل بن حسن الناس للجهاد في رجب ١٢٦٢/تموز ١٨٤٦ وحاصر عدن وتوفي مسموماً (٨٦٢) . وثبت الانجليز نفوذهم في عدن واحتلوا سقطرة وميون وكوريا موريا وفرضوا معاهدات حماية على شيوخ القبائل المحيطة بعدن . واشتهرت هذه المحميات بالمحميات التسع وان زاد عددها على ضعف ذلك . وتزيد مساحة هذه المحميات على مائة الف ميل مربع/ ١٦٠٠٠٠ كم^2 .

وتنقسم منطقة عدن الى ثلاثة اقسام رئيسية (٨٦٣) :

اولا - **مستعمرة عدن** ومساحتها ٧٥ ميل مربع/ ١٢٠ كم^2 وسكانها ١٣٨٠٠٠ نسمة بينهم ١٠٦٤٠٠ من العرب . وربطت عدن عام ١٩٣٢/١٣٥١ بنائب الملك في الهند ثم جعلت مستعمرة بعد استقلال الهند عام ١٩٤٧/١٣٦٦ . وافتتح فيها مجلس

تشريعي ملئت بعض مقاعده بطريق الانتخاب بعد عام ١٣٧٥/١٩٥٥ . وميناء عدن كبير يتسع لناقلات بترول حمولتها ٣٢٠٠٠ طن . وفي ميناء عدن مصفاة للبترول تعتبر من اكبر مصافي الشرق الاوسط وتكرر خمسة ملايين طن سنوياً .

ثانياً - **محمية عدن الشرقية** ويسكنها ثلث مليون نسمة . وتنقسم الى الوحدات السياسية التالية :

١ - **السلطنة القعيطية في الشحر والمكلا** على ساحل حضرموت . وارتبط مؤسس هذه السلطنة بمعاهدة مع بريطانيا منذ عام ١٣٥٥/١٨٨٨ وقد مر ذكر تاريخها .

٢ - **السلطنة الكثيرية** في داخل حضرموت . وقد امتدت اليها عام ١٣٣٦/١٩١٨ معاهدة الحماية المعقودة بين بريطانيا والسلطان القعيطي .

٣ - سلطنة قشن وسقطرة **المهرية** التي وقعت معاهدة حماية مع بريطانيا عام ١٢٨٣/١٨٦٦ .

٤ - سلطنة بلحف **الواحدية** وسلطانها ناصر بن عبد الله الواحدي الذي وقع معاهدة حماية مع بريطانيا عام ١٣٦٨/١٩٤٩ .

٥ - سلطنة بئر علي **الواحدية** وسلطانها علوي بن محسن الواحدى .

٦ - **مشيخة العرقة** .

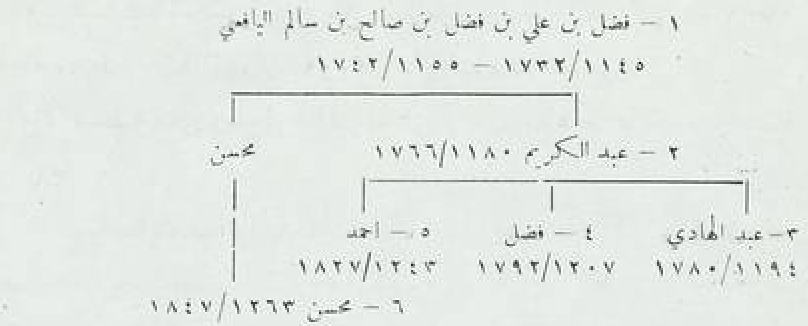
٧ - **مشيخة العودة** .

ثالثاً - **محمية عدن الغربية** وتضم ثمانية سلطنات وامارتين وثمانية مشيخات يسكنها جميعاً ٤٥٠٠٠٠ نسمة . وشكل ست من هذه الامارات اتحاداً في ١١ شباط ١٩٥٩ . والمحميات الغربية هي :

١ - **سلطنة لحج** وهي اكبر هذه المحميات . تأسست عام ١١٤٥/١٧٣٢ عندما اعلن الفضل العبدلي شيخ العبادلة نفسه سلطانا على لحج وترك المذهب الزيدي واصبح شافعياً . وعقد حفيده احمد بن عبد الكريم معاهدة مع بريطانيا عام ١٢١٧/١٨٠٢ . واتهمت بريطانيا خلفه محسن بن احمد الفضل بنقض المعاهدة عام ١٢٤٢

/١٨٢٧ ولكنها لم تتخذ اجراءات ضده إلا في ١٢٥٤/١٩ كانون الثاني ١٨٣٩ حينما انتزعوا منه عدن بالقوة. وقبل السلطان فضل بن علي بن محسن بالحماية البريطانية في ٧ جم ١٢٩٨/٥ ايار ١٨٨١ وبقي موالياً للانجليز حتى وفاته بعد ان حكم ثلاثين سنة. ولم يكن عهد فضل مستقرا. فقد اضطر في العام التالي لولايته الى التنازل لعمه فضل بن محسن (١٢٨١/١٨٦٤ — ١٢٩١/١٨٧٤). واعلن الشيخ مهدي

سلاطين لحج



العقربي استقلاله بجزء من لحج . وخلفه ابنه حيدرة (١٢٤٩/١٨٣٣ - ١٢٥٥/١٨٣٩) فحفيده عبد الله الذي اعترفت بريطانيا باستقلاله عام ١٢٨٠/١٨٦٣ . وعاد فضل بن علي الى الحكم بعد وفاة عمه فضل بن محسن فحكم حتى وفاته عام ١٣١٥/١٨٩٧ . وتوطدت علاقاته مع بريطانيا فتنازل لها عن الشيخ عثمان في ١٧ محرم ١٢٩٩/٦ شباط ١٨٨٢ . واستولى فضل على ارض الحواشب عام ١٣١١/١٨٩٣ وخلع سلطانها محسن بن علي الحوشي وبويع فضل سلطانا على الحواشب ولحج . واعيد محسن بن علي الحوشي سلطانا على الحواشب بعد عامين واجبر على توقيع معاهدة حماية مع بريطانيا في صفر ١٣٣٣/ آب ١٨٩٥ . وخلف فضل بعد وفاته ابن عمه احمد بن فضل بن محسن (ذو الحجة ١٣١٥/ ١٨٩٨ - ١٢ ربيع الاول ١٣٣١/١٩١٤) الذي جدد معاهدته مع بريطانيا في العام التالي لولايته وخلفه ابنه احمد الذي صادق العثمانيين وتبرع لهم بالمال ابان حربهم مع ايطاليا. وفر السلطان علي بن محسن بن فضل من وجه الجيش العثماني الزاحف على عدن في تموز ١٩١٥، واطلقت القوات البريطانية النار على السلطان ابان هربه ظانة اياه احد الاتراك فجرح وتوفي متأثراً بجراحه . وخلفه السلطان عبد الكريم بن الفضل ثم فضل بن عبد الكريم الذي حكم ثلاثة سنوات وفر الى اليمن فخلفه عام ١٣٧٠/١٩٥١ اخوه علي بن عبد الكريم الذي خلعه الانجليز اول تموز ١٩٥٨ لمعارضته لقيام اتحاد بين بعض المحميات ونصبوا في ١٥ كانون الثاني ١٩٥٩ فضل بن علي سلطانا (٨٦٤) .

٢ - **سلطنة آل فضل** وتقع شرقي عدن من حدود لحج حتى العوالق الشرقية ويحكمها الآن السلطان عبد القادر بن حسين الفضلي .

٣، ٤ - **سلطنتا العوالق العليا والسفلى** وتقعان شرقي سلطنة آل فضل ومساحتها البالغة مائة ميل مربع/١٦٠٠ كم٢ تجعلها اكبر هذه المحميات . ووقع سلطان العوالق العليا معاهدة الحماية عام ١٣٢١/١٩٠٣ ويحكمها الآن السلطان صالح بن عبد الله العوالقي. اما العوالق السفلى فقد شملتها الحماية البريطانية عام ١٢٧١/١٨٥٥ .

٥، ٦ – سلطنتا **اليوافع الادنى والاعلى**، ولا يرتبط سلطان اليوافع العليا بمعاهدة حماية .

٧ – **سلطنة الحواشب**

٨ – **سلطنة العوذلي**

٩ – **امارة بيحان**

١٠ – **امارة الاميري**

١١ – **مشيخة العقربي او العقارب** وهما فخذ من العبادلة انفصلوا عنهم في القرن ١٢/١٣ .

١٢ – ١٨ – مشيخات **الذبي** (ضبي) **والمفلحي والحضرمي والعلوي والقطيبي والشائب** (شعيب) **والموسطة** .

وحاول العثمانيون اثر نشوب الحرب العالمية الاولى استعادة عدن والمحميات فارسلوا جيشاً بقيادة اللواء علي سعيد باشا الجركسي لاحتلالها . وانضم الحواشب واليوافع والصبيحة الى الجيش العثماني الذي دخل لحج في منتصف تموز ١٩١٥ (١٣٣٣). وتجمدت الجبهة بعد ذلك طوال الحرب الى أن وقعت الدولة العثمانية الهدنة آخر تشرين اول ١٩١٨ فاستسلم سعيد باشا للبريطانيين الذين اعادوا فرض نفوذهم على المحميات .

ولم ينه الاستسلام العثماني النزاع على المحميات . ومازال امام اليمن يطالب بالمحميات باعتبارها جزءاً من اليمن . ويزداد تشبث بريطانيا بهذا الموقع الستراتيجي مستغلة الخلاف الديني بين سكان المحميات السنيين وامام اليمن الزيدي .

وسعت بريطانيا وفرنسا لبسط نفوذهما على جزر ساحل عدن واليمن ، فاحتل الانجليز ميون عام /١٨٥٧ وضموها الى املاكهم .(٨٦٤) وادعت فرنسا ملكية جزيرة الشيخ سعيد (مساحتها ١٦٢٢ كم٢ وسكانها الفا نسمة) واعترفت الدولة العثمانية بذلك عام ١٢٨٧/١٨٧٠ . ولكن الجمهورية الفرنسية الثالثة

اهملت الجزيرة ونسيتها حتى عام ١٣٥٧/١٩٣٩ حينما حاولت ان تثبت حقوقها فيها مرة أخرى .[٨٦٦]

وعرضت بريطانيا في آخر ١٩٥٤ مشروع اتحاد فدرالي بين أمارات الجنوب العربي . وبدأت في تموز ١٩٥١ ، بعد خلع سلطان لحج ، مفاوضات في لندن لتأسيس اتحاد فدرالي بين سلطنات وامارات ومشيخات العوذلي والعوالق العليا وضالع وبيحان والفضلي ويافع الادنى . ووقع ميثاق الاتحاد في ١١ شباط ١٩٥٩ ، وانضمت اليه العوالق الدنيا في ١٥ شباط ولحج في الخامس من تشرين الاول .

الربع الخالي

اسم حديث لمنطقة شاسعة من الرمال، عرفت قديما باسم رملة يبرين، يحدها نجد شمالا وعمان شرقا وحضرموت جنوبا واليمن غربا . ويقع بين خطي العرض ١٨ - ٢٤ شمالا وخطي الطول ٤٦ - ٥٤ شرقا .

وظلت المنطقة مجهولة الى ان اخترقها البريطاني وزير سلطان مسقط برترام توماس من الجنوب الى الشمال الشرقي عام ١٣٥٠/١٩٣١ كما توغل فيها سنت جون فلبي المستشار البريطاني للملك السعودي من الشمال الى الجنوب اوائل ١٣٥١/٩٣٢ . ويسكن المنطقة اربعة قبائل رئيسية هي آل مرة في الغرب وآل كثير في الجنوب والمناصير والعوامر في الشرق والشمال الشرقي . والمياه قليلة في الربع الخالي حتى ان الـ ٢٥٠ ميلا التي قطعها فلبي كانت معدومة المياه. ويشكل الربع الخالي حاجزاً بين البلاد العربية يصعب اختراقه .[٨٦٧]

الفصل السابع

شبه الجزيرة العربية – تتمة

٩٠٦/١٥٠٠ – ١٣٣٦/١٩١٨

المناطق الساحلية الغربية

قسم الجغرافيون العرب الساحل الغربي لشبه الجزيرة الى قسمين هما الحجاز واليمن . وجعلوا الحجاز متصلا باليمن من ناحيتي السراة وتهامة . ولم يكن اسم عسير كاصطلاح جغرافي معروفا قبل القرن ١٣/١٩ بل اعتبرت اراضيها جزءاً من اليمن والحجاز . وعرف باسم عسير قبيلة ازدية يمانية تسكن في منطقة السراة الجبلية بين اليمن والحجاز ودعيت اراضيها بديرة عسير . ولما احدث العثمانيون متصرفية في تلك الديرة ووسعوا حدودها اطلقوا اسم القبيلة على مساحات واسعة من الارض لا يسكنها احد من عسير [٨٦٩]. والقسم الجنوبي من هذا الساحل هو اكثر اجزاء الساحل خصبا واكثفه سكانا بحيث دعي منذ القدم باسم العربية السعيدة ونعرفه اليوم باسم اليمن .

اليمن

انفصلت اليمن في وقت مبكر عن دار الخلافة وتأسست فيها دويلات

مستقلة عديدة . وارسل الخليفة المأمون العباسي حملة عسكرية اعادت اليمن الى الطاعة . ولكن المأمون رأى انه لا يستطيع ابقاء اليمن موالية فاتبع خطة ابيه في المغرب حينما ولى الاغالبة على تونس ، فارسل محمد بن عبد الله بن زياد واليا شبه مستقل الى اليمن فاسس دولة بني زياد (٢٠٣/٨١٨ - ٤٠٧/١٠١٦). ووسع محمد حدود امارته بحيث شملت تهامة وحضرموت والشحر . واختط محمد مدينة زبيد وجعلها عاصمة له بدلا من صنعاء التي كانت مركز الولاة المسلمين من قبل وخلفه عام ٢٤٥/٨٥٩ ابنه ابراهيم (م ٢٨٧/٩٠٠) ثم زياد واسحق ابني ابراهيم وتقلصت دولة بني زياد في عهد ابي الجيش اسحق بن ابراهيم (م ٣٧١/٩٨١)[٨٧٠]. وتمكن الهادي الى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي ابن ابراهيم بن طباطبا من نشر الدعوة في صعدة واحتلال صنعاء عام ٢٨٨/٩٠١ وبويع كأول امام زيدي في اليمن (٢٨٠/ -٢٩٨).[٨٧١] واستقل بنو يعفر في شبام حيث اسسوا دولة دامت قرابة قرن ونصف ٢٥٢/٨٦٦ :٧٦ -٣٩٣/١٠٠٣.[٨٧٢] كذلك ظهرت دعوة علوية وشافعية في اليمن عام ٢٤٧/٨٦١ واخرى قرمطية قام بها علي بن الفضل[٨٧٣] وتعرضت اليمن في عهد ابي الجيش لغزوة قرمطية (٢٩١/٩٠٤ - ٣٠٣/ ٩١٥) اجبرته على مغادرة مملكته زمنا.[٨٧٤] وتوفي ابو اسحق بعد حكم طويل فخلف ولدا صغيرا اسمه عبد الله بكفالة عمته ومولاه. واستبد مماليك بني زياد بالملك حتى تشجع المملوك مرجان فاعتقل الامير وعمته وبني عليهما جدارا حتى ماتا خنقا واعلن نفسه اميرا عام ٤٠٧/١٠١٦ . وثار عليه مملوك آخر يدعى نجاح وملك زبيد واسس دولة مملوكية في اليمن تدعى دولة بني نجاح في زبيد .[٨٧٥]

حكمت دولة بني نجاح المملوكية في اليمن قرابة قرن ونصف (٤١٠/ ١٠١٩ - ٥٥٣/ ١١٥٨) . فقد حكم المملوك الاول نجاح اكثر من اربعين عاما وعقد له الخليفة العباسي على اليمن وضربت السكة باسمه فيها . وقتلته جارية عام ٤٥٢/١٠٦٠ فخلفه مملوكه كهلان الذي هزمه الصليحي وانتزع منه زبيد. وفر سعيد وجياش ولدا نجاح واختبئا ثم كمنا للصليحي وهو في طريقه الى مكة

وقتلاه واسر ازوجته اسماء عام ١٠٦٩/٤٦١ . ودخل سعيد زبيد ولقب نفسه بنصير الدولة . ولكن المكرم بن علي الصليحي تمكن من الحاق الهزيمة بسعيد وقتله واحتلال زبيد وتحرير امه . وهرب جياش الى الهند ثم عاد ثانية الى زبيد فاحتلها عام ١٠٨٩/٤٨٢ واعاد الخطبة للعباسيين. وتوفي جياش عام ١١٠٥/٤٩٨ فخلفه ابنه فاتك الذي قتل مسموما عام ١١٣٣/٥٢٧ . واستبد بالامر وزيره ابو منصور عبيدالله (م ١١٣٠/٥٢٤) الذي حكم باسم الطفل فاتك بن المنصور (م ٥٣١ /١١٣٧). وكان آخر امرائهم فاتك بن محمد بن فاتك الذي قتل عام ١١٥٧/٥٥٢ فانتهى بقتله امر بني نجاح وانتقل ملكهم الى ابن مهدي الخارجي (٨٧٦) .

وقام بالدعوة الفاطمية في اليمن علي بن القاضي محمد بن علي الهمداني الصليحي الايراني الاصل . واظهر علي الدعوة عام ١٠٣٨/٤٢٩ باسم الخليفة المستنصر الفاطمي وملك صنعاء وزبيد واسس **دولة الصليحيين** (٤٢٨ / ١٠٣٨ - ١١٣٧/٥٣٢) . وحاول علي ان يمد الدعوة الى الحجاز ليقضي على الدعوة العباسية والامارة الحسنية في مكة . وكمن له سعيد بن نجاح في طريقه الى الحجاز فقتله واسر زوجته واستعاد ملك ابيه في زبيد ، ولكن المكرم بن علي استطاع استعادة زبيد وتحرير امه . وتوفي مكرم عام ١٠٩١/٤٨٤ فخلفته زوجته ومدبرة ملكه سيدة بنت احمد الصليحية التي ماتت عام ٥٣٢ / ١١٣٧ فانتهى بوفاتها ملك الصليحيين في اليمن (٨٧٧) .

واستقل زريع بن العباس بن المكرم ، احد ولاة الصليحيين ، في عدن مؤسسا **دولة بني زريع** (١٠٧٠/٤٩٧-١١٧٤/٥٦٩) الموالية للفاطميين في مصر. وكان علي بن محمد الصليحي قد اقر **بني معن بن زائدة** على عدن (١٠٢١/٤١٢- ١٠٦٨/٤٦٠) فاخرجهم منها ابنه المكرم وولى عليها العباس ومسعود ولدي المكرم الهمداني . وانتقل الحكم بعدهما الى ابي السعود وزريع ولدي العباس والي ابي الغارات ابن مسعود . وانتقل الامر بعد ذلك الى سبأ بن زريع الذي لقب بالداعي ، والى محمد بن ابي الغارات . وتغلب اخيراً الداعي سبأ بن زريع (م ١١٣٧/٥٣٢)

ولما مات خلفه ابنه محمد (م ٥٤٨/١١٥٣) الذي ورده تقليد من الخليفة الفاطمي ونعته بالداعي المعظم المتوج المكنى بسيف امير المؤمنين . وتلاه عمر بن محمد (٥٦٠/١١٦٥) ولما توفي قام بالوصاية على اولاده ياسر بن بلال بن جرير حتى عام ٥٦٩/١١٧٣ حينما استولى الملك المعظم توران شاه ابن ايوب على اليمن وعدن وقتل ياسر (٨٧٨).

وظهرت في اليمن دعوة خارجية قام بها علي بن مهدي الحميري الذي اسس **دولة الخوارج من بني مهدي (٥٣٨/١١٤٣-٥٦٦/١١٨١)**. بدأ علي الدعوة عام ٥٣٨/١١٤٣ واستطاع احتلال زبيد عام ٥٥٤/١١٥٩ فقضى بذلك على دولة بني نجاح . ولقب علي بن مهدي نفسه الامام المهدي امير المؤمنين وقامع الكفرة والملحدين . وخلفه بعد وفاته عام ٥٥٤/١١٥٩ ابنه عبد النبي الذي اخضع اكثر اليمن وفرض الجزية على بني زريع في عدن . وانتهى امر هذه الدولة على يد الايوبيين حينما استولى توران شاه على زبيد واعتقل عبد النبي وقضى على دولة الخوارج (٨٧٩).

ووصل اليمن جيش مصري ارسله السلطان صلاح الدين الايوبي واسند قيادته الى اخيه شمس الدولة توران شاه . وملك الايوبيين زبيد وعدن وقضوا على دولتي الخوارج وبني زريع . وعاد توران شاه الى مصر فخلفه في حكم اليمن اخوه الملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بن ايوب الذي لم يصل اليمن الا عام ٥٧٧/١١٨١ . وبنى الايوبيون مدينة تعز وجعلوها عاصمة لهم وسوروا صنعاء واخضعوا حضرموت . وتوفي طغتكين عام ٥٩١/١١٩٥ فخلفه ابنه الملك العزيز اسماعيل الذي قتل عام ٥٩٨/١٢٠٢ . واستلم الامر مملوكا بني ايوب ردسال وسنقر كاوصياء على الطفل الملك الناصر ايوب طغتكين . وباشر الملك الناصر الحكم بنفسه بعد وفاة المملوكين ولكنه مات بالسم عام ٦١١/١٢١٤ . ووصل اليمن بعد عام حملة ايوبية قادمة من مصر لدعم حكمهم في اليمن فملكت صنعاء وعينت عمر بن علي بن رسول واليا . وتوفي قائد الحملة الملك السعيد في مكة عام

٦٢٥/١٢٢٨ فانتهى بوفاته امر الدولة الايوبية في اليمن (٥٦٩/١١٧٣–٦٢٥/١٢٢٨) وانتقل الحكم الى بني رسول [٨٨٥].

جاء بنو رسول مع الجيش الايوبي الى اليمن وادعوا نسباً غسانياً مسلسلا الى جبلة بن الايهم آخر ملوك الغساسنة وقيل انهم تركمان. واستقل عمر بن علي باليمن وضرب السكة باسمه وخطب لنفسه وتلقب بالملك المنصور نور الدين وأسس دولة بني رسول التي حكمت اليمن قرابة قرنين وربع (٦٢٦/١٢٢٨–٨٥٨/١٤٥٣). وثار على الملك المنصور عبيده فقتلوه عام ٦٤٩/١٢٥١ ونصبوا ابن اخيه فخر الدين بن حسن بن علي اميراً. ولكن يوسف بن عمر ثار لابيه واعتقل عميه وابن عمه واستبد بالامر وتلقب بالمظفر شمس الدين وحكم حتى عام ٦٩٤/١٢٩٥ حينما سلم الحكم لابنه الاشرف عمر. وثار على عمر اخوته ولكنه تغلب عليهم واعتقلهم وحكم سنتين. ولما مات عمر بويع اخوه المسجون الملك المؤيد داود بن يوسف (٦٩٦/١٢٩٧–٧٢١/١٣٢١). وخلفه ابنه الملك المجاهد سيف الدين بن علي (٧٦٤/١٣٦٣) الذي حكم طويلا وواجه فتنا ونكبات كثيرة. فقد ثار عليه عمه الملك المنصور ايوب بن يوسف بعد تسعين يوماً من وصوله الى الحكم فاعتقله ولكن العبيد حرروه واعادوه الى الحكم. وثار عليه ابن عمه الظاهر بن ايوب واستمرت الحرب سجالا بينهما الى ان توفي الظاهر مسموماً عام ٧٣٤/١٣٣٤. وحج الملك المجاهد عام ٧٥٠/١٣٤٩ فاعتقله اشراف مكة وارسلوه الى مصر حيث بقي محتجزاً حتى عام ٧٥٢/١٣٥١ فعاد الى ملكه. وتوالى على الحكم بعده تسعة امراء من بني رسول لم تعرف اليمن في عهدهم الاستقرار. واشتد الخلاف بين المطالبين بالحكم حتى اتيحت الفرصة لبني طاهر اولاد طاهر بن معوضة ان يتدخلوا في الفتن الداخلية ثم تمكنوا من الاستيلاء على الحكم في منتصف عام ٨٥٨/١٤٥٤ فقضوا على حكم بني رسول [٨٨٦].

وكان لامراء بني رسول علاقات ودية مع سلاطين المماليك في مصر وعلاقات عدائية مع الائمة الزيدية في صعدة في اليمن. فقد ارتبط الامير الثاني المظفر شمس الدين يوسف (٦٤٠/١٢٥١=٦٩٤/١٢٩٥) بعلاقات قوية مع السلطان

الملك الظاهر بيبرس (١٢٦٠/٦٥٨-١٢٧٨/٦٧٦) والسلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون (١٢٩٧/٦٩٦-١٢٩٠/٦٩٠) وهاداهما . وخرج ابنه الملك المؤيد داود (١٢٩٧/٦٩٦-١٣٢١/٧٢١) بسفير قلاوون وبادله الهدايا ثم اساء معاملة التجار المصريين وتوترت علاقاته مع مصر . وتحسنت العلاقات مرة اخرى عام ١٣١١/٧١١ بين المؤيد والسلطان الناصر محمد بن قلاوون . واستنجد المؤيد بالناصر فارسل حملة مصرية الى اليمن بقيادة الحاجب ركن الدين بيبرس عام ١٣٢٥/٧٢٦ [٨٨٢] .

واستمرت الحروب بين بني رسول والائمة الزيديين في صعدة. فقد اتبع المظفر يوسف سياسة عنيفة نحو الائمة فاسر الامام الزيدي المهدي لدين الله ابراهيم بن تاج الدين (١٢٦٤/٦٦٢-١٢٧٥/٦٧٤) واعتقله في تعز . وقام بالامامة في صعدة المتوكل على الله المطهر بن يحي (م٦٩٧/١٢٩٨) الذي واجه حملات المظفر وابنيه الاشرف والمؤيد . وتابع المؤيد سياسة ابيه العدائية نحو الزيديين فحارب الامام المهدي لدين الله محمد بن المطهر (م ١٣٢٨/٧٢٨) . وانتقلت الامامة الزيدية بالاستيلاء الى الامام الحسيني المؤيد بالله يحي بن حمزة (١٣٤٤/٧٤٥) الذي حارب المجاهد سيف الدين الرسولي. وبقيت حالة الحرب قائمة بين ائمة صعدة الزيديين وامراء بني رسول التركمان [٨٨٣] .

وعاشت **دولة بني طاهر** في عدن وبعض اليمن قرابة قرن (١٤٣٨/٨٥٨-١٥٣٨/٩٤٥) وبرز طاهر بن معوضة في عهد الامير الرسولي الثامن الناصر احمد بن اسماعيل الذي عطف عليه . وتزوج الامير الرسولي الحادي عشر الظاهر يحي بن اسماعيل ابنة طاهر بن معوضة. واسند الامير الثالث عشر المظفر يوسف حكم لحج لعلي وعامر ابني طاهر بن معوضة واشترك هؤلاء بالفتنة التي نشبت بين افراد العائلة الرسولية وتمكنا في ٢٣ رجب ٨٥٨/تموز ١٤٥٤ من احتلال عدن وانهاء حكم الرسوليين [٨٨٤] . وتولى الامر عامر بن طاهر الذي قتل وهو يحاول اخذ صنعاء من الامام الزيدي عام ٨٦٩/١٤٦٥ فانفرد بالحكم اخوه علي . وتنازع الحكم كل من عبد الله بن عامر

بنو رسول في اليمن

- علي
  - (١) الملك المنصور نور الدين عمر ٦٢٦-٦٤٩/١٢٥١
    - (٢) المظفر يوسف ٦٩٤/١٢٩٥
      - المنصور ايوب
        - الظاهر ٧٣٤/١٣٣٤
      - (٣) الاشرف عمر ٦٩٦/١٢٩٧
      - (٤) المؤيد داود ٧٢١/١٣٢١
        - (٥) المجاهد سيف الدين علي ٧٦٤/١٣٦٣
          - (٦) الافضل العباس ٧٧٨/١٣٧٦
            - (٧) الاشرف اسماعيل ٨٠٤/١٤٠٢
              - (١١) الظاهر يحيى رجب ٨٤٢/١٤٣٦
                - (١٢) الاشرف اسماعيل ٨٤٥/١٤٤١
              - (٨) الناصر احمد ٨٢٩/١٤٢٦
                - (١٠) الاشرف اسماعيل ٨٣١/١٤٢٨
                  - (١٤) المسعود ابو القاسم ٨٥٨/١٤٥٤
                - (٩) عبد الله المنصور ٨٣٠/١٤٢٧
                  - (١٣) المظفر يوسف ٨٥٤/١٤٥٠

بنو طاهر في اليمن

- طاهر بن معوضة
  - (١) عامر الاول ٨٥٨-٨٧٠/١٤٦٥
    - داود
      - (٥) عامر الثالث ق ٩٤٥/١٥٣٨
    - عبد الله
  - (٢) علي ٨٨٣/١٤٧٨
  - داود
    - عامر
    - (٣) عبد الوهاب ٨٩٤/١٤٨٩
      - عبد الملك
      - (٤) عامر الثاني ٩٢٣/١٥١٧

وعامر بن عبد الوهاب بن داود الى ان استتب الامر لعامر[٨٨٥] واشتدت وطأة عامر على الزيديين فاستنجد هؤلاء بسلطان مصر . وهزم الجيش المصري امراء بني طاهر عام ١٥١٥/٩٢١ واحتل المصريون صنعاء بعد عامين والحقوا هزيمة جديدة ببني طاهر . وقتل عامر بن عبد الوهاب واخوه عبد الملك، فاغتنم الامام الفرصة فاحتل صنعاء بمساعدة اهلها، ولم يبق بيد بني طاهر غير قطاع عدن . وجاء عدن عام ١٥٣٨/٩٤٥ جيش عثماني القى القبض على عامر الثالث بن داود الطاهري وقضى على الدولة الطاهرية[٨٨٦] .

وتعرضت موانيء اليمن وسفنها اذ ذاك للخطر البرتغالي . وبينما كان الامير الطاهري يخوض حربا عنيفة مع الائمة الزيديين في صعدة وصنعاء ادت الى وقوع الامام الزيدي المنصور بالله محمد بن علي السراجي الوشلي اسيراً بيده عام ١٥٠٤/٩١٠ اذ بالاخبار ترد عن اشتداد الخطر البرتغالي.[٨٨٧] وبعد عامين كانت مسقط وهرمز وغيرها من الحصون العربية في الخليج العربي قد سقطت بيد البرتغاليين . وسيطر البرتغاليون على الملاحة فخسر امراء بني طاهر مورداً ضخما من العشور التي تقاضوها على البضائع المستوردة . وكانت ايرادات امراء عدن من هذه العشور ضخمة الى حد ان احد التجار دفع في احد السنين قرابة ثلث مليون درهم عشور بضائع استوردها هو وحده من الصين والهند[٨٨٨] . وبعد ثلاثة اعوام فقط من انتصار بني طاهر على الزيديين وصل الخطر العسكري الى عدن نفسها ولم يعد مجرد خطر اقتصادي . فقد وصلت عدن عام ١٥٠٧/٩١٣ حملة مصرية في طريقها الى الهند لحرب الافرنج الذين احتلوا هرمز ومسقط وجوا . وكثرت صرخات الاستنجاد من البرتغاليين التي اطلقها صاحب الكاجرات السلطان ابو الفتح محمود بن محمد الذي توفي مقهوراً في ٢ رمضان ١٥١٠/٩١٦ . وفي عامي ١٥١٢/٩١٧، ١٥١٣/٩١٨ ظهر الاسطول البرتغالي في مياه عدن وانزل قوة الى البر فهزمها السلطان عامر . وقصف البرتغاليون عدن والحديدة وحرقوا زيلع ونهبوا جزيرة مسقط واحتلوا قمران[٨٨٩] .

ووصلت اليمن حملة مصرية مملوكية عام ١٥٢٦/٩٢١ بناء على دعوة الامام الزيدي المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين (ولد عام ٨٧٧/ ١٤٧٢ وبويع ١٥٠٦/٩١٢ وتوفي ١٥٥٨/٩٦٥) . والحق المصريون ، رغم قلة عددهم ، هزيمة بجند الامير الطاهري بسبب استخدام المصريين للاسلحة النارية. واحتل المصريون زبيد في جمادي الاول ٩٢٢/٢٠ حزيران ١٥١٦ وتعز وصنعاء عام ١٥١٧/٩٢٣ وانحاز بنو طاهر الى عدن . ووصلت أثناء ذلك انباء نهاية المماليك على يد العثمانيين فحدثت فتنة في صفوف الجيش المصري . واعلن اسكندر القائد المصري المملوكي في صنعاء ولاءه للسلطان العثماني . واستنجد اهل صنعاء بالامام المتوكل على الله شرف الدين الذي احتل المدينة عام ٩٢٣/ ١٥١٧ [٨٩٠].

وقصدت اليمن عام ١٥٣٨/٩٤٥ حملة عثمانية بقيادة سلمان رئيس فاحتلت تمران وعدن وقضت على السلالة الطاهرية الشافعية . وتقدم العثمانيون بقيادة اويس باشا نحو زبيد فأخذوها من الامام الزيدي. واستمرت الحرب بينهم وبين الامام من عام ١٥٣٩/٩٤٦ فقتل اويس باشا عام ١٥٤٥/٩٥٢. وفوض الامام المتوكل على الله سلطاته الى الامام المطهر بن شرف الدين الذي استقل بالامامة منذ وفاة الامام المتوكل على الله عام ١٥٥٨/٩٦٥ حتى وفاته هو عام ٩٨٠/ ١٥٧٢ . وعاصر المطهر من القادة العثمانيين اويس باشا (ق ١٥٤٥/٩٥٢) وازدمر باشا (١٥٤٧/٩٥٤ - ١٥٥٥/٩٦٢) ومصطفى باشا (- ١٥٦١/١٩٦٨) ومحمود باشا (١٥٦٥/٩٧٣) ورضوان باشا ومراد باشا وعثمان باشا . وتغلب الامام المطهر على الولاة العثمانيين واستطاع حتى عام ١٥٦٧/٩٧٥ ان يجليهم عن اكثر اليمن ويأخذ منهم صنعاء [٨٩١].

وارسل السلطان سليم الثاني حملة جديدة الى اليمن بقيادة والي مصر سنان باشا عام ١٥٦٩/٩٧٧ . واسترجع العثمانيون ما فقدوه وهزموا القوات الزيدية وعين برهام باشا والياً على اليمن . وحكم برهام حتى عام ١٥٧٥/٩٨٣ ثم عزل

وعين مصطفى باشا واليا . وتوفي مصطفى قبل ان يباشر عمله فخلفه مراد باشا ثم حسن باشا (٩٨٩/١٥٨١-١٠١٣/١٦٠٤) واعاد حسن باشا اخضاع اكثر اليمن واخمد الفتن واحتل ظفار وعدن[٨٩٢] . وكان الامام المطهر قد توفي عام ٩٨٠/١٥٧٢ فخلفه اولاده الى ان انتزع الامر منهم الامام الناصر لدين الله حسن بن علي ابن داود بن الحسن المؤيدي (ولد ٩٦٦/١٥٦٠ وبويع ٩٨٥/١٥٧٧ وتوفي في استانبول (١٠٢٩/١٦٢٠) . وسقط الامام الناصر واولاد الامام الطاهر اسرى بيد العثمانيين فارسلوا معتقلين الى استانبول عام ٩٩٤/١٥٨٦ حيث قضوا نحبهم[٨٩٣] .

وبرز في محرم ١٠٠٦/ آب ١٥٩٧ الامام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي ابن اخ الامام المأسور . واشتد الضغط الزيدي على العثمانيين فوصل اليمن علي باشا الجزائري حاكم الحبشة لانجاد والي اليمن . وهزم المنصور ولكن قتل علي باشا . وعزل الوالي العثماني حسن باشا فخلفه القائد سنان باشا (١٠١٣/١٦٠٤-١٠١٦/١٦٠٧) الذي توفي في طريق عودته بعد عزله[٨٩٤] . وعين جعفر باشا واليا (١٩ ربيع آخر ١٠١٦/١٦٠٧ - ١٠٢٢/١٦١٣) فاستأنف حرب الزيديين واستولى على اجزاء جديدة من اليمن . وخلفه ابراهيم باشا واليا الا انه توفي بعد فترة قصيرة فعاد جعفر باشا الى الولاية وكالة حتى عام ١٠٢٥/١٦١٦. وجاء محمد باشا اليمن واليا لمدة عامين فعقد صلحا مع الامام نقضه خلفه فضلي باشا . وقوي امر الزيديين واستطاعوا اخراج العثمانيين من اكثر اليمن[٨٩٥] .

وتوفي الامام المنصور بالله القاسم عام ١٠٢٩/١٦٢٠ فخلفه ابنه المؤيد بالله محمد (م ١٠٥٤/١٦٤٤) . وكان ابنه الاكبر الحسن (م ٢ شوال ١٠٤٨/ اول ١٦٣٩) في الاسر فأخلى سبيله ولم ينازع اخاه الامامة . وتنازل احمد بن القاسم عن الامامة بعد عام من ولايته فبويع الامام المتوكل على الله اسماعيل ابن القاسم (١٠٥٥/١٦٤٥ - ١٠٨٧/١٦٧٦)[٨٩٦] .

ويعتبر عهد المتوكل من اهم العهود في تاريخ الجنوب العربي . فقد بلغ

الزيديون في عهده اقصى توسع لهم بعد ان غزوا حضرموت (١٠٦٥/١٦٥٤-١٠٧٠/١٦٦٠) واستولوا على الشحر ودان لهم سلاطين بني كثير بالولاء واعترفوا بسيادتهم . واحبط الامام عام ١٠٨١/١٦٧٠ محاولة برتغالية ضد مخا. وخلف المتوكل ابن اخيه المهدي لدين الله احمد بن الحسن بن القاسم (م ١٠٩٢/١٦٨١) الذي اشتهر بلقب سيل الليل لما ابداه من جرأة واندفاع في حروبه لا سيما في حضرموت [٨٩٧] .

وحكم اليمن خلال القرن التالي (١٢ هـ/١٨ م) سبعة ائمة من سلالة الامام القاسم أكثرهم من احفاد ابنه الحسن. وتوارث الامامة بعد الامام العاشر المتوكل على الله القاسم بن الحسين (١١٢٨/١٧١٦ - ١١٣٩/١٧٢٦) الابن عن ابيه حتى نهاية القرن فغدت بذلك وراثية عمودية . وازدادت الاحوال اضطرابا اواخر القرن في عهد الامام المنصور بالله علي (١١٨٩/١٢٢٤). واشتدت الفتنة بعد نصف قرن حتى ان الامام الناصر لدين الله علي بويع بالامامة اربع مرات [٨٩٨]. وانتقلت الامامة بعد ذلك الى السلالة الحسينية التي بويع من افرادها امامان هما المتوكل على الله المحسن بن احمد بن المطهر (م ١٢٩٥/١٨٧٨) والهادي لدين الله شرف الدين (م ١٣٠٧/١٨٩٠) [٨٩٩] . وعادت الامامة ثانية الى سلالة القاسم عندما بويع الامام المنصور بالله محمد بن يحيي بن محمد بن اسماعيل بن الحسين بن القاسم (١٣٠٧ - ١٣٢٢/١٩٠٤) وخلف المنصور ابنه المتوكل على الله الامام يحيى حميد الدين الذي اصبح فيما بعد ملكا وحكم حتى عام ١٣٦٧/١٧ شباط ١٩٤٨ فخلفه بعد ثورة دامية الامام الحالي [٩٠٠].

وبدأ العثمانيون محاولاتهم لتثبيت سيطرتهم على اليمن . وكان العثمانيون قد اخلوا اليمن عام ١٠٤٥/١٦٣٥ ولكنهم ظلوا يعتبرون اليمن املاكا عثمانيـة . وتعرضت اليمن اواخر القرن ١٢ هـ/١٨ للضغط الوهابي فاستنجد الامام الزيدي المتوكل على الله احمد (١٢٢٤/١٨٠٩ - ١٢٣١/١٨١٦) بالسلطان العثماني . وأخيراً تم لوالي مصر محمد علي باشا القضاء على الخطر الوهابي عام ١٢٣٣/١٨١٨

وفي العام الحالي احتل المصريون تهامة وسيطروا على بعض موانئ اليمن عام ١٢٤٨/١٨٣٢ ، ولكنهم اضطروا الى الانسحاب بعد ثمانية اعوام[٩٠١] .

ووصل اليمن عام ١٢٦٥/١٨٤٩ جيش عثماني احتل الحديدة وبعض تهامة مغتنما فرصة الخلافات الناشئة بين مدعي الامامة . ووجد في اليمن اذ ذاك اكثر من اربعة اشخاص يحملون لقب امام بويع احدهم اربع مرات واستنجد آخر بالعثمانيين ضد منافسيه . ووصل صنعاء القائد العثماني توفيق باشا لدعم مطالب المتوكل على الله محمد بن يحيى بن منصور التهامي . وثار أهل صنعاء واخرجوا العثمانيين وبايعوا للمرة الثانية علي بن المهدي[٩٠٢] .

وارسل العثمانيون حملة جديدة الى اليمن عام١٢٨٥/١٨٦٨ توغلت في اليمن وعسير . وهاجم محمد بن عائض بن مرعي العسيري ميناء الحديدة العثماني ففشل في اخذها . ووصل محمد رديف باشا على رأس حملة عام ١٢٨٨/١٨٧١ لتأديب محمد بن عائض فهزمه وقتله[٩٠٣] . وعزل محمد رديف وخلفه احمد مختار باشا الذي دخل صنعاء فاتحا في ١٦ صفر ١٢٨٩/نيسان١٨٧٢ وفر منها الامام المتوكل على الله المحسن بن احمد المطهر الحسيني (١٢٦٨/١٨٥٢ – ١٢٩٥/١٨٧٨)[٩٠٤] وجاء اليمن واليا في العام التالي احمد ايوب باشا ثم مصطفى عاصم باشا (١٢٩٣ – ١٢٩٥/١٨٧٨) الذي خلفه اسماعيل باشا حتى ١٢٩٨/١٨٨١ . واشتد القتال بين محمد عزت باشا (١٢٩٨/١٨٨١ – ١٣٠٢/١٨٨٥) والامام المتوكل . واتبع هو وخلفاؤه العنف مع الزيديين. وتلاه احمد فيضي باشا (١٣٠٤/١٨٨٧) وعزيز باشا لفترة قصيرة ثم عثمان باشا الفقيه . واعيد اسماعيل حافظ باشا ثانية الى اليمن (١٣٠٥/١٧٨٨ – ١٣٠٩/١٨٩١) . وثار في عهده الامام المنصور بالله محمد بن يحيى وفرض حصارا على العثمانيين في صنعاء فمات اسماعيل حافظ وهو محاصر[٩٠٥]. ولم يستطع الوالي الجديد حسن اديب باشا الوصول الى صنعاء فأقام في الحديدة الى ان وصلته نجدة بقيادة احمد فيضي باشا فتمكن من الحاق هزيمة بالزيديين . وفك فيضي باشا الحصار عن صنعاء واصبح واليا عام وثم في ١٣١/١٨٩٢[٩٠٦]. وخلفه حسين حلمي باشا (– ١٣١٨/١٩٠٠) ثم عبدالله باشا .

وتم في عهد الاخير مد السلك البرقي من صنعاء الى تعز . وثار الزرانيق في تهامة وقطعوا السلك البرقي . وعزل عبد الله باشا لاتهامه بالتهاون مع الانجليز في عدن فخلفه توفيق باشا عام ١٣٠٢/١٩٠٢ (٩٠٧) .

واشتد الضغط الزيدي على العثمانيين في عهد الامام المتوكل على الله يحيى حميد الدين الذي بويع يوم الجمعة ٢٠ ذي الحجة ١٣٢٢/شباط ١٩٠٥ . وفرض الامام حصارا شديدا على العثمانيين في صنعاء فاستسلمت له في العام التالي . ولم يتمكن الوالي الجديد احمد فيضي باشا من اصلاح الامور فعزل وعين خلفا له حسن تحسين باشا (عزل ١٣٢٨/١٩١٠) ثم كامل بك متصرف تعز لثلاثة اشهر . ولم يوفق محمد علي باشا في عمله فعين عزت باشا واليا . واستطاع عزت باشا ان يعقد صلحا مع الامام يحيى في ذي القعدة ١٣٢٩/١٩١١ . وتتألف شروط الصلح من عشرين مادة نظمت العلاقات بين الامام والسلطات العثمانية اعترفت الحكومة العثمانية بموجبها بالامام رئيساً للمذهب الزيدي واعطته حق تعيين القضاة الزيديين بموافقة السلطان (٩٠٨) . وكان خلف عزة باشا الوالي محمود نديم بك (١٣٣١/١٩١٣ ١٣٣٧/١٩١٨) آخر الولاة العثمانيين في اليمن . ودخل الامام يحيى صنعاء في صفر ١٣٣٧/١٩١٨ واعلن نفسه حاكما مستقلا على اليمن (٩٠٩) .

ما ان اصبح الامام سيد نفسه حتى وجد نفسه محاطا بالمتاعب . فقد عاداه جميع جيرانه : الادريسي في عسير والسعودي في نجد والانجليز في عدن . وقذف الاسطول البريطاني الحديدة في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ واحتلها . وارسلت بريطانيا في آب ١٩١٩ بعثة برئاسة الكولونيل جاكوب فاسرها عرب الصحراء ومنعوها من الوصول الى صنعاء واعادوها الى الحديدة . وحاول الامام بدوره مصافاة بريطانيا فارسل القاضي عبد الله العرشي مندوباً له مقيماً في عدن . ولكن فوجىء الامام في آخر كانون الثاني ١٩٢٠ بتسليم الحديدة لخصمه السيد الادريسي . فثار الامام لهذا العمل واستدعى العرشي من عدن وشن هجوماً على بعض المحميات كالضالع والشعيب والقطيبي وغيرها واحتل البيضاء . واوفدت بريطانيا

السر جلبرت كلايتون الى صنعاء في العام التالي (١٣٤٠/١٩٢١) لمباحثة الامام الا انه لم ينجح في مهمته . وقام كلايتون بزيارة ثانية لصنعاء في ٢٤ كانون الثاني ١٩٢٥ واستمرت مفاوضاته مع الامام قرابة الشهر دون ان تؤدي هذه المفاوضات الى نتيجة مرضية . وشنت قوات الامام حملات جديدة على المحميات ولجأ بعض الشيوخ الى عدن . وقامت الطائرات البريطانية بغارات على مدن اليمن في ايلول ١٩٢٧ وتموز ١٩٢٨ [٩١٠] . وجرت محاولة اخرى في ايلول ١٩٢٨ لتسوية العلاقات بين الامام وبريطانيا وتم وضع صيغة لمعاهدة بين الطرفين في تشرين اول ١٩٣١ الا ان بريطانيا لم توقعها الا بعد ثلاثة اعوام في صنعاء في ٢٦ شوال ١٣٥٢/١١ شباط ١٩٣٤ وتبودلت وثائق الابرام في الرابع من ايلول . ونصت مواد المعاهدة السبع على اعتراف بريطانيا بالامام يحيى ملكا مستقلا على اليمن وتعهد الفريقان باتباع سياسة صداقة وحسن جوار وتخطيط الحدود وتسوية المشاكل بالمفاوضات . وعقدت معاهدة جديدة بين الطرفين عام ١٩٥١ دون ان تؤدي الى حل الخلاف على الحدود [٩١١] .

وكانت علاقات الامام مع الدول الاجنبية الاخرى اكثر صفاءاً من علاقاتها مع بريطانيا . فقد سبقت اليمن جميع اقطار العالم العربي الى توقيع معاهدة مع الاتحاد السوفييتي في ١٧ جمادي الاول ١٣٤٧/١ تشرين الثاني ١٩٢٨ الا ان هذه المعاهدة لم تكن مفيدة لاي من الطرفين . وتجددت العلاقات مع الاتحاد السوفييتي فعقد الامام معه معاهدة صداقة في ١٥ ربيع الاول ١٣٧٥/ ٣١ تشرين اول ١٩٥٥ ومعاهدة تجارية في العام التالي [٩١٢] . وكان الامام قد عقد في ١٥ ذي العقدة ١٣٥١/١٢ اذار ١٩٣٣ معاهدة تجارية مع هولندا تعهد بموجبها الطرفان «بمعاملة رعايا وسفن ومنتجات بعضهما البعض معاملة الدول الاكثر رعاية» وعقد معاهدة مماثلة مع بلجيكا في ٢٣ رمضان ١٣٥٥/٧ كانون الاول ١٩٣٦ ومع اثيوبيا (الحبشة) ١٧ ذي الحجة ١٣٥٢/٢٢ اذار ١٩٣٥ ومع فرنسا في ٣ صفر ١٣٥٥/٢٥ نيسان ١٩٣٦ . وسعت فرنسا الى توثيق علاقاتها مع الامام

فاوفدت عام ١٩٢٣/١٣٤٢ بعثة تسعى لنيل امتياز مد خط حديدي بين صنعاء والحديدة. ودخل الامام في علاقات ودية مع الجمهورية التركية اوائل ١٣٤٥/ ١٩٢٧ فارسل احمد افندي الانسي ممثلا له في تركيا كما وصل اليمن محمود نديم بك (آخر الولاة العثمانيين في اليمن) ممثلا لتركيا الجديدة. ولم تقم علاقات بين الامام والولايات المتحدة الامريكية الا عام ١٩٤٦/١٣٦٥ حينما عقدت معاهدة تجارية بين البلدين. واعتبر النص العربي هو النص المعتمد في جميع هذه المعاهدات(٩١٣).

وكانت ايطاليا اكثر الدول اهتماماً باليمن وغدت اوثقها علاقة بالامام. فقد وصل صنعاء عام ١٩٢٧/١٣٤٥ السنيور غاسباريني حاكم ارتريا الايطالي وعقد معاهدة مدتها عشر سنوات اعترفت فيها ايطاليا باستقلال اليمن واعرب فيها الامام عن رغبته باستيراد الآلات من ايطاليا. وقام ولي العهد سيف الاسلام احمد بزيارة رسمية لايطاليا في العام نفسه. وجددت المعاهدة الايطالية عام ١٩٣٦ وقدمت ايطاليا لليمن بعض الاسلحة والطائرات(٩١٤).

وسعى الامام الى توسيع مملكته فارسل قواته لاحتلال مناطق غير زيدية. واحتلت قوات الامام مأرب ونجران وتوغلت في عسير واحتلت الحديدة وبعض تهامة. وسبب هذا التوسع خلافاً مع سلطان نجد الذي كان يتوسع بدوره في نفس الاتجاه. وفشلت الجهود للوصول الى حل الخلاف الوهابي ـ الزيدي فنشب القتال بين الفريقين. وانتصرت القوات الوهابية في حرب الاسابيع السبع وفرض ابن سعود على الامام معاهدة الطائف في العشرين من ايار ١٩٣٤. وكانت هذه المعاهدة معاهدة اخوة لا معاهدة فرضها المنتصر على المهزوم. وانضم الامام في نيسان ١٩٣٦ الى معاهدة الاخوة العربية بين السعودية والعراق وارسل ابنه الى لندن ليمثله في المباحثات حول القضية الفلسطينية(٩١٥).

وازدادت علاقات اليمن مع العالم العربي والعالم الخارجي بعد الحرب العالمية الثانية. فقد اشترك في مباحثات الوحدة العربية التي بدأها النحاس باشا ووقع على ميثاق الجامعة العربية عام ١٩٤٥. واصبح اليمن عضواً في هيئة الامم

المتحدة في ايلول ١٩٤٧ . ودخل اليمن في الثامن من اذار ١٩٥٨ في اتحاد فدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة [٩١٦] .

وازدادت المعارضة في داخل اليمن على طريقة الامام في الحكم . ووصل عدن في منتصف ايار ١٩٤٤ عدد من اللاجئين السياسيين اليمنيين الذين شكلوا جماعة الاحرار اليمانيين واصدروا جريدة فتاة الجزيرة . وازداد نشاطهم في العام التالي بعد ان انضم اليهم ابن الامام الامير سيف الاسلام ابراهيم ونالوا تأييد منظمة الاخوان المسلمين في مصر . وقام ولي العهد في نيسان ١٩٤٦ بزيارة الى عدن مؤملاً اقناع حكومتها بكبح هذه الحركة . ولكن فشلت هذه المساعي . وتوحدت الهيئات اليمانية المناوئة لحكم الامام وشكلت الجامعة اليمنية الكبرى واصدرت جريدة صوت اليمن واشترت لها مطبعة [٩١٧] . وقامت مؤامرة في صنعاء ادت الى مقتل الامام يحيى ووزيره وحفيده واثنين من اولاده يوم الثلاثاء السابع عشر من شباط ١٩٤٨ ، وبويع في اليوم التالي عبد الله الوزير اماماً وابلغت الجامعة العربية والملك السعودي بذلك . ولم يعترف الملك السعودي بحكومة ابن الوزير واقنع بعثة التحقيق التي اوفدتها الجامعة العربية بالتأخر الى ان تم للامير سيف الاسلام احمد دخول صنعاء في ١٤ اذار . وهكذا قضي على هذه الحركة واصبح سيف الاسلام احمد اماماً [٩١٨] . وقام سيف الاسلام عبد الله بثورة على اخيه الامام احمد عام ١٩٥٤ واجبره على التنازل ، ثم نجح الامام احمد باستعادة ملكه للمرة الثانية [٩١٩] .

الأئمة الزيديون

- الهادي يحيى ٢٨٠/٨٩٣ – ٢٩٨/٩١١
  - المرتضى محمد
  - الناصر احمد ٣٠١/٩١٣ – ٣٢٥/ ٩٣٧
    - المتوكل على الله احمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر ٥٦٦/١١٧١
    - علي
      - ١ – الناصر لدين الله الحسن ؛ ٩٩٠/١٥٨٦
      - محمد
        - ٢ – القاسم المنصور بالله ١٠٢٩/١٦٢٠
          - ٤ – احمد ابو طالب ١٠٥٥/١٦٤٥
          - ٣ – محمد المؤيد بالله ١٠٥٤/١٦٤٤
            - القاسم
              - ٩ – المنصور بالله الحسين ١١٢٤–١١٢٨/١٧١٦
          - ٥ – المتوكل علي اسماعيل ١٠٨٧/١٦٧٦
            - ٧ – المؤيد بالله محمد ١٠٩٧/١٦٨٦
          - الحسن
            - ٦ – المهدي لدين الله احمد ١٠٩٢/١٦٨١
              - ٨ – المهدي محمد خلع ١١٢٤/١٧١٢
              - الحسين
                - ١٠ – المتوكل على الله قاسم ١١٣٩/١٧٢٨
        - احمد ١٠٨٨/ ١٦٧٧
          - محمد
        - حسين
          - اسماعيل
            - محمد
              - يحيى
                - ٢٦ – المنصور بالله محمد ١٣٠٧–١٣٢٢/١٩٠٤
                  - ٢٧ – المتوكل على الله يحيى ١٣٦٧/١٩٤٨
                    - ٢٩ – سيف الاسلام احمد ٣١

١٠ – المتوكل على الله قاسم

١١ – المنصور بالله الحسين ١١٦١/١٧٤٨

١٢ – المهدي لدين الله العباس ١١٨٩/١٧٧٥

١٣ – المنصور بالله علي ١٢٢٤/١٨٠٩

الحسين

١٧ – الناصر لدين الله عبد الله ١٢٥٦/١٨٤٠

١٤ – المتوكل على الله احمد ١٢٣١/١٨١٦

١٥ – المهدي لدين الله عبد الله ١٢٥١/١٨٣٥

١٨ – الهادي محمد ١٢٥٧/١٨٤١

١٦، ١٩، ٢١ – الناصر لدين الله علي م ١٢٦٦/١٨٥٠

٢٠ – المتوكل محمد بن يحيى التهامي

٢٢ – المنصور بالله احمد ١٢٦٨/١٨٥٢

٢٣ – محمد بن عبد الله الوزير

٢٤ – المتوكل على الله المحسن ١٢٩٥/١٨٧٨

٢٥ – الهادي لدين الله شرف الدين محمد ١٣٠٧/١٨٩٠

٢٨ – عبد الله الوزير ١٣٦٧/١٩٤٨

٣٠ – سيف الاسلام عبد الله ١٣٧٤/١٩٥٤

عسير

يطلق الاسم اليوم على الجهة الغربية من الجزيرة العربية الواقعة بين الحجاز واليمن . ودخلت عسير ضمن منطقة الاحتلال العثماني واقترن مصيرها بمصير الحجاز واليمن . وساهم شريف ابي عريش بالثورة على العثمانيين عام ١٠٠٦/١٥٩٧ ثم انقلب بعد اقل من عشرين سنة الى مؤيد للعثمانيين ضد امام الزيدية . ونجحت الثورة الزيدية على العثمانيين واخضع الامام منطقة ابي عريش (٩٢٠) .

وبرزت اهمية عسير ثانية زمن الدعوة الوهابية الاولى . واستطاع الوهابيون ان يكسبوا عدداً من الاتباع بزعامة عبد الوهاب بن عامر المسمى ابى نقطة الذي عينه الامير سعود الوهابي واليا على عسير السراة . وحدث نزاع بين ابى نقطة وشريف ابى عريش حمود ابو مسمار الموالي ايضا للوهابيين ، فرفع النزاع الى الامير السعودي . ورفض ابو مسمار الحل الذي اقترحه الامير سعود واعلن تمرده فجردت حملة ضده بقيادة ابى نقطة . وانتصر الوهابيون في المعركة وفر الشريف ابو مسمار واعتصم بابى عريش ولكن قتل القائد الوهابي ابو نقطة . وجاءت حملة وهابية جديدة بقيادة عثمان المضايفي فاتمت احتلال صبيا وجيزان واللحية والحديدة وعيّن طامي بن شعيب واليا وهابيا على عسير . وتوفي الشريف حمود عام ١٢٣٣/١٨١٨ فخلفه ابنه احمد الذي اسرته القوات المصرية ونفته الى مصر (٩٢١) .

وغير محمد علي باشا موقفه من اشراف ابى عريش فاعاد الشريف حسين ابن علي بن حيدر حاكما على عسير وايده في حرب الوهابيين والزيديين . واستطاع الشريف حسين ان يحتل بمساعدة المصريين بلدة ابها عام ١٢٥٠/١٨٣٤ . واستقل الشريف اثر انسحاب المصريين بعد خمس سنوات فسيطر على اكثر تهامة ووصلت قواته الى مخا . وانزل العثمانيون حملة في الحديدة عام ١٢٦٥/١٨٤٩ احتلت تهامة ودخلت مدينة ابي عريش . ووقع الشريف حسين اسيرا بيد الامام الزيدي (٩٢٢) .

ولم ينته امر منافسي اشراف ابي عريش في عسير بوفاة ابي نقطة . فقد خلفه عام ١٨٠٩/١٢٢٤ ابن عمه طامي بن شعيب الذي اسره المصريون وقتلوه . وتولى الامارة بعده عام ١٨٣٣/١٢٤٩ علي بن مجثل وفي عهده اشتهر امر عائض بن مرعي في قتال المصريين فقربه ابن مجثل وجعله خليفته . واستطاع محمد بن عائض ان يوسع امارته بحيث شملت سائر عسير السراة وقسما من الحجاز وتهامة . ووصلت البلاد في عهده حملة عثمانية بقيادة رديف باشا الذي اسر محمد بن عايض وقتله متجاهلا امر السلطان بالعفو عنه . وغدت عسير متصرفية عاصمتها ابها . وعادت الدولة بعد فتنة الادريسي فقربت اولاد عايض وعينت حسن بن علي بن محمد بن عايض معاونا لمتصرف عسير . واخلص حسن للعثمانيين الى ان تم جلاؤهم عن البلاد العربية ، وحينئذ اعلن استقلاله في منطقته . وتدخل الملك السعودي في بلاده بدعوة من بعض الاهالي ، وارسل الملك السعودي حملة بقيادة الامير عبد العزيز بن مساعد عام ١٩٢١/١٣٣٨ فهزمت حسين واسرته ونفته الى الرياض . وعفي عن حسن وسمح له بالعودة الى بلده فاعلن الثورة ثانية . وتمكن الامير فيصل بن عبد العزيز من اسر حسين مرة اخرى عام ١٩٢٢/١٣٤٠ ونفيه الى الرياض [٩٢٣].

وبرزت اوائل القرن الحالي امارة الادريسي في عسير . وكان جد العائلة السيد احمد بن ادريس (١٧٥٨/١١٧٢ - ١٨٣٧/١٢٥٣) من اهل العلم المغاربة . وجاء السيد احمد الى مكة ثم رحل الى عسير واستقر في صبيا عام ١٨٣٠/١٢٤٦ وشرع بالتبشير بطريقته حتى وفاته بعد ست سنوات . وولد حفيده محمد بن علي بن احمد في صبيا عام ١٨٧٦/١٢٩٣ ودرس في الازهر واقام زمنا في واحة الكفرة السنوسية وفي دنقلا في السودان ثم عاد الى صبيا للتبشير بعقيدته وطريقته . ووثق به الاتراك فعينوه قائمقاما لصبيا وابي عريش . وشرع محمد بتوسيع رقعة نفوذه ولكن فشلت محاولته اواخر ١٩١٠/١٣٢٨ في احتلال ابها مركز المتصرف العثماني . واغتنم فرصة الحرب الايطالية العثمانية فصادق الايطاليين

ونال مساعدتهم فاحتل صبيا وابى عريش وجيزان عام ١٣٢٩/١٩١١ . ولما نشبت الحرب العالمية الاولى حادق الانجليز وعقد معهم معاهدة في ٣٠ نيسان ١٣٣٣/١٩١٥ وجددها بعد عامين. واعترفت بريطانيا بسيادته على تهامة من اللحية الى قنفذة وتعهدت بمساعدته وحمايته ودفع اعانة مالية له مقابل تعهده بعدم التعامل مع اية دولة اخرى . واحتل الادريسي الحديدة في كانون الثاني ١٩٢١ . وتوفي محمد في ١٣٤١ / نيسان ١٩٢٣ فخلفه ابنه علي الذي تنازل عن الحكم لعمه حسن . وازداد الضغط الزيدي على الامارة واحتلت القوات الزيدية الحديدة في نيسان ١٩٢٥ وتوغلت في تهامة . واستنجد الحسن بالملك السعودي الذي شمل عسير بحمايته وعقد مع الحسن معاهدة حماية عام ١٣٤٥/١٩٢٦ . وابقى الملك السعودي الادارة بيد الحسن مكتفياً بارسال ممثل له للاشراف على الادارة واحتفظ الملك السعودي لنفسه بادارة الشئون الخارجية . ولكن الحسن عجز عن ادارة البلاد فسلم الادارة الى الملك السعودي في ١٧ جمادي الاولى ١٣٤٩ الذي اعلن انها جزء من المملكة العربية السعودية (٩٢٤).

وقام السيد حسن بثورة على الملك السعودي اواخر عام ١٣٥١/١٩٣٢ . واحتل الحسن مدينة جيزان في السابع من تشرين الثاني واعتقل حاكمها السعودي وارسل برقية ولاء الى الملك معلنا ان حركته موجهة ضد الحاكم الذي اساء التصرف . وارسل ابن سعود حملة تأديبية استعادت جيزان بعد عشرة ايام فتراجع الادريسي الى صبيا ، وتعقبته القوات السعودية الى صبيا فاحتلتها اواخر شباط ١٩٣٣ وفر الادريسي ولجأ الى اليمن . وكان ذلك سببا في نشوب الحرب بين الملك السعودي والامام الزيدي في العام التالي (٩٢٥).

الحجاز

والحجاز هو القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية . ولا حدود واضحة للحجاز الا من الغرب حيث يحده البحر ، بينما لم تثبت حدوده الشمالية والشرقية والجنوبية وتعرضت لامتدادات وتقلصات عديدة .

ولكن تاريخ الحجاز خلال الالف سنة الماضية كان اكثر وضوحاً من جغرافيتها . فقد توارث حكم مكة والمدينة خلال هذه الفترة اشراف حسنيون حكموها منذ جلاء القرامطة عن الحجاز . وبرز في مكة بعد خروج القرامطة الشريف ابو الفتوح الحسن بن جعفر الحسيني (٣٨٤/١٩٩٤ - ٤٣٠/١٠٣٩) من بني سليمان الذي خلع طاعة الفاطميين وتمرد على الحاكم بامر الله ولقب نفسه بالراشد بالله ثم عاد الى الطاعة . وخلفه ابنه شكر الذي ملك المدينة . وبوفاة شكر عام ٤٥٣/١٠٦١ انقرضت العائلة وانتقل الحكم بعد فاصل زمني قصير - خضعت مكة خلاله لصليحي اليمن - الى بني هاشم بزعامة محمد بن جعفر بن محمد الذي خطب للفاطمي [٩٢٦] . وتقلب محمد بن جعفر في ولائه بين العباسيين والفاطميين . فخطب للعباسيين عام ٤٥٨/١٠٦٦ ثم عاد يخطب للمستنصر الفاطمي . واخيراً استقر على ولائه للعباسيين عام ٤٦٢/ ١٠٧٠ وحمد الله الذي « امال قلوبنا الى الطاعة ومتابعة امام الجماعة » . فحرض الفاطمي حاكم اليمن الصليحي على احتلال مكة واعادة حكم بني سليمان ، الا ان الصليحي قتل في طريقه على سعيد بن نجاح . وعاد محمد بن جعفر الى تقلبه السابق كما اتبع ابنه وخليفته قاسم (٤٨٨/١٠٩٥-٥١٨/١١٢٤) وحفيده ابو قليبة فليتة بن قاسم (م٥٢٧/١١٣٣) وهاشم ابن فليتة (٥٥٠/١١٥٥) وقاسم بن هاشم (٥٥٦/١١٦١) مثل هذه السياسة . وخضع الامير السادس عيسى بن فليتة للسلطان صلاح الدين الايوبي . وتداول الامر بعد وفاة عيسى عام ٥٧١/١١٧٥ ولداه داود ومكثر الى ان انفرد مكثر بالحكم

وبوفاة مكثر عام ١٢٠١/٥٩٧ ضعف امر الهواشم وانتقل الامر الى نسيبهم ابى عزيز قتادة[٩٢٧].

كان ابو عزيز قتادة بن ادريس الحسني زعيما لقومه الذين سكنوا ينبع ووادي الصفراء. واحتل ابو عزيز مكة بعد وفاة مكثر وحكمها عشرين سنة. واتسع ملكه فشمل مكة وينبع واطراف اليمن والمدينة ونجد. واتبع سياسة ولاء مشوب بحذر نحو الايوبيين والمماليك. وخلفه ابنه الحسن (١٢٢٠/٦١٧– ١٢٢٣/٦٢٠) الذي اتهم بقتل ابيه. وثار على حسن اخوه راجح واستنجد باقباش التركي امير الحج البغدادي، ولكن حسن تغلب عليه وقتل اقباش. وتدخل في النزاع المسعود بن الكامل عام ١٢٢٣/٦٢٠ الذي تغلب على الحجاز واجبر حسن على الفرار من مكة فلجأ الى بغداد وتوفي فيها بعد عامين. وفر راجح الى اليمن واستعان ببني رسول الذين اعادوه الى ملك ابيه عام ١٢٣٣/٦٣٠ فقطع خطبة الايوبيين وخطب لبني رسول. وارسل الايوبيون جيشاً اعاد جماز بن حسن الى الحكم في مكة وطرد راجح عام ١٢٥٢/٦٥١، ولكن راجح استعاد ملكه بعد عامين فلجأ جماز الى ينبع. وتنازع الحكم غانم بن راجح (١٢٥٤/٦٥٢) وادريس الى ان تغلب على مكة ابو نمي ابن ابي سعيد من اقارب بنى قتادة عام ١٢٧١/٦٦٩[٩٢٨].

حكم ابو نمي قرابة نصف قرن حكماً مستقراً هادئاً. واقسم عام ١٢٨٢/٦٨١ يمين الولاء للسلطان المنصور قلاوون وولده وتعهد «بتقديم كسوته ولا يعلق غيرها ويقدم علم المنصور على غيره ويحرس الحاج ويفرد الخطبة والسكة بالاسم المنصوري وان يسلك كأنه نائب للسلطان»[٩٢٩]. وتوفي ابو نمي عام ١٣٠٢/٧٠١ فخلفه في حكم مكة ولداه عز الدين حميضة واسد الدين رميثه. ونازعهما الحكم اخواهما عطيفة وابو الغيث بتأييد من سلاطين مصر. وطال النزاع بين الاخوة الى ان تمكن حميضة من قتل اخيه ابي الغيث عام ١٣١٤/٧١٤. وايد سلطان مصر مطالب رميثه ففر حميضة الى بغداد مستنجداً بحفيد هولاكو. واستطاع

حميضة عام ١٣١٧/٧١٧ ان يحتل مكة ويقرأ الخطبة باسم ابي سعيد ايلخان المغول وحفيد هولاكو . وتدخل سلطان مصر فاجلى حميضة ، الذي قتل ، واعتقل رميثة ونصب عطيفة اميراً . وعفا السلطان عام ١٣٢٠/٧٢٠ عن رميثه واعاده الى مكة شريكاً في الحكم لاخيه عطيفة واميراً مستقلا بعد وفاة اخيه (٩٣٠) وطال حكم رميثه وكثرت الفتن في عهده فثار الاشراف والعبيد على المماليك عام ١٣٣١/٧٣١ وابادوهم مما اجبر سلطان مصر على ارسال حملة تأديبية الى مكة . كذلك اشرك رميثه ولديه ثقبة وعجلان بالحكم فاستقلا بالامر دونه عام ١٣٤٣/٧٤٤ . وتنازع الاخوان وتدخل سلطان مصر ، واعتقل ثقبة في القاهرة وفر عجلان واعيد رميثه اميراً حاكما . ورضي رميثه عن ابنه عجلان واشركه بالحكم مرة اخرى . ولما توفي رميثه عام ١٣٤٧/٧٤٨ اطلق سلطان مصر سراح ثقبه وارسله ليشارك اخاه في الحكم . واختلفا ثانية بعد عامين فاستنجد ثقبة بحاكم اليمن من بني رسول واستعان عجلان بسلطان مصر . ووقع ملك اليمن اسيراً بيد القوات المصرية وقوي مركز عجلان ، واشرك ثقبة بالحكم مرة اخرى عام ١٣٦١/٧٦٢ ولكنه مالبث ان مات فاستقل عجلان بالامر حتى وفاته عام ١٣٧٥/٧٧٧ (٩٣١) .

انتقل الحكم بعد ذلك الى احمد بن عجلان الذي تابع سياسة الولاء لسلطان مصر . ولما مات احمد عام ١٣٧٦/٧٨٨ خلفه ابنه محمد وفر من سجنه عمه واتباع عمه وعنان بن مغامس وغيرهم . وايد سلطان مصر حقوق عنان ونصبه حاكما ، ثم اشرك معه عليّ بن عجلان . ولم يقبل عنان هذه المشاركة فحاول اقصاء ابن عمه ، فتدخل سلطان مصر ثانية واعتقل عنان . واستمرت الفتنة بين اولاد العم فاراد سلطان مصر ان يحسم الفتنة بتعيين علي بن عجلان عام ١٣٨٧/٧٨٩ الذي خلفه بعد مقتله عام ١٣٩٥/٧٩٧ اخوه حسن . واشرك حسن ابنه بركات بالحكم . واستمر النزاع على الشرافة طوال القرن ٩/١٥ الى ان استتب الامر للشريف بركات الثاني بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان (١٥١٢/٩١٨ - ١٥٢٤/٩٣٠) (٩٣٢) .

ولما احتل السلطان سليم الاول بلاد مصر وبر الشام بادر الشريف بركات الثاني بن محمد الى الاعتراف بسيادة السلطان العثماني وارسل ابنه ابا نمي سفيراً للسلطان . واقره سليم في شرافته واوعز اليه بقتل حسين الكردي حاكم جدة المملوكي[٩٣٣] وخلفه ابنه محمد ابو نمي الثاني (٩٣٠/١٥٢٤ - ٩٧٢/١٥٦٤) وسنه تسع عشر سنة . وعاصر محمد حملتين عثمانيتين الى اليمن مرتا بجدة . وتم في عهده اصلاح مجاري المياه الى مكة واصلاح الكعبة واعادة بنائها وبناء سقفها[٩٣٤]. وخلفه ابنه حسن (م ٣ جم ١٠١٠/١٦٠١) الذي قام بدور فعال في شبه الجزيرة . فقد قاد في حياة ابيه جيشاً وتوغل في نجد وعين محمد بن فضل اميراً على الرياض عام ٩٨٦/١٥٨٧ . وغزا بعد ثلاثة اعوام الخرج وهزم بني خالد وساعد العثمانيين على القضاء على امارتهم عام ١٠٠٠/١٥٩١ . وايد حسن الحملات العثمانية التي توجهت الى اليمن للقضاء على ثورة الامام القاسم الزيدي[٩٣٥]. وخلفه ابنه مسعود لفترة قصيرة فانتزع الحكم منه الابن الثاني ابو طالب (م ٢٠ جم ١٠١٢) ثم ادريس بن حسن الذي اضطر الى ترك الامر لاخيه محسن عام ١٠٣٤ /١٦٢٤ [٩٣٦].

وتقلب على حكم مكة لمدة قرن ونصف عدد من الاشراف يزيد عددهم على العشرين خلال الفترة ١٠٣٤/١٦٢٤ - ١٢٠٢/١٧٨٨ الى ان استتب الامر للشريف غالب بن مساعد (م ١٢٣١/١٨١٦) . واشتهر من هولاء الشريف زيد بن محسن (١٠٤٢/١٦٣٢ - ١٠٧٧/١٦٦٦) الذي تغلب على منافسه وغزا نجد واحبط مؤامرة حاكم جدة العثماني لعزله .[٩٣٧] واستتب الامر لابنه سعد (١٠٧٧/١٦٦٦ - ١٠٨٢/١٦٧١) بعد حرب شوارع دامية . وثار عليه الشريف حمود بن عبد الله الذي سلك مسلك قطاع الطرق بمساعدة قبائل جهينة واحبط محاولات ولاة مصر والشام ضده . وفر سعد من مكة خوفاً من امير الحج الذي نصب بركات شريفاً[٩٣٨]. ودامت شرافة بركات عشر سنوات وخلفه بعد وفاته (١٠٩٣/١٦٨٢) ابنه سعيد لمدة عامين . وازدادت الفوضى في مكة

في عهد سعيد بن بركات فاضطر الى اللجوء الى الحج الشامي تاركاً مكة لأحمد بن غالب. وعين السلطان على مكة الشريف احمد بن زيد (م ٢١ جم ١٠٩٩/١٦٨٨) الذي توفي بعد عامين فتنازع على الحكم ابن اخيه سعيد بن سعد والشريف احمد بن غالب. وتدخل العثمانيون بالنزاع فنفوا احمد بن غالب الى اليمن وسعيداً الى جدة [٩٣٩].

وتوالى على حكم مكة عدد من الاشراف دون ان يستتب الامر لاحد منهم طويلا، حتى ان حكم احدهم دام في احدى المرات تسعة ايام. وتولى الحكم بعض الاشراف اكثر من مرة وقضوا حياتهم ثائرين ومتآمرين وحكاماً. وثار الشريف سرور (١١٨٤/١٧٧١ - ١٢٠٢ ايلول ١٧٨٨) اكثر من خمس عشر مرة خلال خمس سنوات متخذاً الطائف مركزاً له معتمداً على بني ثقيف ومستغلا امراء الحج العثمانيين [٩٤٠].

وازداد في عهد سرور واخيه غالب (م ١٢٣١ / ١٧١٦) الخطر الوهابي على مكة. ورفض الاشراف السماح للوهابيين بالحج الا حسب شروط العجم. ولما ازدادت قوة الوهابيين بعد ١٢٠٤/١٧٩٠، توقف ورود الحج الشامي. وشن الشريف حملات عديدة على نجد فنجح في اول الامر ثم توالى الفشل بعد عام ١٢١٢/١٧٩٧. وتعرضت الحجاز اذ ذاك لخطر آخر إذ خشي من وقوعها بيد الافرنسيين الذين احتلوا مصر. وبدأت الاستعدادات لتحصين جدة بمساعدة الاسطول البريطاني كما ازداد اهتمام بريطانيا بالحجاز. وعقد الشريف هدنة مع الوهابيين عام ١٢١٤/١٧٩٩ وسمح لهم بزيارة مكة، فحج الامير سعود في العام التالي. ولكن الهدنة نقضت وانتشر الدعاة في الحجاز وازداد الضغط الوهابي وتحالف معهم بعض الاشراف الطامعين بالحكم. واحتل الوهابيون الطائف وقنفذة وقاموا بمجازر رهيبة فيها، وتقدموا نحو مكة فاحتلوها في ١٢٣١/١٨٠٣ وحاصروا جدة ثم انسحبوا وعاد غالب الى مكة. وفشلت محاولة وهابية ضد جدة عام ١٢٢٠/١٨٠٥ [٩٤١].

وتدخل والي مصر بعد عام ١٢٢٦ / ١٨١١ لدفع الخطر الوهابي عن الحجاز . ولم يبد الشريف غالب حماساً لمساعدة المصريين ، فاعتقله محمد علي باشا بطريق الخدعة ونفاه الى مصر ثم الى سلانيك حيث توفي عام ١٢٣١/١٨١٦ . ولم يعتمد محمد علي شريفاً واحداً بل سلك سياسة تشجع استمرار الخلافات العائلية بين الاشراف . واخيراً انهى عهد عائلة بركات وعائلة زيد وانتقل الحكم الى عائلة عون اثر تنصيب محمد بن عبد المعين بن عون شريفاً (١٢٧٢/١٨٥٥ - ١٢٧٥ آذار ١٧٥٨) [٩٤٢] .

ازداد نفوذ الاشراف من بني عون بعد انسحاب جيوش محمد علي من الجزيرة . وتمكن الشريف محمد بن عبد المعين من الاستقلال في مكة وفرض الجزية على علي فيصل بن سعود الوهابي ، كما انه شجع على تأسيس امارة ابن رشيد في حائل . وساهم الشريف في الحملة العثمانية التي اخضعت الزيديين عام ١٢٧٦/١٧٥٩ . واستطاع والي جدة عام ١٢٦٨/١٨٥٢ ان يعتقل الشريف ونجليه وينفيهما الى استانبول وينصب عبد المطلب بن غالب شريفا . الا ان السلطان رضي عن محمد بن عون واعاده شريفاً في ربيع ١٢٧٢/١٨٥٦ [٩٤٣] . وخلفه ابنه عبد الله الذي ضعف امر الشرافة في عهده . فقد ادى فتح قناة السويس الى تسهيل ارسال الحملات العسكرية العثمانية الى الحجاز واليمن فشعرت هذه البلاد بقوة الدولة . وطبقت بعض الاصلاحات في الحجاز فاسست بلديات ومحاكم مدنية وطبق نظام الولايات بعض التطبيق فحد ذلك من نفوذ الاشراف . وثارت في عهد الشريف عبد الله فتن مع الاوروبيين في جدة . فقد ادعى الافرنسيون ان اعتداء حصل على قنصلهم عام ١٢٦٨/١٨٥١ فطالبوا بالتعويض . وقتل نائب القنصل البريطاني في صيف ١٢٧٥/١٨٥٨ (فتحت القنصلية البريطانية في جدة عام ١٢٥٥/ ١٨٣٨) فقصف الاسطول البريطاني جدة انتقاما . واغلقت القنصلية البريطانية في جدة عام ١٢٨٨/١٨٧١ واكتفى بعد ذلك بقنصل فخري [٩٤٤] .

خلف عبد الله بعد وفاته اخوه حسين الذي قتل عام ١٨٨٠/١٢٩٧ فأعيدت الشرافة الى عبد المطلب بن غالب . وكثرت شكاوى الناس من عبد المطلب فعزل بعد عام (م ١٣٠٣/٢٩ ك أول ١٨٨٦) وعين عون الرفيق شريفاً (١٨٨٢/١٢٩٩-١٩٠٥/١٣٢٣) . وازداد في عهد عون تقلص نفوذ الشريف وتركزت السلطات بيد الوالي العثماني . واحتج الاشراف على هذا الوضع ولجئوا الى المدينة فارضتهم الدولة بعض الشيء . وخلف عون في الشرافة الشريف علي بن عبد الله بن محمد بن عون لمدة ثلاث سنوات وعزل بعد ثورة الاتحاديين ونفي الى مصر . وعين عبد الاله باشا اخو عون الرفيق شريفاً، الا انه توفي قبل ان يغادر استانبول . وترددت الدولة بين مرشحين هما الحسين بن علي ذو عون وعلي حيدر زيد المتزوج من انجليزية ، واخيراً صدر الامر بتعيين الأول [٩٤٥] .

الحسين بن علي

ولد الحسين بن علي بن محمد بن عون في استنابول ١٨٥٣/١٢٧٠ . وتوفي والده فيها عام ١٨٧٠/١٢٨٧ . واختلف الحسين مع عمه عون الرفيق بن محمد فنفي الى استانبول عام ١٨٩١/١٣٠٩ حيث عين عضواً في مجلس شورى الدولة. ويقول الملك عبد الله في مذكراته انه « بالرغم عن انه عين عضوا في شورى الدولة . فقد كان في الحقيقة نفيا وتغريبا بناء على معارضته سياسة الظلم والاعتساف بالحجاز .. » [٩٤٦] وعين الحسين شريفا على مكة عام ١٩٠٨/١٣٢٦ . واستقبل السلطان عبد الحميد الثاني الشريف قبل سفره لاستلام منصبه وقال له « اني لست بالامين على الدولة والملك من هذه الفئة المتغلبة » فاجابه الحسين « اذا تحيزتم [الى البلاد العربية] كان لكم ما تريدون من حفظ الدولة والملك ، ومتى شعرتم جلالتكم بذلك فاول بلد من بلاد العرب تقوم بالواجب المفروض هو الحجاز..

ولو فعلتم جلالتكم ذلك وجلبتم آل بيتكم معكم لجبيت لكم الاموال ولاخضعت لكم رقاب العصاة .. » . وجعل الشريف حاكما على مكة وربط بمقام الخلافة رأسا على اساس التعامل القديم « وانه لا يسري اليها ما يخالف الحقوق المقدسة بمناسبة الدستور الجديد .. » وكانما كانت رسالة الحسين الاولى هي مقاومة الاتحاديين (٩٤٧). ووصل الحسين جدة في ذي القعدة ١٣٢٦/١٩٠٨ وباشر عمله في مكة . واعلن الحسين سياسته حينما حياه وهناه وفد الاتحاديين ورحب به كامير دستوري وطالبه بان يضرب صفحا عن « الاصول الادارية القديمة وعن الظلم الذي يرتكبه الشريف عون الرفيق والشريف علي تبعا للادارة المستبدة السابقة .. وان البلاد تحيي سيادة الامير .. الذي عرف روح العصر والتجدد المطلوب للعمل تحت الدستور الذي هو نبراس السلامة . » ولم يتقبل الحسين هذه الاقوال بل رد عليها بعنف معلنا تمسكه بحقوقه القديمة واجابهم قائلا :

« لقد حظيت بمقام اسلافي وآبائي على الشريطة التي بايع بها الشريف ابو نمى السلطان سليم الاول ، وان هذه بلاد الله لا **تقوم بها شريعة غير شريعة الله** المشتملة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .. فليذهب كل منكم ليشتغل بما يخصه .. واياكم من قال وقيل وما يقولون فهذه بلاد الله ليست بملك لاحد . وان السلطان الآمر بالدستور الذي تذكر والذي امر بان يعمل به في بلاده يفتخر هو واسلافه بانهم خدام الحرمين الشريفين وليس الخادم بالملك. **دستور بلاد الله شريعة الله وسنة نبيه** » .

وكان صدمة للاتحاديين فرددوا بان عبد الحميد قد بعث برجل « لا يعبأ باحد ولا يقر بدستور ولا بتجدد » . وبدأت الحرب عنيفة بين الحسين والاتحاديين ووزع الاتحاديون نشرات جاء فيها :

ان كنت تبغي ملك مكة   فاعلمن ان المليك بها هو الدستور

وحرضوا امير الحج الشامي عبد الرحمن باشا اليوسف على الكيد للحسين

واتهامه بانه فشل في اداء مهمته الرئيسية وهي تأمين سلامة الحجاج . لذا رفض عبد الرحمن باشا الرجوع بالحج الشامي من طريق البر مدعيا عدم الامان وعاد بطريق البحر . واصر الشريف حسين على ان الأمن مستتب وعهد الى اخيه ناصر بن علي والى ابنه عبد الله بن الحسين فاوصلا المحمل بأمان الى دمشق ونزلا ضيفين على عطا باشا البكري . ولمس الشريفان في دمشق مدى تذمر العرب فيها من الحكم العثماني (٩٤٨).

وادرك الحسين من اللحظة الاولى ان سلطاته التي خوله اياها الفرمان السلطاني مختلفة عن سلطات اجداده . فقد جاء في فرمان الشريف ابي طالب بن حسن بن ابي نمي عام ١٠١٠/١٦٠١ ان « امارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر .. وسائر الوظائف والمناصب الخ .. مفوضة الى السيد السند الشريف .. اقمناه مقام انفسنا » . اما الحسين فقد نص فرمانه المؤرخ في ٦ شوال على حصر صلاحياته « وامرنا المشار اليه ان يستقبل الحجاج ذوي الابتهاج المتوجهين من سائر ممالكنا الشاهانية ويوصلهم الى مكة المكرمة سالمين .. ويشيعهم بكل اعتناء ودقة الى الشام .. وان يستجلب من العموم الدعوات الخيرية لذاتنا الشاهانية ، وان يهتم في توفيق الامور والمصالح الواقعة والجارية بالعدل والحقانية متحدا مع وزيرنا .. والى ولاية الحجاز وقمندان فرقتنا الهمايونية كاظم باشا(٩٤٩) . »

ولم يكن الحسين على استعداد للتعاون مع الوالي والرضوخ الى تعليمات الاتحاديين والتنازل عما اعتبره حقوقا موروثة والاكتفاء بالثلاثة الاف جنيه سنويا كراتب له . واستهدف اعادة تطبيق قانون ابي نمي وعهده مع العثمانيين . وقد اعطى قانون ابي نمي اشراف مكة امتيازات كبيرة وجعل الشرافة وراثية وحظر على الاشراف تعاطي المهن الحقيرة واعتبر دية الشريف مساوية لاربعة من الناس العاديين (٩٥٠) .

وكان المشير كاظم باشا واليا عثمانيا في الحجاز حين وصول الحسين . ولما خلع عبد الحميد واغتصب الملك « الصبية من الاتحاديين وتحكموا في السلطان

وفي الرعية » استقال كاظم باشا فخلفه الفريق فؤاد باشا الذي توترت علاقاته مع الحسين فطالب الحسين بعزله فعزل وعين كامل بك واليا . وفصلت الدولة المدينة المنورة عن ولاية الحجاز وعينت علي رضا باشا الركابي محافظاً مستقلا مربوطاً بوزارة الداخلية . وكان الركابي اذ ذاك « لا يتكلم الا باللغة التركية».
ووجهت ولاية الحجاز بعد زمن الى قائد القوة العثمانية في الحجاز المشير عبدالله باشا ثم الى حازم بك. وتوترت العلاقات بين الحسين وحازم بك واهان الحسين الشريف ناصر بن محسن الذي استقبل الحسين في معية الوالي . وحدثت قطيعة بين الشريف حسين والوالي استمرت الى نشوب الحرب الايطالية العثمانية . وتولي سعيد باشا الصدارة فبادر الى تلبية رغبة الحسين . ونقل حازم بك الى بيروت وعين منيف باشا واليا وقائداً عاما . ولما استعاد الاتحاديون سيطرتهم على الدولة نقلوا منيف باشا وارسلوا احدهم وهيب باشا واليا وقائدا . وباشر وهيب باشا ضغطه على الشريف لتطبيق قانون ادارة الولايات في الحجاز ومد الخط الحديدي من المدينة الى مكة . واستطاع الحسين ان يستثير الاهالي ضد هذه الخطط فقامت المظاهرات تهتف بسقوط تغيير امتيازات الحجاز وتطالب بعدم مد الخط . واعلن الحسين رفضه المطالب الجديدة وان الشعب الحجازي يرغب « في التمسك بحقوقه القديمة وبالشروط التي بويع بها السلطان سليم الاول بالخلافة . » . وتعطلت المواصلات في الحجاز وتوقفت الحركة التجارية وامرت القبائل قوة عثمانية في طريقها الى جدة . واضطرت الدولة الى اصدار بيان ، قرىء في الحرم ، واعلنت فيه ان لا اخلال بحقوق الامارة ولا بامتيازات الحجاز وانها لا تفكر الان في مد الخط الحديدي[951].

وبدأ الحسين محاولاته لتثبيت نفوذه في الحجاز . فشرع اولا في توسيع حدود الحجاز باتجاه عسير ونجد فورطه هذا العمل في عمليات عسكرية ضد الادريسي والوهابيين . وايد محاولة الدولة لاخضاع الادريسي وتولى الشريف بنفسه قيادة القوة التأديبية مصطحبا معه ولديه عبد الله وفيصل في ربيع الثاني

١٣٢٩/١٩١١ كما ارسل حملة ثانية ضد الادريسي بقيادة ابنه فيصل . والتفت نحو نجد فادعى ان عتيبة قبيلة حجازية وتوغل في بلاد نجد واسر سعد بن عبد الرحمن شقيق السلطان عبد العزيز عام ١٣٢٨/١٩١٠ . وتم اطلاق سعد بعد ان قدم ابن سعود ولاءه . وشن حملة تأديبية ضد قبيلتي مطير وبني الحارث جنوبي الطائف فاطاعتا (٩٥٢) .

وشرع الحسين بالتفتيش عن حلفاء يؤيدونه ضد الدولة العثمانية . وكانت حملاته ضد عسير ونجد قد جعلت الادريسي وابن سعود اعداء له دون ان تكسبه محبة الاتحاديين ، فتقرب من خديوي مصر والحكومة البريطانية . وتم في شباط ١٩١٤ لقاء بين عبد الله بن الحسين وقنصل بريطانيا في مصر اللورد كتشنر بحضور الخديوي عباس ، ثم قام اللورد بزيارة خاصة للامير عبد الله بعد اقل من ساعتين من انتهاء الاجتماع الاول وابلغه « رضى حكومة جلالته عن الحالة الراهنة في الحجاز .. وانها لا ترضى باي تغيير هناك » . وورد عبد الله الزيارة في اليوم التالي وتحدثا عن موقف الحسين وبريطانيا فيما اذا حاول العثمانيون عزل الحسين . ورفض كتشنر ان يعطي وعدا بتأييد الحسين . وتمت بين عبد الله وكتشنر مقابلة ثانية في نيسان ووضعت باخرة السفير البريطاني الحربية في استانبول تحت تصرف عبد الله ليلجأ اليها عند الضرورة واعطي وعدا بانه « اذا دافع سمو الشريف عن حقوقه بالحجاز فالحكومة البريطانية .. لا ترضى ابدا بدوام اي حركات تسببها تركيا ضد السلام الحاضر في بلاد الحج (٩٥٣) .

ووصل عبد الله الى استانبول ليفاوض الدولة العثمانية وهو واثق من قوة مركز والده . ولما قال له احد الناصحين « ارجوك ان تبلغ سيادة الامير الايتأخر في مصر ان هو عزل » اجابه عبد الله : « دون عزل الامير خرط القتاد » . ووجد أن الازمة قد حُلت والدولة قد صرفت النظر عن عزل الشريف . واستقبله الصدر الاعظم ووزير الداخلية طلعت باشا ووزير الحربية انور باشا مجاملين . واعلمهم عبد الله ان سياسة والده هي « سياسة محافظة تريد ابقاء كل شيء على

ما كان عليه » ودعا الدولة الى اتباع سياسة اسلامية يكون الحجاز مركزاً لها والشريف امينا عليها . وابدى معارضة شديدة لكل محاولة تهدف الى مد خط الحديد الى مكة محافظة على مورد رزق الذين « يحيون اليوم بممارسة صناعة النقل على الجمل ...». واصر انور وطلعت على ضرورة مد الخط من المدينة الى مكة ومن المدينة الى ينبع ومن مكة الى جدة وعرضا على الشريف ثلث ايراد الخط ومنصب الشرافة مدى الحياة ولاولاده من بعده كما عرضا دفع ربع مليون جنيه يوزعها الشريف على العربان . ورفض الحسين هذه الشروط المغرية . ونشبت الحرب قبل الوصول الى اتفاق بين الطرفين(٩٥٤).

واهتم الحسين منذ العام الاول لتوليه منصبه بالاتصال بالشخصيات والجمعيات العربية في سورية . ولم يضع الشريف عبد الله وقته ابان نزوله عام ١٣٢٦ / ١٩٠٨ في ضيافة عطا باشا البكري في دمشق بل اتصل برجالات الشام ولمس «نفور الناس وخصوصا الشباب فانهم كانوا على وثبة لفصم العرى ». وزار فوزي بن عطا البكري الحجاز وحل ضيفا على الحسين وانبأه اخبار الجمعيات السرية التي تعمل لاستقلال العرب وكذلك اتصل ولداه فيصل وعبد الله بالعرب في استانبول ابان تمثيلهم الحجاز في مجلس النواب العثماني(٩٥٥).

وعاود الانجليز اتصالاتهم بالحسين . فقد وصل الطائف في تشرين الاول ١٩١٤ (قبيل نشوب الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية) تاجر مصري يدعى علي اصغر البزاز (من انسباء حسين روحي البهائي الموظف في القنصلية البريطانية في القاهرة) وسلم عبد الله بن الحسين رسالة من رونالد ستورز السكاتب الشرقي في القنصلية البريطانية في مصر . وجاء في الرسالة عرض من كتشنر باسم بريطانيا بتقديم المساعدة للشريف « فيما اذا كنتم وسيادة والدكم لاتزالون على رأيكم الاول في القيام بما يجر الى استقلال العرب استقلالا تاما » . وعرض عبد الله الرسالة على والده فامره بان يجيبه « بانا على غير استعداد البتة في الوقت الحاضر للمطالبة بحق العرب » . ولم ييأس الانجليز بعد ان ابرق كتشنر الى المندوب

السامي في القاهرة في ٣١ تشرين الاول بالجواب الواجب ارساله الى عبد الله . واستلم عبد الله من البزار الرسالة الثانية في ١٦ تشرين الثاني وضمنها رسالة اخرى الى الحسين . وكان جواب الحسين « الصيف ضيعت اللبن » ولكن تم الاتفاق بين الشريف وبريطانيا في كانون الاول على ان يقوم الحسين بعمل ضد العثمانيين بعد ان يستطلع رأي العرب ويقوم بالاستعدادات اللازمة . وتوقفت المحادثات المباشرة مع بريطانيا نصف عام ولكنها استمرت بصورة غير مباشرة . فقد تبادل الحسين والزعيم السوداني السيد علي المرغني اوائل عام ١٩١٥ الرسائل حول امكانية قيام الحسين بثورة على العثمانيين بمساعدة الانجليز . ولعب حاكم السودان البريطاني السر رجنالد ونجت دوراً رئيسيا في توجيه نشاط المرغني[٩٥٦] .

وشغل الحسين اواخر عام ١٩١٤ وخلال النصف الاول من عام ١٩١٥ بعلاقاته مع العثمانيين التي بدأت تتوتر توتراً خطراً . واعلنت الدولة العثمانية النفير العام في الثاني من آب وحشدت قواها في سورية والحجاز وعسير واليمن . واصبح للعثمانيين في سورية جيشان وحدا باسم الجيش الرابع الذي ضم ستين الف جندي . كذلك كان للعثمانيين في الحجاز وعسير واليمن اكثر من اربع فرق مسلحة . ولم يكن لدى بريطانيا لمواجهة هذه القوى غير ستة آلاف جندي[٩٥٧] .

واشتد الضغط على الحسين ليعلن الجهاد ويرسل متطوعين . وغادر المدينة المنورة في كانون الاول ١٩١٤ السيد علوي بن الفقيه حاملا علم النبي (ﷺ) الى دمشق ليرفعه الجيش العثماني الزاحف لتحرير مصر . ووصل حامل العلم دمشق في منتصف الشهر وغادرها الى القدس حيث قضى نحبه في اليوم الثالث لوصوله اليها في ٢٣ كانون الاول . ولكن الحسين لم يحضر هذه الاحتفالات ولم يرسل من يمثله فيها كما لم تصل تجريدة المجاهدين التي وعد بارسالها بقيادة احد اولاده . وبدلا من كل هذا تلقى الصدر الاعظم في شباط ١٩١٥ برقية من الحسين يطلب الموافقة على ارسال احد اولاده الى العاصمة ليعرض على الدولة شكوى خطيرة . ووافق الصدر الاعظم على ايفاد فيصل بن الحسين[٩٥٨] .

وصل فيصل بن الحسين الى دمشق في ٢٦ آذار ١٩١٥ في طريقه الى استانبول وحل ضيفاً على آل البكري . واجتمع به اعضاء العربية الفتاة والعهد واوضحوا له آراءهم في القضية العربية . وفي استانبول لاقى فيصل ترحيباً من المسؤولين واستعداداً لتلبية طلباته . واوضح فيصل ان وثائق تسربت الى ابيه (سرقت من والي الحجاز وهيب باشا) تثبت ان الوالي يدبر خطة لعزل الحسين. واستمع المسؤولون لما عرضه فيصل وحاولوا ارضاء والده لاسيما وان حملة السويس كانت قد باءت بالفشل في شباط . كذلك ساء موقف العثمانيين في الجزيرة ابان وجود فيصل في العاصمة . اذ اعترفت الحكومة البريطانية في ٣٠ نيسان ١٩١٥ باستقلال السيد الادريسي وعقدت معه معاهدة تعهدت له فيها بتقديم مساعدة مالية وابرمت المعاهدة في السادس من تشرين الثاني . وارسلت بريطانيا الكابتن شكسبير الى ابن سعود الذي ابتعد سياسياً عن العثمانيين وشجع الحسين على الاستمرار في موقفه الصلب ووقع آخر العام (٢٦ كانون الاول) معاهدة تحالف مع بريطانيا التي تعهدت بتقديم عون مالي له . وبقي الامام يحيى اميناً لاتفاقيته موالياً في الظاهر للعثمانيين ولكنه ارسل ممثلا الى عدن يؤكد حياده . كذلك ساء موقف العثمانيين في العراق فخسروا البصرة في تشرين الثاني ١٩١٤ وانتحر القائد العثماني في العراق قبل اسبوعين من وصول فيصل الى استانبول . لذا حرص المسؤولون على استبقاء الحسين في جانبهم فحاولوا ارضاءه بعزل الوالي وهيب باشا وتعيين غالب باشا خلفاً له . وعاد فيصل الى والده فمر بدمشق التي وصلها في ٢٣ ايار (٩٥٩) .

وكانت الاستعدادات العربية للثورة على العثمانيين بالتعاون مع بريطانيا قد قطعت شوطاً بعيداً . وجرت اتصالات عديدة بين بريطانيا من جهة والشيخ رشيد رضا وعزيز علي المصري والسيد علي الميرغني من جهة اخرى اقنعت بريطانيا بان السبيل الوحيد لكسب العرب هو اصدار وعود حول مستقبل البلاد

العربية والاراضي المقدسة . لذا اصدر السير هنري مكماهون (الذي استلم عمله كمندوب سام لبريطانيا في مصر في كانون الثاني ١٩١٥) بياناً في حزيران وعد فية بالا تعقد بريطانيا صلحاً مالم ينص فيه على استقلال شبه الجزيرة العربية (٩٦٠).

وكان اهتمام الجمعيات العربية مركزاً حول مصير سورية والعراق لامصير شبه الجزيرة العربية او اي بلد عربي آخر. ووضع اعضاء العربية الفتاة دستوراً للعمل حددوا فيه الاهداف والغايات وهي السعي لتأسيس دولة عربية تمتد حدودها « من اسكندرون الى الحدود المصرية فالبحر الاحمر حتى باب المندب ثم يشرق ماراً بمسقط وعمان وينحرف الى الشمال مخترقاً حدود البحرين والكويت ثم يشرق مع حدود ولاية البصرة فحدود ايران ثم يشمل الى التقاء البلاد العربية ببلاد الكرد ثم يغرب فيدخل الجزيرة والموصل ويترك ولاية حلب الى الجنوب فينتهي عند الاسكندرون » وابدوا استعدادهم للتحالف مع بريطانيا ومنحها امتيازات اقتصادية وعسكرية في هذه البلاد اذا مااعترفت باستقلالها وبانهاء الامتيازات الاجنبية . واقسم ستة من اعضاء الجمعية العربية الفتاة يمين الولاء للشريف حسين بحضور ابنه فيصل وافهموه انهم على استعداد لاضرام نيران ثورة عربية في سورية بدون مساعدة ولايريدون من الشريف إلا « عزمه على ترؤس الحركة التحريرية العربيه » ولا يطلبون منه الا ان يكون قائداً لهذه الثورة وزعيما . وحملوا فيصل « المصور الذي يعين حدود البلاد العربية الجغرافية في آسيا وهي التي يجب ان يدور السعي على اساسها لنيل الاستقلال » كما حملوه ختمي الشيخ بدر الدين الحسني (والد الشيخ تاج) وعلي رضا باشا الركابي . ووصل فيصل الى مكة في العشرين من حزيران ليبلغ والده المعلومات الخطيرة التي حملها (٩٦١).

وتطورت الاحداث بعد ذلك تطوراً سريعاً في بلاد بر الشام . فقد احس جمال باشا بما يضمره العرب وبادر الى تفريق القوى العربية الموجودة في سورية.

فارسل الفرقة ٢٥ العربية الى غاليبولي فقضى بذلك على امكانية قيام تمرد عسكري في سورية . كذلك بدأ جمال باشا حملة اعتقالات ومحاكمات في سورية اثر فشل حملته على السويس . وكان جمال قد تجاهل خلال الاشهر الاولى من وجوده في سورية وجود علاقات بين بعض الشخصيات السورية البارزة وفرنسا ولكنه عاد الان فقدم للمحاكمة نخلة باشا مطران ، احد اعيان بعلبك والسكرتير السابق في السفارة العثمانية في باريس وعضو الاتحاد والترقي فثبتت عليه تهمة التآمر مع فرنسا لضم بعلبك الى لبنان وحكم عليه بالابعاد وقتل بتهمة محاولة الهرب . ونفذ حكم الاعدام برجل الدين الماروني يوسف الحايك في دمشق في ٢٢ اذار ١٩١٥ (قبل وصول فيصل الى دمشق بيومين) لاتصالاته مع الافرنسيين . وازداد قلق جمال من احتمال انزال قوات فرنسية بريطانية في الاسكندرون بمساعدة القوات العربية ، فقدم عدداً كبيراً من العرب الى ديوان الحرب العرفي في عاليه وصدرت احكام اعدام على ثلاثة عشر شخصا وجاهياً وعلى خمس واربعين غيابياً وحكم بالسجن او الابعاد على عدد آخر واكثرهم اعضاء في جمعية اللامركزية العثمانية . وتم اعتقال من اعتقل وتقديمه الى المحاكمة بعد ايام قليلة من وصول فيصل الى مكة . وحوكموا في تموز ونفذ حكم الاعدام فيهم في بيروت يوم ٢١ آب ١٩١٥ . واعدم عبد الكريم الخليل وصالح حيدر ومسلم عابدين ونايف تللو ومحمد ومحمود المحمصاني وعبد القادر خرسا ومحمود العجم وسليم عبد الهادي ونور الدين القاضي وعلي الارمنازي . واستبدل حكم الاعدام الصادر بحق نائب يافا حافظ السعيد ومفتي طولكرم سعيد الكرمي بالسجن المؤبد . وحكم بالاعدام غيابياً على كل من رفيق وحقي العظم والشيخ رشيد رضا وفارس نمر وخليل مطران ونجيب عازوري وميشيل لطف الله والدكتور خليل مشاقة وقسطنطين يني وشكري غانم وعزيز علي المصري وغيرهم (٩٦٢) .

وفوجىء الحسين بهذه الاخبار بعيد وصول ابنه وادرك استحالة قيام السوريين بالثورة التي وقع كامل عبئها الآن عليه . ولم يكن باستطاعته المبادرة

الى العمل قبل ان يتم استعداداته ، فحاول كسب الوقت ومجاملة الاتراك ريثما يصل الى اتفاق مع الانجليز وينهي إستعداداته . وما ان بلغه خبر محاكمات عاليه الاولى حتى بادر الى ارسال الشيخ محمد عارف بن عريفان الى القاهرة وحمله رسالتين الاولى من الشريف الى هنري مكماهون والثانية من عبد الله الى ستورز وتحمل تاريخ ١٤ تموز ١٩١٥ (٢ رمضان ١٣٣٣) [٩٦٢]. وجاء في رسالة عبد الله الى ستورز ما يلي :

« لصاحب السعادة والرفعة ... سلمه الله .

اقدم لجنابكم العزيز احسن تحياتي الودية واحتراماتي **وارجو ان تعملوا كل ما في وسعكم لتنفيذ المذكرة المرسلة اليكم طيه المتضمنة الشروط المقترحة المتعلقة بالقضية العربية .**

واود بهذه المناسبة ان اصرح لحضرتكم ولحكومتكم **انه ليس هناك حاجة لان تشغلوا افكاركم بآراء الشعب هنا لانه باجمعه ميال الى حكومتكم بحكم المصالح المشتركة** ثم يجب ألا تتعبوا انفسكم بارسال الطيارات او رجال الحرب لالقاء المناشير واذاعة الشائعات كما كنتم تفعلون من قبل لان القضية قد قررت الآن . واني لارجوكم هنا ان تفسحوا المجال امام الحكومة المصرية لترسل الهدايا المعروفة من الحنطة للاراضي المقدسة التي اوقف ارسالها منذ العام الماضي . واود ان الفت نظركم الى ان ارسال الهدايا هذا العام والعام الفائت سيكون له أثر فعال في توطيد مصالحنا المشتركة . واعتقد ان هذا يكفي لاقناع رجل ذكي مثلكم اطال الله بقاءكم .

حاشية ـ ارجو ألا تزعجوا انفسكم بارسال اي رسالة قبل ان تروا نتائج اعمالنا هنا خلا الجواب على مذكرتنا وما تتضمنه . ونرجو ان يكون هذا الجواب بواسطة رسولنا كما نرجوا ان تعطوه بطاقة منكم ليسهل عليه الوصول اليكم عند ما تجد حاجة لذلك . والرسول موثوق به » .

اما المذكرة ، او رسالة الحسين التي لا تحمل توقيعا ولا تاريخاً ، فهذا نصها :

«لما كان العرب باجمعهم دون استثناء قد قرروا في الاعوام الاخيرة ان يعيشوا وان يفوزوا بحريتهم المطلقة وان يتسلموا مقاليد الحكم نظريا وعمليا بايديهم .

ولما كان هؤلاء قد شعروا وتأكدوا انه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى أن تساعدهم وتعاونهم للوصول الى امانيهم المشروعة ، وهي الاماني المؤسسة على بقاء شرفهم وكرامتهم وحياتهم .

ولما كان من مصلحة العرب ان يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا عن أية حكومة اخرى بالنظر لمركزهم الجغرافي ومصالحهم الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا .

انه بالنظر لهذه الاسباب كلها يرى الشعب العربي انه من المناسب ان الحكومة البريطانية اذا كانت ترى من المناسب ان تصادق بواسطة مندوبها او ممثلها على الاقتراحات الاساسية الآتية .

اولا — تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية مرسين — ادنه [الى خط عرض ٢٧ شمالا ومنها على طول خط بيره جك — اورفه — ماردين — ميديا — جزيرة ابن عمرو — العمادية حتى الحدود الايرانية ، وشرقا تمتد على طول الحدود الايرانية حتى خليج البصرة ، وجنوبا المحيط الهندي] يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي [وغربا] البحر الاحمر [وسيناء] والبحر الابيض المتوسط [حتى مرسين] .

ثانياً — توافق بريطانيا على اعلان خليفة عربي على المسلمين .

ثالثاً — تعترف حكومة الشريف العربية بافضلية بريطانيا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية اذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية .

رابعاً — تتعاون الحكومتان العربية والبريطانية في مجابهة كل قوة تهاجم احد الفريقين وذلك حفظاً لاستقلال البلاد العربية وتأميناً لافضلية بريطانيا الاقتصادية فيها ، على أن يكون هذا التعاون في كل شيء ، في القوة العسكرية والبحرية والجوية [ولا يعقد الصلح الا باتفاق الطرفين] .

واذا تعدى احد الفريقين على بلاد ما ونشبت بينه وبينها قتال وعراك [اذا أقدم أحد الطرفين على دخول حرب] فعلى الفريق الآخر ان يلزم الحياد . على ان هذا الفريق المعتدي اذا رغب في اشتراك الفريق الآخر معه ففي وسع الفريقين ان يجتمعا معاً وان يتفقا على الشروط [ويقبل الفريق الاخر الدعوة ليدرس مع الفريق الآخر شروط القيام باجراء موحد] .

خامساً ـ [توافق الحكومة البريطانية على إلغاء الامتيازات الاجنبية في البلاد العربية وتتعهد بمساعدة الحكومة الشريفية على الدعوة لعقد مؤتمر دولي ليعلن هذا الالغاء] .

سادساً ـ مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشرة سنة . واذا شاء احد الفريقين بتجديدها عليه ان يطلع الفريق الاخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام .

هذا ولما كان الشعب العربي باجمعه قد اتفق والحمدلله على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الامر فهو يرجو الحكومة البريطانية أن تجيبه سلبا او ايجابا في خلال ثلاثين يوماً من وصول هذا الاقتراح . واذا انقضت هذه المدة ولم يتلق من الحكومة جوابا فانه يحفظ لنفسه حرية العمل كما يشاء . وفوق هذا فاننا نحن عائلة الشريف نعتبر أنفسنا ـ اذا لم يصل الجواب ـ أحراراً في القول والعمل من كل التصريحات والوعود السابقة التي قدمناها بواسطة علي افندي .

واجاب مكماهون في ٣٠ آب (١٩ شوال ١٣٣٣) جوابا عجيباً في مراوغته وخداعه هذا نصه[١٦٦٤] :

الى السيد الحسين النسيب سلالة الاشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الاحمدية صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد الشريف السيد الجليل المبجل دولة الشريف حسين باشا سيد الجميع امير مكة المكرمة قبلة العالمين ومحط رجال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس أجمعين .

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة اعرض ان لنا الشرف بتقديم وافر الشكر لاظهاركم عاطفة الاخلاص والاحساسات نحو انكلترا . وقد يسرنا علاوة على ذلك ان نعلم أن سيادتكم ورجالكم برأي واحد وعقيدة واحدة وهي أن مصالح العرب هي مصالح انكلترا ومصالح انكلترا هي مصالح العرب .

ولهذه النية فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت سيادتكم عن يد علي افندي وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا [موافقتنا] للخلافة العربية عند اعلانها . وانا نصرح هنا مرة أخرى ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة المباركة . وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها يظهر انها سابقة لاوانها وصرف للاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحروب دائرة رحاها ولان الاتراك ايضاً لا يزالون محتلين لاغلب تلك الجهات احتلالا فعليا ، وعلى الاخص ما علمناه وهو ما يدهش ويحزن ، ان فريقا من العرب القاطنين بتلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس اعظم منها ، وبدل اقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الالمان والاتراك . نعم مد يد المساعدة لذلك النهاب السلاب الجديد وهو الالمان وذلك الظالم العسوف وهو الاتراك .

ومع ذلك فانا على كمال الاستعداد لان نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل ما تحتاجه البلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المتوفرة في البلاد المصرية وستصل بمجرد اشارة سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه . وقد عملنا الترتيبات اللازمة بمساعدة رسولكم في جميع سفراته الينا ، ونحن على الدوام معكم قلباً وقالباً مستنشقين رائحة مودتكم الزكية ومستوثقين بعرى محبتكم الخالصة سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا .

وفي الختام ارفع الى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي .

ويلاحظ ان مكماهون لم يعد الحسين بشيء وتهرب من بحث قضية الحدود وحاول ان يسجل على الحسين تأييد بعض العرب للالمان والعثمانيين . وشعر الحسين بغموض وبرودة وتردد مكماهون في جوابه لا سيما فيما يتعلق بقضية الحدود . وبادر الحسين الى ارسال جواب مطول الى مكماهون في ٢٩ شوال ١٣٣٣/٩ ايلول ١٩١٥ رد فيه على برودة مكماهون حول موضوع الحدود قائلا :

« ان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد نتمكن من ارضائه ومفاوضته بعد الحرب بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود وهو متفق باجمعه على هذا الاعتقاد وهذا ما جعل الشعب يعتقد انه من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شيء . وانه من الضروري جداً ان يتم تنظيم الاراضي المجزأة ليعرفوا على أي أساس يؤسسون حياتهم كيلا تعارضهم انكلترا واحدى حليفاتها . وان العرب لم يطلبوا مناطق يقطنها شعب اجنبي . واني لست أنا شخصيا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا بل هي مقترحات شعب باسره يعتقد انها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية . . » واعرب الحسين عن عدم اهتمامه بالالقاب الرنانة ولا بالحصول على منصب الخلافة (٩٦٥) .

واجاب مكماهون على هذه الرسالة في ١٥ ذي الحجة ١٣٣٣/٢٤ تشرين اول ١٩١٥ . وكان عنوان الرسالة شبيها بعنوان الرسالة الاولى من حيث المعنى بل واكثر تفخيماً . وابدى مكماهون في رسالته هذه اسفه لان الحسين رأى فيها تردداً وفتوراً لانه لم يقصد ذلك ثم اخبر الحسين ان طلباته قد احيلت الى الحكومة البريطانية التي خولته التصريح بما يلي :

« ان ولايتي مرسين واسكندرونة واجزاء بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن ان يقال عنها انها عربية خالصة ، وعليه يجب ان تستثنى من الحدود المطلوبة . ومع هذا التعديل وبدون

توخ للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود

واما من حيث الاقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف بدون ان تمس مصالح حليفتها فرنسا فاني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى ان اقدم المواثيق الآتية واجيب على كتابكم بما يأتي :

(١) انه مع مراعاة التعديلات المذكورة اعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بان تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة .

(٢) ان بريطانيا العظمى تضمن الاماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها .

(٣) عندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة .

(٤) هذا وان المفهوم ان العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها . وان المستشارين والموظفين الاوروبيين اللازمين لتشكيل هيئة ادارية قديرة يكونون من الانجليز .

(٥) اما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فان العرب تعترف بان مصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الاقاليم من الاعتداء الاجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة » (١٩٦٦) .

واجاب الحسين على هذه الرسالة في ٢٧ ذي الحجة ١٣٣٣/٥ تشرين الثاني ١٩١٥. **ووافق الحسين على عدم ادخال « ولايتي » مرسين واضنه ضمن حدود الدولة العربية ولكنه اصر على عروبة المناطق الساحلية لولايتي بيروت وحلب** واعداً بمعاملة المسيحيين في تلك المناطق على قدم المساواة مع المسلمين . **ورفض الحسين التخلي عن البصرة وبغداد** ذاكراً الاعتبارات التاريخية التي تؤكد عروبتها واهميتها للعرب ولكنه وافق على استمرار الاحتلال البريطاني للمناطق التي كانت

خاضعة للاحتلال البريطاني حتى ذلك التاريخ لفترة قصيرة مقابل تقديم اعانة مالية بريطانية لخزانة المملكة العربيــة . كذلك وافق الحسين على احترام المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع بعض الزعماء العرب . وطالب الحسين بريطانيا بألا تعقد صلحاً منفرداً مــع العثمانيين .

ورد مكماهون على هذه الرسالة في ٨ صفر ١٣٣٤/١٤ كانون الاول ١٩١٥. ورحب مكماهون بموقف الحسين من معاهدات بريطانيا مع الزعماء العرب ومن استثناء مرسين واضنه ، ولكنه احتفظ بحق اعادة النظر بموضوع ولايتي حلب وبيروت حيث يتوجب على بريطانيا مراعاة مصالح حليفتها فرنسا. وطالب بصيانة مصالح بريطانيا في ولاية بغداد عن طريق ادارة ودية ثابتة يؤجل النظر فيها الى مباحثات مقبلة . واكد مكماهون للحسين ان بريطانيا لن تعقد صلحاً « الا اذا كان من ضمن شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الاتراك والالمان » . وارسل مكماهون مع هــذه الرسالة عشرين الف جنيه كدفعة اولى « عربونا على صــدق نيتنا ولاجــل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة » .

وسارع الحسين الى الاجابة في ٢٥ صفر ١٣٣٤/اول كانون الثاني ١٩١٦ . واعرب الحسين عن سروره بمحتويات رسالة مكماهون فترك لبريطانيا امر تقدير التعويض التي تدفعه مقابل «اشغالها» للعراق الجنوبي وابدى استعداده لتعليق مسألة بيروت والمناطق الساحلية لئلا يتصدع الحلف البريطاني الافرنسي محتفظاً لنفسه بحق المطالبة بها بعد انتهاء الحرب. ونبه الحسين بريطانيا الى المشاكل التي يمكن ان تنتج عن وجود فرنسا او غيرها في هذه البلاد مبيناً ان اهل بيروت يعارضون مثل هذه التجزئة التي هي في غير صالح بريطانيا وامن المنطقة، وقد يدفعه موقف اهل بيروت اتخاذ موقف يسبب ازعاجاً لبريطانيا ، واضاف الحسين بانه **من المستحيل عليه التنازل لفرنسا او غيرها عن قدم مربع من تلك المنطقة** . واعلمه بانه يوالي استعداداته لخوض المعركة وسيعلمه في الوقت المناسب عن كل ما يحتاجه من

اسلحة وذخائر . ولم يأت مكماهون في رسالته المؤرخة في ٢٤ ربيع الاول ١٣٣٤/ ٣٠ كانون الثاني ١٩١٦ بجديد الا اعترافه بما ذكره الحسين في رسالته السابقة. وذكر الحسين لمكماهون في ١٤ ربيع الاخر ١٣٣٤/شباط١٩١٦ انه جاد في العمل وحدد فيه مطاليبه واحتياجاته لاعلان الثورة. واجاب مكماهون في ٦ جمادي الاولى ١٣٣٤/١٠ اذار ١٩١٦ بتلبية جميع طلباته واعدادها في ميناء بور سودان لحين ابتداء الحركة وطلب منه ان يستعمل نفوذه مع ابن رشيد لوقف تموين الجيش العثماني بالجمال (٩٦٧) .

ويلاحظ في جميع هذه الرسائل الكثير من الغموض . فقد استعملت كلمة « ولاية » اشارة الى مناطق لم تكن في عداد الولايات. فمرسين واسكندرون وحمص وحماة كانت جميعها اقضية لا ولايات. وواضح اذا ان المقصود من ذكر ولايات حلب ودمشق وبيروت هو الاقضية المركزية التابعة لتلك الولايات. ولا يرد اي استثناء واضح او خفي لساحل سورية الجنوبي (فلسطين). وعلق الحسين في مراسلاته الاولى اهمية كبيرة على تعيين الحدود ثم عاد في آخر العام فتساهل تساهلاً كبيراً بحيث لم يبق له من البلاد العربية بشكل صريح غير الحجاز وشرقي الاردن وبعض بلاد الشام وقليل من العراق واجزاء صغيرة في عسير ونجد . ولم تمانع بريطانيا بموجب هذه التعهدات بفرض سيطرة الحسين على امارة ابن رشيد وعلى اليمن ومقاطعات عسير التي لم تخضع للادريسي . وادرك الحسين كما ادرك الانجليز بانه لا يملك القوة العسكرية الكافية لفرض هذه السلطة. فما الذي دفع الحسين الى عدم التمسك بمطالبه الاولى ؟

جرت احداث كبيرة في بر الشام اذ ذاك جعلت موقف الحسين والقضية العربية في خطر شديد . فقد القي القبض اواخر عام ١٩١٥ على افراد القافلة الثانية وسيقوا الى المحاكمة في عاليه . كذلك ازداد الضغط العثماني على الحسين حتى اضطر الى ارسال ابنه فيصل على رأس خمسين من المجاهدين الى دمشق فوصلها اوائل العام الجديد . واجتمع فيصل بانور باشا في شباط ورافقه الى

المدينة المنورة واهداه، كما اهدى جمالا ، سيفاً مرصعا هدية من والده . وحاول فيصل ، باسم والده، التدخل لوقف المحاكمات العسكرية والافراج عن المعتقلين. وطالب الشريف حسين الدولة بالعفو عن المجرمين السياسيين ومنح سورية والعراق ادارة لامركزية «واعتبار الشرافة بمكة معترف لها بحقها الموروث» واعدا الدولة بارسال حملة بقيادة أحد اولاده الى الشام واخرى الى العراق بعد ان يقضي على كل زعامة موالية شرقي الحجاز (كابن سعود في نجد) . وهدد حسين الدولة بأنه « لايستطيع التقدم بالامة العربية في حرب نصح بألا تثار والا تشهر وانه سيكتفي بوظيفة الدعاء للدولة بالنصر والظفر » ان لم تلبى طلباته . وهدده أنور باشا في جوابه بأنه لن ير ابنه فيصل ثانية ان لم يرسل المجاهدين وحذره من التكلم باسم العرب واخبره ان من بالشام من المجرمين سينالون الجزاء العادل . واصر الحسين على عدم ارسال المتطوعين الا اذا جاء فيصل ليأخذهم . وازدادت الخلافات حدة بين الشريف علي وحاكم المدينة الذي شكاه الى جمال باشا (٩٦٨) . ونفذ جمال باشا حكم الاعدام باثنين وعشرين عربيا (سبعة في دمشق واربعة عشر في بيروت) في السادس من ايار . وكان من بين من اعدم العين عبد الحميد الزهراوي والنواب شكري العسلي وشفيق المؤيد ورشدي الشمعة وضابطا الاركان سليم الجزائري وامين لطفي . كذلك اعد العثمانيون قوة من ٣٥٠٠ مسلح بقيادة خيري بك للتوجه الى الحجاز . وأحسن العثمانيون اعداد هذه القوة المختارة كما ارفقوها ببعثة عسكرية ألمانية . وشكلت هذه القوة خطراً كبيرا على الشريف حسين . لذا كان سرور الشريف واولاده كبيرا عندما سمح جمال باشا للامير فيصل بالذهاب الى المدينة لاحضار قوة المجاهدين الموعودة التي يقودها اخوه الشريف علي . واعتقد جمال باشا ان الامر اصبح بيده وان الشريفين سيكونان رهائن لضمان سلوك ابيهما (٩٦٩) .

ولم يتردد الحسين واولاده في اغتنام هذه الفرصة التي قد لا تسنح مرة اخرى. فما ان وصل فيصل الى المدينة حتى قرر الافلات منها . وتم لفيصل واخيه الافلات

من المدينة في الثامن من شعبان ١٣٣٤/٩ حزيران ١٩١٦ وارسل الحسين الى جمال باشا مذكرة في ذلك اليوم جاء فيها :

« ان المطالب العربية المعتدلة قد رفضت من جانب الدولة العثمانية وبما أن الجند الذي تهيأ للجهاد سوف لا يرى عليه ان يضحي لغير مسألة العرب والاسلام ، فاذا لم تنفذ الشروط المعروضة من شريف مكة حالا . فانه بعد وصول الكتاب بأربع وعشرين ساعة ستكون حالة الحرب قائمة بين الامتين »(٩٧٠)

وفي صباح اليوم التالي ، الساعة الثالثة والنصف من صباح السبت التاسع من شعبان ١٣٤٤/العاشر من حزيران ١٩١٦ اطلقت الرصاصة الاولى في مكة وبدأت الثورة على العثمانيين . وكان القتال بين العرب والعثمانيين قد بدأ في اليوم السابق حول الطائف والمدينة . وعهد الشريف حسين الى ابنه فيصل بمهاجمة ينبع والى علي بإزعاج المدينة والى عبد الله باحتلال الطائف . وتوالى استسلام الحاميات العثمانية في الحجاز . فاستسلمت حامية جدة في ١٥ شعبان / ١٦ حزيران وحامية اجياد (مكة) في ٤ رمضان / ٤ تموز والطائف في ٢٦ ذي القعدة/٢١ ايلول ، فبلغ بذلك عدد الاسرى العثمانيين ستة آلاف اسير . اما في المدينة فقد نجح فخري باشا بالمحافظة على مواقعه وصد جميع الهجمات العربية حتى نهاية الحرب(٩٧١).

وتأخر نشر انباء الثورة في البلاد العربية . فقد حاولت السلطات العثمانية في سورية والسلطات العراقية في جنوبي العراق اخفاء نبأ الثورة عن السكان . واصدرت القيادة العثمانية بلاغا في دمشق في ١٥ حزيران اعلنت فيه ان القوات العثمانية في المدينة قد ادبت العصاة الذين قطعوا اسلاك البرق وخط الحديد . ونفت السلطات العثمانية في ٢٦حزيران نبأ وجود ثورة منظمة في الحجاز. وصدر في الثاني من تموز فرمان سلطاني بعزل الشريف حسين وتنصيب الشريف علي

حيدر باشا الذي نقله قطار خاص الى المدينة المنورة فوصلها اوائل ايلول ، فكان هذا القرار بمثابة اعتراف رسمي بعصيان الحسين. وحملت الصحف التركية على الحسين واتهمته بالثورة لأسباب شخصية متآمراً مع الانجليز . وامعنت السلطات العثمانية في اضطهادها للعرب في الشام فاعتقلت شكري باشا الايوبي وعبد الحميد القلطقجي وزكي العظمة وفارس الخوري وشكري القوتلي والدكتور احمد قدري [٩٧٢]. وعقد اجتماع في الكويت في ٢٠ تشرين الثاني حضره ابن سعود وشيخ الكويت وشيخ المحمرة فبارك المجتمعون ثورة الحسين . [٩٧٣]

ونشر خبر اعلان الثورة في مصر في ٢٢ تموز حيث روى مراسل رويتر بأن « الشريف جاهر باستقلال العرب وخروجهم على الترك » . ولكن النبأ لم ينشر بصورة رسمية الا في اول تموز حينما اذاع قلم المطبوعات في القاهرة نبأ الثورة واعلن زوال الحكم العثماني عن مكة وجدة والطائف . وصدر بيان بريطاني رسمي عن احداث الحجاز في لندن في ٢٨ تموز . واعلنت بريطانيا اهتمامها ببقاء الاماكن المقدسة في الحجاز في ايدي حكومة اسلامية مستقلة . واعتبر متحدث في مجلس اللوردات هذه الثورة غير منتظرة بعد الفوز العثماني في الكوت (العراق) . [٩٧٤]

ورحبت فرنسا بالثورة وارسلت وفدا من مسلمي افريقيا لتهنئة الحسين . وتبادل الشريف ورئيس الجمهورية الفرنسية البرقيات وتمنى كل منهم النصر لجيش الآخر . وحيت جريدة افرنسية الشريف « الرئيس الديني والمدني الذي اعاد الى قلب بلاد العرب حكومة عربية مستقلة لا تزعجها اية مداخلة اجنبية ولا ظل لاي نفوذ اجنبي عليها » [٩٧٥]

واصدر الشريف في ٢٥ شعبان ١٣٣٤/٢٦ حزيران ١٩١٦ بيانا للمسلمين . وذكر الحسين في بيانه أن اشراف مكة كانوا اول من اعترف بالدولة العلية رغبة منهم في جمع كلمة المسلمين وانه حمل بنفسه عام ١٣٢٧ « بالعرب على العرب » محافظة

على شرف الدولة في عسير ، ولكن الاتحاديين حادوا بالدولة عن « صراط الدين .. ومهدوا السبيل للمروق منه .. وسلبوا شوكة السلطان . . واسرفوا في اموال الدولة . . واضاعوا عدة ممالك . . وفرقوا شمل الامة . . بمحاولة جعل شعوبها كلها تركية . . وخصوا العرب ولغتهم بالاضطهاد . . وخاضوا بالدولة والامة غمرات هذه الحرب . واتخذوها ذريعة للفتك بجميع المخالفين لرأيهم . . وللتنكيل بالعرب خاصة . . [وعرضوا حرم الله وحرم رسوله] للخوف والجوع والخراب . » وذكر الحسين الاعمال التي قام بها الاتحاديون من طعن بالاسلام وحط من قدر رجالاته وتشويه سيرة النبي الكريم ونشر المطبوعات التي تدعو لمثل ذلك . وانتقد الحسين الاتحاديين لانهم سهلوا على الضباط والجند ترك الصلاة والصيام وشرعوا في « ابطال احكام الشريعة ، واهملوا الشهادات التي يكتبها المسلمون فيما بينهم « **غير مبالين بما في آية البقرة** » وباعوا الشفاعة النبوية . وكما انهم سلبوا الخليفة حق التصرف الشرعي فاسقطوا بذلك بقايا شروط الخلافة . . اذ يجب على المسلمين ان يكون لهم امام شرعي مستقل قادر على التصرف في اقامة الشرع ورفع لواء العدل » .

وتعرض الحسين في بيانه لتعداد الاساءات التركية للعرب ، فذكر مافعلوه مع قادة سوريا ، وكيف انهم اعدموهم بالجملة . وشرح كيف نكلوا بالاحياء ونفوا الكثيرين رجالا ونساءا واطفالا الى مجاهل الاناضول . واعلن الحسين بأنه ماثار على الخليفة الا بعد ان عرضوا « استقلال هذه الدولة . . . ووصل سيل طغيانهم الينا في حرم ربنا . . واضطررنا الى مقاومة بغيهم من أسلم الطرق ؛ وهي حصر جنودهم في معاقلها من غير ان نبادئهم بقتال » . الا ان حاميتهم بدأت بالعدوان فرد عليه الحسين بمثله مضطراً . وختم الحسين بيانه معلناً بان غايته « نصرة دين الاسلام والسعي لاعلاء شأن المسلمين » والمساواة الشرعية في الحقوق بينهم وبين جميع من يدخل في حوزة استقلالها من المخالفين على اساس احكام الشرع الشريف الذي لايكون لنا مرجع سواه ولا مستند الا اياه

في جميع الاحكام واصول القضاء وفروعه ». ووعد في الوقت نفسه باعزاز العلم وتعميمه (٩٧٦).

وقام الحسين باتخاذ بعض الاجراءات السياسية لدعم حركته. فقد اعلن في اول محرم ١٣٣٥/٢٨ تشرين اول ١٩١٦ عن بيعته ملكا على الامةالعربية. وارسل قيصر روسيا مهنئاً ولكن بريطانيا وفرنسا رفضتا الاعتراف باللقب، وقبلتا في الثالث من كانون الثاني ١٩١٧ (اول ربيع ثاني ١٣٣٦) ان تعترفا به ملكا على الحجاز. وأمر الحسين بتشكيل وزارة في الحجاز برئاسة الشيخ عبد الله سراج. واسند فيها منصب وزارتي الخارجية والداخلية للشريف عبدالله بن الحسين (ويساعده في الخارجية فؤاد الخطيب) وعين عبد العزيز بن علي المصري (اي عزيزعلي المصري) رئيساً للاركان. وشكل الحسين في اليوم نفسه مجلساً اعلى للشيوخ برئاسة الشيخ محمد صالح الشيبي وعضوية مفتي الشافعية ومفتي المالكية ونائب الحرم ووكيل شيخ السادة وبثمانية آخرون (٩٧٧).

واستمر تقدم القوات العربية نحو الشمال في وجه مقاومة عثمانية عنيفة. ووصلت القوات العربية في تقدمها بلدة الوجه اوائل عام ١٩١٧ وبلغ عدد اسراها من الاتراك ستة الاف كما جمدت اكثر من خمس وعشرين الفاً من العثمانيين في المدينة وتبوك ومعان. ووصلت طلائع الجيش العربي في الصيف الى جنوب شرقي معان وتوغلت بعض فرقها الاستطلاعية في برالشام حتى وصلت دمشق واجتمع قائدها سراً برئيس بلدية دمشق في ١٣ حزيران. وسقطت محطة المسن في الثاني من تموز والعقبة في السادس منه وزاد عدد الاسرى الفاً اخرى. واحتلت القوات العربية قبل نهاية العام مراكز جرف الدراويش والطفيلة. وكان الجيش البريطاني قد توغل اثناء ذلك في فلسطين فاحتل غزة والخليل ويافا وبيت لحم، واخيرا دخل القدس في التاسع من كانون الاول (٩٧٨).

وبدأ جمال باشا محاولاته لمفاوضة فيصل. وبدأ اتصالاته في تشرين الثاني اثر كشف النقاب عن معاهدة سايكس بيكو. وبين العثمانيون للعرب ان حليفتهم كانت

قد عقدت معاهدة مع فرنسا في السادس عشر من ايار ١٩١٦ اقتسمتا فيها بلدان الهلال الخصيب وتعهدتا بعدم الحصول على ممتلكات في الجزيرة العربية مع الاعتراف بوضع خاص لبريطانيا . وعقدت هذه المعاهدة بعد شهرين من وصول رسالة مكماهون الاخيرة وقبل اعلان الثورة بأقل من شهر . وتابعت بريطانيا خلال العام الاول للثورة مباحثاتها مع الصهيونيين واصدرت وعد بلفور في الذكرى الاولى لاعلان الحسين ملكا على الامة العربية . ويبدو ان المفاوضات بين جمال باشا احرزت من التقدم مامكن جمال من ابداء تفاؤله في الرابع من كانون الاول (٩٧٩).

وتوقف الزحف العربي شمالا طوال الاشهر الثمانية الاولى من عام ١٩١٨ . ووالى الجيش البريطاني استعداداته لهجوم الخريف في فلسطين فحشد قوة توازي ضعف القوة العثمانية التي تقابله . واكتفى العرب بحملات استطلاعية صغيرة ، وبتخريب سكة الحديد ونسف جسورها. وازداد هذا النشاط في خلال النصف الثاني من ايلول اذ نجحوا في قطع الخط بين عمان ودرعا وفي عزل درعا نفسها. وحشد العثمانيون ضد الجيش العربي البالغ تعداده ثمانية الاف مسلح قوة تساوي ثلاثة امثال هذا العدد .

وبدأ اللنبي هجومه العام في ١٩ ايلول فانهارت المقاومة العثمانية . وتقدم الجيش العربي بسرعة نحو الشمال فاحتل معان في ٢٣ ايلول ودرعا في ٢٧ منه ووصل آخر ايلول الى اطراف دمشق ودخلتها طلائعه في اليوم الاول من تشرين الاول. وحرر الجيش العربي حمص في ١٥ تشرين الاول وحماة بعد يومين ودخل حلب في ٢٥ تشرين اول ١٩١٨ . وتم توقيع هدنة مودرس في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ (٩٨٠).

وواجه الحسين بعد نهاية الحرب صدمات متوالية. فبعد شهر واحد من اعلان الهدنة صرح ابنه فيصل في حلب بان العرب شعوب مختلفة باختلاف الاقاليم ولا يمكن ان يخضعوا لقانون واحد، فكان التصريح اللطمة الاولى لاحلام الحسين

وآمال العرب بقيام دولة عربية موحدة . وبعد اشهر قليلة ، في ايار ١٩١٩ ، تلقى الحسين لطمتين كبيرتين احداهما من ابنه فيصل والثانية من الوهابيين . فقد نادى فيصل في الخامس من ايار بسوريا بحدودها الطبيعية دولة مستقلة لاعلاقة لها بسائر البلدان العربية الموحدة المنشودة . وبعد ايام من تصريح الابن سدد الوهابيون الطعنة في تربة وابادوا جيش الحجاز النظامي الذي كان يقوده الابن الآخر عبد الله . ودفعت بريطانيا للحاكمين العربيين المال الضروري ليحاربا بعضهما بعضاً ثم تدخلت لوقف القتال فصرفت ابن سعود عن الحجاز فالتهم امارة حايل في الخريف (٩٨١) .

واشتركت الحجاز في مؤتمر الصلح في فرسايل فكانت أول حكومة عربية تشترك في مؤتمر دولي . ومثل الامير فيصل الحجاز في المؤتمر الذي بدأ أعماله يوم ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ وبسط مطالب العرب في ٦ شباط وهاجم بشدة المعاهدات السرية التي اقتسمت بموجبها الدول الكبرى البلاد العربية ولم يستطع فيصل في مؤتمر الصلح ان يكسب لابيه أو للحجاز او للعرب أي حق ، ولم يستفد الحسين شيئاً من هذا المؤتمر . وحاول الحسين أن يرسل ابنه عبد الله كممثل له في مؤتمر الصلح ولكن الجنرال اللنبي اعاده من مصر (٩٨٢) .

وكان فيصل قد سدد الطعنة الثالثة الى ابيه والقضية التي حارب من أجلها . فقد جمع اعيان وممثلي سوريا في مؤتمر اعلن انفصال سورية عن البلاد العربية واستقلالها ومبايعة فيصل ملكا عليها يوم ١٧ جمادي الثاني ٨/١٣٣٨ اذار ١٩٢٠ رغم الحاح الحسين ونصيحته « في تأخير هذا الأمير الخطير الى مابعد عقد الصلح وتنازل تركيا عن حقها في هذه الاقطار لاهلها العرب » . واغتنمت فرنسا هذه الفرصة لتقضي على هذه الدولة ،التي لم يعترف بها أحد، بمعزل عن الحجاز الحليف . وكان أن ارسل الافرنسيون انذارهم واخرجوا فيصل من سورية وقضوا على العهد العربي فيها أواخر تموز . ولكن ماان قارب العام التالي على الانتهاء حتى كان الامير عبد الله قد استقر في عمان (الاربعاء ٢٢ جمادي الثاني ١٣٣٩/٢ اذار

١٩٢١) اميرا على شرقي الاردن بينما استقر الابن الآخر فيصل في بغداد ملكا على العراق (٢٣ آب ١٩٢١) [٩٨٣] .

واعتقد الانجليز ان تأمين العرشين لولدي الحسين قد يحمله على التساهل مع الانجليز وتوقيع معاهدة يعترف بها بشرعية التجزئة . ووصل لورنس الى الحجاز في الخريف حاملا مشروعاً المعاهدة تحمي الحسين في الحجاز من جاره الوهابي . وتعهدت بريطانيا في المادتين الثانية والثالثة من مشروع المعاهدة بحماية الحسين من اعتداءات جيرانه مقابل تعهد الحسين (مادة ٤ و ٥) باتباع سياسة ودية نحو حليفي بريطاني الادريسي وابن سعود . وافقت بريطانيا على التنازل عن امتيازاتها في الحجاز (مادة ١٦) وطالبت الحسين (مادة ١٧) بالاعتراف بمركز بريطانيا الخاص في العراق وفلسطين وبتقديم مساعدته على تثبيت ذلك المركز الخاص . ووقعت المعاهدة في تشرين الاول ١٩٢١ ولكن الحسين رفض ابرامها [٩٨٤] .

وكانت القضية الفلسطينية هي سبب فشل المعاهدة . فقد أصر الحسين على حقه بالدفاع عن قضية عرب فلسطين واعتبرها داخلة في نطاق البلاد التي وعده الانجليز باستقلالها . ولم يكن باستطاعة الحسين ان يوافق على مركز بريطانيا الخاص في فلسطين والعراق . وحاولت بريطانيا مرة اخرى في ربيع ١٩٢٣ ان تحمل الحسين على توقيع معاهدة ، واستمرت المباحثات حتى صيف ١٩٢٤ دون ان يوفق الانجليز في حمل الحسين على التسليم بحق العرب في فلسطين . ووجه الحسين في الرابع من آب ١٩٢٤ رسالة الى رئيس وزارة بريطانيا ناشده فيها عدم التنكر لوعود بريطانيا للعرب خلال الحرب ، ولكن قبل مضي شهر على هذه الرسالة كان ابن سعود قد غزا الحجاز [٩٨٥] .

وقام الحسين بزيارة لابنه في عمان في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٤ ، واعلن اثناء وجوده في عمان عن انتهاء الخلافة العثمانية ، فبويع الحسين خليفة في الخامس من شعبان ١٣٤٢ (١١ آذار ١٩٢٤) . وبايعه كثير من اهل فلسطين وسورية

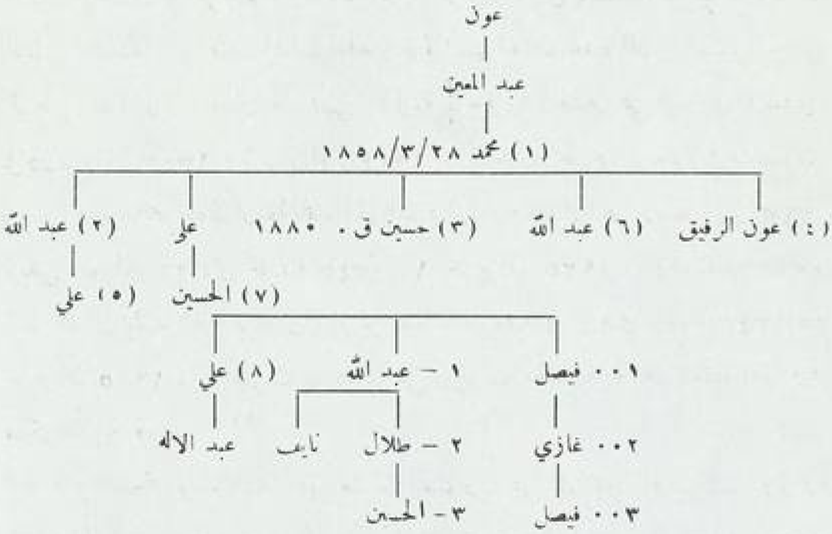
والاردن والعراق . ولكن قبل مرور شهر على البيعة كان ابن سعود قد بدأ استعداداته لانهاء عهد الحسين في الحجاز بعد ان وثق بان مثل هذا العمل سيرضي بريطانيا ويعفيها من تعهداتها للحسين خلال الحرب[٩٨٦] .

بدأت العمليات الحربية في التاسع والعشرين من آب ١٩٢٤ . وقام الوهابيون بمذبحة محزنة في الطائف هلك فيها عدد كبير من الاشراف الذين كانوا يقضون الصيف فيها . وزحف الوهابيون على مكة التي فر الناس منها اواخر ايلول . وطلب الحسين في الرابع والسادس من تشرين الاول مساعدة بريطانيا ولكنها اعلنت حيادها . واعتقد اعيان الحجاز ولا سيما اعيان جده الذين اسسوا الحزب الوطني ان تنازل الحسين قد ينهي الازمة فأجبروا الحسين على التنازل لابنه علي في ٥ ربيع اول ١٣٤٣/٣ تشرين اول ١٩٢٤ . وانسحب الحسين الى جدة في التاسع من ربيع اول والبحر بعد اربعة ايام الى العقبة التي وصلها اواخر ربيع اول ١٣٤٣ وبقي فيها الى ٢٦ ذي القعدة ١٣٤٣/١٧ حزيران ١٩٢٥ . واستطاع الامير عبد الله ان يقنع اخاه بالتنازل له عن معان والعقبة في ٤ ذي الحجة ١٣٤٣/٢٥ حزيران ١٩٢٥ . واصرت بريطانيا على وجوب امغادرة الحسين للعقبة ، فغادرها مكرهاً الى قبرص[٩٨٧] .

وفي الحجاز بويع الملك علي ملكا دستورياً على البلاد . وتشكلت وزارة دستورية كان من مناهجها ألا تكون في حرب مع احد وان تعمل لصالح المسلمين . وارسلت الوزارة مندوباً الى ابن سعود سلطان نجد تطلب منه وقف العمليات الحربية ، الا انه رفض مالم يخرج الحسين واولاده من الحجاز . وغادر الملك علي مكة في ١٤ ربيع اول (١٣ تشرين اول) فدخلها في اليوم التالي غالب بن لؤي على رأس القوات الوهابية . وحاصرت القوات الوهابية المدينة وجدة وقصفتها بالمدافع . وأخيراً استسلمت المدينة في ١٩ جماد ١٣٤٤/٥ كانون اول ١٩٢٥ وينبع بعد عشرة ايام . وقرر علي وقف القتال والانسحاب من الحجاز ني ٢٣ كانون الاول . وغادر علي الحجاز على نفس البارجة

البريطانية التي نقلت اباه الى المنفى ودخل ابن سعود جدة يوم الخميس ٨ جمادي الثاني ٢٥/١٣٤٤ كانون الاول ١٩٢٥ واعلن انتهاء القتال . وفي الثامن من كانون الثاني ١٩٢٦ بويع ابن سعود ملكا على الحجاز وانتهى عهد الاشراف فيها [٩٨٨].

اشراف مكة من آل عون



(١) شريف مكة
١ – ملك الاردن
٢ .. ملك العراق

الفصل الثامن

نجد وجبل شمر

١٥٠٠ — ١٩١٨

تطلق كلمة نجد (الارض المرتفعة) على المنطقة الوسطى من شبه الجزيرة العربية . ويحدها جبل شمر من الشمال والحجاز من الغرب والربع الخالي من الجنوب والدهناء والحسا من الشرق. وتخترق نجد من الشمال الى الجنوب سلسلة جبال العارض التي تمتد بشكل قوس ينقسم الى الجنوب من السدير الى شعبة شرقية واخرى غربية . وتنتشر في نجد عدد من الواحات اهمها من الشمال الى الجنوب : القصيم ، السدير ، الوشم ، العارض أو وادي ابوحنيفة ، الخرج ، الحريق ، الافلاج ، وادي الدواسر . اما جبل شمر فيقع بين نجد والنفود الكبير وهو منطقة هضاب مرتفعة تتميز بجبلين متوازيين هما جبل اجأ وسلمى (٩٨٩).

وقدر للعارض ان تلعب دوراً رئيسياً في تاريخ نجد . ولاتزيد مساحة القسم المعمور من العارض على مائة ميل مربع ، ولكن في هذه البقعة الصغيرة وفي قراها تقرر مصير نجد والقسم الاكبر من الجزيرة العربية . ففي العارض بلدان الدرعية والرياض والعيينة وحريملة وثادق التي لعبت الدور الاول في تاريخ الدعوة الوهابية .

ويقترن اسم محمد عبد الوهاب ، الداعية الاول ، باسم بلدة الدرعية واميرها

السعودي. وتأسست امارة الدرعية حوالي عام ١٤٤٦/٨٥٠ على يد ربيعة بن نافع المريدي الذي غادر الدرعية في ضواحي القطيف (الاحساء) قاصداً المنفوحة قرب الرياض لزيارة ابن عمه ابن ذراع. واعطاه ابن عمه قريتين مهجورتين في وادي حنيفة فعمر احداهما وسماها الدرعية. وثار عليه ابنه موسى واخرجه من الدرعية فلجأ الى حمد بن حسن في العيينة. ووسع موسى بن مانع امارته فاستولى على وادي حنيفة. واقتسم ابراهيم بن موسى منطقة العارض مع معمر بن حمد صاحب العيينة وخلف ابراهيم ابنه مرخان فحفيده ربيعة بن مرخان. وقامت فتنة بعد وفاة ربيعة اذ اغتصب الحكم مرخان بن مقرن فثار عليه وطبان بن ربيعة وقتله ولكن محمد بن مقرن (اخا مرخان) اجبره على الفرار الى العراق حيث اسس امارة في الزبير عاشت حتى عام ١٨٣٦/١٢٥٢. وتنازل محمد بن مقرن لابنه ناصر عام ١٦٥٤/١٠٦٤ وتوفي عام ١٦٩٤/١١٠٦. وقتل ناصر في حياة ابيه عام ١٦٧٣/١٠٨٤ فخلفه مرخان بن طبان (م ١٦٩٠/١١٠١) فابراهيم بن وطبان (م ١٦٩٤/١١٠٦). واستولى على الحكم سلطان بن حمد القبسي من بني خالد الذي قتل ابراهيم وحكم حتى مقتله عام ١٧٠٨/١١٢٠ فخلفه اخوه عبدالله الذي قتل بعد عام فخلفه موسى بن ربيعة ولكن ثار عليه سعود بن محمد مقرن (١٧٢٠/١١٣٢ — ١٧٢٥/١١٣٧) واجبره على الفرار. وانتقل الحكم بعد سعود الى ابن عمه زيد بن مرخان بن وطبان الذي قتل في العام التالي وهو يحاول احتلال العيينة[٩٩٠].

وبرز في هذا العهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣/١١١٥ — ١٧٩١/١٢٠٦) وكان والده عبد الوهاب وجده سليمان قاضيين في العيينة. ونشأ محمد على المذهب الحنبلي ودرس على ابيه في العيينة ثم قصد البصرة فاقام فيها اربع سنوات. وقضى خمس سنوات في بغداد وزمناً غير قصير في كردستان وهمذان واصفهان وتأثر بتعاليم ابن تيمية. وعاد محمد الى ابيه الذي كان قد لجأ الى حريملة. وشرع محمد بالتبشير بدعوته الجديدة فانكر الشرك وحارب البدع والتوسل الى الاولياء والاضرحة ، فلا اجتماع لقراءة مولد ولا احتفاء

بزيارة قبر ولا اقامة ذكر » . واختلف محمد مع والده الذي توفى عام ١١٥٣/ ١٧٤٠ فعاد محمد الى العيينة . واكرمه اميرها عثمان بن محمد وزوجه جوهرة ابنة عبد الله بن معمر ، وآمن بدعوته وقطع الاشجار وهدم القباب ورجم الزانية المحصنة . ولكن عثمان اضطر الى اخراج محمد من العيينة بضغط من امير الاحساء . ولجأ الشيخ محمد الى الامير محمد بن سعود صاحب الدرعية فآمنت زوجة الامير بالدعوة الجديدة واقنعت زوجها باتباعها (٩٩١) .

١٦ ـ محمد بن سعود ١١٣٨/١٧٢٥ ـ ١١٧٩/١٧٦٥

ازدادت اهمية الدرعية في عهد محمد بن سعود بسبب لجوء قاضي العيينة محمد ابن عبد الوهاب اليها عام ١١٥٨/١٧٤٥ . وآواه الامير محمد وحماه واتبع دعوته ، كما تعهد الشيخ بان يقيم في الدرعية . وقصد اعوان الشيخ الدرعية والتفوا حوله وكثر عددهم . وحاول عثمان بن معمر ان يعيد الشيخ الى العيينة فرفض . وبايعه اهل حريملا فامر عليهم محمد بن عبد الله بن مبارك . ودعا الشيخ اتباعه المؤمنين الى الجهاد الذي رفع رايته امير الدرعية . وكان على امير الدرعية ان يواجه قبل كل شيء عداء المنفوحة والرياض والخرج (٩٩٢) .

حكم المنفوحة اوائل القرن ١٣هـ/١٨م دواس بن عبدالله بن شعلان الذي توفي عام ١١٣٩/١٧٢٦ فخلفه ابنه محمد . وثار عبد الله بن فارس بن عبدالله (ابن عم محمد بن دواس) وقتل الامير محمد في العام الاول من امارته . ولجأ دهام بن دواس واخوته الى امير الرياض زيد بن موسى . وخلف عبدالله ابنه محمد (١١٦٨/١٧٥٥ ـ ١١٧٨/١٧٦٤) الذي تذبذب في ولائه بين الرياض والدرعية فتعرض لغزو الطرفين . وقدر لابن عمه دهام ان يصبح اميرا على الرياض . فقد قتل امير الرياض زيد بن موسى على يد عبده خميس الذي حكم ثلاث سنوات وقتل . وحكم دهام عام ١١٥٣/١٧٤٠ باسم ابن اخته (اي ابن الامير المقتول

زيد) ثم استولى على السلطة . ولكن ما ان استتب له الامر في الرياض حتى اضطر الى مواجهة عداء الدرعية العنيف (٩٩٣) .

وكانت **الرياض** اولى اهداف الامير محمد بن سعود في جهاده . وقاد محمد حملات سنوية ضد الرياض استطاعت الرياض ان تصدها . واشتد الضغط الوهابي على الرياض في رمضان ١١٧١/ايار ١٧٥٨ حينما بنوا معسكراً قربها لمواصلة القتال . وواصل الوهابيون ازعاجها ونهب قوافلها والتضييق عليها الى ان اضطر اميرها الى الخضوع عام ١١٧٦/١٧٦٢ . ولكن ما ان توفي محمد بن سعود حتى نقض امير الرياض دهام عهده متحالفاً مع زيد بن زامل امير الخرج . واخيراً وبعد حروب دامت ثلاثا وثلاثين سنة تمكن الوهابيون من احتلال الرياض في ربيع ١١٨٧/١٧٧٣ فوجدوها شبه مهجورة ، اما اميرها دهام فقد فر منها ولجأ الى حليفه امير الخرج زيد بن زامل . ولاحقه عداء الوهابيين الى الخرج فقتلوا اميرها واخضعوها (٩٩٤) .

واشتد الضغط الوهابي على **المنفوحة** بعد عام ١١٦٩/١٧٥٦ . وقام الوهابيون في العام التالي بمحاولة لهدم سد ريشا الذي يسقي زروعها . واحرق الوهابيون بعد ثلاثة اعوام زروعها وداوموا على ازعاجها الى ان خضعت عام ١١٧٨/١٧٦٤ . (٩٩٥)

ووجد امير **الخرج** زيد بن مشاري بن زامل بن عثمان (١١٧٩/ ١٧٦٥ — ١١٩٧/١٧٨٣) نفسه وحيداً في الميدان بعد مصرع حليفتيه فحالف الدواسر كما حالف الشيخ عراعر حاكم الاحساء . وفشلت محاولة عراعر في خريف ١١٧١/١٧٥٨ لانقاذ حلفائه الذين تعرضوا لانتقام الوهابيين . وخضع زيد للوهابيين فترة ثم ثار عام ١١٩٠/١٧٧٦ فاقصاه الوهابيون ونصبوا سليمان بن عفيصان اميرا . واستعاد زيد امارته في العام التالي واحبط محاولة وهابية لعزله . وقاوم زامل الضغط الوهابي بمساعدة سعدون امير الاحساء . وقتل زيد برصاصة وهابية طائشة عام ١١٩٧/١٧٨٣ فخلفه ابنه براك . واغتيل براك بعد عامين فخلفه

اخوه تركي . واغتنم الوهابيون الفرصة فقضوا على الامارة وقتلوا تركي وعينوا سليمان بن عفيصان حاكما وهابياً على الخرج عام ١١٩٩/١٧٨٥ . وبقي سليمان في منصبه الى ان قتل في حرب الاحساء عام ١٢٠٨/١٧٩٣ فخلفه ابنه ابراهيم بن عفيصان [٩٩٦] .

وكانت حريملة اول بلد آمن بدعوة الشيخ بعد الدرعية والعيينة . وقبل الشيخ ولاء حريملة وامّر عليها ١١٥٨/١٧٤٥ محمد بن عبد الله بن مبارك . وثار اهل حريملة عام ١١٦٥ / ١٧٥٢ وقتلوا غيلة حاكمهم الوهابي محمد بن عبد الله وثمانية من افراد عائلته . ونجا من المجزرة احد اقاربه مبارك بن عدوان ولجأ الى الدرعية طالباً النجدة . وفشلت الحملة الوهابية الاولى في اخضاع حريملة وتأخر تأديبها ثلاثة اعوام . واستولى الوهابيون في ١١٦٨/٤ اذار ١٧٥٥ على حريملة ونهبوها ونصبوا مبارك اميرا عليها . واستدعي مبارك عام ١١٧١/١٧٥٨ للاشتراك في الحملة على الرياض ومنع من العودة الى امارته التي اعطيت الى ابن عمه عبد الله بن عدوان . وفر مبارك من « الضيافة الجبرية » واعلن الثورة واستعاد الامارة ثم خاف على نفسه وفر من مدينته [٩٩٧] .

وكان امراً طبيعياً ان يولي الشيخ امارة العيينة اهتماماً كبيراً . فقد تولى هو وابوه عبد الوهاب (م ١١٥٣/١٧٤٠) وجده سليمان (م ١٠٧٩/١٦٦٨) منصب القضاء فيها . وتأسست امارة العيينة في الوقت الذي تأسست فيه امارة الدرعية . فقد اشترى حسن بن طوق بن ملحم ارض العيينة من قبيلة اليزيد وأسس فيها امارته . وخلفه ابنه حمد الذي لجأ اليه جد العائلة الحاكمة في الدرعية فأمن وجه ابنه موسى وحكم بعد حمد ابنه معمر الذي اورث الامارة بدوره الى ابنه احمد (م ١٠٥٦/١٦٤٦) . وحدثت بعد ذلك فتنة في العيينة اذ تآمر دواس بن حمد بن احمد (ق ١٠٥٨/١٦٤٨) على عمه ناصر بن احمد (ق ١٠٥٧/١٦٤٧) وقتله . وثار على دواس ابن عمه محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر واستولى على الامارة وحكمها حتى وفاته عام ١٠٧٢/ ١٦٦١ . فخلفه ابن عمه عبد الله (م ١٠٩٦/١٦٨٥) . وانتقل الحكم الى عبد الله

بن محمد بن حمد (١١٣٨/١٧٢٦) الذي استخلف عمه محمد خرفش (م ١١٥٣/ ١٧٤٠) . وغضب خرفش على القاضي عبد الوهاب بن سليمان فاخرجه من العيينة ولجأ القاضي الى حريملة . واعاد الامير عثمان بن حمد بن عبد الله (ق ١١٦٣/١٧٥٠) الشيخ محمد قاضياً مكان ابيه عام ١١٩٠/١٧٤٠ فبدأ محمد بالتبشير بدعوته . وآمن عثمان بالدعوة ووافق على هدم القباب وقطع الاشجار المقدسة . ولكن عثمان اضطر بعد خمس سنوات الى اخراج الشيخ محمد من العيينة ارضاءاً لامير الاحساء سليمان بن عراعر . وندم عثمان على ما فعله مع الشيخ بعد ان رأى نجاح الدعوة في الدرعية فحاول اعادة الشيخ الى العيينة ولكن الشيخ ابى . وقدم الامير عثمان ولاءه للشيخ وايد حملات الجهاد التي قادها امير الدرعية ضد الرياض . الا ان الشيخ ظل شاكا باخلاص عثمان فارسل اليه من قتله بعد صلاة الجمعة في منتصف رجب ١١٦٣/حزيران ١٧٥٠ . ولم يرض الشيخ عن امارة مشاري بن ابراهيم بن حمد بن عبد الله فقصد العيينة بنفسه وعزل مشاري عام ١١٧٢/١٧٥٩ وعين سلطان بن محسن احد مماليك آل معمر اميراً . واستطاع ناصر بن عثمان انتزاع الامارة الا انه قتل عام ١١٨٢/١٧٦٨ فانتهى بقتله عهد بني معمر في العيينة وغدت جزءاً من امارة الدرعية (٩٩٨) . والعيينة الآن خربة ويطلق على خرائبها اسم بلد الشيخ .

١٧ - عبد العزيز بن محمد بن سعود ١١٧٩/١٧٦٥ - ١٨ رجب ١٢١٨/٣ تشرين ٢ ١٨٠٣

وازدادت الدعوة الوهابية قوة في عهد الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود . وواصل عبد العزيز غزو جيرانه في الرياض وثرمدا وسدير . واخيراً تمكن من احتلال الرياض بعد ان فر منها اميرها دهام في منتصف ربيع الثاني ١١٨٧/١٧٧٣ (٩٩٩) .

وشغل عبد العزيز بعد ذلك بحرب امير الاحساء الذي بدأ يتدخل في نجد . وضغط امير الاحساء سليمان بن عريعر على صاحب العيينة واجبره على اخراج الشيخ

محمد عام ١١٥٨/١٧٤٥. ولما تمركز الشيخ في الدرعية وقوي امره وامر امير الدرعية حاول امير الاحساء عريعر بن دجين احتلال الدرعية والقضاء على الدعوة في مهدها ولكنه توفي قبل ان يصل الى هدفه عام ١١٨٨/١٧٧٤. واتبع ابنه سعدون نفس السياسة العدائية للوهابيين فأيد اعداء الدرعية وسار بنفسه مرارا لنجدتهم. فأنجد حريملا عام ١١٩٣/١٧٧٩ وثرمدا(؟) في عامي ١١٩٥/١٧٨١ و ١١٩٦/١٧٨٢. ولكن قامت ثورة في الاحساء ضد سعدون، فلجأ اخيراً الى عدوه الوهابي في الدرعية عام ١٢٠٠/١٧٨٦[١٠٠٠].

وانعكست الآية وقوي امر عبد العزيز وصمم على احتلال الاحساء. ونجح عام ١٢٠٤/١٧٨٩ في الحاق هزيمة بعبد المحسن ابن سرداح وابن اخته دويحس بن عريعر فلجأ عبد المحسن الى المنتفق وعين زيد ابن عريعر اميرا وهابياً على الاحساء. واغرى زيد بعد عامين قريبه عبد المحسن بالعودة الى بلاده، فلما عاد القى عليه القبض وقتله. وثار براك بن عبد المحسن على زيد ونجح في طرد اولاد عريعر عام ١٢٠٧/١٧٩٢، ولكن الوهابيين غزوا الاحساء في العام نفسه واجبروا براك على الفرار وعينوا محمد الحملي اميرا وهابيا. وقتل محمد فعاد زيد بن عريعر اميرا الا ان الوهابيين اخرجوه ونصبوا براك. وثار براك مرة اخرى على الوهابيين فاخرج من الاحساء. وانضم براك الى حملة تويني ثم انشق ثانية وعاد الى طاعة الوهابيين. واخيرا قتل براك في رمضان ١٢١٢/اذار ١٧٩٩[١٠٠١]. ودانت الاحساء للوهابين الى ان احتلها ابراهيم باشا. ومد الوهابي نفوذه الى قطر والبحرين وقام القائد الوهابي ابراهيم ابن عفيصان المتمركز في البحرين بغزو المناطق العمانية[١٠٠٢].

وغدا «البر الذي تحت حكمه.. اراضي واسعة.. وصار تحت امره عربان لا تحصى. واما حكمه ففي كافة بلاده لم يوجد من يحلف يمين بالله ولا بغيره. ولا يوجد بينهم خصام لزيادة طاعتهم له ولذلك هم في راحة. واما عبد العزيز فكأنه واحد منهم وليس له تميز. وهذه الاستقامة في الحكم اوجبت ان لا يكون في تلك الاصقاع بينهم لا متعد ولا حرامي ولا خوف

طريق ومواشيهم سارحة على الدوام من غير خوف .. وهو عادل يأخذ العشر ولا يأخذ كومرك .. »[١٠٠٣] .

وكانت هذه الصفات صفات مخيفة تهدد المجتمع العثماني القائم في الشمال والشرق. فلا عجب اذا ما نظرت الدولة العثمانيـة الى الخطر الوهابي نظرة جدية واعتبرته خطراً لا يقل عن خطر الافرنسيين في مصر . وارسلت تعليمات مشددة الى ولاة الشام وبغداد والى شريف مكة بوجوب اتخاذ اجراءات عسكرية ضد الوهابي الذي سيطر على نجد والاحساء .

وتولى شيخ المنتفق ثويني ، بايعاز من والي بغداد ، قيادة الحملات الاولى . وقاد ثويني اوائل ١٢٠١/١٧٨٧ حملة كبيرة ضد المقيم في نجد ووفق في عملياته الاولى . ولكن وصلته انباء مؤامرة عثمانية ضده فعاد الى العراق واحتل البصرة واعلن الثورة على الوالي العثماني . وجاء نجد عبد المحسن بن سرداح امير الاحساء للانضمام الى ثويني ، فلما وجد انه قد انسحب ، عاد بدوره الى بلاده . امـا ثويني فقد هزمه العثمانيون واخرجوه من البصرة وعزلوه وولوا حمود الثامر شيخا خلفا له ، ولجأ ثويني الى الاحساء . ولما غزا الوهابيون الاحساء في العام التالي (١٢٠٣/١٧٨٩) نهبوا مخيم ثويني فيها[١٠٠٤] . ووصل ثويني الى الدرعية في العام التالي فاكرمه عبد العزيز . وعفي عن ثويني واعيد شيخاً على المنتفق عام ١٢١١/١٧٩٦ وعهد اليه بقيادة حملة للقضاء على الوهابيين . وسارت الحملة الكبيرة قاصدة الاحساء وانضم اليها براك بن عبد المحسن بجموع بني خالد . ولكن احد عبيد بني خالد اغتال ثويني في ٤ محرم ١٢١٢/حزيران ١٧٩٧ كما انشق براك وتفرق شمل الحملة واستولى الوهابيون على مدفعيتها وباءت المحاولة بالفشل[١٠٠٥]

وبدأ الشريف غالب بن مساعد ، شريف مكة ، محاولاته للقضاء على الحركة الوهابية . وغدت الحركة في خطر شديد بعد ان قاد الاشراف الحملة ضدها فكسب اعداؤها بذلك نصرا معنوياً . ولم تنجح حملة عام ١٢٠٥/١٧٩١ ، فساق الشريف حملة ثانية في شوال ١٢١٢/اذار ١٧٩٨ . ونكب جيش الشريف للمرة الثانية واصيب

بهزيمة في خرمة وتربة وقتل عدد من الاشراف . واضطر الشريف غالب الى مصالحة الوهابيين والسماح لهم بالحج . وحج سعود بن عبد العزيز في عامي ١٢١٤/ ١٧٩٩ و ١٢١٥/ ١٨٠٠ . وانتقض الصلح بين الشريف والوهابيين عام ١٢١٧/ ١٨٠٢ . وثار على الشريف وزيره عثمان المضايفي الذي استطاع بمساعدة الوهابيين ان يهزم الشريف . واحتل الوهابيون الطائف وقتلوا من اهلها « في الاسواق والبيوت نحو مائتين واخذوا من الاموال .. مالا يحيط به الحصر » . ودخل الوهابيون مكة في الربيع وفر غالب الى جدة . وفشلت محاولة وهابية لاحتلال جدة . وعين المضايفي واليا على الطائف والشريف عبد المعين بن مساعد على مكة .(١٠٠٦)

وتقرر ان يقود الكتخدا علي باشا (كتخدا والي بغداد سليمان باشا) حملة عسكرية ضخمة ضد الوهابيين . وانضم الى هذا الجيش قبائل المنتفق والظفير وشمر وقشعم . وبالغت الروايات في قوة الجيش وتعداد افراده وخيلهم . وتوغل الجيش في الاحساء في رمضان ١٢١٣/ اذار ١٧٩٨ . وفشلت الحملة في تحقيق اهدافها فتراجعت الى العراق بعد ان خسرت مدفعيتها وكثيرا من متاعها وتكبدت خسائر فادحة(١٠٠٧) .

ولم يقف عبد العزيز موقف المتفرج المدافع من هذه الحملات التي شنت ضده من العراق ، بل انتقل الى الهجوم . فقد هاجم ديرة المنتفق عام ١٢٠٣/ ١٧٨٩ « واخذ خياما وامتعة » . واغار في رمضان ١٢١٢/ ١٧٩٧ على سوق الشيوخ في العراق « وقتل منهم قتلى كثيرة .. ثم سار وقصد السماوة .. واغار عليهم » . وقاتل شمر والظفير فخسرت شمر زعيمها مطلق بن محمد الجرباء . وقصد كربلاء في ١٨ ذي القعدة ١٢١٦/ ٢٠ نيسان ١٨٠٢ ودخلها عنوة وقتل « غالب اهلها في الاسواق والبيوت » . وهدم القبة واخذ ما حولها(١٠٠٨) .

واغتيل عبد العزيز بن محمد وهو ساجد اثناء صلاة العصر في ١٨ رجب ١٢١٨/ ٣ تشرين الاول ١٨٠٣ وسنه ٨٢ سنة . وبويع ابنه سعود في اليوم

نفسه اميرا واماما . وكان قاتل عبد العزيز كرديا تزيا بزي درويش وادعى الايمان بالمذهب الوهابي ليتسنى له تنفيذ غرضه [١٠٠٩].

١٨ — سعود الكبير ١٨ رجب ١٢١٨ / ٣ تشرين اول ١٨٠٣ — ١١ جمادى الاولى ١٢٢٩ / ٢٨ نيسان ١٨١٤

استأنف سعود النشاط العسكري الذي بدأه في حياة ابيه . وكان سعود قد شارك بالغزو وسنه لم يصل العشرين ، وبويع بولاية العهد عام ١٢٠٢/١٧٨٨ واصبح اماما وسنه خمس وخمسون سنة [١٠١٠].

وتحملت البصرة والزبير وطأة نشاط سعود الاول في عهد امامته . فقد عيد سعود عيد النحر (الاضحى) عام ١٢١٨ /١٨٠٣ في القصيم وتظاهر بالعودة الى الدرعية واذن لشمر والظفير بالعودة الى اوطانهم. ولكنه مال نحو العراق فوصل الزبير في اذار وداهمها وافحش في القتل والنهب وحاصر البصرة اثني عشر يوما [١٠١١] . وقصد العراق ثانية عام ١٢٢٠/١٨٠٥ ولكنه فشل في اخذ مشهد فقصد السماوة ونهبها وقطع اشجارها ثم قصد البصرة والزبير فناوش اهلها [١٠١٢] واتجه نحو العراق مرة ثالثة في جمادي الاول ١٢٢٣ / آب ١٨٠٨ فحاصر كربلاء والبصرة والزبير ثم غادرها عائدا الى الدرعية [١٠١٣] . وفشلت حملة قامت بها قبائل العراق وايدها والي بغداد اذ تصدت لها عنزة والظفير وهزمتاها عام ١٢٢٤/١٨٠٩ [١٠١٤] وفشلت محاولات والي بغداد وسفارات آل الشاوي الى الدرعية لاقرار السلام بين الوهابيين والعراق [١٠١٥].

والتفت سعود الى بر الشام وتوغل فيه غازيا وناهباً . ووصلت الجموع الوهابية الى بصرى والمزيريب وفر من وجههم العربان وسكان القرى .ووصلت طلائع الوهابيين الى الغور ومنطقة نابلس عام ١٢٢٥/١٨٠٩ . واصبح من الصعب على امير الحاج الشامي ايصال القافلة بسلام الى مكة بعد عام ١٢١٧/ ١٨٠٢ ، بل وتوقف سير القافلة بعد عام ١٢٢٠/١٨٠٥ .ولم تستأنف قافلة الحج

الشامية سيرها الا بعد ان تم للجيش المصري احتلال الحجاز[١٠١٦].

وشدد سعود قبضته على **الحجاز** وازداد ضغطه على الشريف غالب حتى أطاع وأذعن. فقد ألحق القائد الوهابي عبد الوهاب بن عامر ابو نقطة هزيمة بالشريف غالب عام **١٨٠٥/١٢٢٠**. واعترضت القوات الوهابية الحاج الشامي في العام التالي وضايقت الشريف غالب في مكة فاضطر الشريف الى طلب الصلح، وقبل الوهابي وسمح للحجاج والقوافل بالوصول الى مكة. ولجأ غالب بعد انتهاء موسم الحج الى جدة التي حصنها وحفر حولها خندقاً. وفضل اهل المدينة المنورة الخضوع للوهابي الذي أمر بهدم القباب والمشاهد. ورأى الوهابي في عام **١٨٠٦/١٢٢١**. أن يمنع القافلة **الشامية** من الوصول الى مكة لئلا يتقوى بها الشريف غالب، وحج سعود بالناس ذلك العام وكسا الكعبة ووجد غالب نفسه مكرهاً على البيعة. ولم يحج احد في العام التالي من خارج البلاد الخاضعة لسعود «لا من الشام ولا غيره». وحجت عام **١٨٠٨/١٢٢٣** شرذمة قليلة من أهل المغرب لا اسم لهم حجوا بأمان «ولم يحج أحد من اهل الشام ومصر والعراق». واستمر الوضع كذلك حتى وفاة سعود. وأقام الشريف غالب في مكة كتائب عنه. وحج سعود بالناس حتى عام **١٨١٢/١٢٢٧** تسع حجات (**١٢١٤، ١٢١٥، ١٢٢١، ١٢٢٧**) وخسر مكة في العام التالي وتوفي عام **١٨١٤/١٢٢٩**[١٠١٧].

وتوسع الوهابيون **في عسير وتهامة اليمن**. واعتمد الوهابيون على أمير الحج عبد الوهاب بن عامر المكنى بأبي نقطة صاحب تهامة، وعلى سالم بن شكبان امير بيشة. وتغلب أبو نقطة بمساعدة سالم على شريف مكة في محرم ١٨٠٤/١٢١٩ ودخل مكة في العام التالي. وحمل ابو نقطة وفهاد بن سالم بن شكبان على نجران عام **١٨٠٦/١٢٢١**. واصطدم الوهابيون بالامام الزيدي الذي نازعهم على ميناء الحديدة. وعهد الى ابي نقطة بعد ثلاثة اعوام بتأديب شريف أبي عريش حمود بن مسمار (من نسل الشريف احمد بن ابي فهمي من اشراف مكة) وانهزم حمود واحتل الوهابيون صبيا وجيزان وقتل ابو نقطة في المعركة فخلفه ابن عمه طامي بن شعيب.

وتابع طامي بن شعيب في العام التالي بمساعدة عثمان المضايفي حرب ابي مسمار وهزمه واحتل اللحية « وقتل من اهلها خلق كثير » واستولى على الحديدة عنوة وقتل « من اهلها قتلى كثيرة » .(١٠١٨)

وابدى سعود اهتماماً خاصاً **بقطر والبحرين وعمان** وتوابعها . فقد حاول سليمان بن عفيصان التمركز في قطر منذ عام ١٢٠٢/٧٨٨ وعاود المحاولة بعد اربعة اعوام ، وتابع ابنه ابراهيم هـذه المحاولات . واتيحت للوهابيين عام ١٢١٦/١٨٠١ فرصة التدخل في البحرين حينما ساعدوا آل خليفة على اجلاء جيش سلطان بن احمد صاحب مسقط عنها . وادى هذا الحادث الى قيام عداء بين امام مسقط والامام الوهابي بينما انضم شيخ القواسم الى الوهابيين . وقتل سلطان ابن احمد على يد القواسم عام ١٢١٩/١٨٠٥ فخلفه اخوه بدر الذي قتل بدوره في العام التالي . ورغم انقسام امامة مسقط بين قيس بن احمد صاحب سحار وسعيد ابن سلطان صاحب مسقط ، فانهما تحالفا ضد الوهابيين . وانتصر عليهما عام ١٢٢٣/١٨٠٨ جيش وهابي بقيادة سلطان بن صقر بن راشد صاحب رأس الخيمة ، وسقط قيس قتيلاً فخلفه في سحار ابنه عزان . واضطر صاحبا سحار ومسقط الى مصالحة الوهابين . واستعان سعيد بن سلطان بالاسطول البريطاني الذي هاجم رأس الخيمة وحرقها عام ١٢٢٤/١٨٠٩ ثم أضطر الى الانسحاب امام تهديد قوة وهابية بقيادة مطلق المطيري . وحاصرت القوات الوهابية مدينتي سحار ومسقط . وارسل سعود اوامره الى القائد الوهابي في الزبارة (قطر) بإرسال شيوخ البحرين من آل خليفة معتقلين الى الدرعية وعهد الى فهد بن عفيصان بإدارة جزر البحرين . وفر اولاد الشيوخ المعتقلين واستنجدوا بالاسطول البريطاني والسلطات الايرانية وبصاحب مسقط . وانجدهم صاحب مسقط بمساعدة الاسطول البريطاني وسقط ابراهيم بن عفيصان اسيراً . واستطاع الوهابيون بمساعدة القواسم في رأس الخيمة ان يجهزوا اسطولاً بحرياً كبيراً في الخليج العربي (١٠١٩) .

ووصلت الامبراطورية الوهابية اقصى اتساع لها عام ١٨١١/١٢٢٦ ثم بدأت بالتقلص والانهيار على يد والي مصر محمد علي باشا . فقد انزلت الجيوش المصرية بقيادة احمد طوسون في ينبع ذلك العام . وتقدمت الجيوش المصرية محاولة احتلال المدينة المنورة فألحق بها الوهابيون هزيمة منكرة في اواخر ذي القعدة كانون الاول . ووصلت المصريين نجدات جديدة مكنتهم من فرض حصار على المدينة في شوال ١٨١٢/١٢٢٧ واحتلالها في ٩ ذي القعدة / ١٤ تشرين الثاني. وزحف المصريون على مكة فدخلوها في ١٨١٣/١٢٢٨ بدون قتال واحتلوا الطائف وانحاز اليهم الشريف غالب . ولم يثق محمد علي بالشريف غالب فاعتقله وارسله منفياً الى سلانيك حيث توفي ١٨١٦/١٢٣١ وعين سرور بن يحيى (اخا غالب) شريفاً [١٠١٩] . ولما شعر محمد علي ببطء حركات جيشه جاء الى مكة للاشراف على الحالة بنفسه . وفشلت محاولتان مصريتان لأخذ تربة كما صدهم طامي ابن شعيب عن ميناء قنفدة [١٠٢١] .

١٩ ـــ عبد الله بن سعود ١٨١٤/١٢٢٩ ـــ ١٨١٨/١٢٣٣

وتوفي الامير سعود في ١١ جمادي الاول ١٢٢٩ / ٢٨ نيسان ١٨١٤ فخلفه ابنه عبد الله الذي واصل قتال المصريين بنفس العنف . وتولى فيصل بن سعود قيادة جبهة تربة وانضم اليه طامي بن شعيب بقوات المع وعسير وفهاد بن سالم بن شكبان بقوات بيشه وقاد محمد علي بنفسه قوة مصرية كبيرة استولت على تربة في ١٨١٥/١٢٣٠ وانسحب منها فيصل الى رانية . وتوغل المصريون في عسير فاحتلوا بيشة واستولوا على بلاد طامي واسروه وارسلوه الى مصر حيث صلبوه. وانحاز حسن بن خالد صاحب صبيا الى المصريين وساعدهم على اعتقال طامي . وعقد صلح بين عبد الله بن مسعود واحمد بن طوسون في رجب / تموز وتوقف القتال بين الطرفين [١٠٢٢] .

وانتقض الصلح في العام التالي ونشب القتال . فقد غزا عبد الله عربان

حرب ومطير الحجازيين فاعتبر محمد علي هذا الحادث سببا لنقض الصلح . وعهد الى ابراهيم باشا بقيادة حملة جديدة للقضاء على الوهابيين . والحق ابراهيم بالامير عبد الله هزيمة كبيرة في منتصف جمادي الآخر ١٢٣٢ / ايار ١٨١٧ . وحاصر المصريون الرس (٢٥ شعبان / ٩ تموز - ١٢ ذي الحجة ١٨٣٢ / ٢٥ تشرين اول ١٨١٧) فدافعت حاميتها دفاعاً مجيداً طويلاً . واستسلمت للمصريين مدينة عنيزه ، واتموا في العام التالي احتلال القصيم . وبدأت معركة الدرعية نفسها في ٣ جمادي الاول ١٢٣٣ / ١١ آذار ١٨١٨ التي صمدت في وجه الهجمات المصرية خمسة اشهر الى ان استسلمت في ٧ ذي القعدة ١٢٣٣/١١ ايلول ١٨١٨ . وامر المصريون الامير عبدالله وهدموا الدرعية وخربوها في شعبان ١٢٣٤/ حزيران ١٨١٩ (١٠٢٣) . وتقع قرية الدرعية الحديثة في مكان مقابل لخرائب الدرعية القديمة في الجهة الشمالية من وادي حنيفة وعلى بعد ٢١ ميل/٣٤ كم غربي الرياض.

ولم يستطع ابراهيم باشا تأسيس ادارة جديدة في نجد بل اكتفى بالقضاء على الدولة السعودية الوهابية ثم ترك بلاد نجد فريسة الانقسامات العديدة والفتن وعادت العائلات الحاكمة القديمة الى البلدان التي اجلاهم الوهابيون عنها . وغدت اوضاع نجد شبيهة بما كانت عليه قبل قيام الدعوة الوهابية بل واكثر اضطراباً . وعاد بنو عريعر الى الاحساء (١٠٢٤) .

٢٠ — محمد بن معمر

وبرز آخر العام **محمد بن مشاري بن معمر** . فقد قصد في ايلول ١٨١٩ خرائب الدرعية بعد جلاء ابراهيم باشا عنها واعاد اعمارها ، واطاعته بعض البلدان واعترفت به اماماً . وعاد آل عريعر زعماء الاحساء الى تزعم حركة مقاومة الدرعية فقاد ماجد بن عريعر حملة انضم اليها اهل حريملا والخرج والرياض ولكن الحلفاء فشلوا في القضاء على ابن معمر . وتحدته الرياض والخرج وحريملة فاستطاع ان يقضي على حمد بن راشد حاكم حريملة ويخضعها لحكمه كما اطاعته بلدان

العارض والوشم والسدير في آذار ١٨٢٠ . ولكن ابن معمر لم يتمتع بهذه السلطة الا نصف عام اذ افل نجمه ببروز مشاري بن سعود .(١٠٢٥)

٢١ ـ مشاري بن سعود ١٢٣٥/١٨٢٠

وصل مشاري بن سعود الوشم في جمادي الآخر ١٢٣٥ /آذار ١٨٢٠ وسار منها الى الدرعية . واضطر ابن معمر الى التخلي عن الحكم ومبايعة ابن سعود . كذلك دان بالطاعة لابن سعود اهل سدير وحريملة والرياض واكثر الوشم ووفد آل سعود على الدرعية والتفوا حول مشاري فانضم اليه تركي ابن عبد الله بن محمد واخوه زيد وعمر بن عبد العزيز واولاده وكثيرون غيرهم . وقاد مشاري حملة اخضعت الدلم ولكن ثار عليه ابن معمر (٢٢) واستولى على حريملة بمساعدة زعمائها من آل حمد ثم هاجم الدرعية على حين غرة واعتقل مشاري واحتل الرياض . ووصلت حملة عثمانية الى نجد بقيادة ابوش آغا فبادر ابن معمر الى اعلان ولائه للسلطان . وجاءت وفود البلدان الى الدرعية لتبايع ابن معمر في ربيع اول / كانون الاول . وفي ذلك اليوم تمكن تركي من عبد الله (الذي فر من وجه ابن معمر) من دخول الدرعية واعتقال ابن معمر ، فبايعت الوفود تركي . واستولى تركي على الرياض واعتقل محمد بن معمر وابنه مشاري ثم بادر الى اعدامهما لانهما سلما مشاري ابن مسعود للعثمانيين . واستطاع تركي ان يصد العثمانيين عن الرياض .(١٠٢٦)

٢٣ ـ تركي بن عبد الله ١٢٣٥/١٨٢٠ ـ ١١٤٩/١٨٣٤

وقدمت نجد عام ١٢١٦/١٨٢١ حملة عثمانية جديدة بقيادة حسين بك فانضم اليه ابوش اغا وجعل ثرمدا مركزاً لحركاته . ووفد عليه الزعماء الذين سلبهم الوهابي اماراتهم . واحتل العثمانيون الرياض واعتقلوا واعدموا من وجدوه فيها

من السعوديين وفر تركي بنفسه . وأمعن حسين وجنده في ارهاب الناس وقتلهم ونهبهم وقطع نخيلهم(١٠٢٧) .

وعاود تركي في رمضان ١٢٣٨/ ايار ١٨٢٣ محاولاته لاستعادة الملك. فقد تمركز في عرقة وايده شيوخ جلاجل وسدير والمحمل فقصد الرياض والمنفوحة . وتفرقت عنه جموعه وتعقبته القوات المصرية وحاصرته في عرقة زمناً . وتمكن تركي في العام التالي من احتلال ضرما وقتل شيخها السياري . واغتنم فرصة نشوب فتنة اهلية في جلاجل فاحتلها كما احتل حريملا وسدير . وشدد تركي القتال ضد القوات المصرية في الرياض واجبرها على تسليم المدينة والجلاء عام ١٢٤٠/تشرين أول ١٨٢٤ . وخضعت له القصيم وشقرا وعنيزة والوشم. وهزم في ٢٧ رمضان ١٢٤٤/٢٢ آذار ١٨٢٩ حملة قادها محمد بن عريعر واخوه ماجد زعيما بني خالد في الاحساء فخضعت له الاحساء واطاعته بعض عمان وهاداه جابر بن عبدالله بن صباح شيخ الكويت واطاعه شيخ حائل وشمر عيسى بن علي. وهكذا كاد تركي ان يستعيد اكثر الامبراطورية التي أسسها جده سعود الكبير(١٠٢٧) .

وفر عدد من الامراء السعوديين من مصر ولجأوا الى تركي في الرياض . وكان من بين الفارين فيصل بن تركي (١١٤٣/١٨٢٧) ومشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود (١٢٤١/١٨٢٦) . وعطف تركي على مشاري وعينه حاكماً على المنفوحة . ووردت اخبار على تركي تنبئه بان مشاري يتآمر عليه فعزله وفرض عليه ان يقيم في الرياض . وما لبث مشاري ان فر ولجأ الى شريف مكة ثم عفي عنه وعاد الى الرياض . ودبر في الرياض مؤامرة ناجحة ادت الى مقتل تركي يوم الجمعة آخر ذي الحجة ١٢٤٩/ ايار ١٨٣٤، ونودي بمشاري (٢٤) أميراً وبايعته البلاد(١٠٢٩) .

٢٥ — فيصل بن تركي ١٢٥٠/١٨٣٤ — ١٢٥٤/١٨٣٩

وكان فيصل بن تركي على رأس حملة في الاحساء عندما وصلته انباء مقتل

ابيه . وكر فيصل بقواته راجعاً الى الرياض لينتقم لابيه فوصل الرياض في ١٩ محرم ١٢٥٠/١٧ حزيران ١٨٣٤ ودخلها في اليوم التالي فاعتصم مشاري في قصره . واستسلم رجال القصر في ١١ صفر وقتل مشاري . وبرز اثناء القتال عبد الله بن علي بن رشيد الذي استولى على القصر فكافأه فيصل بتعيينه حاكما وراثياً على حايل[1030] .

٣٦ - خالد بن سعود

ولم يستتب الامر طويلا لفيصل اذ وصلت نجد حملة مصرية بقيادة اللواء اسماعيل يصحبه **خالد بن سعود** . وفشل فيصل في صد الحملة ففر من الرياض التي دخلها المصريون يوم السبت السابع من صفر ١٢٥٣/١٨٣٧ ولجأ فيصل فترة الى الاحساء ثم عاد يحاول استعادة الرياض وحاصرها من أول جمادي الاخر ١٢٥٣/ ٧ أيلول ١٨٣٨ حتى ٧ شعبان/٥ تشرين أول . ودافع خالد بن سعود بعناد عن الرياض وصمد حتى وصلته نجدة بقيادة خورشيد باشا. وضيق خورشيد الخناق على فيصل حتى اجبره على الاستسلام في ٢٥ رمضان ١٢٥٤/ كانون الثاني ١٨٣٩ . وأرسل فيصل أسيراً الى مصر حيث اعتقل المرة الثانية . وكان قد قضى من قبل عشر سنوات اسيراً في مصر ١٢٣٣/١٧١٨ - ١٢٤٤/١٨٢٨) . وقضى في المرة الثانية خمس سنوات (١٢٤٤ / كانون اول ١٨٣٨ — ١٢٥٩/ ١٨٤٣)[1031] .

وخضعت نجد للمرة الثانية للمصريين الذين أخضعوا في ذلك الوقت السودان وبر الشام وقسماً من الاناضول . وجاء عبد الله بن رشيد شيخ حايل وشمر ، ومحمد الدويش شيخ مطير واحمد السديري ورئيس سبيع لتقديم ولائهم للقائد المصري . وجعل خورشيد باشا بلدة ثادق مركزاً له بينما عين خالد بن سعود اميراً على الرياض واحمد السديري على الاحساء . وعزل السديري وعين خلفاً له عيسى بن علي بن فايز حاكم حايل السابق الذي توفي آخر ١٢٥٦/١٨٤٠[1032]

٢٧ – عبدالله بن ثنيان ١٢٥٦/١٨٤٠ ــ ١٢٥٩/١٨٤٣

وفر من الرياض في صيف ١٨٥٦/١٨٤٠ عبد الله بن ثنيان الذي لعب دوراً كبيراً . فقد لجأ في أول الامر الى شيخ المنتفق فأمنه خالد ، ولكن شك بنيات خالد قبيل وصوله الى الرياض ففر الى وادي حنيفة ونال تأييد شيخ السبيع . وقوى امر ابن ثنيان في نجد وضعف امر خالد ، ففر خالد ، الى الاحساء فالكويت فمكة حيث اقام حتى وفاته عام ١٢٧٦/١٨٦٠ . واستولى ابن ثنيان على الرياض واخرج الجند المصري من الرياض وضرما فانسحب المصريون من نجد وسائر الجزيرة العربية في الوقت الذي انسحبوا فيه من بلد الشام . واحتل ابن ثنيان الاحساء والقطيف عام ١٢٥٩/١٨٤٣ وتدخل في الحرب الاهلية بين عبدالله بن خليفة واخيه محمد شيخي البحرين (١٠٣) .

٢٨ – فيصل بن تركي ١٢٥٩/١٨٤٣ ــ ١٢٨٤/١٨٦٥!

ولكن وصلت انباء مزعجة من حايل تخبر بان فيصل بن تركي قد جاء من مصر ولجأ الى ابن رشيد وبدأ الدعوة . وانفض عن ابن ثنيان اعوانه وانضموا الى فيصل الذي دخل الرياض اواخر ربيع الثاني ١٢٥٩/٢٢ ايار ١٨٤٣ واعتقل ابن ثنيان . ومات ابن ثنيان في السجن في منتصف جمادي الاخر/١٣ تموز (١٠٣؛)

واجه فيصل مشاكل كثيرة في الاحساء والاجزاء الغربية الاخرى من شبه الجزيرة العربية . وجاءت اكثر المصاعب من القبائل القوية التي تسكن تلك المنطقة كقبائل آل مرة وبني خالد وبني هاجر وبني ياس والعوازم ومطير والنعيم . وزاد في متاعب السعوديين في هذه المنطقة انتشار المذهب الشيعي بين السكان ووجود تقليد استقلالي قوي بزعامة آل عريعر من بني خالد .

وبنو خالد هم من اقدم واشهر القبائل العربية . وسيطر آل عريعر من

فخذ الحُمَيْد من هذه القبيلة على الاحساء عدة قرون وكانوا من أعند خصوم السعوديين . وخضع بنو خالد والاحساء كلها لسعود الكبير ثم فقدها السعوديون بعد سقوط الدرعية بيد ابراهيم باشا(١٠٣٥) . واغتنم الاخوان ماجد ومحمد آل عريعر فرصة انهيار الحكم السعودي في الاحساء فعادا اليها واحتلا الهفوف والقطيف . ولكن وصلت قوة مصرية صغيرة بقيادة محمد كاشف فأجبرت آل عريعر وزعيم السياسب على الفرار ثانية وصادرت الاموال السعودية فيها وانتقمت من كثير من أنصار السعوديين(١٠٣٦) ولم ترحب بريطانيا بالنفوذ المصري على ساحل الخليج العربي فأرسلت قوة كبيرة الى القطيف(١٠٣٧) . وانسحبت القوة المصرية قبل نهاية العام وعاد اولاد عريعر الى الحكم فانسحبت القوة البريطانية بعد أن اطمأنت بريطانيا الى نفوذها في المنطقة . وسيطر محمد واخوه ماجد على الاحساء وقصدهما سيف بن سعدون رئيس السياسب ولكن سعدون الضرير بن محمد آل عريعر اعتقله وقتله(١٠٣٨) . ولم يبق في الاحساء من يستطيع معارضة آل عريعر غير رحمة بن جابر زعيم الجلاهمة وفيصل الدويش زعيم مطير .

ما ان ثبت آل عريعر نفوذهم في الاحساء حتى عادوا الى محاولاتهم القديمة للتدخل في شئون نجد . وقاد ماجد عام ١٢٣٥/١٨٢٠ حملة على الدرعية للقضاء على حركة ابن معمر في مهدها ، وايده اهل الرياض وحريملا والخرج ، الا ان ابن معمر « خدعه بشيء من المكاتبات والهدايا واظهر له الموافقة وذكر له ان ماله قصد يخالف امرهم وانه دولة سلطان » موال للعثمانيين.(١٠٣٩) واستقرت العلاقات بين الاحساء ونجد فلم يحاول آل عريعر التدخل في احداث نجد خلال السنوات العشر التالية فتمكن تركي خلالها من السيطرة على نجد وشغل آل عريعر بعداء جارتيهم القويتين قبيلتي مطير والعجمان اللتين تحالفتا ضد بني خالد والحقتا هزيمة كبيرة بهم في معركة مناخ الرضيمة في رجب ١٢٣٨/١٨٢٣(١٠٤٠) .

وعادت العلاقات فتوترت مرة اخرى بين آل عريعر والسعوديين عام ١٢٤٥/١٨٣ فكان في ذلك نهاية آل عريعر . فقد اغارت قوة سعودية بقيادة

محمد بن عفيصان على الاحساء في خريف ١٢٤٥/١٨٢٩ونهبت قافلة لبني خالد .
وحشد آل عريعر قوة كبيرة للانتقام ضمت جموع بني خالد وسبيع وعنزه ومطير . وكان اللقاء بين العدوين في رمضان/شباط في وقعة السبية المريرة التي استمرت اكثر من شهر . وانهزم بنو خالد وحلفاؤهم وقتل ماجد آل عريعر والمصح رئيس سبيع . وواصل تركي تعقبه المنهزمين فاستولى على الاحساء واستسلم محمد بن عريعر . وخضعت الاحساء للسعوديين مرة أخرى وعين عمر بن عفيصان واليا عليها ومركزه الهفوف [١٠٤١] .

حكم عمر بن عفيصان الاحساء قرابة عشر سنوات استقرت خلالها الاحساء تحت الحكم الوهابي وغدت مركزاً للعمليات الحربية ضد الكويت والبحرين وقطر وعمان . وقضى الوهابيون على اقطاعيات شيوخ البحرين على الساحل وضموا سيحات والقطيف . وخضع ابن عبد الرحيم حاكم سيحات لآل خليفة ووفد على الرياض كما وفد عبدالله بن غانم رئيس القطيف في ربيع اخر ١٢٥١/آب ١٨٣٥ . [١٠٤٢]
وايد ابن عفيصان الامير فيصل ضد مشاري الذي اغتال تركي في الرياض عام ١٢٤٩/١٨٣٤ ووضع تحت تصرفه قوى ومالية الاحساء [١٠٤٣] واستعان فيصل ثانية بابن عفيصان حينما فر من وجه القوات المصرية في ربيع ١٢٥٢/١٨٣٧ ولجأ الى الاحساء . ووجد فيصل في الاحساء التأييد الكافي الذي مكنه من العودة بقوة الى الرياض ومحاصرتها . ووصل ابن عفيصان بنفسه على رأس قوة احسائية لنجدة سيده . ولكن فشلت محاولات فيصل واضطر الى الاستسلام للمصريين بينما عاد ابن عفيصان الى الاحساء . وفر ابن عفيصان الى البحرين فالكويت عام ١٢٥٤/١٨٣٨ ثم عاد بعد عامين فالتحق بخدمة الامير خالد في الرياض [١٠٤٤] .

وخضعت الاحساء للمصريين وللامير خالد بن سعود الذين عينوا احمد السديري والياً عليها عام ١٢٥٤/١٨٣٨ . ونقل السديري اميراً على الخراج وخلفه ضابط مصري يدعى محمد افندي حاكما ادارياً . واغتال مجهولون قيل انهم من العوازم

الحاكم المصري فخلفه حاكم جديد يحمل نفس الاسم في شعبان ١٢٥٥/تشرين اول ١٨٣٩ واعفي السديري من منصبه في رمضان/ تشرين الثاني فخلفه عيسى بن علي بن فايز الذي كان ابن رشيد قد اخرجه من حايل . ولما استقرت امور الامير خالد في الرياض وضعف النفوذ المصري ، عين على الاحساء حمد بن مبارك من حريملا حاكما على الاحساء في صفر ١٢٥٦/نيسان ١٨٤٠ . واجرى تغييراً جديداً بعد عام فسلم امور الولاية لاثنين من بني خالد هما موسى الحملي حاكما وعبد الرحمن بن مانع اميراً على الخراج (١٠٤٥) .

كذلك خضعت الاحساء لابن ثنيان الذي ثار على خالد واخرجه من الرياض عام ١٢٥٧/١٨٤١ . ولجأ خالد الى الاحساء فارسل ابن ثنيان حملة بقيادة عبد الله بن بطال المطيري الذي اخضع الاحساء بينما فر خالد الى الكويت واستقر اخيراً في مكة . وكان عمر بن عفيصان قد اعلن ولاءه لابن ثنيان فكافأه هذا باعادته والياً على الاحساء في العام التالي . وعصت القطيف على السعوديين وشجع شيوخ البحرين حركة المقاومة فيها . وقاد عمر بن عفيصان حملة اخضعت القطيف واجبرها حاكمها علي بن غانم على الاستسلام ، وعين احمد السديري اميراً على القطيف وبقى ابن عفيصان اميراً في الهفوف (١٠٤٦) .

كذلك اعلنت الاحساء ولاءها للامير فيصل الذي عاد من مصر وقضى على عهد ابن ثنيان في صيف ١٢٥٩/١٨٤٣ . وعهد فيصل الى عبد الله بن بطال المطيري بحكم الهفوف ، ولكنه استبدله بعد فترة قصيرة باحمد السديري الذي حكم الاحساء حتى وفاته عام ١٢٧٨/١٨٦١ وخلفه ابنه محمد لفترة قصيرة ثم نقل حاكما على بريدة واعيد بعد عامين تلبية لطلب سكان الاحساء . اما القطيف فقد عين عليها عبد الله سعد المداوي الذي عزل بعد عام لقتله حاكم القطيف السابق علي ابن عبد الله بن غانم الشيعي فخلفه المملوك بلال بن سالم . وبرأ المداوي نفسه فاعيد الى منصبه في العام التالي . وبقي محمد السديري حاكما في الهفوف الى ان عزله الامير عبدالله اواخر ١٢٧٧/١٨٦٦ لان اخاه

تركي آوى الامير الثائر سعود، وعين ناصر بن جبر الخالدي حاكما على الهفوف. ولكن قوي امر الامير سعود وحاصر الهفوف اربعين يوماً عام ١٢٨١/١٨٧ واستولى عليها واخضع الاحساء وبعد فترة قصيرة وصلت القوات العثمانية الى الاحساء في ربيع اول ١١٨٨/١٨٧١ فاحتلتها واخضعتها للحكم العثماني حتى عام ١٣٣١/١٩١٣ حينما اعاد الملك عبد العزيز آل سعود اخضاعها للحكم الوهابي (١٠٤٧).

وانتهى في هذه الفترة الدور الذي لعبه **رحمة بن جابر بن عذبي** رئيس الجلاهمة من بني عتبه وامير خوير حسان. وكان رحمة قد برز كامير بحر قدير في عهد سعود الكبير. واشترك في ربيع اول ١٢٢٦/١٨١١ في حملة وهابية بحرية كبيرة ضد البحرين انتهت بنصر غير حاسم للوهابيين الذين تكبدوا هم وعدوهم خسائر جسيمة. وقتل رحمة في جمادي الاول ١٢٤٢/١٨٦٦ في معركة بحرية نشبت بينه وبين خالد تؤيدهم سفن من البحرين واستلم حصنه في الدمام لاسطول البحرين كما استلم ابنه بشر (١٠٤٨).

وخلق **العجمان** الكثير من المتاعب لتركي وابنه فيصل. والعجمان (بكسر العين او ضمها) مجموعة قبلية قحطانية كبيرة تسكن الاحساء في جوار بني خالد والى الجنوب من ديرة مطير وتربطهم روابط الدم ببني مرة من عرب اطراف الربع الخالي. واعتاد العجمان التوغل شتاءاً في نجد حتى القصيم والخرج. واثبت العجمان دوماً انهم اشد القبائل مراساً في مقاومة آل سعود، كما اشتد الامراء السعوديون في غزوهم وتأديبهم (١٠٤٩). وتحدت طائفة من العجمان ابراهيم باشا عام ١٢٣٤/١٨١٩ وكادوا ان يقتلوه (١٠٥٠).

ووفد شيوخ العجمان على تركي ١٢٤٣/١٨٢٧ ليقدموا ولاءهم له بعد ان كان قد غزاهم اوائل العام. ورفضت العجمان دفع الزكاة في عام ١٢٤٧/١٨٣١ فغزاهم تركي في العام التالي الا انهم احسوا به وانهزموا من امامه. وحاول زعيم العجمان فلاح بن حثلين استرضاء تركي فقصده بنفسه واتي الى تركي بلا ذمة

ولا عهد فقيده بالحديد واقام في الاعتقال سبعة ايام ثم ارسله الى الرياض واعتقلوه فيها ». وعندما ظهر امر ابن ثنيان ايده فلاح وانضم الى حملته على الاحساء عام ١٨٤٢/١٢٥٨ . وخضع فلاح خضوعاً اسمياً لفيصل بعد عودته الى الحكم ولكنه الحق هزيمة كبيرة بمطير الموالية لفيصل . واضطر فيصل دفعا للفتنة الى تعويض مطير على خسائرها من بيت المال . وازداد فلاح جرأة فهاجم بعد عامين قافلة الحج ونهبها ، فارسل فيصل قوة تعقبته . ولجأ فلاح الى ديره مطير مستجيرا فسلمه الدويش الى جند فيصل الذين اخذوه الى احمد السديري فأمر بقتله (١٠٥١) .

وخلف راكان اباه فلاح بعد ان اقسم يمين الولاء لفيصل . ولكن راكان لم يهدأ بل غزا نجد . فأرسلت ضده حملة في ربيع ١٨٦٠/١٢٧٦ اجبرته على اللجوء الى الكويت . وحاول راكان غزو الزبير والبصرة بمساعدة المنتفق ولكن صدته قوة عثمانية . وقصدت الكويت حملة سعودية الحقت بالعجمان هزيمة كبيرة في رمضان ١٢٧٧/ اذار ١٨٦١ انتهت بذبحة كبيرة . وبطش السعوديون بالعجمان ثانية بعد ثلاث سنوات . واغتنم راكان فرصة ثورة الامير سعود على اخيه عبد الله ليعلن تأييده للامير الثائر . واستطاع سعود بمساعدة العجمان احتلال الاحساء عام١٢٨٦ /١٨٦٩ كما الحق هزيمة باخيه في العام التالي. ولم تكن هذه خاتمة المتاعب التي خلقها العجمان للسعوديين(١٠٥٢) .

وسببت مطير متاعب للسعوديين لم تنته الا قبل ربع قرن . ومطير مجموعة قبلية تدعي اصلا مضرياً ولكن بعضها قحطاني، وتمتد ديرتها ومنازلها من حدود الكويت والخليج الفارسي الى قرب القصيم غربا ، وديرة العجمان وبني خالد جنوباً(١٠٥٣) . وتدخلت مطير في احداث نجد فانحاز زعيمها فيصل بن وطبان الدويش الى ابن معمر وأيده ضد مشاري كما قدم مساعدته لحملة مصرية ضد الرياض عام ١٨٢٠/١٢٣٥ . والحق فيصل الدويش هزيمة كبيرة بني خالد عام ١٨٢٣/١٢٣٨ وانجد المصريين بعد عامين في الرياض . وبقي فيصل حتى وفاته

عام ١٨٣٢/١٢٤٨ غير موال للسعوديين [١٠٥٤] .

وخلف محمد المكنى بابي عمر اباه فيصل في زعامة مطير . والحق محمد في العام التالي هزيمة كبيرة بعنزة . ووفد محمد على الامير فيصل عام ١٨٣٤/١٢٥٠ مهنئا اباه بقضائه على فتنة مشاري ومبايعا . واعلن محمد ولاءه لخورشيد باشا في ١٢٥٤/ايار ١٨٣٨ ولكنه عاد فأيد فيصل بعد عودته الى الحكم ضد منافسه ابن ثنيان . ولما هزمه العجمان عام ١٧٤٣/١٢٥٩ عوضه فيصل من بيت المال . ويختفي اسم محمد بعد ذلك من سجلات الاحداث ويبرز اسم اخيه حميدي (م ١٨٥٦/١٨٧٢) الذي سلم فلاح بن حثلين زعيم العجمان للقتل . وبرز عدد من المطيريين في الحروب الوهابية في البريمي وساحل عمان بينما انحاز شقير بن محمد بن فيصل الى عدو الوهابيين شريف مكة في حملته على نجد عام ١٢٦٣/١٨٤٧ ١٨٤٣ . ولعبت مطير دورا ثانويا خلال النصف الثاني من القرن [١٠٥٥] .

والى الشمال من الاحساء لم تكن **الكويت** قد اصبحت مركزاً هاما . ولجأت اليها القبائل الفارة من وجه القوات الوهابية ولكنها لم تجد فيها الحماية التي تبغيها . وقام الوهابيون بغزوات كثيرة ضد القبائل التي اقامت في جهرة . واضطر شيخ الكويت جابر بن عبد الله (١٨١٤/١٢٢٩ - ١٨٥٩/١٢٧٦) الى مهاداة الامير الوهابي تركي [١٠٥٦] .

ولعبت **البحرين** دورا اكثر اهمية من دور الكويت . فقد كان لامرائها حصون كثيرة على ساحل الجزيرة العربية كسيهات والدمام والدوحة والزبارة كما ادعوا السيادة على قطر . وبدأ احتكاك الوهابيين بالبحرين منذ عهد عبد العزيز الاول عام ١٧٩٥/١٢١١ حينما غزت القوات الوهابيه الاحساء واحتلت جزيرة العمار من املاك البحرين . وتدخل الوهابيون بعد خمسة اعوام في النزاع بين البحرين ومسقط . واجبروا سلطان بن احمد صاحب مسقط على الجلاء عن البحرين وخضع الشيخ سليمان بن خليفة حاكم البحرين والزبارة وقطر للامير الوهابي [١٠٥٧] .

وغضب سعود الكبير على سليمان فعزله عام ١٢٢٤/١٨٠٩ وعين فهد بن سليمان بن عفيصان حاكماً على البحرين. وسيق سليمان بن خليفة واخوه عبد الله وعمه عبد الله وابناؤهم الى الرياض حيث احتجز وازمنا بينما لجأ اولاده الى امام مسقط في عام ١٢٢٥/١٨١٠ فأعادوا آل خليفة الى البحرين واعتقلوا فهد بن عفيصان. وحاول الشيوخ المحتجزون اعادة اولادهم الى طاعة الوهابيين فأبوا وخاض في العام التالي الاسطول الوهابي بقيادة رحمة بن جابر (امير خوير حسان وصاحب الدمام) معركة بحرية ضد اسطول البحرين تكبد الطرفان فيها خسائر جسيمة. وانتقم اسطول البحرين من رحمة بن جابر بعد خمسة عشر عاما (١٢٤٢/١٨٢٦) حينما ساعد ماجد بن عريعر ضده فقتل رحمة وسقطت الدمام بيد اسطول البحرين [١٠٥٨].

ولما استعاد الوهابيون سيطرتهم على الاحساء جامل آل خليفة الامير السعودي فيصل. وزاره في مخيمه اولاد شيخ البحرين عبد الله بن احمد بن خليفة عام ١٢٦١/١٨٣٥ الذين سيطروا حينئذ على الدمام وخضع لهم ابن عبد الرحيم صاحب سيهات. واستولى ابن ثنيان على سيهات عام ١٢٥٨/١٨٤٢ مغتنما فرصة النزاع الناشب بين شيخ البحرين عبد الله آل خليفة واخيه محمد، وفر ابن عبد الرحيم صاحب سيهات الى البحرين. واستطاع الشيخ عبد الله ان يتغلب على اخيه محمد بمساعدة بني مرة بينما لجأ محمد الى ابن ثنيان. أما الدمام فقد بقيت بيد شيوخ البحرين الى ان استولى عليها الامير فيصل عام ١٢٥٩/١٨٤٣ [١٠٥٩].

صمم فيصل على اتخاذ اجراء حاسم ضد البحرين. واستطاع في العام الاول من امارته الثانية ان يستولي على الدمام. وبعد ثماني سنوات، عام ١٢٦٧/١٨٥١ قاد حملة كبيرة ضد البحرين ورفض مصالحة شيوخها. وبدأ بقطر فأخضعها واجبر علي بن خليفة اخا شيخ البحرين على الفرار من حصن قصر البدع في الدوحة التي سقطت بيد فيصل. ووضع اهل قطر تحت تصرف فيصل ٣٠٠ سفينة ليستخدمها في غزو البحرين كما انضم اليه اسطول اولاد عبد الله بن خليفة الجالين عن البحرين. واستنجد اهل البحرين بشيخ ابي ظبي سعيد بن طحنون

الذي هب منجدا على رأس اسطول قوي وحاول ان يحل الخلاف بصورة سلمية. ووصل سعيد بن طحنون الى مضارب الامير فيصل بضمان احمد السديري واستطاع ان يعقد صلحا تعهد بموجبه شيوخ البحرين بدفع الخراج المتأخر(١٠٦٠). وانتهت علاقة البحرين بعد ذلك بالوهابيين لاسيما بعد انفصال قطر عنها واستيلاء العثمانيين على الاحساء. وغدت البحرين كالكويت ملجأ الامراء السعوديين الثائرين او الفارين(١٠٦١).

وكانت جزيرة **قطر** مسرحا للنزاع بين الوهابيين وشيوخ البحرين. وغزاها سليمان بن عفيصان (م ١٢٠٧/١٧٩٣) على رأس قوة وهابية في عامي ١٢٠٢/١٧٨٧ و ١٢٠٦/١٧٩٢ غزاها ابراهيم بن عفيصان عام ١٢٠٨/١٧٩٤ . وبعد سقوط الدولة السعودية الاولى عام ١٢٣٤/١٨١٩ لجأ كثير بن الامراء السعوديين واحفاد الشيخ عبد الوهاب الى قطر ورأس الخيمة. وانتزعها الامير فيصل من شيوخ البحرين عام ١٢٥٩/١٨٤٦ فساعد بذلك على قيام حكم آل ثاني منها وعمر الشيخ قاسم بن ثاني طويلا (١٢١٦/١٨٠١ - ١٣٣١/١٩١٣) . وكان مواليا للامراء السعوديين يربطه بهم المذهب الحنبلي، وصديقا للانكليز وعدوا للعثمانيين. (١٠٦٢).

ولعبت واحة **البريمي** دورا هاما كمركز كبير من مراكز الدعوة والنفوذ الوهابي. وبدأت علاقات الوهابيين بالبريمي في عهد سعود الكبير الذي ارسل عام ١٢١٢/١٨٠٨ سرية الى عمان «لتعليم فرائض الدين والاطلاع على احوالهم» فألحقت هزيمة كبيرة بجموع قيس بن احمد صاحب سحار وابن اخيه سعيد بن سلطان صاحب مسقط وقتل قيس وقدم عزان بن قيس وسعيد بن سلطان ولاءهما لمندوب الامير سعود الشيخ سلطان بن صقر بن راشد القاسمي صاحب رأس الخيمة(١٠٦٣) وتدخل الاسطول البريطاني لنجدة العمانيين فقصف رأس الخيمة واحرقها في العام التالي وفر منها سلطان بن صقر، فبادر الامير سعود الى ارسال حملة بقيادة عبد الله بن مزروع صاحب المنفوحة لتتمركز في البريمي

كما ارسل مطلق المطيري لغزو عمان فحقق نجاحاً كبيراً .[١٠٦٤] وتزعزع مركز الوهابيين في العام التالي اثر وصول اولاد سعود الى عمان غاضبين من أبيهم . وتزعم تركي بن سعود الحركة الوهابية في عمان وانضم اليه مطلق المطيري بقواته فامعنوا في البلاد قتلاً وغزواً ونهباً . وغضب سعود على اولاده وامر بعدم ايوائهم في البريمي واوعز الى مطلق بسحب قواته من عمان . وازدادت النقمة على الوهابين بسبب شدتهم وثار بنو ابإس بعد انسحاب مطلق . وارسلت قوة الى عمان بقيادة عبد العزيز بن غردقة صاحب الاحساء لتأديب بني اباس ولكنه هزم وقتل في جمادي ١٢٢٦/صيف ١٨١١ . واعيد مطلق المطيري ثانية لإنقاذ الموقف فهزم امام مسقط واخمد الثورة . واستطاع الثوار الحاق هزيمة كبيرة بمطلق اواخر ٨ ١٢/١٨١٣ وقتل مطلق بالمعركة وانتهى امر الوهابيين في تلك المنطقة[١٠٦٥] .

وحاول الوهابيون استعادة نفوذهم في البريمي وعمان بعد قرابة عشرين سنة . فقد ارسل الامير تركي سرية بقيادة عمر بن عفيصان الى عمان عام ١٢٤٤/١٨٢٨ فنزل البريمي . ولما عاد فيصل لامارته الثانية ارسل عام ١٢٦٠/١٨٤٤ سرية بقيادة عبد الله بن بطال المطيري للتمركز في البريمي وايدها بعد ثلاثة اعوام بحملة اخرى . وبرز امر سعيد بن طحنون صاحب ابي ظبي فأرسل سعد بن مطلق المطيري لإخضاعه عام ١٢٦٤/١٨٤٨ . ووضع ابن طحنون كميناً للمطيري واوقع بقواته هزيمة كبيرة وفر الناجون الى مكتوم في دبي والى سلطان بن صقر في الشارقة . وجمع كل من مكتوم وصقر والمطيري قواتهم وقصدوا ابن طحنون في البريمي واخرجوه منها[١٠٦٧] واستتب الامر للوهابيين في البريمي بعد ذلك اكثر من عشرين سنة . ولجأ الامير سعود الثائر الى البريمي عام ١٢٨٣/ ١٨٦٦ وحل ضيفاً على اميرها تركي السديري اخي محمد السديري حاكم الاحساء . وقتل تركي بعد ثلاثة اعوام وهو يحاول تأييد سلطان مسقط المعزول سالم بن ثويني ضد المغتصب عزان بن قيس . وثار اهل البريمي على الحكم الوهابي

واخرجوا القوة الوهابية من بلدهم . وكانت الفتنة قد عمت الاراضي السعودية ابان النزاع بين عبد الله واخيه سعود واحتل العثمانيون الاحساء وانقطعت الصلة بين الوهابيين والبريمي[١٠٦٨] .

وكانت عسير تهامة قد خضعت في وقت مبكر للوهابيين وأعلن أميرها عبد الوهاب ابو نقطة (م ١٢٢٤/١٨٠٩) ولاءه للامير عبد العزيز بن محمد . وساهم ابو نقطة مساهمة فعالة في اخضاع الحجز للحكم الوهابي بعد عام ١٢١٩/ ١٨٠٥ كذلك خضع الشريف حمود ابو مسمار صاحب « ابو عريش » وصبيا وجيزان للوهابيين الى ان حدث نزاع بينه وبين « ابو نقطة » فقتل ابو نقطة في المعركة رغم انتصاره وحصر الشريف في « ابو عريش » واصبح طامي بن شعيب (ابن عم عبد الوهاب ابو نقطة) اميراً وهابياً على عسير . وواصل طامي قتال الشريف حمود بمساعدة قوات حجازية بقيادة عثمان بن عبد الرحمن المضايفي وانتزع منه مينائي اللحية والحديدة عام ١٢٢٥/١٨١٠ . كذلك اطاعت بيشة فولّي عليها سالم بن محمد بن شكبان (م ١٢٢٠/١٨٠٥) الذي خلفه ابنه فهاد . وخضعت بيشة وتهامة عسير للجيش المصري عام ١٢٢٩/١٨١٤ واستسلم طامي بعد نضال عنيف فارسل الى القاهرة حيث صلب . واما الشريف حمود ابو مسمار فقد توفي عام ١٢٣٣/١٨١٨ بعد ان هزم المصريين فخلفه ابنه محمد الذي اسره المصريون[١٠٦٩] .

وخضعت عسير بعد ذلك خضوعاً اسمياً للمصريين مبقية على بعض العلاقات الودية مع امراء الرياض الوهابيين . ويبدو ان المصريين ارادوا ضمان ولاء عسير الفعلي فجردوا حملة لاخضاعها عام ١٢٤١/١٨٢٦ ثم حملة اخرى بعد عشرة اعوام (أي في العام الاول لحكم الامير فيصل في الرياض وحكم عبد الله بن رشيد في حايل) ، ولكن الحملتين باءتا بالفشل ولم ينج من افرادهما الا القليل . وجرد المصريون حملة ثالثة بعد عشرين عاما فهزمهم امير تهامة عسير عائض بن مرعي عام ١٢٧٠/١٨٥٤ . ورفض محمد بن عايض تأييد الامير الثائر سعود عام ١٢٨٢/١٨٦٥[١٠٧٠] .

ولم يبق للوهابيين سلطان في **الحجاز** منذ أن أخرجهم منها المصريون الى ان اخرج ابن سعود العائلة الهاشمية من جدة بعد ذلك باكثر من قرن ولكن ذلك لم يمنع سلطات مكة والرياض من خلق الازعاجات المختلفة كل للجانب الآخر . فقد غدت الحجاز مركزاً للحركات الحربية المصرية والعثمانية ضد عسير ونجد . واستطاعت احدى هذه الحملات التي قادها خورشيد باشا ان تأسر الامير فيصل عام ١٢٥٤/١٨٣٨ كما نجحت حملة عثمانية عام **١٣٢٢/١٩٠٤** في احتلال القصيم زمناً . كذلك خلق اشراف مكة وقبائل حرب وعتيبة وقحطان بعض المتاعب للوهابيين .

وحرب هي مجموعة قبلية اكثرها عدناني تمتد ديرتها من جنوبي ينبع الى القنفذة على محاذاة الساحل ، وتمتد شرقاً داخل نجد حتى تقترب من القصيم ، لذا فان بعض حرب يعتبر نجدياً . اما **عتيبة** فأكثرها نجدي وهي اكبر قبيلة عربية بعد **عنزة** . وتمتد ديرة عتيبة من سفوح جبال الحجاز الشرقية الى الحرار بين درب الحج الى نجد والى ديرة قحطان وسبيع . وتعتبر **قحطان** اقدم القبائل العربية واكثرها محافظة على عاداتها . وتمتد ديرتها ما بين نجران وعسير وجنوبي نجد ولا يسكن اطراف الحجاز منها الا القليل الا انها لعبت دوراً رئيسياً في العلاقات الحجازية الوهابية [١٠٧١] .

وبدأ الصدام الاول بين الوهابيين والاشراف عام ١٢٠٥/١٧٩٠ حينما ارسل الشريف غالب بن مساعد حملة ضد نجد لم تنل نجاحاً . وكان الوهابيون حتى ذلك الزمن يتهيبون الاشراف ويخشون اغضابهم أو تحديهم فانكشف الستر بعد هذه الحملة وتجرأ الوهابيون على الحجاز والاشراف . ولكن تأخر هجوم الوهابيين على الحجاز الى عام ١٢٠٩/١٧٩٤ حينما حاصر سعود بلدة «تربة» ثم عاد عنها بعد أن صالحه أهلها . ورد الشريف على هذا التحدي في العام التالي فأغار على بني قحطان الذين تزعمهم اذ ذاك هادي بن قرملة الموالي للوهابيين . وانجد الوهابي بني قحطان بقوة من اهل الوشم يقودها محمد بن معيقل فاغارت على

عتيبة . ولحق بهم سعود بنفسه الذي اغار على عربان عتيبة وقتل زعيمهم ابو محيور . وتبادل الاشراف وهادي بن قرملة الغزو عام ١٢١٢/١٧٩٧ . فلما رأى عرب عتيبة ازدياد قوة الوهابيين بادر زعيمهم حمود بن ربيعان الى مبايعة الامام الوهابي . والحق هادي بن قرملة في شوال من ذلك العام هزيمة كبيرة بحملة قادها الشريف غالب بنفسه. واضطر الشريف الى مصالحة الوهابيين والسماح لهم بالحج في العام التالي . وازداد ضعف الاشراف عام ١٢١٧/١٨٠٢ بعد انتقاض عثمان بن عبد الرحمن المضايفي ووفاة بادي بن بدوي زعيم حرب وحمود ابن ربيعان زعيم عتيبة . وانهزم الشريف الى الطائف ثم الى جدة ودخل سعود مكة . وعاد غالب الى مكة بعد مقتل عبد العزيز فاجبرته حملة وهابية بقيادة ابو نقطة على تقديم ولائه عام ١٢٢٠/١٨٠٥ كما خضعت المدينة المنورة للوهابيين. وانضمت حرب وعتيبة الى الوهابيين فعهد اليهم بعد عام بمنع الحج الشامي من دخول مكة [١٠٧٢] .

وتغيرت اوضاع الوهابيين في الحجاز بعد وصول الحملة المصرية. فقد تحملت بنو قحطان بقيادة هادي بن قرملة صدمة المصريين الاول كما تحملوا صدمة الاشراف من قبل . وقتل هادي بن قرملة في حرب المصريين اواخر ذي القعدة ١٢٢٦/ كانون اول ١٨١١. وانحاز الشريف وقبيلة حرب الى المصريين. كذلك نقضت عتيبة عهدها للوهابي واسرت عثمان المضايفي وسلمته للشريف غالب الذي قتله في رمضان ٢٢٨ /ايلول ١٨١٣. وتم اجلاء الوهابيين عن الحجاز عام ١٢٣٢/١٨١٦ ولم يعودوا اليه ثانية الا عام ١٣٤٣/١٩٢٤، الا ان علاقاتهم معه لم تنقطع [١٠٧٣] .

وبقيت الحجاز خلال هذا القرن مركز ازعاج دائم للامراء الوهابيين . فقد تابع الاشراف اتباع سياسة عدائية بتأييد من القوات المصرية والعثمانية الموجودة في الحجاز . وتابعهم في هذه الخطة قبائل حرب وعتيبة . اما قحطان فقد ظلت موالية للوهابيين ولعب زعيمها محمد بن هادي بن قرملة (الذي خلف اباه في ذي القعدة ١٢٢٦/ كانون الاول ١٨١١) دوراً هاماً في الحرب الاهلية بين الاميرين

عبد الله وسعود وانحاز الى الاول[١٠٧٤] .

وبدأت تهديدات مكة للوهابيين عام ١٨٣٥/١٢٥١ حينما وصل الرياض دوسري بن عبد الوهاب ابو نقطة مندوبا من محمد علي باشا ليطالب بالخراج المتأخر على فيصل . وحاول فيصل ارضاء المصريين فارسل اخاه جلوي الى مكة بهدية الى احمد باشا قائد الجند المصري فيها . ويبدو ان الترضية لم تكن كافية اذ وصلت نجد في العام التالي حملة مصرية اسرت فيصل ونصبت خالد بن سعود اميرا واستطاع عبدالله بن ثنيان ان يخرج خالد والمصريين عام ١٨٤١/١٢٥٧ فحكم الى ان استعاد فيصل ملكه بعد عامين[١٠٧٥] . وغدت مكة مركزاً للامراء الطامحين والفارين . فقد لجأ اليها الامير مشاري والامير خالد وحاكم بريدة عبد العزيز . ورفض الاشراف تأييد الاول والاخير وحاولوا عام ١٨٤٧/١٢٦٣ اعادة خالد الى الحكم بتشجيع من رؤساء القصيم ولكن فشلت الحملة[١٠٧٦] .

امارة ابن رشيد في حايل ١٨٣٥/١٢٥١ — ١٩٢١/١٣٤١

وازدادت في عهد تركي اهمية امارة **حايل وجبل شمر** . وكانت الامارة في الجعفر من شمر . وبرز اوائل القرن ١٩/١٢ الامير محمد بن الحسن بن علي الذي خضع بعد عام ١٧٨٦/١٢٠١ للوهابيين وأخلص لهم فقتله المصريون عام ١٨١٩/١٢٣٤ كما قتلوا اخاه علي[١٠٧٧] . ونافسه على الزعامة ابن عمه علي ابن رشيد . وانتقلت الامارة الى عيسى بن علي الذي احتفظ فيها حتى عام ١٨٣٥/١٢٥١ . ووفد عيسى على تركي في الرياض عام ١٨٢٦/١١٤٣ وقدم له ولاءه . واختلف عيسى مع بن عمه عبد الله ابن علي بن رشيد ففر عبد الله الى الحلة في العراق ثم الى الرياض حيث قامت صداقة متينة بينه وبين فيصل بن تركي . وكان عبد الله مرافقاً لفيصل في حملته الى الاحساء حينما وصلت انباء اغتيال تركي . وابدى عبد الله شجاعة وجرأة في تأييد فيصل ضد قاتل ابيه ولاستعادة

ملكه . ونال عبد الله المكافأة التي كان يريدها اذ عينه فيصل اميراً ووراثياً على حايل وجبل شمر عام ١٨٣٥/١٢٥١ [١٠٧٨] .

ونشب خلاف حاد بين ابن رشيد وابن عمه وسلفه صالح بن عبد المحسن ابن علي . وانتقل النزاع الى مسجد حايل حيث سل انصار الطرفين السيوف بعضهم على بعض . وأجبر ابن رشيد منافسه واتباعه على مغادرة حايل فلجأوا الى بريدة في القصيم . وادعى ابن رشيد ان صالح هو الذي بدأ العداء فصدقه الامير فيصل ولم يعارضه عندما تتبعهم وقتلهم [١٠٧٩] .

واشتدت العداوة بين ابن رشيد واهل القصيم . فقد أغارت بعض عربان عنزة من التابعين للقصيم على ابل لشمر فأغار عليهم ابن رشيد بنفسه وغنم منهم كثيراً . وعزم اهل القصيم بزعامة عنيزة وبريدة على الانتقام من ابن رشيد . وحدث صدام كبير بين الفريقين في جمادي الاولى ١٢٥٧/صيف ١٨٤١ . وانهزم اهل بريدة وزعيمهم عبد العزيز وصبر يحيى بن سليمان بجموع عنيزة . وامر يحيى وقتل صبرا وفقد اهل القصيم عدداً كبيراً من رجالهم . وعاد عبد الله اخو يحيى من الرياض الى عنيزة ليحاول الانتقام ولكنه فشل ، وقتل بعد اربعة اعوام في حرب ابن رشيد الذي أسره واخوته وقتلهم كأخيهم من قبل صبرا [١٠٨٠] .

حكم **عبد الله** في حايل اثنى عشر عاماً واسس سلالة حكمت اكثر من تسعين سنة . وكانت سنوات حكم عبد الله حافلة بالأحداث . فقد اضطر بعد عامين من ولايته الى الفرار من وجه المصريين الذين أعادوا خصمه عيسى بن علي الى الامارة ولكن عيسى لم يهنأ بأمارته طويلاً اذ استعاد عبد الله امارته بالقوة فاضطر خورشيد باشا الى الاعتراف به عام ١٨٣٨/١٢٥٤ وعوض عيسى بن علي بتعيينه اميراً على الخراج في الاحساء فتوفي بعد عامين [١٠٨١] . وقدر لعبد الله ان يساعد على اعادة فيصل الى الحكم مرة ثانية حينما فر فيصل من مصر عام ١٨٤٣/١٢٥٩ فأيده عبد الله ضد ابن ثنيان . وبقي عبد الله بن رشيد موالياً للوهابيين حتى وفاته عشية الجمعة في جمادي الاولى ١٨٤٧/١٢٦٣ فخلفه ابنه طلال [١٠٨٢] .

حكم **طلال** في حايل اثنين وثلاثين سنة (١٨٤٧/١٢٦٣ - صفر ١٢٨٣/ ١٨٦١ ١١ آذار) كان طوالها موالياً للسعوديين . وساهم طلال في الحملات الوهابية ضد عنيزة في عامي ١٢٥٤/١٢٧٠ و ١٨٦٢/١٢٧٩ وايد الامير الوهابي السعودي تأييداً تاماً . ولم يمنعه هذا عن توسيع امارته في اتجاهات لا تزعج السعوديين . فقد اخضع وادي السرحان والجوف (دومة الجندل) وسكاكه عام ١٢٦٩/ ١٨٥٣ كما ضم خيبر وتيماء . واخيراً انتهت حياته بشكل محزن اذ انتحر (بقصد او بدون قصد) وتوفي عن عمر لا يزيد على خمس واربعين سنة تاركاً ستة أولاد وأخوين ماتوا كلهم ، الا واحداً ، قتلا [١٠٨٣] .

وخلف طلال اخو **متعب** (١٨٦٨/١٢٨٣ - رمضان ١٨٦٩/١٢٨٥) . وحاول متعب ان يحكم بمساعدة المتقدمين بالسن من عائلته فقدمهم وابعد الشباب . وتآمر عليه الشباب بزعامة اولاد اخيه طلال وقتلوه امام قصره ، وانتقلت الامارة الى أحد القتلة المدعو **بندر بن طلال** [١٠٨٤] . ولم يدم حكم بندر (١٨٦٩/١٢٨٥ - ١٢٨٩/ ١٨٧٢) طويلا . فقد فر من حايل عمه محمد عم ابيه وعبيد الله ولجأ الى الامير عبد الله بن فيصل السعودي في الرياض . ولكن السعوديين كانوا في شغل عن عن حايل بحروبهم الاهلية . وكان سعود إذ ذاك يتجول في شرق الجزيرة محرضاً القبائل على اخيه عبد الله في الرياض . فاضطر محمد الى مصالحة ابن اخيه . واصبح محمد قائداً للحج العراقي زمناً الى ان اتيحت له الفرصة في ربيع الثاني ١٢٨٩/ حزيران ١٨٧٢ لقتل بندر واثنين من اخوته والاستيلاء على الحكم . ولم ينج من القتل غير طفل لبندر اسمه عبد العزيز [١٠٨٥] .

ويعتبر **محمد** (١٨٧٢/١٢٨٩ - ١٨٩٧/١٣١٥) اشهر امراء حائل من آل رشيد . فقد توسع نحو الجوف ووادي السرحان متغلباً على زعيم الرولة سطام ابن شعلان المدعوم من العثمانيين . ولم يحاول محمد الاستفادة من مصاعب الامراء السعوديين الا في العام العاشر من حكمه . فقد تدخل عام ١٨٨٢/١٢٩٩ في

القصيم والمجمع والسدير وضمها اليه وعين حسن المهنا حاكماً على بريدة وسليمان ابن سامي على المجمع والسدير [١٠٨٦] . وصد في العام التالي محاولة سعودية لزعزعة سلطانه كما ألحق هزيمة بالامير عبد الله بن فيصل بعد عام . واستقبل في صيف ١٣٠١/١٨٨٤ محمد بن فيصل السعودي الذي حمل له رسالة من اخيه امير الرياض عبد الله بن فيصل وعقد الصلح بين الاميرين وتنازل ابن رشيد عن الخرج والسدير [١٠٨٧] .

وسنحت الفرصة الذهبية لمحمد بن رشيد عام ١٣٠٣/١٨٨٥ . فقد هب قاصداً الرياض لتحرير الامير الشرعي من آسريه فاستخلص عبد الله من اولاد سعود واستولى على الرياض ونقل الامراء السعوديين الى حائل . واصبحت الرياض مقاطعة تابعة لابن رشيد الذي عين عليها سالم السبهان . وعزل سالم بعد عامين وعين فهاد بن رخيص الشمري . واخضع ابن رشيد العجمان وعتبه عام ١٣٠٤/ ١٨٨٧ [١٠٨٨] . وسمح لعبد الله بالعودة الى الرياض عام ١٣٠٧/١٨٨٩ فعاد اليها مع اخيه عبد الرحمن وابن اخيه (الملك) عبد العزيز . وتوفي بعد ايام قليلة في ٣٠ ربيع اول ١٣٠٧/٢٤ تشرين الثاني ١٨٨٩ [١٠٨٩] .

حاول عبد الرحمن ان يستخلص لنفسه امارة الرياض . وطلب عبد الرحمن من ابن رشيد سحب ممثله فهاد ، فوافق ابن رشيد ولكنه ارسل سالم السبهان بدلا منه ليعد مؤامرة ضد السعوديين . ونجح عبد الرحمن في الاستيلاء على الرياض والاستقلال بها زمنا ولكنه اضطر الى الفرار بعد نجاح ابن رشيد في القصيم [١٠٩٠] وتمكن ابن رشيد من الحاق هزيمة باميري بريدة وعنيزة حسن المهنا وزامل السليم ، فاسر الاول ومات في الاسر بعد خمس سنوات وقتل الثاني . وهكذا قتل ابن رشيد ثلاثة من امراء عنيزة [١٠٩١] . وولى ابن رشيد سالم السبهان حكم بريدة وعبد الله بن يحيى على عنيزة في شتاء ١٣٠٨/١٨٩١ . واحتل ابن رشيد الرياض وابقى فيها محمد بن فيصل اميرا عاماً واحدا ثم استبدله بعجلان [١٠٩٢] .

استتب الامر لابن رشيد في كافة نجد والممتلكات السعودية وقضى على اعدائه . ولم يستطع احتلال الاحساء لان العثمانيين اغتنموا الفرصة وضموها الى ممتلكاتهم . كذلك واجهته مصاعب كثيرة في علاقاته مع الكويت . واصبحت الكويت محمية بريطانية في العام الذي توفي فيه محمد بن رشيد (١٠٩٣) .

وخلف محمد بعد وفاته ابن اخيه **عبد العزيز بن متعب** (١٣١٥/ كانون اول ١٨٩٧ – ١٩٠٦/١٣٢٤) . وقضى عبد العزيز سنوات حكمه التسع في وغزوات مستمرة انتهت بقتله . فقد قاد عدة حملات على الكويت والحق بقواتها هزمات كبيرة (١٠٩٤) . ولكنه اصيب عام ١٩٠٢ بنكسة بسيطة تحولت الى كارثة . فقد استطاع (الملك) عبد العزيز اوائل ذلك العام احتلال الرياض . ولم يزعزع ذلك الامر الامير عبد العزيز ابن رشيد الذي علق على ماحدث بقوله « ارنبة محجرة واهلها مقيمون » لذا لم يبادر الى اخراج الارنبة من جحرها . ولكن الارنبة انتفضت فانقلبت اسدا مزعجاً ومفترساً . وخسر ابن رشيد في المعركة لا الرياض وحدها بل والقصيم وحياته ايضاً . في معركة روضة المهنا قرب البريدة في الربيع في ١٢ صفر ١٣٢٤/١٤ نيسان ١٩٠٦ (١٠٩٥) .

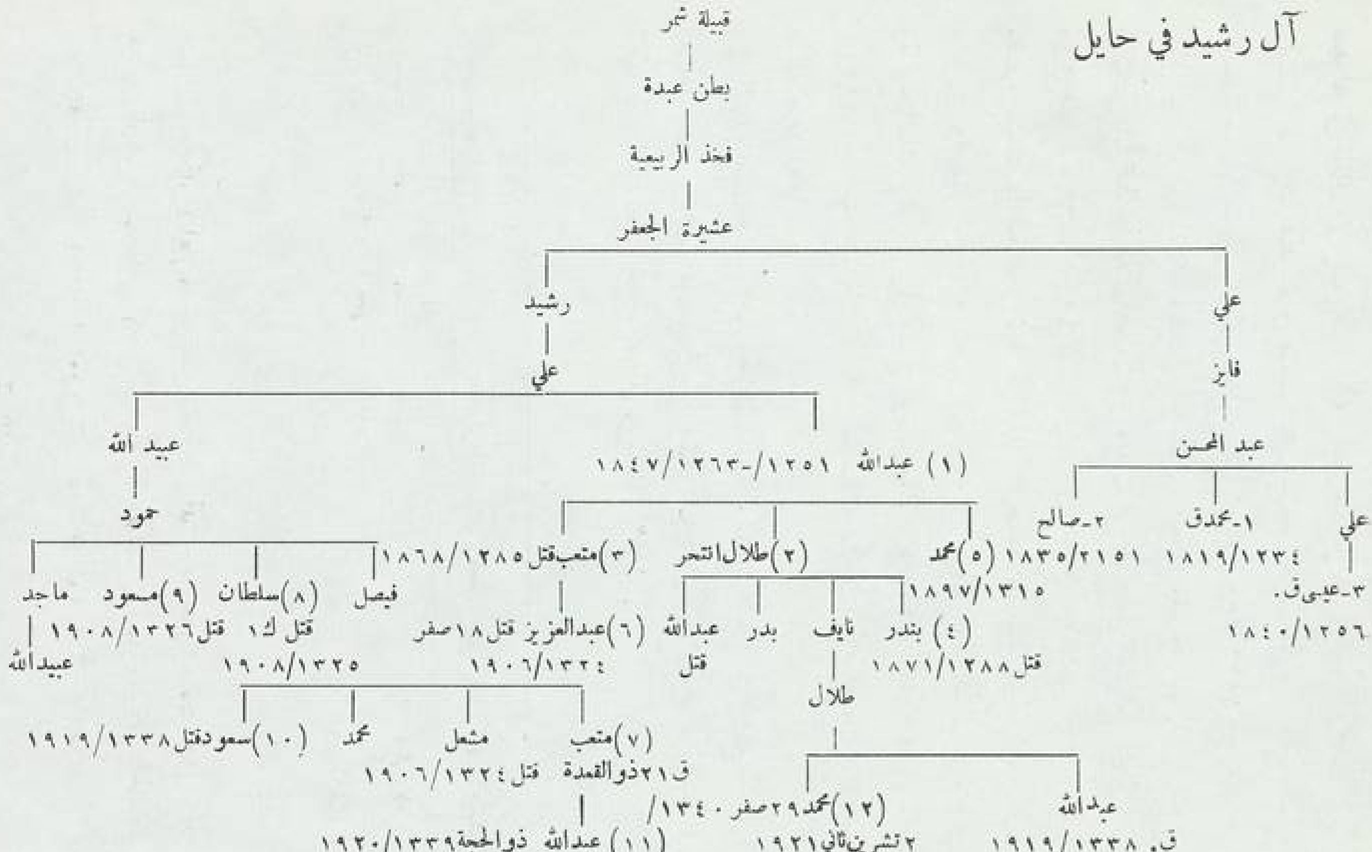
وتتابعت المآسي في حايل . فقد خلف عبد العزيز ابنه **متعب** (م ١٩٠٨) الذي هادن ابن سعود وتنازل عن القصيم وخسر اكثر ممتلكاته في نجد. (١٠٩٦) وثار على متعب ابن عمه **سلطان بن حمود بن عبيد الله** وقتله كما قتل اخويه مشعل ومتعب فلم يسلم من نسل عبد العزيز غير طفل صغير اسمه سعود فرّ اخواله من بني السبهان به الى المدينة المنورة. ولم يحكم سلطان طويلا اذ قتله اخواه سعود وفيصل واستلم الحكم سعود بينما تولى فيصل حكم الجوف الذي نازعه عليه نوري الشعلان زعيم الرولة وعنزة في غرب الشامية . وفقد سعود حياته وملكه بعد عام (١٠٩٧) على يد حمود بن سبهان الذي قتل سعود بن حمود في صفر ١٣٢٧/شباط ١٩٠٩ وتصيب شقيق زوجته **سعود بن عبد العزيز** اميراً . ولما كان سعود قاصراً لذا

اصبح حمود وصياً عليه . وفر فيصل من الجوف ولجأ الى الرياض وتوفي فيها عام ١٩٢٠/١٣٣٨ [١٠٩٨] . وتوفي حمود بعد زمن قصير فخلفه في الوصاية ابن عمه زامل السبهان . وواجه زامل عداوة ابن سعود وابن شعلان والكويت فحاول الوصول الى اتفاق مع بعض اعدائه ليتفرغ للآخرين [١٠٩٩] . واغتنم نوري الشعلان زعيم الرولة الفرصة فاستولى على عام ١٩٠٩/١٣٢٧ على الجوف واحتفظ بها الى ان استعادها منه امير حايل عام ١٩٢٠/١٣٣٨ . وتزوج زامل ام الامير سعود فكان زوجها الرابع (محمد بن عبد الله وعبد العزيز بن متعب وسلطان بن حمود) [١١٠٠] . وحافظ زامل على الصلح المعقود مع ابن سعود حتى عام ١٩١٣/١٣٣١ حينما عقد اتفاقاً مع شفيق كمالي باشا والي البصرة العثماني نال بموجبه ١٢٠٠٠ بندقية ومبلغاً من المال فاعتبر ابن سعود ذلك نقضاً للصلح . ولكن لم ينشب القتال بين ابن رشيد وابن سعود الا آخر العام التالي . وقتل زامل على يد احد اقاربه سعود السبهان في ربيع ١٩١٤/١٣٣٢ [١١٠١] .

ووقفت امارة حايل خلال الحرب العالمية الاولى الى جانب العثمانيين ، بينما ايد ابن سعود بريطانيا . ونشب قتال بين قوات ابن رشيد وابن سعود في صفر ١٣٣٣/ كانون اول ١٩١٤ وهاجم ابن رشيد بدون نجاح الاراضي السعودية . وقام ابن سعود بدوره بحملة ضد ابن رشيد في ربيع اول ١٣٣٣ / كانون ثاني ١٩١٥ ولكن استطاع ابن رشيد ان يصده في معركة جراب . ولم تقع معارك حربية هامة بين العدوين خلال الحرب [١١٠٢] .

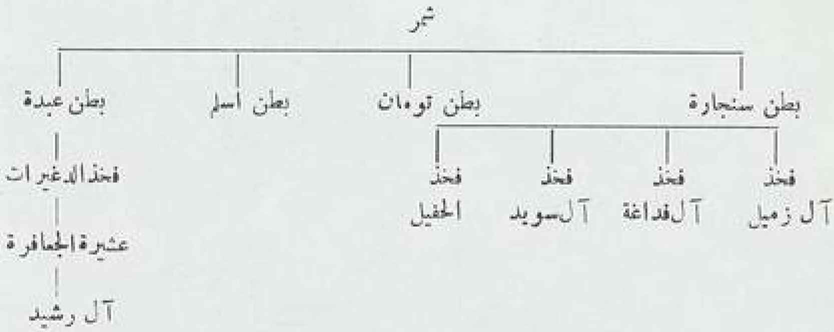
وتعرضت امارة حايل خلال السنتين اللتين تلتا انتهاء الحرب الكثير من الفتن الدموية . فقد ازدادت اطماع سعود السبهان حتى فكر بتنصيب نفسه اميرا والقضاء على الامير الشرعي ، فاكتشفت مؤامرته واضطر الى الفرار الى العراق حيث اقام حتى وفاته في الزبير عام ١٩١٩/١٣٣٩ . [١١٠٣] وعهد سعود بن عبد العزيز الى عقاب بن عجيل بادارة الامور . وحاول عقاب انقاذ الامارة من الانهيار بالتفاهم مع جاريه ابن سعود والملك حسين . وكاد عقاب ان ينجح لولا ان

آل رشيد في حايل



عبد الله بن طلال بن نايف اغتال الامير سعود وقتل هو في نفس الوقت [١١٠٤]
وانتقل الحكم الى **عبد الله بن متعب** الذي استعاد الجوف من ابن شعلان ولكنه
اصطدم مع ابن سعود . وشن ابن سعود في ربيع ١٩٢١/١٣٣٩ هجوماً على
حايل ساهم به ابن شعلان وفيصل الدويش. وضعفت مقاومة عبد الله بن متعب
وانتقض عليه **محمد بن طلال**، فخاف ابن متعب على نفسه من القتل ففر الى الرياض
وتوفي فيها عام ١٩٤٧/١٣٦٦ [١١٠٢] واستولى محمد بن طلال على الحكم واظهر
مقدرة وشجاعة في الدفاع، واضطر ابن سعود الى قيادة الحملة نفسه. واخيراً استسلمت
حايل في ٢٩ صفر ١٣٤٠/٢ تشرين ثاني ١٩٢١ . واقام محمد بن طلال في الرياض
وتزوج الملك ابنته . وتوفي محمد في الرياض مقتولا في جمادي الثاني ١٣٧٣/شباط
١٩٤٤ على يد احد عبيده [١١٠٦] . وانتهت امارة ابن رشيد بعد ان دامت
قرابة تسعين عاما .

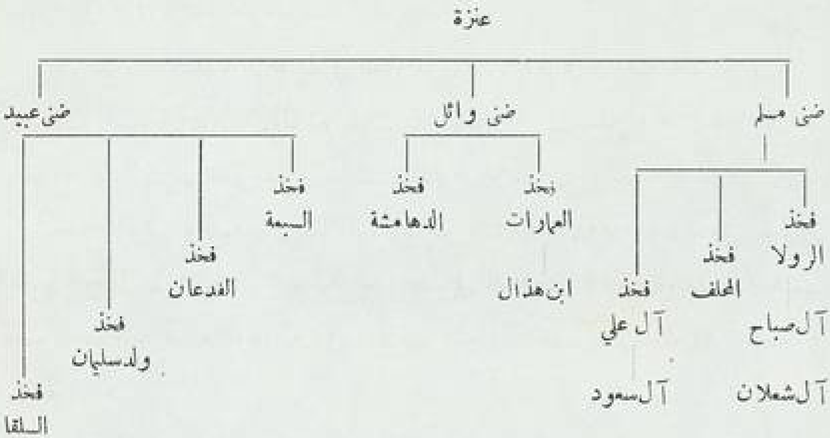
وفي الشمال لعبت قبيلتنا **شمر وعنزة** الكبيرتان دوراً كبيراً في تاريخ الجزيرة
العربية . ويطلق اسم شمر على مجموعة قبلية كبيرة من طي وقحطان تنقسم الى
اربعة بطون وتسكن نجد والعراق وبر الشام [١١٠٧] .



ورئاسة شمر في الجرباء من بطن سنجارة. وقد اجلاهم سعود عام ١٢٠٥/١٧٠٩
بعد ان نازلهم قرب حايل وقتل في المعركة مصلط بن مطلق بن محمد الجرباء .
وسار مطلق (والد مصلط) بجموع شمر الى العراق فبر الشام ورافق احمد

باشا الجزار الى الحج . واقام مطلق في بادية السماوة فغزاه فيها سعود عام ١٢١٢/١٧٩٧ وسقط مطلق قتيلاً . واستقر قسم كبير من شمر في العراق وبر الشام ولعبوا دوراً كبيراً لاسيما في عهد مشيخه صفوق الذي لقب سلطان البر (١٣٠٦/١٨٨٩). وانقسمت شمر فيما بعد الى قسمين احدها شامي بزعامة دهام الهادي والآخر عراقي بزعامة عجيل الياور (م١٣٥٩/١٩٤٠) . [١١٠٨] اما في نجد فقد استعادت شمر سلطانها على يد عائلة ابن رشيد في حايل وخسرته بزوال هذه العائلة .

وتعتبر عنزة من ربيعة اكبر القبائل العربية اطلاقاً واكثرها انتشاراً . وتمتد منازلها من نجد الى الحجاز فوادي السرحان فبادية الشام . وتنقسم الى ثلاثة بطون هي مسلم ووائل وعبيد[١١٠٩] .



ورغم ان آل سعود وحكام الكويت والبحرين ينتسبون الى نفس القبيلة فان هذا الامر لم يخفف من النزاع بينها . وتذكر الروايات النجدية الكثير عن الغزوات التي شنها الوهابيون ضد جموع عنزه في اماكن مختلفة . ولكن عنزه غدت موالية لسعود الكبير في اواخر عهده فوجه والي العراق سليمان باشا الصغير حملة ضدها عام ١٢٢٤/١٨٠٩ . استطاعت عنزه بقيادة الدريعي بن شعلان وبمساعدة الظفير (وهي قبيلة تقيم في اطراف نجد والعراق وتدخل عادة في حلف مع شمر)

ان تلحق هزيمة كبيرة بجيش الوالي وحلفائه من شمر . واستمر العداء بين شمر وعنزه كما حدث في يوم بصالة عام ١٢٣٨ / ١٨٢٣ وفي العام التالي . وعندما استعاد ابن سعود الرياض اوائل هذا القرن وبدأ يضغط على جبل شمر من الجنوب ، اغتنم ابن شعلان زعيم الرولا من عنزه الفرصة ليضغط بدوره على جبل شمر من الشمال والشرق [١١١٠] .

ولم تكن المتاعب التي لاقاها الامراء السعوديون في **نجد** نفسها اقل منها من الاماكن الاخرى . فقد بقيت العصبيات المحلية القديمة قائمة وعجزت الدعوة الوهابية عن صهرها وتوحيد البلاد . وبقيت نجد منقسمة الى ستة مناطق معادية بعضها للبعض الآخر وفي كل منها نزعة استقلالية قوية تخبو تارة خوفاً ثم تعود الى الظهور في اول فرصة مناسبة .

لقد بدأت الدعوة الوهابية **في العارض** الذي يقع في وسط نجد تقريباً ، وامتدت الدعوة شمالا الى **الوشم** حيث غدت شقرا اول معقل وهابي بعد الدرعية والعيينة كما دانت بلدان ثرمدا والمذنب وغيرها من بلدان الوشم للوهابيين [١١١١] . وتم اخضاع الوشم **والسدير** (شمالي الوشم) حوالى ١٧٦٧/١١٨١ بينما تأخر خضوع **القصيم** (شمال غربي الوشم) والخرج (جنوبي العارض) فترة طويلة . وبقيت حصون مقاومة قوية للوهابيين في بريدة وعنيزة (القصيم) والمجمعة (سدير) والدلم (الخرج) [١١١٢] .

وكان **القصيم** اهم مراكز المقاومة للوهابيين والامراء السعوديين في نجد . ويعتبر القصيم اغنى مقاطعات نجد واكثرها قرى وسكانا واقربها الى الحجاز الذي خرج منه اكثر الحملات ضد الوهابيين . وبرزت فيه بلدان بريدة (وسكانها من تميم) وعنيزة (على بعد ١٢ ميلا من بريدة) والرس (التي اشتهرت ابان حروب ابراهيم باشا) . واقام في القصيم بعض بطون قبيلة عنزة القوية [١١١٣] .

وكانت **بريدة** ماءاً لآل هذال من عنزة فاشتراها منهم عام ٩٥٨ / ١٥٥١ راشد الدريبي العنقري التميمي من آل عليان وسكنها مع عشيرته وتوارث

اولاده واحفاده حكمها حتى عام ١٢٧٩ / ١٨٦٣ (١١١٤) . وكان اميرها حمود الدريبي على نزاع مع امير عنيزة فاغتنم السعوديون الفرصة للتدخل . واعلن حمود عام ١١٨٢/١٧٦٨ ولاءه للامير عبد العزيز الذي ايده ضد عنيزة. ويبدو ان حكم حمود لم يطل اذ كان الامير بعد عامين راشد الدريبي الذي ثار عليه آل عليان واخرجوه من بريدة (١١١٥) . وغدت بريدة موالية للوهابيين فتعرضت بسبب ذلك عام ١١٩٨/١٧٨٤ لنقمة عريعر بن دجين زعيم بني خالد وحاكم الاحساء الذي حاصرها واحتلها ونهبها (١١١٦) . وعادت بريدة الى عصيان الوهابيين فحاصرها الامير سعود بن عبد العزيز في العام التالي وفرض عليها عبد الله بن حسن آل عليان اميراً . واشترك عبد الله في حروب الوهابيين وقتل بعد عام فخلفه حجيلان بن حمد العليان (١١١٧) . وبقي حجيلان اميراً على بريدة موالياً للوهابيين حتى استسلامه لابراهيم باشا الذي نقله اسيراً الى المدينة المنورة وتوفي فيها عام ١٢٣٤/ ١٨١٩ وسنه اذ ذاك ثمانون سنة فيكون قد حكم بريدة خمساً واربعين سنة كان طوالها موالياً للامراء السعوديين ومؤيداً لهم في جميع حملاتهم وغزواتهم (١١١٨).

ودانت بريدة للمصريين ولم ترحب بعودة الحكم السعودي الوهابي . ولم تجد دعوة عبد الله بن معمر ترحيباً في القصيم . كذلك تأخرت بريدة في مبايعة تركي زهاء خمس سنوات الى ان ظهرت قوته وخشيت بأسه فبايعته عام ١٢٤٣/١٨٢٧ «على السمع والطاعة» وعين عبد العزيز ابن محمد بن عبد الله آل عليان اميراً عليها (١١١٩).

حكم عبدالعزيز في بريدة حكماً شبه متواصل قرابة اربع وثلاثين سنة (١٢٤٣/١٨٢٦ - ١٢٧٧/ ١٨٦٠) . ورحبت بالحملة المصرية الثانية عام ١٢٥٣ / ١٨٣٧ وخضع للامير خالد . واشترك عبد العزيز بعد ثلاثة اعوام في حلف مع عنيزة ضد ابن رشيد فلاقى فشلاً ذريعاً (١١٢١) . وايد عبد العزيز حملة شريف مكة « لتحرير » القصيم من الوهابيين عام ١٢٦٣ /١٨٤٧ . وتزعم عبد العزيز بعد عامين ثورة مع امير عنيزة ضد الوهابيين ولكنه هزم وعفي عنه وابقي أميرا . وفر عبد العزيز في العام التالي الى مكة لاجئاً الى

الشريف الذي توسط له مع فيصل فاعاده بعد عام الى امارته [١١٢٢]. واستدعي عبد العزيز في شعبان ١٢٧٥/ شباط ١٨٥٩ الى الرياض واحتجز وولديه واسند منصبه الى قريب له اسمه عبد الله بن عبد العزيز العليان . وقتل عبدالله في ربيع اول ١٢٧٦/ايلول ١٨٥٩ فاتهم عبد العزيز بتدبير المؤامرة واعتقل بينما عين احد القتلة المدعو محمد بن غانم اميرا . ولم تستقر احوال بريدة فاعيد عبدالعزيز اميرا في جمادي الاولى/ كانون الاول ولكنه عاد الى التمرد . وفر عبد العزيز الى عنيزة مع اولاده الثلاث ثم اتجه نحو مكة فتعقبته قوة وهابية بقيادة محمد بن فيصل وقتلته واولاده [١١٢٣] .

وقرر فيصل انهاء الحكم المحلي وتعيين امراء من خارج القصيم . وعهد بامارة بريدة الى عبد الرحمن بن ابراهيم من اهل منفوحة عام ١٢٧٧/١٨٦٠ . وقامت ثورة في القصيم بعد عام وجاء محمد بن غانم من مكة للاشتراك بها . وفشلت الثورة كما بان فشل عبد الرحمن بن ابراهيم فاسند الحكم الى محمد السديري (١٢٧٩/ ١٨٦٢ - ١٢٨٠/١٨٦٣) [١١٢٤] .

واعيد محمد السديري الى الاحساء وعين سليمان الرشيد العليان اميراً في شتاء ١٢٧٩/١٨٦٣ . وعزل سليمان بعد فترة قصيرة وعين مهنا الصالح ابو الخيل فانتهى بذلك حكم آل عليان في بريدة [١١٢٥] . وحاول آل عليان استعادة مركزهم فاغتالوا مهنا الصالح عام ١٢٩١/١٨٧٤ ولكن ابنه وخليفته حسن انتقم من قتلة ابيه من آل عليان ووضع نفسه تحت حماية ابن رشيد . وقوى امر ابو الخيل في بريدة . وحاول عبد الله بن فيصل اعادة آل عليان الى بريدة فتصدى له ابن رشيد . وازداد ابو الخيل جرأة حتى انه غزا الاراضي السعودية نفسها عام ١٢٩٤/١٨٧٧ وظفر بثلاثة من آل عليان وقتلهم . وزالت آثار السيادة السعودية عن بريدة الى ان اعادها الملك عبد العزيز بعد اكثر من ربع قرن [١١٢٦] .
ولم يطل ولاء حسن بن مهنا ابو الخيل لابن رشيد اذ اشترك مع عنيزة في ثورة عليه في شتاء ١٣٠٨/١٨٩١ . ومزق ابن رشيد شمل اعدائه في معركة المليدة

في جمادي الاول ١٣٠٨/٢١ كانون الثاني ١٨٩١ واسر حسن وابقاه في حايل حيث توفي بعد خمس سنوات . وعين ابن رشيد على القصيم سالم السبهان حاكماً عاماً مركزه بريدة (١١٢٧) .

اما عنيزة (التي تبعد ١٢ ميلا عن بريدة) فقد قاومت الوهابيين بزعامة عبد الله بن حمد بن زامل الذي قتل عام ١١٨٢ / ١٧٦٨ في حرب بريدة والوهابيين (١١٢٨) . وتزعمت عنيزة عام ١١٩٦/١٧٨٢ ثورة كبيرة ضد الوهابيين انجدها حاكم الاحساء بنفسه ولكن فشلوا في الاستيلاء على بريدة فانهارت الحركة (١١٢٩) . وقتل عام ١٢٠١/١٧٨٦ عبد الله بن احمد الرشيد امير عنيزة بعد حكم دام اقل من سنة فخلفه ابن اخيه يحيى بن علي حتى عام ١٢٠٢ /١٧٨٨ حينما استولى الامير سعود على عنيزة واجلى منها رؤساءها من آل رشيد واستعمل عليها عبد الله بن يحيى (١١٣٠) . ورحبت عنيزة بابراهيم باشا بعد مقاومة قصيرة وعاد آل رشيد الى الحكم، ولكن المصريين قتلوا اميرها عبد الله بن رشيد (١١٣١) . ولم تبايع عنيزة ابن معمر الا انها لم تكن على وفاق مع المصريين . واعتقل المصريون اميرها عبد الله الجمعي فثار اهل البلدة واخرجوا القوات المصرية عام ١٢٣٨ / ١٨٢٣ (١١٣٢) . وقاومت عنيزة الحملة المصرية الثانية عام ١٢٥٣/ ١٨٣٧ (١١٣٣) .

ونكبت عنيزة في عداوتها لابن رشيد . فقد قتل اميرها يحيى بن سليمان بن زامل في معركة ١٢٥٧/١٨٤١ فخلفه اخوه عبد الله . ورغم عداء عبد الله الشديد لابن رشيد الا انه ايد فيصل بعد عودته الثانية من الاسر المصري عام ١٢٥٩/١٨٤٣ . وقتل عبد الله بعد عامين في حرب ابن رشيد قتله ابن رشيد وبعض اخوته صبرا ، فخلفه اخوه ابراهيم (١١٣٤) . وايد ابراهيم حملة شريف مكة في ربيع ١٢٦٣/١٩٤٧ فعزله فيصل وعين ناصر بن عبد الرحمن السحيمي اميرا (١١٣٥) .

وكان جد السحيمي قد هاجر مع ابنه عبد الرحمن الى عنيزة وحل فيها مواليا لآل بكر من سبيع اخصام آل سليم ومنافسيهم على الامارة . وتزعم

ناصر حزب البكر ونازع يحيى بن سليمان بن زامل الامارة . وعرض يحيى على ناصر استعداده للتنازل عن الامارة والجلاء عن البلدة فابى ناصر وبايع يحيى بالامارة . وقتل يحيى واخوه عبد الله في حرب ابن رشيد وعزل الاخ الثالث ابراهيم واصبح ناصر اميرا اواخر ١٢٦٣/١٨٤٧ [١١٣٦].

ورفض آل سليمان بن زامل الاعتراف بما حدث . فقد دبر عبد الله بن يحيى مؤامرة لاغتيال ناصر فاصابه برصاصة لم تقتله وفشلت المؤامرة وفر المتآمرون الى بريدة فسلمهم اميرها الى فيصل الذي عفا عنهم واسكنهم الرياض. اما ناصر فانه انتقم من آل زامل بقتله سلفه ابراهيم بينما فر علي بن سليمان الى الرياض لاجئا وشاكيا . واستدعي السحيمي الى الرياض لمحاكمته وعين عبد الله المداوي (حاكم القطيف) واليا على عنيزة . وثارت فتنة في عنيزة لم يستطع المدواي اطفاءها فاعيد السحيمي اميرا . واغتنم السحيمي الفرصة فاعلن عصيانه بالتعاون مع امير بريدة . واخمدت الثورة ولجأ السحيمي الى طلال ابن رشيد. وعين فيصل اخاه جلوي حاكما عاما على القصيم ومركزه عنيزة فكان اول حاكم على القصيم من غير اهله [١١٣٧].

لم يتقبل اهل عنيزة الوضع الجديد بسهولة . فقد ثاروا في ربيع ١٢٧٠/ ١٨٥٤ واخرجوا جلوي من بلدتهم واستلم الحكم عبد الله بن يحيى بن سليمان السليم . وفشلت حملة وهابية في اخضاع البلدة فاضطر فيصل الى الاعتراف بالامير الثائر . واستطاع عبد الله ان يقتل ناصر السحيمي غيلة انتقاماً لعمه ابراهيم عام ١٢٧٥/١٨٥٨. وفر مطلق اخو ناصر الى اشيقر واقام فيها حتى وفاته بعد ثلاثة اعوام . وعزل عبد الله وعين عبد الرحمن بن ابراهيم اميراً ، ولكن عبد الله ثار على ابن عمه في شعبان ١٢٧٨ / ١٨٦٢ واخرجه وصد حملة وهابية جاءت لانجاده وكاد ان يحتل بريدة . واخيراً خضعت عنيزة لفيصل في رجب ١٢٧٩ / كانون الثاني ١٨٦٣ فاعترف فيصل بامارة عبد الله [١١٣٨] . وزال النفوذ السعودي من القصيم بعد ذلك في عهد الامير عبد الله بن فيصل وخضعت القصيم لابن رشيد .

وحاولت عنيزة بزعامة زامل السليم تحدى ابن رشيد بالتعاون مع بريدة ولكن ابن رشيد انتصر في معركة المليدة في شتاء ١٨٩١/١٩٠٣ وسقط زامل قتيلا فعين ابن رشيد خلفاً له عبد الله بن يحيى السليم وجعله تابعاً لسالم السبهان في بريدة (١١٣٩) .

وخضعت سُدير (**المجمع**) للوهابيين بعد عام ١٧٧٥/١١٨٩ فعين عليها عبد الله بن جلاجل اميراً . وتقع سدير في شمالي نجد (جنوب غربي القصيم) وتضم بلدان المجمعة والزلفى وجلاجل (١١٤٠) ولم تقاوم سدير الاحتلال المصري كما خضعت بسرعة لابن معمر ولتركي من بعده . وقدم احمد السديري ولاء سدير لقائد الحملة المصرية والامير خالد عام ١٨٣٨/١٢٥٤ فكوفىء على ذلك بتعيينه حاكما على الاحساء في العام التالي ، وخلفه ابنه محمد في أمارة سدير . وأعفي احمد من منصبه في الاحساء فعاد الى السدير كمواطن عادي . وبطش ابن ثنيان بالسديريين لولائهم لخالد وقتل ثلاثة من زعمائهم . ورضي تركي عن احمد السديري واعاده حاكماً على الاحساء في ربيع ١٨٤٧/١٢٦٣ فشغل هذا المنصب حتى وفاته عام ١٨٦١/١٢٧٨ وخلفه فيه ابنه محمد عاماً واحداً . وقضى محمد عامين اميراً على القصيم ثم أعيد الى الاحساء اواخر ١٨٦٣/١٢٨٠ وعزل عنها بعد سبعة أعوام كما عزل اخوه تركي من امارة البريمي (١٢٤١) . ولم يبرز اسم السديريين ثانية الا في عهد الملك عبد العزيز آل سعود .

وكانت **الخرج** ولا سيما بلدة **دلم** اكثر مقاطعات نجد عداءاً للوهابيين في اول الامر ثم غدت اكثرها ولاءاً . وتقع الخرج الى الجنوب الغربي من العارض وتضم من البلدان المشهورة الدلم والمنفوحة واليمامة والحريق والروضة (١١٤٢) . وتزعم حركة المقاومة آل زامل الذين كانوا امراء دلم بينما قادت الموالين عائلة عفيصان التي قدمت للامراء الوهابيين عدداً من كبار القادة والحكام . وخضع زيد بن زامل امير دلم عام ١٧٧٥/١١٨٩ (أي بعد خضوع الرياض والقصيم والمجمع والوشم والسدير) ، وثار زيد في العام التالي وفر

من وجه الوهابيين الذين نصبوا سليمان بن عفيصان اميراً . وعاد زيد بعد فترة قصيرة فأقصى سليمان واستعاد الامارة . وفشلت محاولة وهابية لاخضاع دلم عام ١١٩١/١٧٧٧ كما فشلت محاولة اخرى عام ١١٩٥/١٧٨١ واكتفت القوات الوهابية بقطع اكثر من الفي نخلة . واصطدم زيد بعد عامين بقوة وهابية يقودها سليمان بن عفيصان فأصابته رصاصة قاتلة فخلفه ابنه براك الذي داوم على خطته العدائية نحو الوهابيين . وقتل براك غيلة على يد اولاد عمه عام ١١٩٩ / ١٧٨٤ فخلفه اخوه تركي . واغتنم الوهابيون الفرصة فهاجموا الدلم واحتلوها وسقط تركي قتيلاً . وعاد سليمان بن عفيصان اميراً على الخرج [١١٤٣] .

قدم آل عفيصان عددا من كبار الرجال الذين خدموا الامراء السعوديين . فقد تولى سليمان بن عفيصان حكم الخرج ثمان سنوات (١١٩٩ / ١٧٨٥ — ١٢٠٧/١٧٩٣) وخلفه عليها ابنه ابراهيم لفترة اثني عشر عاماً (١٢٠٧/١٧٩٣ — ١٩١٢/١٨٠٤) . وقاد سليمان وابنه عدداً من الحملات الوهابية لاسيما ضد الاحساء والبريمي وعمان . ونقل ابراهيم والياً على الاحساء فبقي في منصبه الجديد طوال عهد سعود وعبد الله (حتى ١٢٣٥/١٨١٩) بينما خلفه في الخرج اخوه عبد الله . وكلف الاخ الثالث فهد باحتلال وحكم البحرين كما شارك في الحملات العمانية . واشترك متعب بن عفيصان ببسالة في مقاومة ابراهيم باشا . وقاست عائلة عفيصان على يد المصريين الذين قتلوا ثلاثة من رجالها [١١٤٤] .

واستعاد آل زامل امارة دلم . وكان اميرها في ربيع ١٨٤٠ / ١٨٢٥ زقم بن زامل الذي قاوم تركي ثم اضطر الى الاستسلام . وعهد تركي الى عمر بن محمد عفيصان بامارة الخرج . وعهد الى عمر بعد عامين باعادة النفوذ الوهابي الى البريمي وعمان ونقل عام ١٢٤٥/١٨٢٩ اميراً على الاحساء بعد ان قضى نهائياً على حكم آل عريعر . وأيد عمر الامير فيصل ضد مشاري وضد المصريين . ولما استسلم فيصل للمصريين عام ١٢٥٤/١٨٣٨ فر عمر الى البحرين فالكويت ثم عاد بعد عامين الى خدمة الامير خالد . وبايع عمر الامير ابن ثنيان الذي ولاه

الاحساء عام ١٨٤٢/١٢٥٨ . واختفى بعد ذلك ذكر بني عفيصان من الروايات النجدية . وتولى الامير سعود بن فيصل حكم الخرج اواخر عهد ابيه [١١٤٥] .

٢٩ – عبد الله بن فيصل : ٢١ رجب ١٢٨٢ – ١٨ محرم ١٢٨٨
١٢ ك١ ١٨٦٥ – ٩ نيسان ١٨٧١

بويع عبد الله بولاية العهد قبل وفاة ابيه بنصف عام ، ودربه أبوه خلال حياته على الحكم وقيادة الجيوش . وتوفي فيصل بعد حكم دام احدى وثلاثين سنة فبويع ابنه وولي عهده عبد الله بالامامة والامارة . وطمع بالحكم أبناء فيصل الآخرون وهم سعود ومحمد وعبد الرحمن ، وكان سعود اميراً على الخرج عند وفاة ابيه فرفض الاعتراف بامارة أخيه وقصد عسير ونجران طلباً للعون العسكري . ورفض آل عائض في عسير ومكرّمو نجران مساعدته فلجأ الى بني مرة وأيده هؤلاء وانضم اليه راكان بن حثلين زعيم العجمان وابن خليفة شيخ البحرين . وأرسل الامير عبد الله ضده حملة بقيادة الاخ الثالث محمد فهزمته وفر جريحاً الى بني مرة فالبريمي حيث حل ضيفاً على حاكمها الوهابي تركي السديري اواخر ١٨٦٦/١٢٨٣ [١١٤٦] .

٣٠ – سعود بن فيصل : ١٩ محرم – ٢٨ جم١ ١٢٨٨
١٠ نيسان – ١٥ آب ١٨٨١

تابع سعود بعد شفائه ، تجواله للتفتيش عن حلفاء . وفشلت محاولة قام بها عام ١٨٦٩/١٢٨٦ لاحتلال قطر بمساعدة آل خليفة ولكنه نجح في العام التالي في احتلال الهفوف (الاحساء) بمساعدة العجمان . وانتصر سعود على قوات أخيه في معركة جودة ٧ رمضان ١٢٨٧ / اول كانون الاول ١٨٧٠ وأسر قائدها محمد بن فيصل . وزحف سعود بعد عام على الرياض ففر منها عبد الله في ١٨ محرم ١٢٨٨/٩ نيسان ١٨٧١ ودخلها سعود في اليوم التالي وبايعه الناس . وألحق سعود هزيمة اخرى بأخيه في الصيف ربيع اول / حزيران ففر عبد الله واحتمى بالجيش العثماني الزاحف على الاحساء بعد ان رفض امير حائل وامير عنيزة مساعدته او ايوائه . ولم ينصر عبد الله غير

سلطان الدويش شيخ مطير وعبد الله بن هادي بن قرملة زعيم قحطان[١١٤٧].

واغتنم والي بغداد مدحت باشا فرصة هذا النزاع بين الاخوة ليرسل حملة لاحتلال الاحساء. وأبحرت الحملة من البصرة واحتلت القطيف في ٩ ربيع الاول ١٢٨٨/ حزيران ١٨٧١ كما احتلت الهفوف. وساهم شيخ الكويت ونقيب اشراف البصرة وشيخ المنتفق (ناصر باشا السعدون) في هذه الحملة. وانتقل حكم الاحساء الى العثمانيين الذين عينوا نافذ باشا حاكما عليها عام ١٢٨٨ / ١٨٧١ . وفشلت محاولة سعود لاستعادة الاحساء[١١٤٨].

٣٢ – عبد الله بن فيصل : ٣٠ رجب ١١٨٨ – ١٥ ذي الحجة ١٢٨٩
١٥ تشرين اول ١٨٧١ – ١٥ كانون الثاني ١٨٧٣

وساورت عبدالله بن فيصل شكوك كثيرة حول نيات العثمانيين الذين لجأ اليهم. فقد ادعوا انهم جاءوا انجاداً للحاكم الشرعي عبد الله ولكنهم احتفظوا بالاحساء لأنفسهم. وبلغت عبدالله أنباء مؤامرة عثمانية تهدف الى اعتقاله واولاده وأخيه ففر الى الرياض. وكان أهل الرياض قد ثاروا على سعود بسبب اعمال انصاره من العجمان فأخرجوه من بلدهم وزعموا عليهم (٣١) **عبدالله بن تركي** (٢٨ جمادى الاول/١٥ آب – ٣٠ رجب ١٢٨٨ / ١٥ تشرين اول)[١١٤٩]. ولما وصل عبد الله بن فيصل الى الرياض رحب به أهلها وبايعوه. واستعاد (٣٣) **سعود** الرياض بمساعدة الدواسر وفر منها عبدالله للمرة الثانية ولجأ الى وادي حنيفة فتعقبه سعود بجموع بني مرة والعجمان والدواسر وأوقع به هزيمة ففر لاجئا الى الكويت[١١٥٠].

وكان عهد سعود قد أشرف على نهايته. فقد فشلت محاولاته ضد الاحساء وعتيبة. وبلغ من جرأة مسلط بن ربيعان زعيم عتيبة انه اخذ ينهب اطراف الرياض نفسها. وحاول سعود صده ولكنه فشل وجرح – ومات في الرياض متأثراً بجراحه في ١٩ ذي الحجة ١٢٩٢/ ٢٦ كانون الثاني ١٨٧٥[١١٥٢].

٣٤ – عبد الرحمن بن فيصل : ١٩ ذي الحجة ١٢٩٢ – ١ محرم ١٢٩٣
٢٦ كانون الثاني ١٨٧٥ – ٢٨ كانون الثاني ١٨٧٦

وكان عبد الرحمن (والد الملك عبد العزيز) قد قصد بغداد ليفاوض العثمانيين

حول مصير الاحساء فعومل معاملة حسنة ولكن مفاوضاته لم تحقق شيئاً. وقصد عبد الرحمن الاحساء في خريف ١٢٩١/١٨٧٤ ليتزعم ثورة المفوف ضد العثمانيين. وحاز عبد الرحمن تأييد العجمان وبوادي الاحساء وكاد ينجح في تحقيق هدفه لولا انحياز بني خالد للعثمانيين ووصول نجدة عثمانية بقيادة زعيم المنتفق ناصر باشا السعدون. وفر عبد الرحمن الى الرياض حيث وجد اخاه سعود على فراش الموت فقام بالامر بعد وفاته [١١٥٢]. ونازعه الامارة اخوه محمد في الوشم فحاصره عبد الرحمن واسره. وفشل عبد الرحمن في محاولاته للتغلب على بني مرة او القضاء على مؤامرات اخيه سعود فتخلى عن الحكم لاخيه الاكبر عبد الله بعد ان حكم سنة ويومين [١١٥٣].

٣٦ - عبد الله بن فيصل ٥ ربيع اول ٣١/١٢٩٣ آذار ١٨٧٦

رحب عبد الله بالفرصة الجديدة ودخل الرياض وبويع اميراً للمرة الثالثة وانسحب (٣٥) **اولاد سعود** الى الخرج بعد ان حكموا الرياض شهرين (١محرم/ ٢٨ كانون الثاني - ٥ ربيع اول ٣١/١٢٩٣ آذار ١٨٧٦). ولكن عبد الله فشل فشلا ذريعاً في محاولاته لفرض سيطرته على المقاطعات المختلفة. فقد قصده في العام الاول من امارته الجديدة ابراهيم بن عبد المحسن بن مدلج العليان طالباً امارة بريدة فلم يستطع عبد الله اعادته بسبب تدخل ابن رشيد [١١٥٤]. وغزا عبد الله عام ١٢٩٩/١٨٨٢ المجمع والسدير بجموع عتيبة والمحمل والوشم فاستنجد اهلها بابن رشيد الذي اجبر عبد الله على الانسحاب وضم اليه المجمع والسدير وعين سليمان بن سامي والياً عليها [١١٥٥]. وتغلب محمد بن رشيد في ربيع ١٣٠١/١٨٨٣ على محمد بن سعود كما صد بعد عام محاولة قام بها عبد الله بن فيصل لاستعادة المجمع. وارسل عبد الله اخاه محمد الى حايل لمفاوضة ابن رشيد فنجح في اقناع محمد بن رشيد باعادة الخرج والسدير الى عبد الله [١١٥٦].

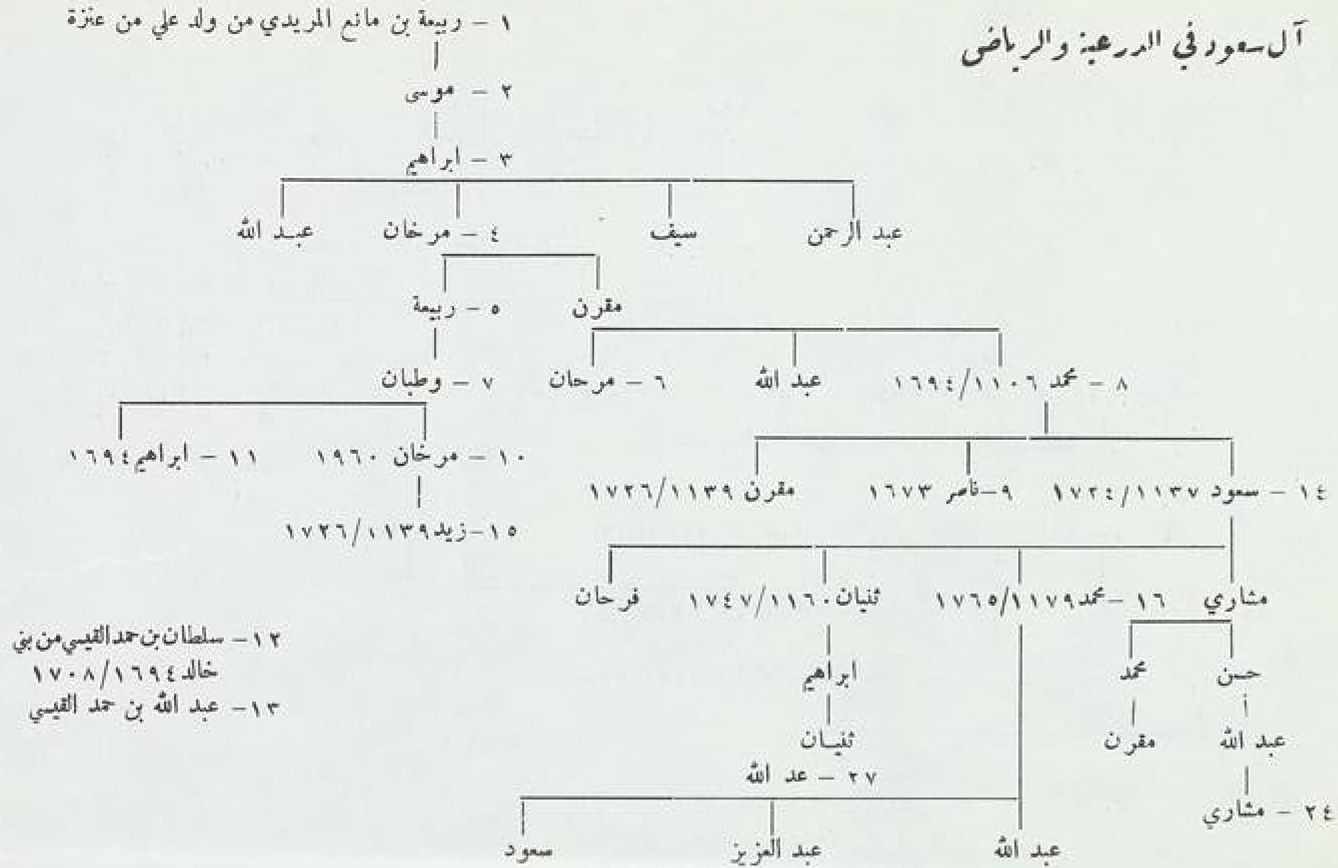
وانتقض اولاد سعود على عمهم عبد الله وتمكنوا عام ١٣٠٣/١٨٨٥ من اعتقاله. وهب ابن رشيد مسرعاً لانقاذ الامير الشرعي ففك اسره واخذه

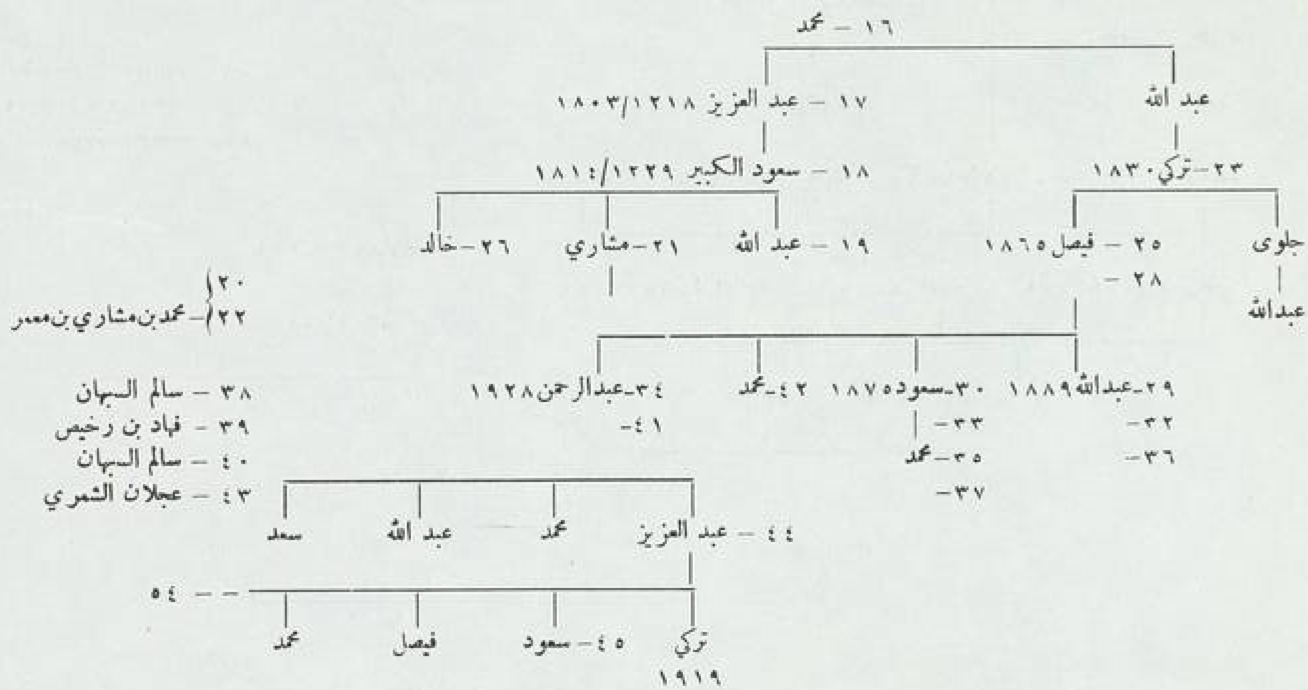
واخاه عبد الرحمن اسرى الى حايل وعين (٣٨) **سالم السبهان** حاكما على الرياض بينما فر اولاد سعود الى الخرج. وتعقب ابن سبهان اولاد سعود وقتل محمد وسعد وعبد الله عام ١٨٨٦/١٣٠٣ . وتظلم اهل الخرج الى ابن رشيد من اعمال سالم فعزله في العام التالي وعين (٣٩) **فهاد بن رخيص** خلفاً له [١١٥٧] .

واقام الامراء السعوديون في الاسر الى ان اشتد المرض على عبد الله فسمح لهم بالعودة الى الرياض . وتوفي عبد الله بعد ايام من وصوله في ٢ ربيع الثاني ٢٤/١٣٠٧ تشرين الثاني ١٨٨٩ . وخلفه في الزعامة اخوه (٤١) عبد الرحمن الذي طالب ابن رشيد باعادة الرياض للسعوديين . ولكن ابن رشيد استبدل فهاد **بسالم السبهان** وكلفه بالقضاء على من تبقى من السعوديين كما سبق له ان فعل قبل اربعة اعوام . وسبق عبد الرحمن عدوه في العمل واعتقل ابن سبهان ليلة عيد الاضحى ١٠ ذي الحجة ٢٩/١٣٠٧ تموز ١٨٨٩ . وثارت القصيم مؤيدة عبد الرحمن ضد ابن رشيد . وهب ابن رشيد مسرعاً فحاصر الرياض اربعين يوماً ثم انسحب بعد ان اعترف بامارة عبد الرحمن [١١٥٨] . التقت ابن رشيد الى القصيم فمزق في معركة المليدة شمل اعدائه . وحاول عبد الرحمن انجاد اهل القصيم فوصل بعد انتهاء المعركة . وادرك عبد الرحمن ان ابن رشيد لن يغفر له عمله فعاد الى الرياض مسرعاً وحمل ماله وعياله وفر منها . وفشلت محاولته للتمركز في حريملة . ورفض العثمانيون في الاحساء كما رفض شيخ الكويت ايواءه فلجأ الى قطر . ووافقت السلطات العثمانية على تخصيص ٦٠ ليرة ذهبية راتباً شهرياً له كما سمحت له بالاقامة في الكويت عام ١٨٩٢/١٣٠٩ [١١٥٩] .

ودخل ابن رشيد الرياض فهدم حصونها . وابقى في العام الاول (٤٢) **محمد بن فيصل** اميراً عليها . وعاد ابن رشيد في العام التالي فحصن المدينة وعين (٤٣) **عجلان اميراً** عليها . وبقي عجلان حاكما في الرياض الى ان قتله الملك (٤٤) عبد العزيز ليلة ٥ شوال ١٥/١٣١٩ كانون الثاني ١٩٠٢ [١١٦٠] .

آل سعود في الدرعية والرياض




١٦ – محمد
عبد الله
١٧ – عبد العزيز ١٢١٨/١٨٠٣
٢٣–تركي ١٨٣٠
١٨ – سعود الكبير ١٢٢٩/١٨١٤
جلوى
عبدالله
٢٥ – فيصل ١٨٦٥
– ٢٨
١٩ – عبد الله
٢١–مشاري
٢٦–خالد
٢٩–عبدالله ١٨٨٩
–٣٢
–٣٦
٣٠–سعود ١٨٧٥
–٣٣
٣٥–محمد
–٣٧
٤٢–محمد
٣٤–عبدالرحمن ١٩٢٨
–٤١
٤٤ – عبد العزيز
محمد
عبد الله
سعد
تركي
١٩١٩
٤٥–سعود
فيصل
محمد
٥٤ – –
٢٠
٢٢ – محمد بن مشاري بن معمر
٣٨ – سالم السبهان
٣٩ – فهاد بن رخيص
٤٠ – سالم السبهان
٤٣ – عجلان الشمري

الفصل التاسع

الملك عبد العزيز آل سعود

(ولد ٢٩ ذو الحجة ١٢٩٧-٢ كانون اول ١٨٨٠ واحتل الرياض ٥ شوال ١٣١٩/١٥ كانون الثاني ١٩٠٢ وتوفي اول ربيع اول ١٣٧٢ / ٩ تشرين الثاني ١٩٥٣)

هو عبد العزيز ابن عبد الرحمن ابن فيصل وامه ابنة الشيخ احمد السديري احد شيوخ الدواسر . ولد عبد العزيز في الرياض في ٢٩ ذي الحجة ١٢٩٧ / ٢ كانون الاول ١٨٨٠ في عهد امارة عمه عبد الله . ولما بلغ الخامسة من عمره قضى ابن رشيد على الامارة السعودية واجلى عبد العزيز واباه عبد الرحمن مع من اجلاهم من الامراء السعوديين الى حايل . وعاد عبد العزيز مع ابيه وعمه الى الرياض بعد اربعة اعوام . واصبح ابوه اميراً على الرياض لفترة قصيرة . واضطر عبد العزيز الى الفرار مع ابيه بعد عام وهو في السنة الحادية عشر من عمره . وبعد تجوال شاق بين قطر والصحراء والاحساء استقر به المطاف في الكويت(١١٦١) .

اقام عبد العزيز مع ابيه في الكويت في رعاية شيخها . وبعد سنوات قليلة من اللجوء افاقوا ذات يوم على مذبحة دموية ليجدوا ان الشيخ مبارك قد قتل اخويه واغتصب الحكم ليلة ٢٥ ذي القعدة ١٨٩٦/١٣١٣ . وكان الحادث درساً مريراً لعبد العزيز البالغ من العمر اذ ذاك ستة عشر عاماً . وادرك عبد العزيز ان الملك عقيم لا يقف دونه اصدقاء ولا اقارب . ورأى عبد العزيز بعد عامين الشيخ مبارك وقد وضع نفسه وبلده تحت الحماية البريطانية ليتقي خطط

العثمانيين ضده (١١٦٢) . وتحسنت اوضاع اللاجئين السعوديين في عهد مبارك الذي كان معاديا للعثمانيين وابن رشيد بينما كان سلفاه مواليين للعثمانيين. وزحف ابن رشيد على الكويت عام ١٨٩٩/١٣١٧ وهزم قوات الشيخ مبارك . وقام الشيخ مبارك بحملة معاكسة في العام التالي بجموع من المنتفق والعجمان ومطير وانصار السعوديين . واستطاع (الملك) عبد العزيز بن عبد الرحمن ان يدخل الرياض على رأس قوة صغيرة ولكنه فشل في احتلال حصونها فاضطر الى الانسحاب . ووصلت قوى مبارك وحلفائه الى بريدة في القصيم فهاجمها عبد العزيز بن رشيد في شباط ١٩٠١ وتمكن في ذي القعدة ١٣١٨/١٧ آذار ١٩٠١ من الانتصار على مبارك في معركة الصريف . وكانت هذه المعركة كارثة كبيرة على أهل الكويت بحيث لم يخل بيت فيها من مأتم . وتقدم ابن رشيد نحو الكويت ، ولكن وصلت المدينة بارجة بريطانية لحمايتها منه فاضطر الى التراجع (١١٦٣) .

واشترك عبد العزيز في معارك مبارك ضد ابن رشيد قبل أن يتم العشرين من عمره . ولما اكمل العشرين كان يقود حملة صغيرة من اربعين رجلا خرج بهم من الكويت . وانضم اليه بعض عامة العجمان فقطع بهم الدهناء وغزا العارض ثم عاد الى الاحساء ليتمون . وازدادت غاراته على القبائل الموالية لابن رشيد ، فارسل ابن رشيد الى الحاكم العثماني في الاحساء والى قاسم بن ثاني شيخ قطر شاكياً . وتفرق جمع ابن سعود خوفاً فلم يبق معه الا الاربعين الذين خرج بهم من الكويت . وكتب اليه والده عبد الرحمن والشيخ مبارك يحثانه على العودة الى الكويت ، واشتدت مضايقة العثمانيين له في الاحساء فلجأ الى واحة جبرين في اطراف الربع الخالي . واخيراً قرر ان يضرب ضربته في الرياض فقصدها في رمضان (١١٦٤) .

امير الرياض (٤٤)

وجه عبد العزيز ضربته في منتصف ليلة الخامس من شوال ١٣١٩/١٥

كانون الثاني ١٩٠٢ . واستطاع خلال الليل ان ينفذ الى بيت مجاور لبيت عجلان عامل ابن رشيد على الرياض . وانتقل من ذلك البيت الى بيت احدى نساء عجلان التي عرف منها موعد خروج زوجها . واعتقل عبد العزيز النساء والرجال الذين وجدهم في البيتين ولبث ينتظر خروج عجلان . وخرج عجلان بعد طلوع الشمس بساعة فكان عبد العزيز بانتظاره . ولم يستطع عبد العزيز القضاء على خصمه برصاصة فتماسكا وافلت عجلان فارداه عبدالله بن جلوي قتيلا. وبعد تبادل اطلاق النار بين جماعة عبد العزيز والحامية استسلمت الحامية واصبح عبد العزيز سيد الرياض واعاد تحصينها (١١٦٥).

ضم القصيم والخرج وسدير

لم يقنع عبد العزيز بالرياض ولا رضي ابن رشيد ان يعترف بخسارته لها ، لذا كان الصدام بينهما امرا محتوما . وقصد كل منهما دلم (الخرج) بقواته يبغي اخضاعها ، ونجح عبد العزيز وخضعت له الخرج وانسحب ابن رشيد . واتجه ابن رشيد نحو الكويت وحاصرها فاستنجد الشيخ مبارك بعبد العزيز . وصل عبد العزيز الى الكويت منجدا على رأس عشرة آلاف مقاتل بعد ان كان قد خرج منها قبل عام على رأس اربعين شخصا . وانسحب ابن رشيد قاصدا القصيم للاستيلاء عليها وحاول في طريقه احتلال الرياض . وتعقبه عبد العزيز واستولى على السدير والوشم والمحمل والمجمعة وزلفى . وشغل ابن رشيد بتحصين عنيزة وبريدة(١١٦٦).

وعزم عبد العزيز اواخر ١٣٢٠/١٩٠٣ على اتمام احتلال القصيم. وقصدها في اواخر ذي الحجة اذار ١٩٠٣ وانضم اليه عبد العزيز السليم وصالح المهنا زعيما عنيزة وبريدة المنفيين . والحق هزيمة بالقائد الشمري في ١٨ ذي الحجة ١٣٢١/٦ اذار ١٩٠٤ فخضعت له قبيلة حرب . واحتل عبد العزيز عنيزة في الخامس من محرم ١٣٢٢/٢٣ اذار ١٩٠٤ واستسلمت حامية بريدة في ١٥ ربيع الاول حزيران ١٩٠٤ واعيد عبد العزيز السليم اميرا على عنيزة . وانهزمت

قوات الامير الشمري ماجد بن حمود بن رشيد وقتل فهيد السبهان وتحرر من الاسر عدد من الامراء السعوديين(١١٦٧) .

العثمانيون في نجد

واستنجد عبد العزيز بن رشيد بالوالي العثماني في بغداد . وتحركت قوة عثمانية بقيادة فيضي باشا لمساعدة ابن رشيد على استعادة القصيم وانضمت اليها قوة عثمانية اخرى من المدينة المنورة . ونشب القتال بين ابن سعود وابن رشيد وحلفائه العثمانيين في اول ربيع الثاني وتكبد الطرفان خسائر جسيمة. واستمر القتال مريرا والخسائر جسيمة الى ان اوقع ابن سعود هزيمة كبيرة باعدائه في وادي الرمة في ١٨ رجب ١٣٢٢/٢٩ ايلول ١٩٠٤(١١٦٨) وبدأت مفاوضات الصلح بين ابن سعود والعثمانيين بوساطة الشيخ مبارك . واجتمع عبد الرحمن والد عبد العزيز بفخري باشا والي البصرة . ووافق العثمانيون على الاعتراف بعبد العزيز اميرا على نجد ولكنهم طالبوا بجعل القصيم منطقة حيادية بين ابن سعود وابن رشيد تقيم فيها قوة عثمانية تتمركز في بريدة وعنيزة . ورفض ابن سعود التخلي عن القصيم ولكنه لم يقطع المفاوضات . واجتمع عبد الرحمن بالقائد العثماني المشير فيضي باشا في عنيزة وكاد الطرفان ان يتوصلا الى عقد صلح لولا انقطاع المفاوضات بسبب نقل فيضي باشا الى اليمن لحرب الامام يحيى . ولم يكن خلفه صدقي باشا قادرا على اتمام المفاوضات بنجاح(١١٦٩) .

واستأنف ابن رشيد القتال ضد ابن سعود . فقد اغتنم فرصة ذهاب ابن سعود الى قطر لانجاد شيخها قاسم بن ثاني ضد اخيه الثائر احمد ، وغزا القصيم وهاجم بريدة . وكان صالح بن مهنا امير بريدة من انصار المشروع العثماني القاضي بجعل القصيم منطقة حيادية لذا لم يبد حماسا في حرب ابن رشيد . وجاء ابن سعود الى القصيم لصد ابن رشيد في محرم ١٣٢٤/١٩٠٦ اذار والحق هزيمة كبيرة بابن رشيد قرب بريدة انتهت بمقتله في ١٨ صفر/١٤ نيسان. وتفاوض الامير الجديد متعب ابن عبد العزيز ابن رشيد مع ابن سعود وصالحه(١١٧٠) .

والتفت ابن سعود الى العثمانيين يسعى لاخراجهم من القصيم . وكانت الدولة العثمانية قد ارسلت سامي باشا الفاروقي قائدا للقوة العثمانية في القصيم . واجتمع سامي باشا بابن رشيد وبابن سعود فرحب الاول بجعل القصيم عثمانية وعارض الثاني وتهدد . ولما انقضى شهر رمضان انذر ابن سعود القوة بوجوب الجلاء فرضخ سامي باشا . وتعهد ابن سعود بتسهيل رحيل القوة الى العراق والمدينة المنورة واستتب الامر لابن سعود في القصيم اواخر شوال ١٣٢٤ تشرين ثاني ١٩٠٦ (١١٧١).

المتاعب والفتن

وجابه ابن سعود فتنة جديدة اشترك فيها فيصل الدويش زعيم مطير ونائف الهذال كبير العمارات من عنزة ومحمد ابو الخيل امير بريدة كما ناصرهم سلطان بن رشيد ومبارك بن صباح . واستطاع ابن سعود ان ينفرد باعدائه واحدا واحدا ويقضي عليهم . فقد ضرب الدويش ضربة قوية في سدير ولكنه بقي في جهة الاعداء وانضم بمن معه الى ابن رشيد وابي الخيل ، والحق ابن سعود بقوات ابن رشيد وحلفائه هزيمة كبيرة في الطرفية في ٥ شعبان ١٣٢٥/١٤ ايلول ١٩٠٧ وفر ابن رشيد الى حايل . وكبت بابن سعود فرسه فاصيب بكسر في عظم كتفه الايسر ، ولكن الم الشديد لم يقعده عن القتال وان منعه عن متابعة انتصاراته وملاحقة اعدائه (١١٧٢) .

واستأنف ابن سعود هجماته على اعدائه في ربيع العام الجديد . وبعد مناوشات عديدة مع ابن رشيد وزحف غير موفق على حايل طلب ابن رشيد الصلح فقبل ابن سعود ليتفرغ لحرب بريدة . وتمكن ابن سعود من احتلال بريدة في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٢٦/٢٣ ايار ١٩٠٨ . واستسلم محمد آل عبد الله ابي الخيل ، بعد ان امنه ابن سعود على حياته ، وغادر القصيم ليقضي بقية حياته في العراق . وانتهى حكم آل مهنا في بريدة بعد ان دام سبعا واربعين

سنة (١٢٧٩/١٨٦٣ — ١٣٢٦/١٩٠٨). وعين ابن سعود قريبه عبد الله بن جلوي حاكما على بريدة[١١٧٣].

وفي حايل حدثت تطورات خطيرة. فقد نجحت مؤامرة دبرها اولاد عبيد (عبيد الله بن رشيد) لاغتيال الامير الحاكم متعب واخويه بينما فر الاخ الثالث سعود. وبويع احد المتآمرين سلطان بن حمود اميرا فحكم عاما واحد ثم قتله اخواه سعود وفيصل في كانون الثاني وبويع سعود بالامارة فبادر الى عقد صلح مع عبد العزيز ابن سعود. وبعد عام نجح زامل وحمود السبهان في قتل سعود بن حمود وتنصيب سعود بن عبد العزيز في شباط ١٩٠٩ بينما فر فيصل بن حمود الى الرياض وتوفي فيها ١٣٤٢/١٩٢٠ . ولم يكن الامير الوهابي راضياً عن العهد الجديد فنشب القتال ثانية وانهزمت قوات حايل في معركة الاشعلي في ٥ ربيع اول ١٣٢٧/٢٩ اذار ١٩٠٩. واغتنم نوري الشعلان زعيم الرولة هذه الفرصة لينتزع الجوف من ابن رشيد[١١٧٤].

عاد ابن سعود الى الرياض ليجابه فتنة الهزازنة الخطيرة في الحريق. فقد اغتال هؤلاء اميرهم وتوالت حوادث القتل بعد ذلك. وتوجه ابن سعود بنفسه لاخماد الفتنة فاعتصموا في احد الحصون خمسين يوما. ولما حفر ابن سعود نفقا تحت الحصن وهدد بنسفه استسلموا وسيقو الى الرياض حيث سجنوا سنتين ثم اطلق سراحهم بوساطة قاسم بن ثاني شيخ قطر[١١٧٥].

وكان العام التالي صعباً على ابن سعود. فقد نجح ابن السبهان في الحصول على تأييد العثمانيين وشيخ المنتفق سعدون باشا والعجمان ضد ابن سعود وابن شعلان وابن هذال وشيخ الكويت. وكان العثمانيون غاضبين على شيخ الكويت لمقاومته سياسة الاتحاديين بالتعاون مع طالب باشا النقيب (البصرة) وشيخ المحمرة الشيخ خزعل لذا شجعوا سعدون باشا على مهاجمته. وارسل شيخ الكويت الى ابن سعود مستنجداً. وانتصر سعدون باشا على قوات الكويت وابن سعود في وقعة هدية في اول جمادي الثاني ١٣٢٨/١٠ حزيران ١٩١٠ .

وفي الناحية الثانية من الجزيرة الحق ابن رشيد (ابن السبهان) هزيمة بابن هذال وابن شعلان (زعيما العمارات والرولة ـ عنزة) في معركة جحيمة واستعاد الجوف ووادي السرحان كما انتزع تيماء من العثمانيين . وازدادت اهمية فتنة العجمان بعد أن لجأ اليهم **العرائف** .(١١٧٦)

والعرائف هم احفاد سعود بن فيصل الذين حررهم ابن سعود من اسر ابن رشيد عام ١٩٠٤ وعددهم تسعة . واغتنموا فرصة انشغال ابن سعود بالكويت فرحلوا الى الاحساء ولجؤوا الى اخوالهم العجمان. ولما توالت النكبات على ابن سعود عاد هؤلاء من الاحساء ليثيروا فتنة في الخرج حيث كان لجدهم سعود انصار كثيرون . واستطاع حاكم الخرج فهد ابن معمر ان يقضي على الفتنة في مهدها فغادر العرائف الخرج الى الحوطة والحريق . وانضم اليهم هناك الهزازنة واستولوا على بعض الحصون . وهاجمهم ابن سعود واجبرهم على الفرار فلجؤوا الى الشريف حسين في مكة . واسر احدهم ، سعود بن عبدالله ، فعفا عنه ابن سعود وعاش في الرياض . ولجأ تركي الى العجمان في الاحساء. وامر ابن سعود بقتل جميع الهزازنة الذين ايدوا العرائف (١١٧٧) .

واغتنم **الشريف حسين** شريف مكة هذه الفرصة ليتدخل ويفرض سلطانه . ولجأ اليه العرائف كما شكت اليه عتيبة الحجازية من تعديات الوهابيين . ورد الحسين على من حرضه ضد « الامير الخطير والزعيم الكبير عبد العزيز باشا سعود » (كما كانت تسمية الصحف العربية اذ ذاك) بقوله « ليس بيننا وبين ابن سعود ايها النجيب غير ما يوجب حسن الجوار وهذا لا يخفى على نباهات كمالات نجابتكم » . ولكن مصاعب ابن سعود المتتالية اتاحت للحسين فرصة لا تفوت . وبينما كانت الفتنة مشتعلة في الحريق زحف الحسين في رجب ١٣٣٠ ونجح في اسر سعد أخي عبد العزيز ابن سعود . وفرض الحسين شروطه ووقعها عبد العزيز على انها ورقة تنفع الحسين عند الترك ولا تضره ولا تقيده . اراد ان يفتدي اخاه . وكان خالد بن لؤي هو الوسيط بينهما وضغطت بريطانيا على الدولة العثمانية لتحمل شريف مكة على عدم التعرض لابن سعود وعدم تأييد العرائف (١١٧٨) .

وهب ابن سعود منجداً للكويت ضد حلف من المنتفق والظفير . وما ان اقترب من منازل الظفير حتى جاءه حمود بن سويط عارضاً الصلح معلماً اياه بانحلال الحلف مع المنتفق وبان شيخ الكويت اخبره بهجوم ابن سعود عليه لكي يحتاط ضده . واستنكر ابن سعود غدر وتلاعب شيخ الكويت وعقد الصلح مع الظفير . وغزا ديرة المنتفق وتوغل في العراق حتى مياه سفوان وكبدة قرب الزبير والبصرة . ولاقاه وفد سلام يمثل والي البصرة واعيان الزبير فرحبوا به وقدموا له الهدايا . وعاد ابن سعود بقواته فنزل ماء الجهرة . وقصد العجمان لتأديبهم فاحتموا بالعثمانيين في الاحساء .(١١٧٩)

نصائح عبد العزيز للعثمانيين حول مستقبل العرب

استراح ابن سعود اكثر عام ١٩١٢ ليعد نفسه للمرحلة التالية . وقضى ذلك العام بمراسلات سياسية هامة مع العثمانيين وبتحقيق مشروع هام في الداخل . فقد شغل العثمانيون آنذاك بالحرب الليبية ضد ايطاليا وبحرب البلقان . ووقف الامراء العرب على الحياد الودي نحو العثمانيين بينما كانت مشاعر العرب الى جانب العثمانيين . ووقف امير عربي واحد الى جانب الايطاليين (الامير الادريسي في عسير) بينما كان مريدوه يخوضون حرب حياة وموت ضد الايطاليين في ليبيا . وعرضت الدولة العثمانية على ابن سعود ان يرسل قواته ضد الادريسي او لحماية عسير من الايطاليين فرفض . والغريب ان لا يغتنم الحسين والامام يحيى هذه الفرصة للتخلص من عدوهما الادريسي الذي انضم الى العدو « الكافر » . واتصل جمال باشا « السفاح » والي بغداد بابن سعود وحاول التوسط بينه وبين شريف مكة . ويبدو ان جمال باشا قد غير رأيه وراح يؤيد ابن رشيد ويهدد ابن سعود باختراق « نجد من الشمال الى الجنوب بطابورين » . وكان والي البصرة سليمان شفيق باشا (حاكم عسير ١٩٠٨ - ١٩١٢) اكثر تقديراً لابن سعود من زميله والي بغداد . وارسل شفيق باشا الى ابن سعود مستطلعاً رأيه في القضايا العربية وموقف العرب من العثمانيين . واجاب ابن سعود مقدماً الرأي التالي :

«.. انكم لم تحسنوا الى العرب ولا عاملتوهم في الاقل بالعدل. وانا اعلم ان استشارتكم اياي انما هي وسيلة استطلاع لتعلموا ماانطوت عليه مقاصدي. وها كم رأيي ولكم ان تأولوه كما تشاءون.

انكم المسئولون عما في العرب من شقاق فقد اكتفيتم ان تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك. فقد فاتكم ان الراعي مسئول عن رعيته وقد فاتكم ان صاحب السيادة لايستقيم امره الا بالعدل والاحسان. وقد فاتكم ان العرب لاينامون على الضيم ولا يبالون اذا خسروا كل مالديهم وسلمت كرامتهم. اردتم ان تحكموا العرب فتقضون اربكم منهم فلم توفقوا الى شيء من هذا او ذاك. لم تنفعوهم ولا نفعتم انفسكم.

وفي كل حال انتم اليوم في حاجة الى راحة البال لتتمكنوا من النظر الصائب في امور كم الجوهرية. اما مايختص منها بالعرب فاليكم رأيي فيه:

انني أرى ان تدعوا رؤساء العرب كلهم كبيرهم وصغيرهم الى مؤتمر يعقد في بلد لاسيادة ولانفوذ فيه للحكومة العثمانية لتكون لهم حرية المذاكرة. والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف ثم تقرير أحد أمرين اما ان تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة يرأسها حاكم واحد واما ان تقسموها الى ولايات فتحددون حدودها وتقيمون على رأس كل ولاية رجلا كفئاً من الوجوه وتربطونها بعضها ببعض بما هو عام مشترك من المصالح والمؤسسات.

وينبغي ان تكون هذه الولايات مستقلة استقلالا اداوياً وتكونون انتم المشارفين عليها. فاذا تم ذلك فعلى كل امير عربي أو رئيس ولاية ان يتعهد بان يعضد زملاءه ويكون واياهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده او اخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم.

هذه هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب ويكون فيها الضربة القاضية على اعدائكم».

وأحال شفيق باشا هذه المذكرة الى الباب العالي الذي لم يعرها انتباها(١١٨٠).

الاخوان

وطفق ابن سعود يسعى لتقوية مركزه في داخل نجد وتثبيت سلطته على القبائل المختلفة بحملها على الاستقرار. وبنى الهِجَر (القرى) ودعا الاعراب الى ترك حياة التنقل وعدم الاستقرار والهجرة الى حياة جديدة، الى حياة الاستقرار في الهجر ومزاولة الزراعة. وانشئت الهجرة الاولى على آبار الارطاوية ١٣٣٠/١٩١٢ وسكنها سعد بن متيب من حرب ثم اعطيت لفيصل الدويش وجماعته على مطير. ونمت الارطاوية خلال فترة قصيرة فبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نسمة. وأمر ابن سعود بانشاء قرى جديدة على نفقة الدولة وحفر في كل منها بئراً وبنى مسجداً غدا مجمع القرية ومدرستها. ودعي سكان الهجر بالاخوان دلالة صيرورتهم اخوانا في الله بعد ان كانوا بالامس اعداءاً. وبلغ عدد هذه الهجر عام ١٣٤٧ ١٢٢ هجرة. وأخيراً اضطر ابن سعود الى الغاء الهجر اثر فتنة الدويش فقضى على هذه المنظمة بعد ثمانية عشر عاماً من تأسيسها(١١٨١).

ضم الاحساء

ورأى ابن سعود نفسه محصوراً في وسط الجزيرة لامنفذ له على البحر ولا أصدقاء له فقرر ايجاد منفذله. ولم يرخيراً من الاحساء. ولا أسهل منها. وغادر الرياض على رأس حملة قوية في ربيع الثاني ١٣٣١/شباط ١٩١٣ دون ان يعلن عن هدفه بل حاول ايهام الناس بانه قاصد بني مرة. وزحف ليلة ٥ جمادي الاول/١٣ نيسان على الكوت فاحتلها كما سقطت الهفوف في ١ جمادي الثاني/٨ ايار. واستسلمت الحامية العثمانية فأرسلها الى البحرين وابحرت منها الى البصرة. وعين عبدالله بن جلوي حاكماً على الاحساء. وشرع ابن سعود بفتح المساجد والمدارس لتحويل الشيعة الى وهابيين(١١٨٢) وبلغت ابن سعود في شوال/ايلول اخبار وفاة صديقه قاسم بن ثاني عن سن يناهز ١١١ سنة فخلفه ابنه عبدالله الذي حافظ على وداد ابن سعود(١١٨٣).

ولم يكن رد الفعل قوياً عند الدولة العثمانية تجاه هذا العمل العدائي بل بادرت الى ترضيته. فقد خشيت وقوع ابن سعود نهائياً تحت النفوذ البريطاني فتخسر بذلك لا الاحساء وحدها بل قلب الجزيرة ايضاً. وكانت المفاوضات دائرة آنذاك بين بريطانيا والدولة العثمانية حول تحديد مناطق النفوذ في شبه الجزيرة العربية فحاول العثمانيون تقوية مركزهم باجتذاب ابن سعود الى جانبهم. ووصل الرياض قادماً من البصرة عبد اللطيف باشا منديل للتمهيد لوصول بعثة عثمانية برئاسة طالب باشا النقيب. واجتمع ابن سعود بالوفد في الصبيحة قرب الكويت. واعترفت الدولة العثمانية بابن سعود والياً على نجد ومتصرفاً على الاحساء. وكان والي البصرة شفيق كمالي باشا يفاوض في الوقت نفسه زامل بن سبهان وزير ابن رشيد ويمده بالمال و ١٢٠٠٠ بندقية ليقاوم بن سعود[١١٨٤].

ولم يقف الانجليز مكتوفي الايدي امام هذا النشاط السياسي العثماني. فقد اجتمع ابن سعود في العقير (الاحساء) في ذي الحجة ١٣٣١/تشرين الثاني ١٩١٣ بالمقيم البريطاني في البحرين كما اجتمع ثانية بالممثل البريطاني في الكويت الكابتن شكسبير الذي سبق له أن زار الرياض في رحلة عبر الجزيرة الى السويس. ولم يعلم ابن سعود آنذاك بوجود مفاوضات بريطانية عثمانية ادت الى اتفاقية وقعت في ٢٩ حزيران ١٩١٣ اقتسمت فيها الدولتان الجزيرة العربية. ووقع الطرفان معاهدة تقسيم مفصلة في ٩ اذار ١٩١٤ ابرماها في ٣ حزيران وجعلت فيها ممتلكات ابن سعود تابعة للدولة العثمانية. ولكن نشبت الحرب قبل ان توضع المعاهدات موضع التنفيذ[١١٨٥].

المعاهدة البريطانية السعودية ١٢٣٦/١٩١٥

واعلنت الحرب العالمية الاولى واصبحت بريطانيا والدولة العثمانية في حالة حرب في ٣١ تشرين اول ١٩١٤. وتسابقت الدولتان على كسب ود ابن سعود. وقدم من المدينة المنورة وفد عثماني ضم محمود شكري الالوسي صديق ابن سعود فدفع الوفد عشرة الاف ليرة لابن سعود دون ان يحقق شيئاً آخر. كذلك

وصل الى القصيم قادماً من العراق وفد عثماني آخر برئاسة طالب باشا النقيب. ولكن بريطانيا كانت قد احتلت البصرة وأرسلت الكابتن شكسبير ممثلاً لها في الرياض. ورأى ابن سعود ان كفة الانجليز هي الراجحة فمال اليهم وصد الوفود العثمانية صداً لطيفاً وتوسط لدى السلطات البريطانية للسماح لطالب النقيب رئيس الوفد العثماني بالعودة الى بلده البصرة(١١٨٦).

وكان ابن رشيد قد اعلن بصراحة « اني من رجال الدولة فاحارب اذا حاربت وأصالح اذا صالحت ». لذا ما ان وضح موقف ابن سعود حتى شرع ابن رشيد بغزوه. وخسر ابن سعود يوم جراب في ٧ ربيع اول ٢٤/١٣٣٣ كانون الثاني ٢٩١٥ وقتل شكسبير وخفضت نتيجة هذه المعركة قيمة ابن سعود وقللت من قيمته العسكرية. ولم يقم ابن سعود بأي نشاط عسكري خلال الحرب سوى غزوات قبلية. واستأسد ضده العجمان وهزموه وجرحوه وقتلوا أخاه سعد في صيف ١٩١٥/١٣٣٣ وحاصروا الهفوف. واغتنم ابن رشيد الفرصة فغزا القصيم وعاد عنها فاشلاً(١١٨٧).

وشرع الانجليز بمفاوضته لعقد معاهدة معه بعد ان ايقنوا ضعف مركزه وعدم قدرته على نيل شروط في مصلحته. ووقع ابن سعود في دارين (جزيرة مقابل القطيف) في ٢٦ كانون اول ١٩١٥ معاهدة من سبع مواد. وقدم له الانجليز عشرين الف جنيه والف بندقية كان في اشد الحاجة اليها وسمحوا له بشراء ذخائر من البحرين. ونصت المادة الاولى من المعاهدة على اعتراف بريطانيا بسيادة ابن سعود على نجد والاحساء والقطيف وشواطىء الخليج على ان يعين الامير في حياته وريثاً له ترضاه بريطانيا. وتعهدت بريطانيا بمساعدته وحمايته (مادة ٢) كما تعهد هو بأن لا يؤجر ولا يتنازل عن أي جزء من ممتلكاته الا بموافقة بريطانيا (مادة ٣) ويقبل نصائح بريطانيا التي لا تتعارض ومصلحته (مادة ٤) ويحمي الحجاج (مادة ٥) ولا يقوم بأي عمل عدواني ضد الكويت والبحرين وعمان (مادة ٦). ونصت المادة السابعة على ضرورة عقد معاهدة مفصلة في

المستقبل . وأبرمت بريطانيا هذه المعاهدة في ١٨ تموز ١٩١٦ . ودفعت بريطانيا لابن سعود مبلغ ٥٠٠٠ جنيه شهرياً حتى ٣١ اذار ١٩٢٤ فبلغ مجموع ما استلمه ٢٧٢٩٠٨ جنيهاً(١١٨٨) .

ولم يكن ابن سعود على علم بالمفاوضات البريطانية مع الشريف حسين كما جهل الحسين ماحدث مع ابن سعود . ولم يعلم كلاهما ان حليفتهما وقعت في ١٦ ايار ١٩١٦ (اي قبل ٢٤ يوماً من ثورة الحسين و٦٢ يوماً من ابرام المعاهدة مع ابن سعود) معاهدة سايكس بيكو مع فرنسا اقتسمت بموجبها معها اراضي الهلال الخصيب . وتعهدت فرنسا وانجلترا (مادة ١٠) « بعدم الحصول على ممتلكات في الجزيرة .. وان لا يسمحا بذلك لدولة ثالثة » مع اعتراف فرنسا لبريطانيا بوضع خاص في الجزيرة . ولم يعرف الحسين ولا ابن سعود ان حليفتهما بريطانيا كانت آنذاك تفاوض اليهود لاصدار وعد بلفور(١١٨٩)

ووصلت ابن سعود اخبار مثيرة ومزعجة . فقد اعلن الحسين الثورة ونادى بنفسه ملكا على الامة العربية ودعته جريدة القبلة بـ « صاحب الجلالة العظمى ملك العرب » . وارسل الحسين الى ابن سعود « صرة » عام ١٩١٦ وثلاث « صرر » اخرى في العام التالي تحوي الواحدة منها خمسة آلاف جنيه دون ان يرفقها برسائل ، كانما هي منحة متبوع الى تابعه . وطالب ابن سعود بتحديد الحدود بين نجد والحجاز ووعد بارسال احد اولاده على رأس متطوعة للمساهمة في الثورة . ولكن اجوبة الحسين كانت مقتضبة وجافة ولم يعترف بحدود داخل البلاد العربية . وسارع ابن سعود الى الاجتماع ببرسي كوكس الذي وعده بحمايته من الحسين وبعدم الاعتراف بالحسين كملك على الامة العربية . واعترفت بريطانيا بالحسين ملكا على الحجاز فقط(١١٩٠) .

وحضر ابن سعود في ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٦ اجتماع شيوخ العرب الموالين لبريطانيا ووزعت بريطانيا الاوسمة على الشيوخ فنال ابن سعود واحداً منها . وكان مبارك آل صباح قد توفي في محرم ١٣٣٤/ تشرين ثاني ١٩١٥ فخلفه ابنه

جابر الذى كان واداً لابن سعود . ولكنه حكم فترة قصيرة وتوفي بعيد نواله الوسام البريطاني فخلفه اخوه سالم المجافي لابن سعود . وزار ابن سعود البصرة وحل ضيفاً على القائد العام البريطاني فيها . واطلع ابن سعود خلال هذه الزيارة على وسائل الحرب «الحديثة» وتعرف على المس جرترود بل . وضغط عليه الانجليز ليحملوه على استئناف القتال ضد ابن رشيد ووعدوه بالمساعدة . وكان ابن رشيد قد شرع بتهديد القوات العربية الزاحفة شمالا فاراد الانجليز صرفه عن هذا العمل واشغاله بحرب ابن سعود لاسيما وان الثورة العربية قد غدت مربحة جداً للانجليز بعد ان تبين ان قتل الجندي التركي على الجبهة العربية يكلف مائة جنيه بينما يكلف في العراق الفي جنيه . وفشلت المحاولات البريطانية في الاصلاح بين ابن سعود والحسين او في دفع ابن سعود الى الاهتمام بحرب ابن رشيد . وترددت وفود بريطانية كثيرة على الزعيمين العربيين ضمت رونالدستورز وعبدالله فلبي وهوجارث . ولكن فشلت جميع محاولاتهم ونجحوا فقط في حملة ابن سعود على غزو جبل شمر في صيف ١٩١٨ حيث نال بعض الموفقيات ولكنه لم يتابع زحفه .(١١٩١)

ضم حايل وجبل شمر

وما ان انتهت الحرب حتى استؤنفت الاعمال العدائية بين ابن سعود من جهة وعدويه ابن رشيد والملك حسين من الجهة الاخرى . وحانت الفرصة للقضاء على امارة ابن رشيد . فقد اغار ابن رشيد على الجوف بعد ان استنجد به اهلها فانتزعه من نوري ابن شعلان . وعاش سعود بن رشيد شهراً واحداً بعد هذا النصر . فقد اغتاله ابن عمه عبدالله بن طلال الذي قتل في اليوم نفسه وبويع عبدالله بن متعب بن عبد العزيز اميراً . وسعى عبدالله الى تجديد الصلح مع ابن سعود فاشترط تنازل امير حايل «عن ادارة الشئون الخارجية في شمر واعترافكم لي بذلك وينبغي ان يكون الاعتراف خطيا لينشر فيعرفه جميع الناس» ورفض عبدالله بن متعب الشروط واعلنت الحرب . ولم يبدأ القتال الفعلي الا بعد عام لانشغال ابن سعود بحرب الكويت . واتجه محمد بن عبد الرحمن السعود لحرب

حائل في ربيع ۱۹۲۱ يؤيده فيصل الدويش من الشرق وابن شعلان من الشمال في الوقت الذي كان فيه الامير «الملك» عبدالله يوطد مركزه في الاردن. واستسلم عبدالله بن متعب لينجو من الاغتيال بينما واصل محمد ابن طلال القتال. ووصل ابن سعود بنفسه واصر على وجوب انهاء حكم آل رشيد في حايل. وبعد حصار استمر خمسة وخمسين يوماً (٤ محرم ايلول — ٢٩ صفر ١٣٤٠/ ٢تشرين ثاني ۱۹۲۱) استسلم ابن طلال فارسل اسيرا الى الرياض. وعين ابراهيم السبهان حاكماعلى حايل ثم استبدله بعد ثلاثة اعوام بعبد العزيز بن مساعد بن جلوي[١١٩٢].

واغتنم نوري الشعلان زعيم الرولة هذه الفرصة ليستعيد الجوف وسكاكة ووادي السرحان. وغدا موقف ابن شعلان حرجا تجاه الافرنسيين والبريطانيين في صيف ۱۹۲۱ والاردن وابن سعود. فقد زار الجنرال غورو في دمشق في صيف ۱۹۲۱ وقبل منه اعانة سنوية الا ان اتباعه دمروا بعد فترة محطة طيران افرنسية في القريتين. وارسل نوري ابن عمه مجحم الى ابن سعود عارضاً ولاءه. وزاره في ربيع ۱۹۲۲ المعتمد البريطاني في عمان (عبد الله فلبي) يصحبه غالب باشا الشعلان مرافق الامير (الملك) عبدالله واقنعاه بضم الجوف وسكاكه الى الاردن. وتوفي نواف الشعلان فحزن عليه والده نوري وانسحب للاقامة في دمشق تاركا حفيده سلطان في الجوف. وثار اهل سكاكة على سلطان بزعامة حمد بن مويشر وهبت لنجدتهم قوة من الاخوان فاخرجوا سلطان من الجوف ووادي السرحان في تموز ١٩٢٢. وواصل الاخوان توغلهم في الاردن بقيادة ابن نهيّر فوصلوا ليلة الثلاثاء ٢٢ آب الى منازل بني صخر في الطنيب وقصر المشتى وقتلوا كل من صادفوه محارباً كان ام غير محارب فصدوا في اليوم التالي. وارسلت الاردن في منتصف ايلول قوة احتلت قريات الملح واقامت بها حتى خريف ١٩٢٤. وزار الامير (الملك) عبد الله قريات الملح في خريف ۱۹۲۳.[١١٩٣]

ودخل ابن سعود اثناء ذلك في نزاع مرير مع الكويت وعسير والحجاز . فقد شب خلاف مع الكويت والحق فيصل الدويش هزيمة بالقوات الكويتية في معركة الجهرة في ٢٦ محرم ١٣٣٩/١١ تشرين اول ١٩٢٠ ثم عاد عنها بعد تدخل بريطانيا . وارسل الشيخ سالم ابن اخيه احمد الجابر لمفاوضة ابن سعود . ووصلت المفاوضين انباء وفاة سالم في ١٧ جمادي الثاني ١٣٣٩/٢٧ شباط ١٩٣١ . واصبح احمد الجابر اميراً على الكويت فسهل ذلك تسوية الخلافات مع ابن سعود ،(١١٩٤)

ضم عسير

والتفت ابن سعود الى عسير ليحكم الحلقة حول الحسين في الحجاز . وكان حسن بن علي بن عائض قد عين من قبل الحاكم العثماني سليمان شفيق كمالي باشا اميراً على تهامة عسير وجعل ابها قاعدة له . واستقل ابن عائض بعد جلاء القوات العثمانية . وارسل ابن سعود في ايار ١٩٢١ جيشا بقيادة عبد العزيز بن مساعد بن جلوي « ليعيد ابن عائض الى الطريق السوي » فهزم ابن عائض واستولى الوهابيون على ابها . واستسلم ابن عائض فأخلى سبيله ولكنه ثار . فلما فرغ ابن سعود من حائل ارسل ابنه فيصل على رأس قوة في شوال ١٣٤٠/حزيران ١٩٢٢ ففر آل عائض كما هزمت حملة حجازية جاءت لنجدتهم وعاد فيصل الى الرياض منتصراً اوائل العام الجديد .(١١٩٥)

ابن سعود والهاشميون

وكان ذلك تمهيداً للمعركة الاخيرة مع الهاشميين في الحجاز . وقد اعد ابن سعود للمعركة اعداداً حسناً . فقد وسع حدوده شمالا وشرقا وغربا حتى احاط بالحجاز برا وقضى على كل قوة عربية يمكن ان تحالف الحسين . واستطاع باعماله

الحربية ونشاطه السياسي ان يفقد الحسين الكثير من المساعدات البريطانية المادية والمعنوية . ولكي يعطي نفسه مركزاً مماثلا للحسين اعلن عن بيعته سلطانا على نجد وملحقاتها فاعترفت بريطانيا باللقب الجديد في ٢٧ ذي الحجة ١٢٣٩/٢٢ آب ١٩٢١ . وكان هذا العمل رداً على تنصيب فيصل ملكا على العراق وعبد الله اميراً على الاردن .(١١٩٦)

وحاولت بريطانيا حل هذه الخلافات بين اتباعهم وحلفائهم من الامراء والملوك العرب فدعوا الى عقد مؤتمر في الكويت في ربيع اول ١٣٤٢/تشرين الثاني ١٩٢٣. ومهدت بريطانيا لهذا المؤتمر بدعوة وفد سعودي الى بغداد اواخر ١٩٢١ فوقع هذا الوفد في ايار ١٩٢٢ معاهدة المحمرة حددت بموجبها الحدود بين العراق ونجد، ولكن ابن سعود لم يعترف بهذه المعاهدة . وحدث اثناء ذلك ان لجأت بعض شمر الى العراق فراراً من وجه ابن سعود كما لجأ حمود ابن صويط بعشائره من الطفير الى ابن سعود في نجد . وتدخلت بريطانيا لمنع شمر من القيام بحركات عدائية ضد نجد ، اما ابن سعود فقد رحب بابن صويط واجزل له العطاء . وعينت حكومة العراق يوسف بك المنصور السعدون المنتفقي (العدو التقليدي لابن صويط وابن سعود) قائداً لفرقة الهجانة على الحدود . وحاول يوسف في جمادي الثاني ١٣٤٠/شباط ١٩٢٢ التدخل لحماية آل طواله (شمر) وابو ذراع (ظفير) من عدوان ابن سويط والدويش فهزمه الدويش واستولى على قاعدته ونهبها . وتعقبت الطائرات البريطانية ابن الدويشي واخرجته من الاراضي العراقية . وتم عقد اجتماع ٥ ربيع الثاني ١٣٤١/٢٨ تشرين الثاني ١٩٢٢ في العقير بين ابن سعود والسربرسي كوكس سويت فيه مشاكل الحدود بين ابن سعود من جهة والعراق والكويت وقطر من الجهة الاخرى حسب ما اراده كوكس لا حسب رغبات ابن اسعود . والطريف ان السربرسي كوكس كان متشدداً فيما يخص العراق يريد ان يستخلص لقبائله من نجد اكثر ما يمكن مع اظهار كرم كبير على حساب الاردن والحجاز وسورية .(١١٩٧)

وانعقد مؤتمر الكويت في ٧ جمادي الاولى ١٣٤٢/١٧ كانون الاول ١٩٢٣ برئاسة بريطاني اسمه الكولونيل نوكس وحضرته وفود نجد والعراق والاردن. وتحدث مندوب الاردن عن الثورة العربية والنهضة العربية وعن بريطانيا التي ساعدت العرب على نيل استقلالهم! الذي كانت الاردن احدى ثمراته، وبين اهمية الجوف وسكاكه لضمان مواصلات الاردن مع العراق واكد انها جزء من سورية الكبرى التي تعتبر الاردن جزءا منها. واجل المؤتمر جلساته الى شعبان ١٣٤٢/اذار ١٩٢٤ ولكنه لم يجتمع ثانية وفشل. وبادرت بريطانيا الى اعلان قطع اعاناتها عن الدول العربية ابتداء من ٣١ اذار ١٩٢٤.(١١٩٨)

وتوالت الاحداث الخطيرة في عامي ١٩٢٤ - ١٩٢٥ بين ابن سعود والهاشميين. والنزاع بين الهاشميين والسعوديين اقدم من الحسين وعبد العزيز. واعتاد اشراف مكة التوغل في نجد الى ان قلب الوهابيون الاوضاع في عهد عبد العزيز الاول وابنه سعود الكبير واخضعوا الحجاز والاشراف لحكمهم (١٢١٩/ ١٨٠٤ - ١٢٢٧/ ١٨١٢). وحاول الشريف محمد بن عون (جد الحسين) استعادة نفوذ الاشراف في نجد عام ١٢٦٣/١٨٤٦. وايد الشريف علي باشا (سلف الحسين) ابن رشيد واعانه بالسلاح ضد ابن سعود الذي كان قد استولى على الرياض. وكانت اولى اعمال الشريف حسين هي قيادة حملة ضد نجد ادت الى اسر سعد اخي عبد العزيز بن سعود.

واكثر عبد العزيز من مجاملة الحسين في اوائل عهده. واظهر ابن سعود في هذا «التفاهم التحريري - كما يسميه الملك عبدالله» الكثير من الولاء والخضوع للشريف. فهو يخاطبه بحضرة «جناب الاجل الافخم بهي الشيم امير مكة المكرمة **سيدنا** الشريف حسين باشا ابن السيد علي دام مجده وعلاه آمين». وجاء في كتاب «خادم الدولة والملة والوطن امير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز بن سعود» الى «سيدنا الشريف» المؤرخ في ١٨ رمضان ١٣٢٨/ ايلول ١٩١٠ ما يلي:

انه بموجب شفقتكم وعلو همتكم وانظاركم العالية قدمنا اخانا عبد العزيز عبد الله السعود لموجب خدمتك واحببنا المصاوغة معه لموجب **التبرك باقدامكم** وارسلنا معه الصقلاوية والحمداني وكحيلان ، ولا والله ما قصدنا في ارسالها لانكم بحاجتها ، ولاشك في غايتنا ني (نبغي) **نقوب منكم** فاننا هناحاسبين انفسنا من خواصكم والله ثم لكم والا هديتنا لحضرتكم رؤوسنا وماتحت ايدينا وامرك علينا تام .. والولد برسم الخدمة مع ابلاغ السلام حضرة الاخوان السادات الكرام علي وفيصل وزيد (متجاهلا عبد الله) .. ودمتم محروسين »

وارسل ابن سعود بعد اشهر قليلة رسالة اخرى الى الشريف . وذكر ابن سعود في رسالته هذه «انه باشرف وقت اخذنا مشرفكم المكرم .. وماعرف كان لدى ابنكم معلوماً » . ودافع ابن سعود عن سياسته ونفى صفة الظلم عن ادارته واوضح كيف دانت له نجد بعد ان كانت « **كلها مناصيب لابن رشيد ولانا الله عليه بهداية الله ثم هدايتكم** » واكد له انه الان «ابنكم وخادمكم ومملوك فضلكم ثاني نفسه سامع مطيع لله ثم لحضرتكم .. فكما تأمرون افعل امتثالا لامر الله ثم امركم.. وانا والله وبالله وتالله ان رضاكم وامتثال خدمتكم عندي اعز من رضا عبد الرحمن وخدمته اني ولذلك سامع مطيع ما اخالف شوفتك في جميع امر وانا تحت امركم » .واعرب ابن سعود في رسالة ثالثة الى الشريف في ٢٢ ربيع اول ١٣٣٠/شباط ١٩١٢ عن ولائه للعثمانيين وحرصه على استجلاب مراضي الشريف ، طالباً منه ان يكون « واسطة قوية بيننا وبين متبوعنا الحكومة الشورية وتعرضوا اخلاصنا وخدماتنا الصادرة في مرضاة دولتنا الدستورية وتروني حاضراً مع اهل نجد لكل ما تكلفوننا به وتأمروننا به افدي السدة العثمانية بعزيز روحي »(١١٩٩) .

ويلاحظ ان ابن سعود في رسائله هذهلم يكتف بالتبجيل والاحترام ، بل اعلن عن ولائه للشريف وللعثمانيين جاعلا الشريف واسطة" بينه وبين العثمانيين. ولربما فهم الحسين من ذلك ان ابن سعود قد اعترف بتبعيته للشريف .

ولما اعلن الحسين ثورته على العثمانيين ايده ابن سعود وشجعه . واعلن ابن سعود في مؤتمر الكويت المنعقد في ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٦ « ان واجب كل عربي ان يساعد الشريف ويتعاون معه في محاربة الاتراك ». ورد الشريف على هذا الثناء ببرقية شكر . على أن ابن سعود احتج بشدة لبريطانيا على اعلان الحسين نفسه ملكاً على الامة العربية ورفض الاعتراف بهذا اللقب وحث بريطانيا على عدم الاعتراف به . ولكن ابن سعود لم يتخذ موقفاً عدائياً طوال الحرب ضد الشريف . ولم تبدأ الحركات العسكرية بين الحسين والوهابيين الا عام ١٩١٨ عندما اعتنق خالد ابن لؤي ، امير وادي الخرما ، الوهابية وثار على الحسين وهزم ثلاث حملات هاشمية ضده قاد الشريف حمود بن زيد اثنتين منها وقاد الشريف شاكر بن زيد الثالثة . ونصحت بريطانيا الحسين بعدم متابعة القتال ضد الثائر . ورفض الحسين الاستجابة واصر على تجهيز حملة بقيادة ابنه الشريف (الملك) عبد الله . وتبادل عبد الله الرسائل مع ابن سعود . وبدأت المراسلات ودية ثم غدت تهديدية . وانذر ابن السعود الشريف عبد الله بان « اهل نجد كافة جاؤك يمشون مرتهم تسبق رجالهم .. وعليه فانت انكف لديرتك فان فعلت فانا امنع الاخوان » . وهزم الشريف هزيمة منكرة في تربه وافنيت قوته وخسر الهاشميون قوتهم النظامية . وارسلت بريطانيا في ٥ رمضان ١٣٣٧/٤ حزيران ١٩١٩ انذاراً الى ابن سعود اجبرته فيه على عدم التوغل في الحجاز فعاد الى نجد . وساد العلاقات هدوء حتى عام ١٩٢٢ وسمح للنجديين بالحج وتبادل ابن سعود والاميرين (الملكين) علي وعبد الله رسائل ودية .

احتلال الحجاز

واستؤنفت الحركات العدائية في محرم ١٣٤٣/ آب ١٩٢٤ ودخل الوهابيون الطائف في ٧ صفر / ١٧ ايلول . اما ابن سعود فلم يتدخل بنفسه بالقتال الا

في ربيع الثاني/تشرين الثاني. ووصل ابن سعود مكة التي كان الوهابيون قد دخلوها في ١٨ ربيع اول ١٣٤٣/١٨ تشرين اول . واستسلمت المدينة في ١٩ جمادى الاولى ١٣٤٤ / ٥ كانون الاول ١٩٢٥ وجدة بعد سبعة عشر يوماً فانتهى الحكم الهاشمي في الحجاز [١٢٠٠] .

ودخل ابن سعود بعد ذلك معركة سياسية مع المسلمين لاسيما مسلمي الهند. فقد ايده مسلمو الهند ضد الحسين وجاءه الآن وفد منهم يطالبه بتسليم الحجاز لادارة ديمقراطية تمثل العالم الاسلامي كله . واعلن ابن سعود في بلاغيه المؤرخين ١٢ جمادى الاول ١٣٤٣ و ٨ جمادى الثاني ١٣٤٤/٢٤ كانون اول ١٩٢٥ ان مستقبل الحجاز سيقرره مؤتمر يشترك المسلمون جميعاً فيه «لينظروا في مستقبل الحجاز ومصالحه». ودعا ابن سعود الى عقد مؤتمر اسلامي في مكة لهذه الغاية. ووجه مذكرة الى الدول الاسلامية (ايران ، تركيا العراق ، مصر) اعلن فيها ان الحجاز امانة بيده الى ان يقرر اهله انتخاب حاكم يرتضونه . ووقفت مصر واكثر المسلمين لا سيما في الهند الى جانب ابن سعود [١٢٠١] .

ولكن ابن سعود غير سياسته بعد اربعة عشر يوماً فقط من اذاعة بيانه الثاني. فقد قبل في ٢٢ جمادي الثاني ١٣٤٤/٧ كانون الثاني ١٩٢٦ بيعة اهل الحجاز له بموجب عقد بيعة . واعلن الملك عدوله عن فكرة المؤتمر الاسلامي بعد ان قرر اهل الحجاز مصيرهم واحجم القادة المسلمون عن الاستجابة لدعوته . وكان رد الفعل عنيفاً ومعادياً لابن سعود في مصر والهند. واعتقد المسلمون ان مسألة البيعة امر موعز به وليس وليد ارادة حرة . وبعد ضغط شديد قبل الملك فكرة عقد المؤتمر على ان لايتعرض لمسألة الحكم في الحجاز . وارسلت دعوة جديدة لعقد المؤتمر في ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٤/ايار ١٩٢٦. وفشل المؤتمر في الوصول الى اي نتيجة [١٢٠٢] .

وانصرف ابن سعود الى اعادة تنظيم الحجاز . فوضع له دستوراً خاصاً نص على وجود مجلس استشاري عام وخمس مجالس استشارية محلية ومجلس تأسيسي.

وعين الملك ابنه فيصل نائباً عنه مركزه مكة كما عهد له بادارة الشؤون الخارجية وتنظيم العلاقات مع ممثلي الدول المقيمين في جدة . وساعد فيصل في عمله الدكتور عبد الله الدملوجي (العراقي الموصلي) وفؤاد حمزة [١٢٠٣] .

الوضع الدولي الجديد

وتوالت اعترافات الدول بالوضع الجديد في الحجاز . وكان الاتحاد السوفييتي اول من اعترف بالعهد الجديد في ١٦ شباط ١٩٢٦ وارسل في ايار كريم خان حكيموف وزيرا مفوضا له فكان اول وزير مفوض في دولة ابن سعود. وتلا ذلك اعترافات بريطانيا وتركيا وفرنسا وهولندا في اول اذار . واعترفت به في الاعوام التالية دول سويسرا (١٩٢٧) والمانيا (١٩٢٩) وايران وبولونيا (١٩٣٠) والولايات المتحدة والعراق (١٩٣١) وايطاليا (١٩٣٢) [١٢٠٤]

ووصل جلبرت كلايتون (المندوب السامي البريطاني في العراق فيما بعد) الى الحجاز ليفاوض ابن سعود قبل ان يتم الاخير احتلال المدينة وجدة . وارادت بريطانيا ان تكون سباقة الى كسب ود المنتصر ولكنه كان عنيدا . وتم في ١٨ ذي القعدة ١٣٤٥/٢٠ ايار ١٩٢٧ توقيع معاهدة صداقة في جدة بين بريطانيا وابن سعود وابرمت في ٢١ ربيع اول ١٣٤٦/١٧ ايلول وحلت محل معاهدة ١٩١٥ . واعترفت بريطانيا بابن سعود ملكا مستقلا على الحجاز ونجد وملحقاتها . واعلنت بريطانيا رفع الحظر عن تصدير الاسلحة الى الجزيرة العربية وترحيبها بتلبية طلبات ابن سعود لشراء الاسلحة . ورفض ابن سعود التنازل عن معان والعقبة ولكنه تعهد بعدم الاخلال بالوضع القائم . ومددت هذه المعاهدة سبع سنوات اخرى في ١٧ رجب ١٣٥٥/٣ تشرين الاول ١٩٣٦ مع جعل العربية مساوية للانجليزية في النص والتفسير . وتنازلت بريطانيا عن حقها في عتق الارقاء الذين يلجأون الى قنصلها في جدة . وجددت المعاهدة مرة ثانية في ٤ شوال ١٣٦٢/٣ تشرين اول ١٩٤٣ على ان « تتجدد بطبيعتها سبع

سنوات اخرى وهكذا ، اذا لم يعلن احد الفريقين عن رغبته في تعديلها او الغائها . وهكذا فان المعاهدة مازالت قائمة نظريا . وليس فيها مايستحق الاهتمام سوى المادة السادسة التي تعهد ابن سعود بموجبها بالمحافظة على علاقات الود والسلم مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني الذين لهم معاهدات خاصة مع بريطانيا وتكاد تكون تكراراً للمادة السادسة من معاهدة ١٩١٥ (١٢٠٥).

وتطلع ابن سعود نحو أدارسة عسير ، وعقد معهم معاهدة حماية في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٥/٢١ تشرين اول ١٩٢٦ . وحدث خلاف بينه وبين امام اليمن حول بعض اراضي عسير ومصير الادارسة الذين لجأوا الى الامام. ونشبت الحرب بينهما التي انتهت بنصر سعودي وصلح مشرف ومعاهدة صداقة اسلامية واخوة عربية في ايار ١٩٣٤ . وغدت اكثر عسير جزءا من اراضي ابن سعود (١٢٠٦).

ثورة الاخوان وحل منظماتهم

ومر ابن سعود بازمة خطيرة خلال عامي ١٩٢٨ — ١٩٢٩ بسبب فتنة فيصل الدويش. ولعب فيصل الدويش (شيخ مطير وحاكم الارطاوية) دورا رئيسيا في الهجمات ضد العراق والاردن وجبل شمر . وكان غاضبا لان ابن سعود لم يعينه حاكما على حايل ولم يسمح له بدخول مكة . وبدأ بتوجيه انتقادات لابن سعود ثم تقدم هو وشيخ عتيبة بطلب السماح باستئناف القتال ضد غير الوهابيين ومنع البدع كالجمارك والمكوس والمشافي والتلفونات واللاسلكي ومكاتب البريد والسيارات . وايده مشايخ نجد الذين انتقدوا التساهل مع المحمل المصري الوثني . وافتى علماء الرياض في شباط ١٩٢٧ بوجوب هدم مشاعر الوثنية في الحجاز والغاء القوانين المدنية ومنع المحمل من المجيء واجبار شيعة الهفوف على الدخول في حضيرة اهل السنة والغاء الضرائب التي لم يقرها الشرع . ولكنهم افتوا بعدم جواز الثورة على السلطان بسبب هذه

الضرائب واعتبروا السلطان الامام بانه وحده صاحب الحق في اعلان الحرب وعقد الصلح او الهدنة . واضطر ابن سعود الى خلق صعوبات في وجه المحمل المصري فتوقف مجيئه عام ١٩٢٧ . وغزا الدويش الاراضي الاردنية والعراقية والكويتية خلال عامي ١٩٢٧—١٩٢٨ فتدخلت بريطانيا لصده . وعقد مؤتمر عام في الرياض في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٨ جدد فيه تأييد ابن سعود . وثار فيصل الدويش في ربيع ١٩٢٩ بمساعدة ابن حميد زعيم عتيبة ولكنه هزم وجرح واعتقل ابن حميد. وعاد فيصل الى الثورة بعد شفائه فايده عجهان الاحساء وخليفة بن حميد . وشن ابن سعود هجوما عاما على الثوار في ٢٠ تشرين الثاني فهزمهم. ولجأ فيصل الدويش الى الكويت اوائل كانون الثاني ١٩٣٠ فسلمته السلطات البريطانية وتوفي في السجن(١٢٠٧).

واعد ابن رفادة في ايار ١٩٣٢ غزوة ضد ابن سعود ولكن بريطانيا اعلمت ابن سعود سلفا بما يعده ابن رفادة بينما ايدت الاردن ابن رفاده سرا وعملت ضده بصورة علنية . وهزم ابن رفاده في ٣١ تموز واسر وقطع رأسه(١٢٠٨)

الاصلاحات الداخلية

وادرك ابن سعود ان لابد له من استخدام وسائل المواصلات والحرب الحديثة لدعم مركزه واخضاع هذه القبائل المتنافرة المتباغضة لحكمه . وكان ابن سعود والوهابيون قد شاهدوا اواخر عام ١٩٢٥ ادوات عجيبة في مكة لم يسبق ان رأوها او عرفوها من قبل . فقد وجد التلفون في مكة فادرك فائدته ولكنه لم يستطع استخدامه فوراً لان الاخوان قطعوا اسلاكه معتبرين اياه منكرا وجبت ازالته . واستخدم احد خدم الملك العجلة (البسكليت ،) فضربه الاخوان لركوبه عربة الشيطان « حصان ابليس » التي تسير بقوة السحر وعمل الشيطان. واجبره الاخوان على وقف تلغراف المدينة المنورة عن العمل. وكانت الطائرات قد فعلت فعلها في جموع الاخوان الذين هاجموا الاردن

والعراق فادرك الملك ومستشاروه اهميتها واهمية السيارات واللاسلكي . وما جاء عام **١٩٢٩** حتى كان له اسطول من السيارات بضم المئات منها فمكنته من حشد قواه بسرعة ضد فيصل الدويش . واشترى عام **١٩٢٩** اربع طائرات بريطانية فوصلته آخر عام ١٩٣٠ ، فاستخدم لها طيارين بريطانيين .

وتعاقد بعد عامين مع شركة ماركوني على اقامة محطتين لاسلكيتين قويتين في مكة والرياض وست محطات اخرى صغيرة واربع متحركة ترافق الملك في حله وترحاله . وعبدت طريق طولها ٤٠٠ كم بين جدة والمدينة المنورة . واخيراً افتتح في تشرين الاول ١٩٥١ خط سكة حديد عريضة بين الرياض والدمام (١٢٠٩).

اعوان عبد العزيز

واعتمد الملك عبد العزيز على عدد قليل من الرجالات زمنا طويلا . فقد عهد الى ابن عمه **عبد الله بن جلوي** بحكم بريده في ربيع الثاني ١٣٢٦/ايار ١٩٠٨ نقله بعدها حاكما عاما على الاحساء في جمادى الثاني ١٣٣١/ايار ١٩١٣ فبقي في منصبه هذا حتى وفاته عام ١٣٥٧/١٩٣٨ فخلفه في الاحساء ابنه الثاني **سعود**. وعين **عبد العزيز بن مساعد بن جلوي** حاكماً عاماً على القصيم خلفا لعبد الله بن جلوي ثم نقل في رمضان ١٣٤٢/نيسان ١٩٢٤ حاكما في حايل وخلفه في القصيم ابنه **عبد الله** . وعهد الى ابنه **فيصل** بمنصب نائب ملك في الحجاز وجعله مشرفا على الشئون الخارجية ورسوله الى العالم الخارجي . ولما شكل اول مجلس وزراء اصبح فيصل رئيسا لهـذا المجلس في عهد اخيه سعود . وما زال فيصل يشغل هذه المناصب . أما الابن الاكبر **سعود** فقد عين نائباً للملك في الرياض وجعل عام ١٩٣٠ ولياً للعهـد . واستخدم ابن سعود عدداً من السوريين ومصرياً واحداً ونجدياً واحداً بارزاً . فقد التحق **عبد الله بن سليمان النجدي** وأخوه الاكبر بخدمة الملك قبل عام ١٩٢٥ . وغدا عبد الله بن سليمان وزيراً للمالية

عام ١٩٢٩ فملأ مناصب وزارته باقاربه . وكان أقوى رجال الملك واكثرهم جرأة عليه واستقلالا في عمله . واستطاع ابن سليمان ان يمر بالدولة بظروف مالية دقيقة ، ولكن براعته المالية لم تعد ملائمة لعهد التخمة المالية التي سببها البترول . وكان اول من التحق بابن سعود من خارج نجد هو الدكتور **عبد الله الدملوجي** الذي خدم ابن سعود كطبيب منذ عام ١٩١٥. واستغل ابن سعود معرفة الدملوجي بالافرنسية وبعض الانجليزية فأشركه في المفاوضات مع الاجانب ورفعه بعد عام ١٩٢٥ الى رتبة تعادل رتبة نائب وزير خارجية ثم اجيز عام ١٩٣٠ وانتهت خدماته ليصبح وزيرا في العراق ثم سفيراً متجولا للعراق حتى عام ١٩٥٨ . وخلف الدملوجي في منصبه لاجىء من فلسطين يدعى **فؤاد حمزة** الذي التحق بخدمة الملك عام ١٩٢٨ ثم وصل الى منصب نائب وزير . ومثل السعودية في فيشي وانقرة خلال الحرب العالمية الثانية وخلفه في انقره أخوه توفيق . والف فؤاد حمزة كتابين قيمين احدهما عن عسير والآخر عن قلب الجزيرة العربية . وتوفي فؤاد حمزة عام ١٩٥٤ . وانضم الى حاشية الملك مناضل مصري يدعى **حافظ وهبه** سبق للسلطات البريطانية ان نفته الى مالطة اثر ثورة ١٩١٩ في مصر . وقصد حافظ بعد ذلك الكويت للتجارة ثم انضم الى ابن سعود ورافقه في حملته الحجازية . وارسله ابن سعود الى مصر ليحسن العلاقات معها فلم ينجح . وعين وزيراً للمعارف السعودية ثم جعل وزيراً مفوضاً في لندن عام ١٩٣٠ ورفع بعد ذلك الى رتبة سفير في لندن فبقي فيها حتى قطع العلاقات بين السعودية وبريطانيا عام ١٩٥٦ . ولحافظ وهبه كتاب قيم عن جزيرة العرب في القرن العشرين .

وساعد الملك في المركز كسكرتير سياسي ووزير دولة للشؤون الخارجية شاب سوري من اللاذقية يدعى **يوسف ياسين** . قدم يوسف ياسين نجد عام ١٩٢٣ ورافق الملك في حملته الحجازية واصبح رئيس تحرير جريدة ام القرى . وساعد يوسف ياسين في عمله فلسطيني يدعى **رشدي ملحس** وليبي يحمل الجنسية

التركية واسمه **خالد القرقاني** .

وكان **عبد الله فلبي** من ابرز والمع الاسماء التي عملت في السعودية . وسبق لفلبي ان خدم كوسيط بين الهاشميين وابن سعود . واتجه فلبي اتجاهاً معادياً للهاشميين ابان عمله كمستشار وزارة الداخلية العراقية وكوكيل معتمد بريطاني في عمان ، ولكنه مع ذلك وقف مع الامير (الملك) عبد الله مواقف جيدة كما أيد بيعة الحسين بالخلافة . ولعل اطرف قول في فلبي قول الملك عبد الله « هو .. على شيء كثير من الاخلاص في البلاد التي يعمل فيها .. وان اخلاصه للملك عبد العزيز بن سعود يكاد يفوق اخلاصه لملكه وبلده » . وانضم فلبي بعد ذلك الى الملك ابن سعود واعتنق الاسلام واقام في الرياض . وما زال مقيما في الرياض متحملا صعوبات الحياة فيها رغم ما يلقاه فيها من جفاء السلطات له . وقد قدم فلبي خدمات جليلة للعرب في الميدان العلمي اذ قام بجولة علمية في الربع الخالي والف عدة كتب عن تاريخ الجزيرة وتاريخ العائلة السعودية(١٢١٠) .

وتطورت اوضاع ابن سعود تطوراً كبيراً خلال مدة حكمه التي دامت اكثر من نصف قرن . فلم يزد دخله خلال الاعوام العشرة الاولى من حكمه على خمسين الف جنيه سنويا . وتضاعف دخله خلال الاعوام العشرة التالية اثر ضم الاحساء . ولما استولى على الحجاز وعسير ارتفع دخله الى نصف مليون جنيه سنويا . وارتفع الدخل الى عشرة امثاله اثر اكتشاف البترول . ووصل دخله قرابة ٢٥ مليون جنيه بعيد الحرب العالمية الثانية . وعندما اراد الاحتفال بمرور خمسين سنة هجرية على اعتلائه العرش كان دخله قد اصبح ٥٠ مليون جنيه سنويا ـ اي الف مرة اكثر من دخله قبل نصف قرن ـ وتضاعف هذا الرقم بعد عامين(١٢١١) .

وكان للبترول الفضل الاول في زيادة الدخل . وكان الانجليز قد ضغطوا على ابن سعود ليحملوه على منح امتياز لشركة البترول الايرانية البريطانية ، ولكن ابن سعود منحه لشركة بريطانية اخرى تدعى General Eastern

Syndicate التي فاوض ابن سعود باسمها الميجر فرانك هولمز عام ١٩٢٣ . ومد هولمز نشاطه الى الكويت والبحرين فنال امتيازاً في الثانية في كانون الاول ١٩٢٥ . ولكن هذه الشركة لم تنجح في استخراج البترول فالغى ابن سعود امتيازها عام ١٩٢٨ . وباعت الشركة امتيازها في البحرين الى شركة ستاندارد الكاليفورنية الامريكية عام ١٩٢٨ التي اكتشفت البترول في البحرين عام ١٩٣٢ .

واعيد بحث موضوع البترول السعودي عام ١٩٣١ . فقد اجتمع الامريكي شارل كرين (عضو لجنة الاستفتاء الامريكية الى سورية سنة ١٩١٩) بابن سعود في نيسان ذلك العام (بعد ان تعذر اللقاء عام ١٩٢٦) ووضع الخبير الجيولوجي كارل توتشل تحت تصرف السعودية . وذكر الخبير في تقريره وجود الذهب بين جدة والمدينة ووجود البترول في تلال الظهران (الاحساء) . ونال توتشل امتيازاً بتنقيب الذهب الذي نضبت موارده عام ١٩٥٣ .

وتنافست الشركات على بترول الظهران . ووصل هولمز محاولا استعادة الامتياز ، كما وصل لونجرج S. H. Longrngg ممثلا لشركة الـ I. P. C. وهاملتون ممثلا لشركة كاليفورنيا الامريكية . وعرض لونجرج عشرة آلاف جنيه سلفا بينما عرض الامريكي خمسين الف جنيه فنال الامتياز لستين سنة . ووقع عبد الله السليمان العقد في ٤ صفر ١٣٥٢ / ٣ ايار ١٩٣٣ . وبدأ التنقيب بعد عامين فعثر على البترول بكميات تجارية في محرم ١٣٥٧ / آذار ١٩٣٨ على عمق ٤٧٢٧ قدما . وحصل ابن سعود في العام التالي على مليون جنيه من البترول .

واثرت الحرب العالمية الثانية على الانتاج . وعاد النشاط ثانية في عام ١٣٦٣ / ١٩٤٤ حينما بوشر بانشاء معمل تكرير رأس التنورة الذي بدأ انتاجه في محرم ١٣٦٥ / كانون اول ١٩٤٥ . وعدل الامتياز في عام ١٩٤٤ وكانون الاول ١٩٥١ بحيث ارتفع نصيب السعودية من الارباح الى النصف . وزاد

الانتاج زيادة كبيرة بحيث بلغ خمسين مليون طن عام ١٩٥٨ . وزاد ما انتجته آبار البترول السعودية حتى ٣ حزيران ١٩٦٠ على اربعة مليارات برميل فكانت بذلك رابع بلد في العالم يصل انتاجه الى هذا الرقم (الولايات المتحدة الامريكية، فنزويلا، الاتحاد السوفييتي ، المملكة العربية السعودية) . وكانت العربية السعودية قد انتجت المليار الاول في كانون الثاني ١٩٥٢ والمليار الثاني في شباط ١٩٥٥ والمليار الثالث في كانون الاول ١٩٥٧ . واعطى حقل البقيق ٣٩٪ من مجموع الانتاج ، الا ان حقل الغوار ينتج حالياً اكثر من نصف الانتاج السنوي. وينقل قسم من هذا البترول في انبوب عبر العربية السعودية والاردن وسورية ولبنان ويصب في البحر المتوسط قرب صيدا. وطول هذا الانبوب ١٠٦٨ ميلا / ١٣٠٠ كيلو مترا وقطره ٣١ انشا وسعته ١٥ مليون طن سنويا (٣١٠٠٠٠ برميل يوميا) وبلغت تكاليف انشائه مائتي مليون دولار . ويمر هذا الخط باراضي الاردن وسورية ولبنان فتأخذ الاولى ربع مليون دولار سنويا والثانية مليون ومائة الف دولار سنويا وثلاث سنتات عن كل طن ، وتأخذ الثالثة نصف مليون دولار وثلاث سنتان عن كل طن [١٢١٢] .

وتطورت السعودية في الميدان السياسي الداخلي والدولي تطوراً واسعاً . فقد بدأ اميراً صغيراً مجهولاً في الرياض قبل اكثر من نصف قرن . وقضى عشرين سنة مكتفياً بلقب امير نجد ورئيس عشائرها ، ولا يتصل الا بالشيوخ والامراء . واتخذ في صيف ١٩٢١/١٣٣٩ لقب سلطان نجد فبادر الى ابلاغ هذا النبأ الى المندوب السامي البريطاني في العراق الذي «تكرم» فاعترف به. وبويع في كانون الثاني ١٩٢٦ ملكاً على الحجاز فاعترفت به الدول وسارعت الى فتح مفوضيات لها في جدة . وأعلن بعد عام ملكاً على نجد فلم يغير ذلك من وضعه . واخيراً اعلن في ١٩ جمادى الاول ١٣٥١ / ٢١ ايلول ١٩٣٢ عن قيام المملكة العربية السعودية وتنصيبه ملكاً عليها فاعترفت به أكثر دول العالم . [٢٢١٣]

ولم يجتمع ابن سعود خلال الثلاثين سنة الاولى باي رئيس دولة باستثناء شيوخ الخليج الخاضعين لبريطانيا . وعقد اول اجتماع مع ملك اوائل ١٩٣٠ . ولكن هذا الملك كان ملك العراق الخاضع للانتداب البريطاني وتم الاجتماع على ظهر بارجة بريطانية وفي ضيافة المندوب السامي البريطاني في العراق . ولم يجتمع ابن سعود بعد ذلك باي ملك او رئيس دولة حتى ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٥ حينما زاره الملك فاروق ملك مصر . كذلك زاره شكري القوتلي رئيس جمهورية سورية في ٨ شباط من العام نفسه . وغادر ابن سعود بلاده في منتصف الشهر ليجتمع في السويس بكل من الرئيس روزفلت والمستر تشرشل ، كما رد الزيارة لفاروق بعد عام . وزاره في الرياض اواخر حزيران ١٩٤٨ الملك عبدالله ملك الاردن ، كما جاء مكة عام ١٩٥٣ رئيس دولة مصر الثورة اللواء محمد نجيب .(١٢١٤)

وكان الملك نشيطاً في ميدان المعاهدات والاتفاقيات الدولية . فقد عقد معاهدة صداقة مع بريطانيا عام ١٩٢٧ بقيت تتجدد الى ان قطعت العلاقات السياسية بين البلدين عام ١٩٥٦ . ودخل مع العراق واليمن في معاهدات صداقة اسلامية واخوة عربية في نيسان ١٩٣٤ . وعقد مع مصر معاهدة ودية في ٧ ايار ١٩٣٦ بعد ان ساد علاقات البلدين توتر شديد طوال السنوات السابقة . واشترك ابن سعود في مفاوضات الوحدة العربية التي ادت الى توقيع بروتوكول الاسكندرية في ٢٠ شوال ١٣٦٣ / ٧ تشرين اول ١٩٤٤ الذي امتنع مندوب السعودية (ومندوب اليمن) عن توقيعه . ووقعت السعودية ميثاق الجامعة العربية يوم الخميس ٨ ربيع الثاني ١٣٦٤ / ٢٢ آذار ١٩٤٥ ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي (معاهدة الضمان الجماعي العربي) في ٢ رمضان ١٣٦٩ / ١٧ حزيران ١٩٥٠ . وغدت السعودية عضواً مؤسساً في هيئة الامم المتحدة(١٢١٥)

وتوفي « طويل العمر » الملك عبد العزيز آل سعود الساعة العاشرة والنصف من صباح الثاني من ربيع الاول ١٣٧٣ / ٩ تشرين الثاني ١٩٥٣ فخلفه ابنه وولي عهده(٤٥) سعود(١٢١٦) .

الهوامش والملاحظات

« الحق بالهوامش قائمة باسماء الكتب التي اشير اليها

(١) انظر كتابي حوراني (البرت) والنص

(٢) فارس ١٩ - ٢٥، كون ٢٤ - ٢٥، انظر ايضاً دليل الجزيرة العربية ونعمان

(٣) فارس ٢٥ - ٢٧ ، كون ٢٣ - ٢٤ ، انظر حكيم

(٤) كون ٢٦ - ٣٣

(٥) غرايبة ٩٥

(٦) اديسون ١٧٩، ستربلنغ ٢٧، ولسن ٦، ٢٨٦-٢٨٧، وحوراني (جورج)

(٧) كون ٤٦٨ ، غرايبة ١٠٤ ، هاكليوت ١ : XVII ، انظر ايضاً حوراني (جورج) وددول وسوتاس .

(٨) غرايبة ١٠٤

(٩) انظر اندرسون .

(١٠) ستربلنغ ٢٦ - ٢٧ ، ٢٩ - ٣٠ ، مايلز ١٤٠ - ١٤٣

(١١) ستربلنغ ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٦٤

(١٢) جودي ١٢١ نقلاً عن البرج اليماني للحنفي العزاوي ٤ : ٨٣ - ٨٤ نقلا عن قطب الدين المكي

(١٣) العزاوي ٤ : ٨٤

(١٤) ستربلنغ ٢٩ - ٣٠ ، ٣٤

(١٥) ستربلنغ ٣٠ العرشي ٤٨ - ٥٤

(١٦) ستربلنغ ٣٠ ، العرشي ٥٤ ، ٥٧ - ٥٨

(١٧) ابن اياس ٢ : ٢٢٧ ، ابن شاهين ٨٩ ، ارنولد ٥٥ - ٦٠ ، القلقشندي ٧ : ٢٩٦ «لا يجوز ان يطلق على احد لفظ سلطان الا اذا بايعه الخليفة . . ولا يطلق لفظ سلطان الا لصاحب مصر فانه أعلى الملوك وأشرفهم - ابن شاهين » .

(١٨) عزام ٣٤ ، ٤٦

(١٩) بروكلمان ٣ : ١١٠ ، ١٢٥ دحلان فتوحات ٨٩ ، العزاوي ٣ : ٣٦١ ، انظر ايضاً براون وفريدون

(٢٠) ستربلنغ ١٩-٢٠ ، هاكليوت ٣ : ١٧١ - ١٧٣ ، ٣٥١ - ٣٥٢

(٢١) ايالون ٥٧ - ٥٨ ، عزام ٦ - ٧ ، العزاوي ٤ : ٦٥ - ٦٧

(٢٢) جودي ١٢١ ، ستربلنغ ١٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ، العزاوي ٤ : ٨٢ - ٨٣

(٢٣) ايالون ٤٩ - ٥٠ ، ١٢٤ ، جودي ١٢٢ - ١٢٣ ، ستربلنغ ٣٠ ، ٣٢ - ٣٣ ، كون ٣٩

(٢٤) ستربلنغ ٣٠ ، ولسن ١١٢

(٢٥) ستربلنغ ٢٤ - ٢٥ ، ولسن ١٠١ - ١٠٩

(٢٦) ستربلنغ ٣١ - ٣٢ ، مايلز ١٤٠ - ١٥٢ ، ولسن ١١٢ - ١١٧

(٢٧) ستربلنغ ٢٩

(٢٨) ستربلنغ ٢٩ - ٣٢ ، مايلز ١٤٠-١٥٤ ، ولسن ١١٧ - ١١٨

(٢٩) ايالون ٧٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ستربلنغ ٣٢ ، ٣٤ ، فشر ١٠١

(٣٠) ابن اياس ٣ : ٥٥ ، ٢٧٠ ، الجرافي ٨٤ - ٨٦ ، جودي ١٢١-١٢٢ ، العرشي ٥٨ ، العزاوي ٤ : ٨٢ - ٨٣ ، ٨٥ ، ولتر ٩٣

(٣١) ستربلنغ ٣١ - ٣٣

(٣٢) عزام ٣٥

(٣٣) الاعظمي ١٠٠ ، ستربلنغ ٣٤ ، صابغ ٢٥٩ - ٢٦٠

(٣٤) ابن اياس ٣ : ٦٠ ، عزام ٣٥

(٣٥) ستربلنغ ٣٣

(٣٦) ستربلنغ ٣٥ ، ولسن ١٢١

(٣٧) بروكلمان ٣ : ١١٨ - ١٢١ ، دحلان فتوحات ٨٣ - ٨٤ ، العزاوي ٣ : ٢٧٠-٢٧٢ ، ٣٢٦ - ٣٢٩

(٣٨) بروكلمان ٣ : ١٢١ ، دحلان فتوحات ٨٤ ،صايغ ٢٦٠ ، العزاوي ٣ : ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ٣٣٦

(٣٩) الاعظمي (البصرة) ١٢٥ ، (بغداد) ١٧١ - ١٧٢ ، (دول فارسية) ١٠١ - ١٠٢ ، بروكلمان ٣ : ١٢٢ - ١٢٤ ، دحلان فتوحات ٨٤ - ٨٥ ، صايغ ٢٦٠ - ٢٦٢ العزاوي ٣ : ٣٣٦ - ٣٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٦٠ - ٣٦٢ ، لونكرك ١٧ - ١٨

(٤٠) بروكلمان ٣ : ٦١ ، الحصري ٢٧ ، ٣٠ ، العزاوي ٣ : ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٤ : ١٦ ، لونكرك ١٨ - ١٩

(٤١) ابن اياس ٣ : ١٥ ، دحلان فتوحات ٨٨ - ٨٩ ، ستربلنغ ٣٥ ، ٣٩ - ٤٠ ، العزاوي ٣ : ٣٥٠ فشر ٩٢ - ٩٣ لونكرك ١٩

(٤٢) اندرسون ٢ - ٣ ، انظر مقال الجزائر في الموسوعة الاسلامية .

(٤٣) اندرسون ٢ - ٤ عبد الوهاب ١٢٤ - ١٢٧

(٤٤) بروكلمان ٤ : ١٢٠ ، انظر ايضاً جوا وروبنسون

(٤٥) ولسن ١١٨

(٤٦) ستربلنغ ٣٤ انظر ايضاً كامرر

(٤٧) ولسن ١١٩

(٤٨) ستربلنغ ٣٥ ، ٧٩ ، ولسن ١٢٠ - ١٢١

(٤٩) ابن اياس ٣ : ١٦٨ - ١٦٩ ، ٣٦٨

(٥٠) ابن اياس ٣ : ٥٥ ، جوري ١٢٢-١٢٤

(٥١) ولسن ١١٨

(٥٢) زيادة ٢١١ - ٢١٨ ، دحلان فتوح ٩٠ ، ستربلنغ ٤٠ - ٤٢

(٥٣) ابن اياس ٣: ٤٦ - ٤٩ ، ٧٤ ، حتي (لبنان) ٤٣٧ - ٤٣٨ ، زيادة ٢١٨ - ٢٢١ ، ستربلنغ ٤٦ - ٥٦

(٥٤) الدويهي ٣٣٦

(٥٥) زيادة (نقولا) ٥٥ - ٦٧

(٥٦) زيادة (نقولا) ٦٥ - ٦٧ ، ستربلنغ ١٠٣ ، غرايبة ١٠-١١

(٥٧) زيادة (نقولا) ٦٦ - ٦٩

(٥٨) ابن اياس ٣ : ٨٢ ، ستربلنغ ٤٥

(٥٩) ابن اياس ٣ : ٨٩ ، ايالون ٥١ ، ٨٣ ،٨٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ستربلنغ ٥٣ ، ٦٨

(٦٠) ابن اياس ٣ : ٩٧ ، زيادة ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ستربلنغ ٤٦ - ٥٢

(٦١) ابن اياس ٣ : ١١٤ - ١١٦ ، ١٢٢ ، زيادة ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ستربلنغ ٥٥

(٦٢) ابن اياس ٣ : ١١٦ - ١٢٠ ، ١٢٨ - ١٣٤

(٦٣) زكي (الكرد) ١٧٦ ، العزاوي ٣ : ٣٥٦ - ٣٥٧ ، لونكرك ١٩

(٦٤ ، ٦٥) الدملوجي ١٦ - ١٨ ، زكي (الكرد) ١٨٧

(٦٦) الاعظمي « البصرة » ١٢٦ ، « الفارسية » ١٠٣ - ١٠٤ ، « بغداد » ١٧٢ - ١٧٣ ، زكي « الكرد » ١٩٠ ، ستربلنغ ٨٠
عين محمد بكلوخان في بغداد وقانصوة بك في البصرة .

(٦٧) الاعظمي « بغداد » ١٧٣ - ١٧٤ ، الاعظمي « فارسية » ١٠٤ ، العزاوي ٣ : ٣٦٣ - ٣٦٦ ، لونكرك ٢٠

(٦٨) الاعظمي « بغداد » ١٧٤ ، الاعظمي « فارسية » ١٠٤ ، دحلان فتوح ١٠٦ ، زكي (كرد) ١٩١-١٩٢ ، العزاوي ٣ : ٣٦٦ - ٣٦٧ ، ٤ : ٢٢ - ٢٧ ، ٤٦ ، لونكرك ٢١ - ٢٢

(٦٩) الاعظمي « بغداد » ١٧٥ ، « فارسية » ١٠٥ ، « البصرة » ١٢٧ ، دحلان فتوح ٢ : ١٠٦ ، ستربلنغ ٨٠ ، العزاوي ٤ : ٢٠ - ٢١ ، ٢٧ - ٢٩ ، ٤٦ ، لونكرك ٢٢ - ٢٣

(٧٠) ستربلنغ ٨٠ ، العزاوي ٤ : ٣٠ - ٤٠ ، ٤٤ - ٤٥ ، لونكرك ٢٣ - ٢٥

(٧١) الاعظمي (فارسية) ١٠٥ـ ١٠٦ ، البصرة ١٢٨ ؛ العزاوي ٤٦ـ٥٢؛ لونكرك ٢٤،٣٠ ؛ الوالي الايراني اسمه راشد خان .

(٧٢) الاعظمي (البصرة) ١٢٨ (فارسية) ١٠٦ ؛ ستربلنغ ٩٣ ؛ العزاوي ٤ : ٣٩ ؛ لونكرك ٣٠

(٧٣) الاعظمي (البصرة) ١٢٨ ، (فارسية) ١٠٦ ؛ ستربلنغ ٩٣ ، العزاوي ٤ : ٤٩ ـ ٥٠

(٧٤) جوري ١٢٣ـ١٢٥ ،دحلان فتوح : ٩١-٩٢، ستربلنغ ٨٨؛ والتر ٩٣

(٧٥) الجرافي ٨٤، جوري ١٢٢ـ ١٢٥ ، ستربلنغ ٨٨ ، العرشي ٥٨ ـ ٥٩

(٧٦) ابن اياس ٣ : ٥٥ ، ٢٧٠ ؛ جوري ١٢٤ ـ ١٢٥ ؛ ستربلنغ ٨٨-٨٩

(٧٧) جوري ١٢٥ ـ ١٢٦ ؛ ستربلنغ ٨٨ ـ ٨٩

(٧٨) ولسن ١٢٣

(٧٩) ولسن ١٢٤ ـ ١٢٥

(٨٠) العزاوي ٤ : ٦٥ ـ ٦٦

(٨١) عقيل ١٧ ؛ اليافعي ١٢٨ ـ ١٣٠

(٨٢) ستربلنغ ٨٩ ـ ٩٢ ؛ العزاوي ٤ : ٦٦ ـ ٦٧

(٨٣) الجرافي ٨٨ ، ستربلنغ ٩٠ ـ ٩٢ ؛ العزاوي ٤ : ٦٧ ؛ والتر ٩٦

(٨٤) ستربلنغ ٩٣

(٨٥) دحلان ٥٣ ، دحلان فتوح ١١١-١١٢ عام ٩٤٨ ه ، جوري ١٢٨

(٨٦) العرشي ٦٠ ـ ٦١ ؛ الواسعي ٥١

(٨٧) الجرافي ٨٩ ، ستربلنغ ٩٩ ـ ١٠٠

(٨٨) ستربلنغ ٩٤ ؛ العزاوي ٤ : ٦٨ ـ ٦٩ ؛ مايلز ١٦٨ ـ ١٦٩ ؛ ولسن ١٢٥ ـ ١٢٦

(٨٩) ستربلنغ ٩٥ ؛ العزاوي ٤ : ٧٠-٧١؛ مايلز١٧٠- ١٧١؛ ولسن١٢٦

(٩٠) ستربلنغ ٩٥ ؛العزاوي٤: ٧١-٨١؛ مايلز ١٧٢ ـ ١٧٨؛ ولسن ١٢٦ الهامش ٢٦٨

(٩١) ابن خلدون ٧ : ١٦٦ - ١٧١ ، ١٨٢ ؛ ابو الفداء ٤ : ٧ - ٨ ، ٥٣ ؛ داود ١٢٣ ، ١٨٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٨ - ٢٦١ ، ٢٧٠

(٩٢) ابن خلدون ٧ : ٣٦٦

(٩٣) ابن خلدون ٧ : ٢٦٠ - ٢٦٣

(٩٤) ابن خلدون ٧ : ٣٢٧

(٩٥) بروكلمان ٤ : ١١٨ - ١٢٠ ؛ انظر ايضاً غرناطة

(٩٦) ابو الفداء ٣ : ١٨٧ - ١٩٠ ؛ انظر مادة تونس في الموسوعة الاسلامية

(٩٧) اندرسون ٥ ، ٥٦ - ٥٧ ؛ بروكلمان ٣ : ٦٨ - ٦٩ ؛ عبد الوهاب ١٢٤ - ١٢٧

(٩٨) اندرسون ٥٦ - ٥٧ ، دحلان فتوح ١١١ ، ١١٩ - ١٢٠ ، عبد الوهاب ١٢٨ - ١٣١

(٩٩) ابن غلبون ٩٢ - ٩٩ ؛ اندرسون ٦ ؛ عبد الوهاب ١٢٧ ، ١٢٨ ؛ انظر ايضاً روسي

(١٠٠) بروكلمان ٣ : ٦٩ ومادة الجزائر في الموسوعة الاسلامية

(١٠١) اندرسون ٢ - ٣ ؛ بروكلمان ٣ : ٦٩ - ٧٠ ؛ عبد الوهاب ١٢٤

(١٠٢، ١٠٣) اندرسون ٣ ، بروكلمان ٣ : ٧٠ - ٧١

(١٠٤، ١٠٥) اندرسون ٤ (١٠٦ - ١٠٨) اندرسون ٥

(١٠٩ - ١١٠) اندرسون ٦

(١١١) اندرسون ٦ - ٧ (١١٢) اندرسون ٨ - ٩ (١١٣) اندرسون ٩ - ١٠

(١١٤) اندرسون ١٠ - ١٤ (١١٥) اندرسون ١٤ - ١٦ ؛ بروكلمان ٣ : ٨٩ - ٩٢ ، ١٣٥ - ١٣٦

(١١٦) داود ١٨٦ - ٢١٠ ، ماكليوت ٢ : ٤١٩ ، ٣ : ١٢٠ - ١٢١

(١١٧) ماكليوت ٤ - ١٥ انظر ايضاً بيرز وبوديا ووتك

(١١٨) الاسحاقي ١٩٦ - ١٩٧

(١١٩) جب ١ : ٢٧ - ٢٨ ، ٣٥

(١٢٠) جب ١ : ٢٨ - ٣٤

(١٢١) جب ١ : ٢٨ - ٣٤ شهاب ١٠٩ - ١١١

(١٢٢) شهاب ٤٢ - ٤٤

(١٢٣) جب ١ : ٢٠٠ ، ٢١٠ - ٢١١

(١٢٤) جب ١ : ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٤٧ ؛ ستربلنغ ٦٦ - ٧١

(١٢٥) جب ١ : ١٤٢ - ١٤٤

(١٢٦) الحصري ١٢٨ - ١٣٧

(١٢٧) الدويهي ٢٣٦

(١٢٨) جب ١ : ١٦٢ - ١٦٥

(١٢٩) جب ١ : ١٤٢ ؛ الحصري ٢٧ ، ١٣٩

(١٣٠) جب ١ : ١٣٩ - ١٤١ ، ١٥٣ رسل ١ : ٢١٣ - ٢١٧ ؛ طباخ ٣ : ٣٣٩ ؛ الغزي ٣ : ٣٠٠ ؛ خوطب احيانا بدستور مكرم ومشير مفخم - انظر صفحة ٢٠٢

(١٣١) جب ٢ : ٤٤ - ٤٥ ؛ الحصري ١٣٦ ؛ ستربلنغ ٧٥ رسل ١ : ٣١٥، ٤٤٥ ؛ فولني ٢ : ١٤١-١٤٣

(١٣١ مكرر) انظر اسماء ولاة دمشق في كتاب ولاة دمشق نشر المنجد والدمشقي نشر معلوف وفي كتاب الحصني؛ اما ولاة حلب فنجد اسماءهم في كتب الطباخ والغزي ومنجانا. ولاة بغداد يذكرهم العزاوي وغنيمة والماردیني. ولاة اليمن يذكرهم العرشي والواسعي. ولاة الموصل يذكرهم صايغ والعزاوي . ولاة البصرة يورد اسماءهم الاعظمي والعزاوي . ولاة مصر اسماؤهم في الاسحاقي والجبرتي والشرقاوي .

(١٣٢) جبرتي ١ : ١٥١ ، ٢٥٥ ؛ الرافعي ٢٤ - ٢٦

(١٣٣) جبرتي ٢ : ٥٨ ، ٨٣ ؛ ٣ : ٢٥٩ ، ٢٩١ ؛ القاري ٦٧ ، ٧٨ ، ٨٦

(١٣٤) الدمشقي ٥٠ - ٥٢ عن قتل وحرق الوالي سليم باشا، انظر الباشا

(١٣٥) الجبرتي ١ : ١٥١ ، ٢٥٥ ؛ ٢ : ٢ ، ٥٨ ، ٨٣ ، ١٠٨

(١٣٦) الرافعي ١٩ ، ٢٧

(١٣٧) الجبرتي ١ : ٤٧ ، ٥٤-٥٥ ، ٥٧، ١٤٦ ؛ ٢ : ٦٤، ٨٣، ١٥٢، ١٥٣ ؛ ٣ : ٢٥٩ ؛ الحلاق ٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٥ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٨٢ ؛ القاري ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠

(١٣٨) بورتر ١١٢ - ١٢٧ ؛ الطباخ ٣ : ٣٣١ - ٣٣٤ ، ٣٥٢-٣٥٥ ؛ العزاوي ٤ : ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٨ - ٥٩ ؛ الغزي ٣ : ٣٠٠ ، ٤١٢-٤١٥ ؛ القاري ٣٣ ، ٤٢ ، ٨٦ ، ٨٧ ؛ المحبي ١ : ٥٩ - ٦١

(١٣٩) جبرتي ١ : ٣٠، ٢ : ١٠٩ ، ١٤٦ ؛ الحلاق ٤٠ ، ٦٤ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ؛ رسل ١ : ٣١٦ ؛ المقار ١٥ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٨٥ ؛ انظر الدكتور عزت عبد الكريم م ٢٩ - ٣٠

(١٤٠) جب ١ : ١٥١ - ١٥٢ ؛ صوفي ٢٢١ - ٢٢٣

(١٤١) جب ١ : ٥١ ، ١٣٨ ، ١٤٥ - ١٤٧ ، ١٥٢

(١٤٢) جب ١ : ٢٠٢ ؛ الحلاق ١٥٧ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ؛ الرافعي ١٣ ، المرادي ٤ : ١٥

(١٤٣) صوفي ١٠٧ - ١٠٨ ؛ (١٤٤) انظر صفحة ١٢٦

(١٤٤ مكرر) جب ١ : ٢٠١ ، الحلاق ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ - ٥١ ، ٧٥ - ٨٠ ، ٨٤ ، رسل ١ : ١٤١ - ١٤٧ ، ٤٤٥ ؛ فولني ٢ : ١٤ ، المرادي ٣ : ٢ - ٢١ ، ٢٠٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩-٢٨٦ ، ٤ : ٧ - ٨ ، ٣٨ S.P. 110/29: 9-11,108-110 فيض الله بن محمد خلف ابن فروخ لفترات بالتناوب مع مصطفى بن علي الحموي ويوسف الحلبي خلال القرن ١٨

(١٤٥-١٤٦) جب : ٤٦-٤٧ غربال ١ - ٧٠ اجابة حسين افندي من رجال الروزنامة

(١٤٧) ايرلند ٥٥

(١٤٨) جب ٢ : ٤٧ ، الرافعي ٣٢ - ٣٣

(١٤٩) جب ٢ : ٤٦-٤٧

(١٥٠) جبرتي ١ : ٣٢ ، ٣٧ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٦٣ ، ١٧٨ ، ٣١٧

(١٥١) الحلاق ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٤

(١٥٢) جب ٢ : ٤٥ - ٤٦ والهوامش ، ستربلنغ ٧٤ - ٧٥ ؛ السويدي ١٠١ b ؛ منح حق خفض الضريبة في حالة سوء الموسم

(١٥٣) جب ١ : ٢٢٤ ، ٢ : ٦٨ مجلة المجمع العلمي العربي ١٩٢٩ : ٦٤١ مقال المغربي. يذكر جب (٢ : ٤٧) ورمضان (ص ٢٥٠) ان ديوان الروزنامة في مصر حرر بخط قيرمة وهي كتابة مختصرة سرية رمزية

(١٥٤) تشرشل ٣ : ٣٠٨ ؛ دمشقي ٨ : ٤٢-٤٣ ؛ ستانهوب ١ : ٢٥٣-٢٥٦ ، انظر مقالي المعلوف والمغربي

(١٥٥) مجلة المجمع العلمي العربي ١٩٢٩ : ٦٤٨

(١٥٦) جراتز ٥ : ٤٦٠ ، شهاب (تاريخ لبنان) ٢. ٤٠٩ ، العورة ١٩٧ ، R.J,26:112

(١٥٧) الهلال ١. ٢٠٦

(١٥٨) جبرتي ١ ، ١٥٨

(١٥٩) رمضان ٨٨ - ٩٠ وازداد نفوذ المعلم رزق

(١٦٠) رمضان ٩٠ ، الصباغ ١٥ - ١٦

(١٦١) جب ١ : ٣١١ - ٣١٢ ٢ : ٢٦٠ - ٢٦١ ، ٢ ؛ جبرتي ٣ : ٣٨١ ، رمضان ٩١

(١٦٢ - ١٦٣) جبرتي ٢ : ٩١

(١٦٤) جبرتي ٢ : ٩١ ، ٢٦٢ ، ٤ : ١٢٦ خلف جريس اخاه ابراهيم وكان نافذ الكلمة عند المماليك والافرنسيين وخلفه المعلم غالي عند محمد علي

(١٦٥) جبرتي ٢ : ١٥١ ، ١٨٨

(١٦٦) جبرتي ٢ : ٩١ ، ١٥١

(١٦٧) جب ٢ : ٦٧ ، الصباغ ١٣ P ، ١٤ ، ١٥ P ، ١٦ ، المشرق ٨ ، ٢٥ - ٢٨ ، ٢١ : ٣٧

(١٦٨) جب ٢ : ٦٧ - ٦٨ ، الجزار ٧٦،٨٥ ، ٨٨ ، ٩٠، ٩٥دمشقي ٤٢ ، انظر ايضاً العورة عائلات الصباغ والسكروج (مخائيل وبطرس) ويوسف مارون وابراهيم ابوقالوش والياس ابراهيم اده ويوسف القرداحي. واعاد الجزار اولاد السكروج الى خدمته بعد ان اعتقلهم وشوههم وصادرهم

(١٦٩) (العزاوي ٦ : ٥٤،٢٣١،٧ : ١٦٢، غنيمة (التجارة) ٧٤ غنيمة (يهود العراق) ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٨

(١٧٠) نوفل

(١٧١) المحبي ١ : ٢٦٣ - ٢٦٦

(١٧٢) جب ١ : ٤٢ - ٤٤ ، ٤٧ - ٥٠

(١٧٣) جب ١ : ٤٩ - ١٨٩

(١٧٤) جب ١ : ٥٠

(١٧٥) جب ١ : ١٩٠ ، بولياك ٩٥ ، ١٠٥ - ١٠٨

(١٧٦) بولياك ١٢٠ ، PEFQ 1:104 رحلة ايليا جلبي

(١٧٧) جب ١ : ٥٢، ١٩٠-١٩٢، فولني ٢ : ٣٦٢-٣٦٦ ، ٣٧٣، E.R.XI:58

(١٧٨) بولياك ١٢٥ فولني ٢ : ٣٧٣

(١٧٩) جب ١ : ٥٦ - ٦٠

(١٨٠) جب ١ : ٦٠ ، ٣١٤ - ٣٢٦

(١٨١) جب ١ : ٣١٤

(١٨٢) جب ١ : ٣٠٢ - ٣٠٣ ، بولياك ١٤٦ .. ١٤٧

(١٨٣) جبرتي ١ : ٣٢ ، ٦١ ، ١٦٨ ، ٢ : ١ ، الرافعي ١٣

(١٨٤) جبرتي ١ : ٣٧ ، ٢ : ١١٦ ، ٣ : ٢٠٣ ، الطويل ١٥٣

(١٨٥) العزاوي ٥ : ٣٢ - ٣٦

(١٨٦) الغزي ١ : ١٦٨ ، المقار ١ - ٣

(١٨٧) الحلاق ٥ ، المقار ٦٨

(١٨٨) الحلاق ٦٧ - ٦٩ ، القاري ٧٩

(١٨٩) الحلاق ٧٢

(١٩٠) الحلاق ١٥٩

(١٩١) جب ١ : ٢١٨ - ٢١٩ ، ٢٢٩ ، الحلاق ٤٠ م - ٤٦ م ، ١٨ ، ٢٠ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٨ - ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٧٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، القاري ٨١ ، ٨٦-٨٧ ، المرادي ٢ : ١٠٨-١١١ ٣ : ٩٠ ، ٢٧٩ المقار ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ تزعم اليرلية في دمشق في القرن ١٨ كل من عبد الله بن محمد الجر كسي ١١١٣ / ١٧٠ - ١١٤٠ / ١٧٢٧ ثم محمد بك بن خليل باشا - ١١٥٤ ثم درويش بن عبد الله الحنفي - ١١٧٠ وانتمى فتحي القلانسي الدفتردار الى هذا الوجاق

(١٩٢) الحلاق ٩٧ ، ١٧٦

(١٩٣) الطباخ ٣ : ٣١٥ - ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧ - ٣٧٩ الغزي ٣ : ٢٦٦ - ٢٧٩ ، قرآلي ١٧ - ٢٠ ، ٣٩ ، ٧١ ، ٧٤ ، المحبي ٢ : ٨٤- ٨٧ ، ١٢٩ ، ٢١٣ - ٢١٥

(١٩٤) جب ١ : ٢١٨-٢١٩ ، رو ٨٥-٨٦ ، ٢١٣-٢١٤ ؛ الطباخ ٣ : ٣٢٨ ، الغزي ٣ : ٢٩٠ ، ٣٠٦ ، ٣١٢-٣١٦ ، ٣١٨ - ٣٢٠ ، ٣٣٥

(١٩٥) العزاوي ٤ : ١٦٥ - ١٨١

(١٩٦) جب ٢ : ٨٨-٨٩ ، ٩١ ، ١١٥-١٢٢

(١٩٧) جب ٢ : ٨٨ - ٩١ ، ١٢٢ ، ليبير ٢١٧ - ٢١٨ انخفض العدد من ٤٣ اواخر القرن ١٧ الى ٢٧ في القرن ١٨

(١٩٨) جب ٢ : ١٢٢

(١٩٩ - ٢٠٠) جب ٢ : ٩٨ والهامش ٣ ، ١٢٢ - ١٢٤

(٢٠١ - ٢٠٢) جب ٢ : ١٢٤ ، المحبي ١ : ١٦٢ ، ٢ : ٤١١ - ٤١٢ المرادي ١ : ٣٢ - ٣٣

(٢٠٣) الغزي ١ : ٢٢ ، المحبي ١ : ١٨١ ، ٢٦٣ – ٢٦٦
(٢٠٤) الطباخ ٦ : ٤٤٧ ، المرادي ١ : ١٧٥ – ١٨١
(٢٠٥) المرادي ١ : ٢٢ – ٢٣
(٢٠٦) الحلاق ١٦٣ ، ١٧٢ ، المحبي ١ : ١٨١ ، ٢٦٣ – ٢٦٦ ، ٢ : ٤٧ ، ٣٤٣ ، ٤١١ – ٤١٢
(٢٠٧–٢٠٨) جب ٢ : ٩٠، ٩٢
(٢٠٩) جب ٢ : ١٢٣ ، المحبي ١ : ٦٢، ١١٦ ، المرادي ١ : ٢١٩ ، ٣ : ٢٨
(٢١٠) جب ٢ : ١٢٣ ، المشرق ٣١ : ٨١، ٨٦، ٢٦٢، ٣٥٧ الهلال ٦: ٦١٣
(٢١١) غرايبة ٤٥ – ٥١ ، انظر ثابر وتك
(٢١٢) جب ١ : ٢٠١ ، ٢ : ١٢٥ ، ١٢٨ – ١٣٠ الحلاق ٢٢٢ ستربلنغ ٧٣
(٢١٣) جب ٢ : ١٢٥ ، ١٢٧ ، الحلاق ٤١ ، ٦٣ ، الغزي ٣: ٢٥٥
(٢١٤) المقار ٩
(٢١٥) الحلاق ٥٧ ، ١٣٤
(٢١٦) غرايبة ٦٠ ، s.p.110/29 : 305-8
(٢١٧) غرايبة ١٩٠ – ١٩١
(٢١٨) جب ٢ : ١٢٥
(٢١٩) جب ٢ : ١٢٤ – ١٢٥ ، الحلاق ١٦٣ ، الطباخ ٦: ٤٨٦ ، المحبي ٢ : ٢٨٤ المرادي ٢ : ٢٧ ، ٣٢ ، ٢٦٠ يعين ابنه او اخاه نائبا
(٢٢٠) جب ٢ : ١٢٤
(٢٢١) جب ٢ : ١٢٥ ، الرافعي ٣٧ ، ٣٩ – ٤١ (٦) ، رسل ١: ٣١٨–٣٢٧، المرادي ١: ٣٢، ٢٤٢، ٣: ٨٣ ، ٤: ٧
(٢٢٢) جب ٢ : ١٣٠ – ١٣٢ ،
(٢٢٣) جب ٢ : ٩١، ١٢٨، ١٣٢
(٢٢٤) فولني ٢ : ٣٩٠ انظر تركيا

(٢٢٥) أجند ٢: ٣٤٣

(٢٢٦) جب ٢ :١٢٨- ١٢٩

(٢٢٧) الجبرتي ٢:١١٦

(٢٢٨) جب ٢ : ٩٣ ، الجبرتي ٢:١١٦

(٢٢٩) جب ١ ٢٧٨،٣٠٢-٣٠٣، القدسي ١٣ ، ٣٢

(٢٣٠) جب٢ : ٢١٦ ، المشرق ٣١ : ٧ ، ٢٦٢ ، ٣٥٧ ، ٤٠١ - ٤٠٨
الهلال ٦ : ٦١٣ ، ١٣:٥١٣ انظر خوري ورستم واليازجي

(٢٣١) جب ١ : ١٣٣ - ١٣٤ ، الغزي ٢ : ٤٢٣ - ٤٢٤

(٢٣٢) جب ٢ : ٢١٦

(٢٣٣) المحبي ٢ : ١٠٩ ،

(٢٣٤) جب٢:١٣٦، المرادي١: ١٤، ٢ : ٢٠٣

(٢٣٥) المرادي ٢ :٨٣ - ٩٧

(٢٣٦) المرادي ١ : ٨٣-٩٧ ، ٢٤٢ ، ٢ : ٢٨١ ، ٤ : ١٧

(٢٣٧) جب ٢ : ١٣٦ ،الحلاق ١٨ ، ٧٧ ، المقار ١٨ ، المرادي ١ : ٢٤٢ ،
٢: ٧٠ - ٧٢ ، ٢٨١ ، ٤ : ١٧

(٢٣٨) جب٢:١٣٦ ،الطباخ ٦: ٤٤٧، ٤٦٥، المرادي ١ : ٥٧، ١٧٥-١٨١

(٢٣٩) المرادي: ١ : ٢٤٢ ، ٢ : ٨٣ - ٩٢

(٢٤٠) الطباخ ٦ : ٤٤٧ ، المرادي ١ :١٧٥ - ١٨١

(٢٤١) الحلاق ٤٢ ، المحبي ١:١٦٢ ، المرادي ١: ١٤٩ - ١٥٢، ٢ : ٨٣-٩٧

(٢٤٢) الغزي ٢ : ٤٢٣ ، المحبي ١ : ١٥٣ ، ٢٩٧ ، ٢ : ٢٣١ - ٢٣٥، ٢٥٧

(٢٤٣) جب ٢ : ١٣٥ ، المرادي ٣ : ٨

(٢٤٤) الحلاق ١١٠-١١١ ، رسل ١ : ٣٢٢ ، غرايبه ١٩١-١٩٢

(٢٤٥) ستربلنغ ٧٤

(٢٤٦) جب ١ : ٢٠٢، الرافعي ٢٧-٢٨، ستربلنغ ٧٤،شكري ١٠ ، غربال

(٢٤٧) الحلاق ١٩٧ ، غرايبه ١٩١ - ١٩٢

(٢٤٨) الحلاق ١٦٠ ، الطباخ ٣ : ٣٢٩ - ٣٣٠ ، غرايبه ١، الغزي ٣ : ٢٩٩ - ٣٠٠

(٢٤٩) جب ٢ : ١٦٧

(٢٥٠) انظر رقم ١٣٨ ، ستربلنغ ٨٤

(٢٥١) الاعظمي (بغداد)١٧٦-١٧٩، العزاوي ٤: ١٤٧، ١٤٨، ١٥٧-١٥٩، ١٦٠ - ١٦٢ ، لونكرك ٣٤

(٢٥٢) الاعظمي (بغداد)١٧٩-١٨٣، الدول الفارسية ١٠٧ ، دحلان فتوح ١٣١ ، العزاوي ٤: ١٦٥-١٧٠ ، ١٧٢-١٧٥ ، ١٧٩ ، لونكرك ٤٨ - ٥٣

(٢٥٣) الاعظمي (بغداد)١٨٣-١٨٧ الدول الفارسية ١٠٧-١٠٨، دحلان فتوح ١٣٢ ، العزاوي ٤ :١٧٥ - ١٨٢ ، لونكرك ٥٣ - ٥٥

(٢٥٤) الاعظمي الدول الفارسية ١٠٩ ، العزاوي ٤ : ١٨٢ - ١٨٤ ، ١٩٥ - ١٩٦ ، لونكرك ٥٥ - ٥٦

(٢٥٥) الاعظمي (بغداد) ١٨٧-١٨٩، دحلان فتوح ١٣٣، العزاوي ٤: ١٨٣- ٢٠٨ ، لونكرك ٥٦-٦٥

(٢٥٦) الاعظمي (بغداد) ١٩٠ - ١٩٣ ، دحلان فتوح ١٣٣-١٣٤، العزاوي ٤ :٢٠٨ - ٢٣٨، لونكرك ٦٥-٧١

(٢٥٧) الاعظمي (بغداد) ١٩٤، العزاوي ٥: ٣٢-٣٦، ٤١، لونكرك ٧٩-٨٠

(٢٥٨) الاعظمي (بغداد) ١٩٦ ، العزاوي ٥ : ٥٧ - ٦٠ لونكرك ٨٤-٨٥

(٢٥٩) العزاوي ٥: ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ - ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، لونكرك ٨٤ - ٨٥

(٢٦٠) الاعظمي البصرة ١٢٥، العزاوي عشائر ٤: ١٠٧ ، لونكرك ١٨، ٣٠

(٢٦١) الاعظمي البصرة ١٢٧، ستربلنغ ٨٢، العزاوي ٤ :٤٦؛ العزاوي عشائر ٤ : ١٠٧؛

(٢٦٢) الأعظمي البصرة ١٢٨، ستربلنغ ٨٢، العزاوي ٤: ٤٩-٥٠؛ العزاوي عشائر ٤ : ١٠٧ ؛ لونكرك ٣٠ ؛

(٢٦٣) لونكرك ٣١، ١٠٧

(٢٦٤) جب ٢: ٤٦ ، الحصري ١٣٦، ستربلنغ ٨٤ ، لونكرك ٣١

(٢٦٥) ستربلنغ ٩٣

(٢٦٦) ستربلنغ ٩٤ ، العزاوي ٤ : ٦٧ - ٧٠

(٢٦٧) العزاوي ٤ : ٧٠ - ٧١

(٢٦٨) العزاوي ٤ : ٧١ - ٨١، انظر مرآة الممالك لسليمان وئيس ، ترجمة انجليزية لفامبير (لندن ١٨٩٩)

(٢٦٩) ستربلنغ ٨٣ العزاوي ٤ : ١٠٦ - ١٠٩ ، ٥ : ٢٠ - ٢١

(٢٧٠) الاعظمي البصرة ١٢٨ - ١٢٩ ، العزاوي ٤ : ١٣٨ ؛ لونكرك ٩٥

(٢٧١) الاعظمي البصرة ١٢٩ - ١٣٠ ، العزاوي ٤ : ١٣٨ - ١٤٢ ، ١٤٧ ، لونكرك ٩٥ ، ٩٨

(٢٧٢) الاعظمي البصرة ١٣٠، العزاوي ٤ : ١٨٩ ، ١٩٥ - ١٩٦؛ لونكرك ٩٨ - ٩٩

(٢٧٣) العزاوي ٥ : ٣١ ، لونكرك ١٠٤

(٢٧٤) لونكرك ١٠٢

(٢٧٥) لونكرك ١٠٢ - ١٠٣ ؛ ولسن ١٥٤ ، ١٦٣ - ١٦٤

(٢٧٦) لونكرك ١٠٤-١٠٦ انظر ادناه.

(١٧٧) الاعظمي البصرة ١٣١-١٣٢، العزاوي ٥: ٤٦-٥١، لونكرك ١٠٧-١٠٨

(٢٧٨) الاعظمي البصرة ١٣٢، العزاوي ٥ : ٧٤-٧٧، لونكرك ١٠٨-١١١

(٢٧٩) الاعظمي البصرة ١٣٢ - ١٣٦ ، العزاوي، ٥ : ٧٧ - ٩٥

(٢٨٠) العزاوي ٥ : ٨٢ - ٨٥

(٢٨١) العزاوي ٥ : ٤٤ ، ٩٦

(٢٨٢) الاعظمي البصرة ١٣٦ ، العزاوي ٥ : ٩٦ - ٩٩

(٢٨٣) الاعظمي البصرة ١٣٦ - ١٣٧ ، العزاوي ٥ : ٩٩-١٠٠ ؛ لونكرك ١١٢

(٢٨٤) العزاوي ٥ : ١٠٢ - ١٠٣ ؛ لونكرك ١١٣

(٢٨٥) الاعظمي البصرة ١٣٧ : حسن باشا ١٠٨٣ - ١٠٨٥ ، حسين باشا - ١٠٨٨ ، حسن باشا - ١٠٩٢ ، سلحدار حسين باشا - ١٠٩٤ ، عبد الرحمن باشا - ١٠٩٤ ، حسين الكمركي - ١٠٩٩ ، عبد الرحمن ١١٣٠ ، حسين الدفتري - ١١٠٢ ، انظر العزاوي ٥ : ١٠٣ ، ١٠٦ ، لونكرك ١١٤

(٢٨٦) الاعظمي البصرة ١٣٧-١٤٠ اهل البصرة نصبوا حسين الجمال ، العزاوي ٥ : ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، لونكرك ١١٣-١١٤

(٢٨٧) العزاوي ٥ : ١٤١ - ١٤٢ ، لونكرك ١١٤ - ١١٥

(٢٨٨) العزاوي ٥ : ١٤٥ - ١٥١ ، ١٦٧ - ١٦٨ ، ١٧٥ - ١٨٠ ، العزاوي عشائر ٤ : ١٠٩ ؛ لونكرك ١١٥ - ١١٦

(٢٨٩) سركيس ١ : ٢٠٣ - ٢٠٥ ، العزاوي ٥ : ١٦٨ ، ١٨٠ ، العزاوي عشائر ٤ : ١١٠

(٢٩٠) العزاوي ٤ : ١٤٠ ، ٣٠٦ ، لونكرك ٣٩ ، ١٠٠

(٢٩١) العزاوي ٤ : ٣٠٧ ، العزاوي عشائر ٤ : ١٠٩
امراء الحويزة : منصور - ١٠٥٣ ، بركة - ١٠٦٠ ، علي بن خلف المطلب - ١٠٨٨ ، حيدر بن بركة - ١٠٩٢ ، فرج الله وعلي وهبة الله وعبد الله الى ان استقرت للاخير ١١١٤ - ١١٢٧ ، علي - ١١٣٢ محمد بن عبد الله - ١١٣٥ ثم عبد الله بن هبة الله .

(٢٩٢) ستربلنغ ٨٣ ، العزاوي ٤ : ٥٦ ، لونكرك ٣١

(٢٩٣) العزاوي ٤ : ١٠٦ - ١٠٩

(٢٩٤) العزاوي ٤ : ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٦١ ، ٢٤٢-٢٤٥ ؛ لونكرك ٣٧-٣٨

(٢٩٥) العزاوي ٤ : ٢٤٥، ٥ : ٢٨ - ٣٠ ، الغزي ٣ : ٢٨٢ - ٣٨٣ ، لونكرك ٥٥

(٢٩٦) العزاوي ٥ : ٢٠ ، ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، عشائر ٣ : ٢٤٥ ، لونكرك ٧٩ .

(٢٩٧) العزاوي ٥ : ١١٥ ، ١٤٠ ، ١٦٤ - ١٦٥ ، العزاوي عشائر ٣ : ٢١٠ - ٢١٧

(٢٩٨) العزاوي ٥ : ١٥١ - ١٥٢ ، ١٦٤ - ١٦٥

(٢٩٩) العزاوي ٥ : ١٣٩ ، ١٦٩ - ١٧١ ، عشائر ٣ : ٢٠٣ ، لونكرك ٧٦

(٣٠٠) العزاوي ٤ : ٥٠ - ٥٢ ، ١٤٤ ، ٢٤٥ ، لونكرك ٣٧ ، ٥٥

(٣٠١) انظر رقم ٢٨٦ ، ٢٨٨ اعلاه ومركيس ٩٣ - ٩٦

(٣٠٢) العزاوي ٥ : ١٦٧ - ١٦٨ ، العزاوي عشائر ٤ : ١٦ - ٢٠ ، ١٠٩ ينسب الشيوخ الى اسرة شبيب التي قدمت من الحجاز في القرن التاسع ﻫ وادعت نسبا هاشميا حسنيا . وحكمت البصرة الى ان انتزعها منهم الجلائريون عام ٨٢٠ ﻫ . انظر الهامش ٢٨٩ وصفحة ١٠٥

(٣٠٣) لونكرك ٩١

(٣٠٤) صايغ ٢٦٥ - ٢٧٢؛ العزاوي ٥ : ٤٤، ٦٣ ، ١٢٢-١٢٣ ، لونكرك ٣٥ ، ٩٢؛ المنشيء ٩٨

(٣٠٥) العزاوي ٥ : ١٦٢ - ١٦٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ - ١٨٩

(٣٠٦) زكي الدول الكردية ٢٧٦ - ٢٨٢ ، زكي ، السليمانية ٣٨ - ٤٠ ، العزاوي ٤ : ٥٧-٦٤ ، لونكرك ٤١ - ٤٢

(٣٠٧) زكي ، الدول الكردية ٢٨٢ - ٢٨٤ واصبحت الامارة تابعة لايران (ص ٢٨٤ - ٢٩١) ، انظر زكي (السليمانية) ٤١ - ٤٢ ؛ لونكرك ٤٣

(٣٠٨) الدملوجي ١٨، ٣٢ ، زكي (الدول الكردية) ٣٩٢-٣٩٤يروي الاسماء: قباد وبهرام ؛ لونكرك ٤٠

(٣٠٩) زكي، الدول الكرديه ٤١٦ - ٤١٨ . الفقيه احمد مؤسس الدولة خلفه عام ١٠٧٥ ابنه سليمان بابا الذي هزمه جيش ايراني اردلاني عام ١١٠٦ ١٦٩٤ فلجأ الى استانبول وتوفي في ادرنه عام ١١١٥ . استعاد ابنه بكر الامارة . ويذكر زكي (ص ٤٤-٥٢) اسماء اربع عائلات حاكمة سبقت عائلة فقي احمد . واحتل السلطان سليمان العراق في عهد حاجي شيخ من الاسرة الرابعة . وقتل حاجي وهو في طريقه لتقديم ولائه للسلطان فعهد بالامارة لابنه بوداق الذي حكم ١٦ عاماً ثم خلفه ابن عمه حسين . وانتشرت الفتنة حتى اواخر القرن عندما انتقل الحكم الى فقي احمد (ص ٥٤ - ٦٦) ويروي زكي في تاريخ السليمانية رواية تشبه الرواية الواردة صفحة ١٧٤ من هذا الكتاب .

(٣١٠) العزاوي ٥ : ١٦١ ، ٢١٠ ، لونكرك ١١٧ - ١١٨ ، ١٢١

(٣١١) العزاوي ٥ : ٢١٠ - ٢١١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ؛ لونكرك ١٢١

(٣١٢) انظر القبائل ؛ العزاوي ٥ : ٢١٥ - ٢١٦ ، ٢٤٥ ، ٢٧٨

(٣١٣) رو ٧٤ ؛ العزاوي ٥ : ٢٠٠ - ٢٠٢ ؛ لونكرك ٢٢

(٣١٤) العزاوي ٥ : ٢٠١ ؛ لونكرك ١٢٢

(٣١٥) لونكرك ١٢٢ - ١٢٣

(٣١٦) لونكرك ١٢٣

(٣١٧) لونكرك ١٢٣

(٣١٨ - ٣٢٠) انظر مادة ابراهيم باشا في الموسوعة الاسلامية وتاريخ جودت شاي ص ١٩ - ٢٢ ؛ ماسون ٢٥٢ - ٢٥٦

(٣٢١) العزاوي ٥ : ٢٠٦ - ٢٠٨ ؛ لونكرك ١٢٤ ؛

(٣٢٢) العزاوي ٥ : ٣١١ - ٣١٣ ؛ لونكرك ١٢٤ - ١١٥

(٣٢٣) العزاوي ٥ : ٢١٧ - ٢٢٢ ؛ لونكرك ١٢٥ - ١٢٧

(٣٢٤) العزاوي ٥ : ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ لونكرك ١٢٨ - ١٢٩

(٣٢٥) الأعظمي (دول فارسية) ١١١؛ العزاوي ٥ : ٢٢٥؛ انظر الموسوعة مادة ابراهيم باشا؛ شاي ٢٧ ـ ٣٠، ماسون ٢٥٥ ـ ٢٥٦

(٣٢٦) العزاوي ٥ : ٢٢٥ ـ ٢٢٩؛ لونكرك ١٢٩ـ١٣٠

(٣٢٧) الاعظمي (دول فارسية) ١١١؛ العزاوي ٥ : ٢٣١ـ٢٤٢؛ لونكرك ١٣٠ ـ ١٣٦

(٣٢٨) الاعظمي (دول فارسية) ١١١ـ١١٢؛ العزاوي ٥ : ٢٤٢ ـ ٢٤٤؛ لونكرك ١٣٧ ـ ١٣٩

(٣٢٩) رو ٧٥؛ العزاوي ٥ : ٢٤٦ ـ ٢٥٠؛ لونكرك ١٣٩ ـ ١٤٠

(٣٣٠) اندرسون ٢٧٠ ـ ٢٧٦، ماسون ٢٥٧ تم الصلح بوساطة فرنسا

(٣٣١) العزاوي ٥ : ٢٦٦؛ لونكرك ١٤٠

(٣٣٢) الاعظمي دول فارسية ١١٣ ـ ١١٤؛ العزاوي ٥ : ٢٦٦ ـ ٢٧٠؛ ٢٧١ ـ ٢٧٣، ٢٧٤ ـ ٢٧٨، ٢٨١؛ لونكرك ١٤٠ ـ ١٤٤

(٣٣٣) الصوفي ٢٥؛ العزاوي ٥ : ٢٨٣ ـ ٢٨٤، ٢٨٩ـ٢٩٠، ٣٠٦ ـ ٣٠٧، ٦: ٤٧ ـ ٤٨، لونكرك ١٦٧ ـ ١٦٨

(٣٣٤) الصوفي ٢٦، ٢٩؛ العزاوي ٦ : ٤٨ ـ ٥٠، لونكرك ١٦٩

(٣٣٥) الصوفي ٢٧ ـ ٣٦، ٤٠ العزاوي ٦ : ٤٩ ـ ٥٠، ٥٣ ـ ٥٦، ٥٩، ٦٤ ـ ٦٥؛ لونكرك ١٧٠

(٣٣٦) الصوفي ٤١ ـ ٤٤، ٤٨؛ العزاوي ٦ : ٦٦ ـ ٦٨؛ لونكرك ١٧٠ـ١٧٢

(٣٣٧) الصوفي ٥١ـ٥٣، ٨١ـ٨٢؛ العزاوي ٦: ٧٩ ـ ٨١، ١٤٤ ـ ١٤٥، ٢٣٥ـ٢٣٦، لونكرك ١٨٢ ـ ١٨٣، ٢٠٤، ٢٣٠،

(٣٣٨) الصوفي ١٠٠ ـ ١٠٢، ١١١، ١٣٥ ـ ١٣٩، ١٤٣، ١٤٧؛ العزاوي ٦ : ٩١ ـ ٩٣، ١٠٧ ـ ١٠٨، ١٧١ ـ ١٧٦، ١٨٦، ٢٠٩ـ٢١١، ٢١٤، ٢٢٠، لونكرك ٢٢٠

(٣٣٩) الصوفي ١٥٨ ـ ١٦٣، ١٦٩ ـ ١٧٦؛ العزاوي ٦ : ٢٥٠ ـ ٢٥١،

٢٥٣ - ٢٥٥ ، ٢٧١ - ٢٨٢ ، لونكرك ٢٣٠ - ٢٣٤

(٣٤٠) الصوفي ١٧٧ - ١٨٢؛ العزاوي ٦ : ٢٣٦ ، لونكرك ٢٦٤-٢٦٥

(٣٤١) لونكرك ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٥٩

(٣٤٢) انظر الفقرات التالية

(٣٤٣) الصوفي ١٧ ، ١٥٥ - ١٥٧ ؛ العزاوي ٥ : ٢٨٣ ، ٢٨٤ - ٢٨٧ ، ٢٩١ - ٢٩٧ ، ٦ : ١٥ - ١٧

(٣٤٤) العزاوي ٦ : ١٤ - ١٥

(٣٤٥) الصوفي ١٧ ، العزاوي ٦ : ٢٠ - ٢٢ ، لونكرك ١٥٩

(٣٤٦) الصوفي ١٨ - ١٩ ؛ العزاوي ٦ : ٣١ - ٣٣ ؛ لونكرك ١٦١

(٣٤٧) الصوفي ١٨ - ١٩ ، العزاوي ٦ : ٣٦ - ٣٧ ؛ لونكرك ١٦١-١٦٢

(٣٤٨) الاعظمي ٢٠١ - ٢٠٢ ، ابن سند ٤؛ الصوفي ١٩ - ٢٠ ، ٣٢ - ٣٤ ، العزاوي ٦ : ٣٨ - ٣٩ ، ٤٧ - ٥١ ، ٥٣ - ٥٧؛ لونكرك ١٦٣ ، ١٦٩ - ١٧٠

(٣٤٩) الاعظمي ٢٠٣ ، ٢١٠ ؛ ابن سند ٥ : ؛ الصوفي ٣٦ ، ٤٠ ؛ العزاوي ٦ : ٥٩ ، ٦٤ - ٦٥ ؛ لونكرك ١٧٠ - ١٧١

(٣٥٠) الاعظمي ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ٢٠٩ - ١١٠ ؛ ابن سند ٦ - ٩ ، صوفي ٤١ - ٤٦ ، العزاوي ٦ : ٦٧ - ٦٩ ؛ لونكرك ١٧٢

(٣٥١) الاعظمي ٢٠٤ - ٢٠٥ ؛ ابن سند ٩ - ١٠ ، الصوفي ٤٦ - ٤٧ ، العزاوي ٦ : ٧٠ - ٧٤؛ لونكرك ١٧٣-١٧٤

(٣٥٢) الاعظمي ٢٠٥ - ٢٠٧ ؛ ابن سند ١٠ - ١٢ ، الصوفي ٤٩ - ٥١ ، العزاوي ٦ : ٧٤ ، ٧٦ - ٧٨ ، ٨٢ - ٨٣؛ لونكرك ١٧٤

(٣٥٣) الاعظمي ٢٠٧ - ٢٠٩ ، ابن سند ١٢ - ١٣ ، الصوفي ٥١ ، ٥٣ - ٥٤، العزاوي ٦ : ٨٣ - ٨٤ ؛ لونكرك ١٧٤ - ١٧٥

(٣٥٤) الاعظمي ٢٠٨ - ٢٠٩ ، ابن سند ١٢ - ١٣ ؛ الصوفي ٥٣ - ٥٤ ؛

العزاوي ٦ : ٨١ ؛ لونكرك ١٨٣ - ١٨٤

(٣٥٥) الاعظمي ٢٠٨ - ٢٠٩ ؛ ابن سند ١٣ ؛الصوفي ٥٤ - ٥٥ ، العزاوي ٦ : ٨٤ - ٨٥ ؛ لونكرك ١٨٤

(٣٥٦) الاعظمي ٢١٣ - ٢١٤ ؛ ابن سند ١٥ - ١٦ ؛ الصوفي ٥٨ ؛ وانظر قبيلة العبيد ؛ لونكرك ١٨٤ ، ١٩١

(٣٥٧) الاعظمي ٢١٢ ؛ ابن سند ٢٧ - ٢٨ ، صوفي ٨١ - ٨٢ ؛ العزاوي ٦ : ١٤٤ - ١٤٥ ، لونكرك ٢٠٤

(٣٥٨) ابن سند ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، الصوفي ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٨ ، العزاوي ٦ : ٩٥ ، ٩٧ ، ١١٥ - ١١٨ ، لونكرك ١٦٢ ، ٢٠٦ - ٢٠٧

(٣٥٩) ابن سند ٢٩ الاعظمي ٢١٤ - ٢١٥ ، سركيس ١ : ٥٤ ، والصيرفي ٨٨ - ٩٠ ، العزاوي ٦ : ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، لونكرك ٢٠٩-٢١٠

(٣٦٠) ابن سند ٢٩ الاعظمي ٢١٤ - ٢١٥ ، سركيس ١ : ٥٥ - ٥٦ ، الصوفي ٨٣ - ٨٥ ، ١٠٤ - ١٠٥ ، العزاوي ٦ : ١٥١ - ١٥٣ ، ١٧٨ - ١٨٠ ؛ لونكرك ٢١٠ ، ٢١٢ - ٢١٣

(٣٦١) الصوفي ١٠٥-١٠٧ ، العزاوي ٦ : ١٨١ ، ١٨٢ - ١٨٤ ، لونكرك ٢١٣

(٣٦٢) العزاوي ٦ : ١٨٣

(٣٦٣) العزاوي ٦ : ١٨٤

(٣٦٤) الصوفي ١٢٦ ، العزاوي ٦ : ١٩٢ ، لونكرك ٢١٣ - ٢١٤

(٣٦٥) الصوفي ١١٥ - ١٢٢ ، العزاوي ٦ : ١٨٦ - ١٨٨ ، ١٩١ - ١٩٤ ، لونكرك ٢١٣

(٣٦٦) العزاوي ٦ : ٢٠٤ ، لونكرك ٢١٣

(٣٦٧) ابن سند ٤١ ، الاعظمي ٢١٦ ، الصوفي ١٢٥ ، ١٢٧-١٣٠ ، العزاوي ٦ : ١٩٥ - ٢٠٥ ، لونكرك ٢١٤

(٣٦٨) العزاوي ٦ : ٢٠١ - ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

(٣٦٩) الاعظمي ٢١٧ ، الصوفي ١٣٠ - ١٣٤ ، العزاوي ٦ : ٢٠٥ - ٢٠٧ ؛ لونكرك ٢١٥

(٣٧٠) العزاوي ٦ : ٢١٧ ، لونكرك ٢١٥

(٣٧١) ابن سند ٤٢ ، العزاوي ٦ : ٢٠٨ - ٢١٠

(٣٧٢) ابن سند ٤٣ ، الاعظمي ٢١٨ ، سركيس ٥ - ٦ ، ١٠ - ١٤ ، ٤٤ أ - ب ، الصوفي ١٣٩ - ١٤١ ، العزاوي ٦ : ٢١٤ - ٢١٨ ، العزاوي عشائر ٤ : ١٣٩ - ١٤١ ، لونكرك ٢١٦

(٣٧٣) ابن بشر ١ : ١٦٢ ، الصوفي ١٤٢ ، ١٤٤ ، العزاوي ٦ : ٢١٨-٢٢٠ ؛ لونكرك ٢٢١ - ٢٢٢

(٣٧٤) العزاوي ٦ : ٢٢٤ ، لونكرك ٢٢٢ - ٢٢٣

(٣٧٥) سركيس ٢٥ ؛ عبد الله آغا متسلم البصرة السابق اقام ثمان سنوات في بوشهر شبه منفي الى ان عين كتخدا لسعيد باشا ، العزاوي ٦ : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣

(٣٧٦) العزاوي ٦ : ٢٣٣

(٣٧٧) ابن سند ٤٥ ، الصوفي ١٤٦ - ١٤٧ ، العزاوي ٦ : ٢٣٢

(٣٧٨) الصوفي ١٤٨ ، العزاوي ٦ : ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٣٠ لونكرك ٢٢٣

(٣٧٩) الصوفي ١٤٨ - ١٥١ ، العزاوي ٦ : ٢٣٣-٢٣٤ ، لونكرك ٢٢٤

(٣٨٠) الصوفي ١٥١ - ١٥٣ ، العزاوي ٦ : ٢٣٦ ، لونكرك ٢٢٤

(٣٨١) سركيس ٦ ، الصوفي ١٥٢ - ١٥٥ ، العزاوي ٦ : ٢٣٥ ، ٢٣٧ - ٢٤١ ، لونكرك ٢٢٤ - ٢٢٦

(٣٨٢) الصوفي ١٩١ - ١٩٣ ، العزاوي ٦ : ٣٢٩ - ٣٣١ ، لونكرك ٢٢٦ - ٢٢٧

(٣٨٣) الصوفي ١٧٠ ، ١٨٢ - ١٨٣

(٣٨٤) الصوفي ١٥٥ - ١٥٧ ، العزاوي ٦ : ٢٤٤ - ٢٤٦ ، لونكرك ٢٢٧

(٣٨٥) الصوفي ١٨٢ - ١٨٣ ، العزاوي ٦ : ٢٧١ - ٢٧٧ ، ٢٧٩ - ٢٨٢ ، ٢٨٨ - ٢٨٩ ، لونكرك ٢٣٢ - ٢٣٥

(٣٨٦) الصوفي ١٦٣ ، العزاوي ٦ : ٢٥٢ - ٢٥٣ ، ٢٥٥ - ٢٥٦

(٣٨٧) الصوفي ١٩٩-٢٠٤، العزاوي ٦ : ٣٠١-٣٢٨، لونكرك ٢٤٩-٢٦٠

(٣٨٨) العزاوي ٥ : ١٧٥ - ١٨٠

(٣٨٩) العزاوي ٥ : ١٨٤ - ١٨٥ ، ١٨٩ - ٢١١

(٣٩٠) العزاوي ٥ : ٢١٢ ، ٢٥١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٣ - ٢٩٧ ، ٦ :١٥، لونكرك ١٥٥ - ١٥٧

(٣٩١) العزاوي ٦ : ١٦ - ٢٠ ، ٢٢ - ٢٤ ، ٣٢ ، لونكرك ١٥٩-١٦١

(٣٩٢) العزاوي ٦ : ٤٠ - ٤١ ، ٤٣ ، لونكرك ١٧٦ - ١٧٨

(٣٩٣) ابن سند ٤ — ٥ ، الاعظمي (دول فارسية) ١١٥ ، الصوفي ٢٦ ، العزاوي ٦ : ٥١ - ٥٣ ، لونكرك ١٧٨

(٣٩٤) ابن سند ٥ - ١٦ ؛ الاعظمي (بصرة) ١٤٤ - ١٤٦ ، (دول فارسية) ١١٥ - ١١٦؛ العزاوي ٦ : ٥٩ - ٦٠ ، لونكرك ١٧٨ - ١٨٠

(٣٩٥) ابن سند ٤-٥ ، ١٢-١٣ ، الاعظمي (البصرة) ١٤٧-١٤٨، (دول فارسية) ١١٥؛ الصوفي ٣٧ ، العزاوي ٦ : ٦٠ - ٦٤ ، لونكرك ١٨٠

(٣٩٦) ابن سند ٥ - ١٦ ، الاعظمي (البصرة) ١٤٤ - ١٤٦ ، (دول فارسية) ١١٥-١١٦ ، الصوفي ٣٧ - ٣٨ ، ٥١ - ٥٣ ، العزاوي ٦: ٧٩ - ٨١ ، لونكرك ١٨٠ - ١٨٣

(٣٩٧) ابن سند ١٢ - ١٣ ، الاعظمي (البصرة) ١٤٦، الصوفي ٥٣، العزاوي ٦ : ٨١ - ٨٤ ، ١٠٠ ، لونكرك ١٨٣ - ١٨٤

(٣٩٨) ابن سند ١٦ - ١٧ ، الاعظمي (البصرة) ١٤٧ - ١٤٨ ، سركيس ٦٦ - ٧٠، صوفي ٦٢؛ العزاوي ٦ : ١٠٠ - ١٠٣؛ لونكرك ١٩٢

(٣٩٩) ابن سند ١٨ ، الصوفي ٦٣ – ٦٦ ، العزاوي ٦ : ١٠٣ – ١٠٥ ، لونكرك ١٩٣ - ١٩٤

(٤٠٠) سركيس ١٤ – ٢٨ ، عن احوال البصرة في عهد سعيد باشا وعدم الاستقرار فيها والنفوذ الافرنسي والبريطاني وتدخلهم في امر عزل وتعيين المتسلمين والعفو عن المعتقلين. المتسلمون في عهد سعيد باشا كانوا سليمان فخري زاده الموصلي ومصطفى آغا وابراهيم آغا وثلاثة آخرون. العزاوي ٦ : ١١٩ ، ١٢١-١٣٦ ، ١٦٠-١٦١ ، لونكرك ٢٠١-٢٠٤

(٤٠١) ابن سند ٤١ - ٤٢ ، الصوفي ٨٢ ، ١٢٦ ، العزاوي ٦ : ١٥١ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، لونكرك ٢٠٨ ، ٢١٤ - ٢١٥

(٤٠٢) العزاوي ٦ : ٢٩٣ - ٢٩٥ ، لونكرك ٢٣٥ - ٢٣٦ ؛ ماسون ٥٤٣

(٤٠٣) غرايبة ١٥٤ ، ١٧١ - ١٧٦ ، ١٧٨ ؛ لونكرك ١٤٨ ، ماسون ٥٤٣

(٤٠٤) سركيس ١ : ١٤ ، غنيمة (تجارة العراق) ٧١ ؛ سركيس ١ : ٥٢

(٤٠٥) العزاوي ، عشائر ٣ : ٢١٩ ، لونكرك ١١٤-١١٥

(٤٠٦) العزاوي ٥ : ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، لونكرك ١١٩– ١٢٠

(٤٠٧) العزاوي ٥ : ٢٢٢ – ٢٢٣

(٤٠٨) العزاوي ٦ : ٣٣ – ٣٤ ، لونكرك ١٥٩ – ١٦٠ ، ١٦٢

(٤٠٩) لونكرك ١٦٣ – ١٦٤ – ١٩٤

(٤١٠) الصوفي ١٨٥

(٤١١) العزاوي ٥ : ١٩٢ ، ٢٨٨ ، ٦ : ١٩٥ ، ١٩٨

(٤١٢) ابن سند ١٣ ، ١٦-١٧ ، الصوفي ٥٥-٥٦-٦٢ ، العزاوي ٦ : ٣٤ ، ٣٩ ، ٨١ ، ٨٦-٨٧ ، ٩٣-٩٥ ، ١٠٠ ، ١١٢–١١٣ ؛ لونكرك ١٦٢-١٦٣

(٤١٣) العزاوي ٦ : ١٣٩ ، ١٦٣ ، ٢٢١ – ٢٢٥ – ٢٢٧

(٤١٤) ابن سند ٢١ ، ٢٧ ، العزاوي ٦ : ٨٦ ، ١٠٢ ، ١١٢–١١٣ ، ١٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٦٢ ، لونكرك ١٩٠

(٤١٥) العزاوي ٥ : ١٨٦، ١٨٧ ، العشائر ٣ : ٢١٩ - ٢٢٠

(٤١٦) العزاوي ٥ : ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، لونكرك ١٢٠

(٤١٧) العزاوي ٥ : ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٥١-٢٥٥، ٢٦٤، ٢٧١، لونكرك ١٤٦

(٤١٨) العزاوي ٦ : ١٦٩-١٧١ ، لونكرك ١٦٢ يذكر فرض غرامة عليهم عام ١١٧٧ / ١٧٦٣

(٤٢٠) العزاوي ٥ : ٢٧٣ - ٢٧٤ ، ٦ : ٣٠ ، كان زعيما عام ١١٦٩/١٧٥٥

(٤٢١) العزاوي (عشائر) ٢ : ١٣٩

(٤٢٢) ابن سند ٢٣؛ العزاوي ٦ : ١٢٦ - ١٢٧، عشائر ٢ : ١٤٤ - ١٤٥ ، ١٤٨ ، لونكرك ٢١٢، قتل في حرب ابن سعود عام ١٢١٣/١٧٩٨ .

(٤٢٣) ابن سند ٤٥ ؛ العزاوي ٦ : ١٦٣ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ٢٢٧ - ٢٢٨ ، عشائر ٢ : ١٤٩

(٤٢٤) العزاوي ٦ : ٢٨١ ، ٢٨٤ ، عشائر ٢ : ١٥٢

(٤٢٥) ابن سند ٥١ ، ٥٧ ؛ العزاوي ٦ : ٢٨٥ - ٢٨٦ ، العشائر ٢ : ١٥٣

(٤٢٦) العزاوي ٦ : ٢٩٤ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، عشائر ٢ : ١٥٤ - ١٥٨

(٤٢٧) العزاوي ٥ : ١٧٥ - ١٨٠، ١٨٢-١٨٤ ، عشائر ٤ : ١٠٩ - ١١٠ ؛ لونكرك ١١٩

(٤٢٨) العزاوي ٥ : ٢٦٠

(٤٢٩) العزاوي ٥ : ٢١٦ ، لونكرك ١٤٦ ، ١٤٧

(٤٣٠) العزاوي ٥ : ٢٥٦ - ٢٥٨ ، لونكرك ١٤٧

(٤٣١) العزاوي (عشائر) ٤ : ١١١

(٤٣٢) العزاوى ٦ : ٢٣ ، عشائر ٤ : ١١١ ؛ لونكرك ١٥٩

(٤٣٣) العزاوي ٦ : ٤٠ ، عشائر ٤ : ١١١ ؛ لونكرك ١٦٤

(٤٣٤) الصوفي ٥١ - ٥٣ ؛ العزاوي ٦ : ٧٩ - ٨١ ، عشائر ٤ : ١١١ ؛ لونكرك ١٧٨

(٤٣٥) ابن بشر ١ : ١٠٧ - ١١٠ ، ابن سند ١٦ ، ٢١؛سر كيس ٦٦-٧٠؛ الصوفي ٥٣ ، ٥٦ ، ٦١-٦٢ ؛ العزاوي ٦ : ٨١،٨٤ ، ١٠٠ ، ١٠٥ - ١٠٩، ١١٨ - ١١٩ ، عشائر ٤ : ١١١-١١٢ ؛ لونكرك ١٨٣ - ١٨٤، ١٩٢ - ١٩٤

(٤٣٦) ابن بشر ١ : ١٠٧-١١٠؛ابن سند ٢١-٢٢؛سر كيس ٧٠؛العزاوي ٦: ١١٨ - ١١٩، ١٢١ - ١٢٤ ، عشائر ٤ :١١٢؛لونكرك ٢٠١ - ٢٠٢

(٤٣٧) ابن سند ٢٢ ، ٤١ ؛ العزاوي ٦ : ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٢٥ ، ١٢٧

(٤٣٨) ابن سند ٤٣-٤٤؛سر كيس ٥-٦،١٠-١٤، ٤٤ ا-ب؛الصوفي ١٢٢، ١٢٩ - ١٤٢ ؛العزاوي ٦ :٢١٤ -٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨، ٢٣٥ ، ٢٣٩

(٤٣٩) ابن بشر ٢ : ٢٨؛ الصوفي ١٨٤ - ١٨٥ ؛ العزاوي ٦: ٢٨٩-٢٩٠ ، ٢٩٢ - ٢٩٥ ، عشائر ٤ : ١١٢

(٤٤٠) العزاوي ٥ : ١٧٣ - ١٧٤ ، ١٨٠ - ١٨١ ، عشائر ٣ : ٣٣ - ٣٤

(٤٤١) العزاوي ٥ : ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠

(٤٤٢) الصوفي ١٥٩ - ١٦٠ ؛ العزاوي ٦ : ١٧١ ، ٢٢٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ؛ لونكرك ١٨٩ ، ٢٢٨

(٤٤٣) العزاوي ٦ : ٤٠ - ٤٢ ، عشائر ٣ : ١٥١ - ١٥٣ ؛ لونكرك ١٦٤

(٤٤٤) العزاوي ٦ : ٩٧

(٤٤٥) ابن سند ٢٧؛ الصوفي٧٨ - ٧٩ ، ٩٣ ؛ العزاوي ٦ : ١٤١ ، ابن بشر لا يشير الى الرواية .

(٤٤٦) العزاوي ٦ : ١٥٦ - ١٥٧

(٤٤٧) الصوفي ٤٦-٤٧ ، ٥٩-٦٠؛ العزاوي ٦:٣١ ، ٣٣- ٣٤ ، ٧١ - ٧٤، ٧٧ - ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٩ ؛ لونكرك ١٨٩

(٤٤٨) ابن سند ١٥-١٧ ؛ الاعظمي ٢١٣ ؛ الصوفي ٦٠-٦٣، ٦٥، ٦٧، ٨٩؛ العزاوي ٦ : ٩٥ - ٩٦ ، ٩٨ - ١٠٣ ؛ لونكرك ١٩١ - ١٩٣

(٤٤٩) ابن سند ١٨ ، ٢٠ - ٢١؛ الاعظمي ٢١٣ ؛ الصوفي ٦٣؛العزاوي ٦:
١٠٣ ، ١٠٩ - ١١٠، ١١٢ - ١١٤؛ لونكرك ١٩٣

(٤٥٠) الصوفي ٤٧ ، العزاوي ٦ : ٧١

(٤٥١) الصوفي ٤٧ ، ٥٠ - ٥١ ؛ العزاوي ٦ : ٧١ ، ٧٧ - ٧٨

(٤٥٢) الصوفي ٦١ ؛ العزاوي ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٥٢

(٤٥٣) ابن سند ٣٠ ؛ الصوفي ٨٧ ، ٩٣ - ٩٤ ؛ العزاوي ٦ : ١٥٢ ، ١٥٥؛
لونكرك ٢١١ - ٢١٢

(٤٥٤) الصوفي ٩٣ - ٩٤ ؛ العزاوي ٦ : ١٥٥، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٥، ١٦٨؛
لونكرك ٢١٢

(٤٥٥) العزاوي ٦ : ١٨٨ - ١٨٩

(٤٥٦) ابن سند ٤٥ ؛ الصوفي ١٥٦ ؛ العزاوي ٦ : ١٩٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨

(٤٥٧) الصوفي ١٥٦ ، ١٥٩ - ١٦٠ ؛ العزاوي ٦ : ٢٤٥ - ٢٤٦ ، ٢٦٢ ،
٢٩٠ - ٢٩١

(٤٥٨) العزاوي ٦ : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ٢٢٨ ، ٢٦٢ ، ٢٨٦ ؛ غرايبة ١٥٥

(٤٥٩) العزاوي ٦: ٣٠ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٦-١٣٨ ، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٨،
١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٤٨، ٢٥٨ ،
٢٦٣ ، ٢٨٩

(٤٦٠) العزاوي ٥ : ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦

(٤٦١) صايغ ٢٧٣ - ٢٧٤ ؛ لونكرك ١٤٩

(٤٦٢) صايغ ٢٧٤ - ٢٧٥ ، ٢٧٧ - ٢٨٨ ؛ العزاوي ٥ : ٢٦٥ ، ٢٦٧ ،
٢٦٨ ، ٢٧١ ؛ لونكرك ١٤١ - ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٦٥

(٤٦٣) لونكرك ١٦٥

(٤٦٤) صايغ ٢٩١ - ٢٩٢ ؛ لونكرك ١٦٥ - ١٦٦

(٤٦٥) صايغ ٢٩٢ - ٢٩٣ ؛ لونكرك ١٩٧ - ١٩٨

(٤٦٦) صايغ ٣٠٢ ، الصوفي ١٠٢ – ١٠٤ ، ١١٠ ؛ العزاوي ٦ : ١٧٧ ، لونكرك ١٩٨ ، ٢١٣

(٤٦٧) صايغ ٣٠٢ ، الصوفي ١١٠ ، ١١٧ - ١٢٢ ، ١٢٤ ، العزاوي ٦ : ١٨٦ - ١٨٨ ، ١٩٠ – ١٩٤ ، لونكرك ٢١٣ – ٢١٤

(٤٦٨) صايغ ٣٠٢ ؛ العزاوي ٦ : ٢٠٨ ؛ لونكرك ٢١٦

(٤٦٩) صايغ ٣٠٣ ؛ الصوفي ١٦٤ – ١٦٥ ؛ العزاوي ٦ : ٢٤٩ – ٢٥٠

(٤٧٠) صايغ ٣٠٣ ؛ الصوفي ١٨٦ – ١٨٧ ؛ العزاوي ٦ : ٢٩٧

(٤٧١) صايغ ٣٠٥ ؛ الصوفي ١٨٧ – ١٨٨ ؛ العزاوي ٦ : ٢٩٩ – ٣٠١

(٤٧٢) الصوفي ١٨٨ – ١٨٩ ؛ العزاوي ٦ : ٣٠٠ – ٣٠١

(٤٧٣) الصوفي ٢٠٣ – ٢٠٧ ؛ العزاوي ٦ : ٣٠٩

(٤٧٤) العزاوي ٥ : ١٩٣ ؛ لونكرك ١٢١

(٤٧٥) العزاوي ٥ : ٢١٢

(٤٧٦) العزاوى ٥ : ٢١٤

(٤٧٧) العزاوي ٥ : ٢٢٢ – ٢٢٣

(٤٧٨) العزاوي ٦ : ٢٦٥ ؛ لونكرك ١٩٧

(٤٧٩) الدملوجي ٣٣ — ٣٤ ؛ زكي (الدول الكردية) ٣٩٥ ؛ العزاوي ٥ : ٢٧٩ ، لونكرك ١٥٠ ، ١٦٦

(٤٨٠) دملوجي ٣٤ – ٣٦ ، زكي ٣٩٥ – ٣٩٦ ، لونكرك ١٩٧

(٤٨١) دملوجي ٣٦ - ٣٧ ، زكي ٣٩٦ - ٣٩٨ ، لونكرك ١٩٧

(٤٨٢) دملوجي ٣٧ - ٣٨ ، زكي ٣٩٨

(٤٨٣) دملوجي ٤٥ – ٤٦ ، زكي ٣٩٨ ، صايغ ٣٠٩ ، العزاوي ٧ : ٣٥– ٣٧ ؛ اسماعيل باشا بن طيار باشا كان حاكما في عهد علي رضا باشا فأبقى أخاه رهينة في بغداد . غضب الوزير وعزله بالقوة واعتقله وأخاه وعين محمد سعيد باشا حاكما مكانه فأخرجه محمد كور باشا الصوراني .

(٤٨٤) زكي ٣٩٨ ، صايغ ٣٠٩ ، ٣١١ ، العزاوي ٧ : ٣٢ – ٣٧

(٤٨٥) دملوجي ٤٨ ، زكي ٣٩٩ ، صايغ ٣١٢–٣١٣ ، العزاوي ٧ : ٣٢– ٣٧ ، لونكرك ٢٧٢

(٤٨٦) زكي ٤١٨ ، زكي (السليمانية) ٦٣ ، الصوفي ٢١ ، العزاوي ٥ : ١٣٠

(٤٨٧) زكي ٤١٨ ، زكي (السليمانية) ٦٤ – ٦٧ ، العزاوي ٥ : ١٩١ ، لونكرك ١١٩

(٤٨٨) زكي ٤١٨ ، زكي (السليمانية) ٦٧–٧٣ ، الصوفي ٢٢ ، العزاوي ٥ : ٢١٩ ، لونكرك ١٤٩

(٤٨٩) زكي ٤١٨ ٤٢٩ ، زكي (السليمانية) ٧٣ - ٧٥ ، ٧٧ ، العزاوي ٥ : ٢٧٩ – ٢٨١ ، ٦ : ٢٢ ، ٢٤ – ٢٧ ، لونكرك ١٤٩ – ١٥٠ ، ١٦٨

(٤٩٠) زكي ٤١٩ ، زكي (السليمانية) ٧٥ - ٧٩ ، العزاوي ٦ : ٣٤ - ٣٦ ، لونكرك ١٦٨

(٤٩١) زكي (السليمانية) ٧٩–٨٠ ، العزاوي ٦ : ٤٤- ٤٥ ، لونكرك ١٦٨

(٤٩٢) زكي (السليمانية) ٨١ ، العزاوي ٦ : ٤٥ – ٤٦

(٤٩٣) زكي (السليمانية) ٨١–٨٤ ، الصوفي ٢٤–٢٦ ، العزاوي ٦ : ٤٦ – ٥٠ ، لونكرك ١٦٩ ، ١٧١ - ١٧٢

(٤٩٤) زكي (السليمانية) ٨٤–٨٨ ، الصوفي ٤٢ - ٤٤ ، ٤٨ ، العزاوي ٦ : ٦٦ - ٦٧ ، ٧٥ ، ٧٨؛ لونكرك ١٧١– ١٧٢

(٤٩٥) زكي (السليمانية) ٨٨ - ٩٠ ، الصوفي ٥٧ ، العزاوي ٦ : ٨٧ - ٨٨

(٤٩٦) ابن سند ١٤ ،زكي (السليمانية) ٩١،العزاوي : ٨٨،لونكرك١٩٣،١٩٥

(٤٩٧) زكي (السليمانية) ٩٠-٩١ ، الصوفي ٥٧ - ٥٨ ، ٧٧ - ٧٨ ، العزاوي ٦ : ٨٨ - ٨٩ ، ٢٠٥؛ لونكرك ١٩٥

(٤٩٨) ابن سند ١٤، زكي (السليمانية): ٩٠–٩٣ ، الصوفي ٥٧–٥٨ ،العزاوي

٩ : ٨٩ - ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٠ - ١٠١، لونكرك ١٩٥ - ١٩٦

(٤٩٩) ابن سند ١٧-١٨ ، زكي (السليانية) ٩٤ - ٩٨؛الصوفي ٦٢ - ٦٧ ، العزاوي ٦ : ١٠١ ، ١٠٤ - ١٠٨ ، ١٢٠ ، لونكرك ١٩٦ .

(٥٠٠) زكي (السليانية) ٩٨ - ١٠٤ ، العزاوي ٦ : ١٢٠ - ١٢١ ، ١٤٣ ، لونكرك ١٩٦

(٥٠١) زكي (السليانية)١٠٤-١٠٧، العزاوي٦ : ١٥١-١٥٢؛ لونكرك٢١٩

(٥٠٢) زكي ، (السليانية)١٠٧-١٠٩، الصوفي ٩٧ - ٩٩ ، العزاوي٦: ١٦٤- ١٦٥ ؛لونكرك ٢١٩

(٥٠٣) زكي (السليانية) ١٠٩ - ١١٥ ، الصوفي ٩٩ - ١٠٢ ، ١٠٩ - ١١١ ، العزاوي ٦ : ١٧١ ، ١٨١ ، ١٨٤ - ١٨٦ ، لونكرك ٢١٩

(٥٠٤) زكي (السليانية) ١١٥ - ١١٩، الصوفي ١٢٧ ، ١٣١ - ١٣٢ ،العزاوي ٦ : ١٩٨، ٢٠٠ ، لونكرك ٢١٤

(٥٠٥) زكي (السليانية) ١٢٤ - ١٢٧ ، الصوفي ١٣٦ - ١٣٨ ، العزاوي ٦ : ٢٠٧ ، ٢٠٩ - ٢١٢ ،لونكرك ٢١٥

(٥٠٦) زكي (السليانية) ١٢٧ - ١٣٤، الصوفي ١٣٨ - ١٤٠ ؛ العزاوي ٦ : ٢١٢ - ٢١٤ ، ٢٢٠ ؛ لونكرك ٢٢١

(٥٠٧) زكي (السليانية) ١٣٤ - ١٣٥ ،الصوفي ١٤٧ - ١٤٨ ، العزاوي ٦ : ٢٢٠ - ٢٢٢ ، ٢٢٥ - ٢٣٢ ، لونكرك ٢٢٣

(٥٠٨) زكي (السليانية) ١٣٦ - ١٣٨ ، الصوفي ١٤٩ - ١٥١ ، العزاوي ٦ : ٢٣٢ - ٢٣٤ ،لونكرك ٢٢٣ - ٢٢٤

(٥٠٩) زكي (السليانية) ١٣٩ - ١٤٢ ، الصوفي ١٥٧ - ١٦١ ، العزاوي ٦ : ٢٥٠ - ٢٥٥

(٥١٠) الصوفي ١٧٠ ، العزاوي ٦ : ٢٥٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩

(٥١١) زكي (السليانية) ١٤٣ - ١٤٨ ، الصوفي ١٧٠ - ١٧٦ ، العزاي ٦ :

٢٧١ - ٢٧٧ ؛ ٢٧٩ - ٢٨٢

(٥١٢) زكي (السليمانية) ١٤٨ - ١٥٢ ، العزاوي ٧ : ٤٨

(٥١٣) زكي (السليمانية) ١٥٢ - ١٥٨ ، العزاوي ٧ : ٤٨ ؛ لونكرك ٢٧٣

(٥١٤) زكي (السليمانية) ١٥٨ - ١٦٢ ؛ العزاوي ٧ : ٤٨ - ٤٩ ؛ لونكرك ٢٧٣ - ٢٧٤

(٥١٥) الدملوجي ٤٤ - ٤٧ ، زكي (الدول الكردية) ٤٠٦ - ٤١٦ ؛ صايغ ٣٠٦ - ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ - ٣١٧ ؛ العزاوي ٧ : ٣٢ - ٣٥ ، ٢٤ - ٢٥ ، لونكرك ١٥٠ ، ١٩٧ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ، عرفت بالامارة السورانية . مؤسسها بغدادي يدعى كولوس خلفه ابنه عيسى ولقب انصاره باصحاب الصخرة الحمراء = السوران . وخلف عيسى ابنه شاه علي بك الذي قسم الامارة بين اولاده ولكن استقل بها احدهم وقسمها بدوره بين اولاده. واعدم السلطان سليمان القانوني اميرها عز الدين شير عام ١٥٣٤/٩٤١ واقطعها الحسين الداسني اليزيدي . واستعاد الامير سيف الدين الامارة ولكن اعدمه العثمانيون وعينوا احد اقاربه ، الامير قلي بك ، الذي حكم عشرين عاماً . وخلفه ابنه بودان فانتزع الحكم الابن الآخر سليمان الذي نال اعتراف السلطان مراد عام ٩٩٤ هـ . وخلف سليمان ابنه علي . وكانت الامارة على نزاع دائم مع البابانيين . وخلف علي ابنه اوغوز بك الذي جعل راوندز عاصمته عام ١٢٠١/١٧٨٧ . وخلفه ولداه احمد واوغوز ثم انتقل الحكم الى مصطفى بن اوغوز الذي تنازل لابنه محمد كور باشا . وبعد اعدام كور باشا انتقل الحكم الى اخيه احمد بك الذي قتل فخلفه اخوانه سليمان بك ثم رسول باشا حاكم العمادية الذي جردت ضده حملة عثمانية ثم عفي عنه بوساطة ايران وفرضت عليه الاقامة في بغداد وتوفي بارضروم عام ١٣٠١ .

(٥١٦) لونكرك ٢٧٢

(٥١٧) الدملوجي ٤١ - ٤٤ ، مركيس ٢٣١ -٢٣٥ ، صايغ ٣٠٧ - ٣٠٩ ، ٣١٧ - ٣٣٢ ، الصوفي ٩٣ ، ١١٢ ، العزاوي ٥ : ٢٤٥ ، ٦ : ٢٨ - ٢٩ ، ١١١ ، ١٥٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٩٢ ، ٧ : ٢٤ - ٢٥ ، ٣٢ - ٣٣ ، ٧١

(٥١٨) زكي (السليمانية) ١٦٣

(٥١٩) ابن سند ١٩ ، ٢٧ ، الصوفي ٦٩ - ٧٢ ، العزاوي ٦ : ١١٠ - ١١١ ، ١١٤ ، ١٤٠ ؛ لونكرك ١٩٨ - ١٩٩

(٥٢٠) الصوفي ٨٨-٩١ ، لونكرك ١٧٧ - ١٧٩ ، ١٨٣ - ١٨٤ ، ١٩١ ، ٢١٥ ، ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ماسون ٥٤١

(٥٢١) لونكرك ١٧٦ - ١٧٧ ، ٢٤٠-٢٤١ ، ماسون ٥٤٥

(٥٢٢) العمري ٣٠ - ٣١ ، ماسون ٥٥٠

(٥٢٣) العمري ٣٠ ؛ غنيمة (تجارة) ٦٧-٦٨ ؛ ماسون ٥٥٠ - ٥٥١

(٥٢٤) الصوفي ١٠٦ ، ١٠٨ ، لونكرك ٢٤٧

(٥٢٥) ابن سند ٢٢ - ٢٣ ، مركيس ٧٠؛ الصوفي ٧٥-٧٧ ؛ العزاوي ٦ : ١٢١ - ١٢٦ ، لونكرك ٢٠١ - ٢٠٢

(٥٢٦) ابن سند ٢٤ - ٢٦ ؛ العزاوي ٦ : ١٢٦-١٣٦ ؛لونكرك٢٠٣-٢٠٤

(٥٢٧) لونكرك ٢٠٤

(٥٢٨) ابن سند ٢٧ - ٢٨ ؛ الصوفي ٧٧ - ٧٩ ؛ العزاوي ٦: ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٤ - ١٤٥ ، لونكرك ٢٠٤

(٥٢٩) الصوفي ٩٦ - ٩٧ ، لونكرك ٢١٧ - ٢١٩

(٥٣٠) الصوفي ٢٠ ، ٨١ ، ٩٤، العزاوي ٦ : ٤٢ - ٤٤ ، ٥٥ ، ١٤٣ ، ١٥٧ ، ٢٧٨ ، ٣١١ ؛ لونكرك ٢٥٢ - ٢٦٠

(٥٣١) العزاوي ٧ : ٤٩ - ٥٦ ، ٥٩ - ٦٣ ، لونكرك ٢٦٨

(٥٣٢) العزاوي ٧ : ٨٣ ، لونكرك ٢٦٩

(٥٣٣) العزاوي ٧: ٤١–٤٨ ، لونكرك ٢٦٨
(٥٣٤) العزاوي ٧: ٣٠ – ٣١
(٥٣٥) العزاوي ٧ : ٤١
(٥٣٦) العزاوي ٧ : ٤١ – ٤٥ ، لونكرك ٢٦٦–٢٦٧
(٥٣٧) العزاوي ٧: ١٤ –١٧، ٢٥، ٦٤–٦٩، ٨٨ ، ٨٩؛ لونكرك ٢٦٨- ٢٦٩
(٥٣٨) العزاوي ٧: ٨٨ - ٩١، ٩٧ - ١٠٢
(٥٣٩) العزاوي ٧ :٩٨ - ٩٩، ١٥٠
(٥٤٠) العزاوي ٧: ١٠٢، ١٠٥، ١١٠ –١١٥ ، لونكرك ٢٧٠
(٥٤١) العزاوي ٧: ١٠٦، لونكرك ٢٦٩ - ٢٧٠
(٥٤٢) العزاوي ٧: ١١٦ - ١٢١، ١٢٧
(٥٤٣) العزاوي ٧: ١٢٨ – ١٣٠، ١٣٢–١٣٣
(٥٤٤) العزاوي ٧ : ١٣٠–١٣١، ١٣٤
(٥٤٥) العزاوي ٧: ١٣٤ –١٣٦، ١٣٨
(٥٤٦) العزاوي ٧: ١٣٧ ، ١٤٠، ١٥١
(٥٤٧) العزاوي ٧: ١٥٣– ١٥٤
(٥٤٨) العزاوي ٧: ١٥٤–١٥٧
(٥٤٩) العزاوي ٧ : ١٦٠
(٥٥٠) العزاوي ٧: ١٦٠ ، لونكرك ٤٨٤
(٥٥١) العزاوي ٧: ١٦٢
(٥٥٢) العزاوي ٧: ٦٢ - ١٦٤
(٥٥٣) العزاوي ٨: ٢١، ٢٨، ٣٥، ٤١، ١٣٢
(٥٥٤) العزاوي ٨: ١٥٣
(٥٥٥) العزاوي ٨: ٢٢، ٢٩، ٣٦ - ٣٧، ٤٢–٤٣
(٥٥٦) العزاوي ٨: ٢٩–٣٠

(٥٥٧) العزاوي ٨: ١٣٣

(٥٥٨) « ٨: ١١٦، ١٣٣، ١٣٤

(٥٥٩) « ٨: ١٥٤

(٥٦٠) « ٨: ١١٦، ١٣٣، ١٥٤

(٥٦١) « ٨: ٩٧-٩٨

(٥٦٢) « ٧: ١٥٢، ١٦٧ - ١٧١، ٢٧٥، لونكرك ٢٩٨

(٥٦٣) « ٨: ١٣، ٥٠

(٥٦٤) سركيس ٧٤، العزاوي ٧: ٣٠، ٩٤- ٩٥، ٢٨٢، ٨: ١٩، ٩٢- ٩٣

(٥٦٥) العزاوي ٨: ٤٥

(٥٦٦) « ٧: ٢٤٥ - ٢٥٤

(٥٦٧) « ٧: ٢٥٠ - ٢٥٣

(٥٦٨-٥٦٩) العزاوي ٨: ١١

(٥٧٠) العزاوي ٨: ١٧-١٨، ٣٨، ٣٦، لونكرك ٢٩٣ - ٢٩٤

(٥٧١) ايرلند ٥٨، ٦٠، لونكرك ٣٠٣، (العراق - ١٩٥٠) ٣٦

(٥٧٢) ايرلند ٥٨، لونكرك ٢٧٦، ٢٩٣

(٥٧٣) العزاوي ٧: ١٠٦، ١٠٩، ١١١، ٨: ٣١، ٣٨، ٧٠، ٧٤، ٨٥، ٨٦، ٩٦، ٩٩- ١٠٤، ١٥٦، لونكرك ٢٩٧، الماردبني ٩٦

(٥٧٤) العزاوي ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٧٨، ٨: ٤٠، ١٥٥

(٥٧٥) « ٨: ٤٠، ١٢٣، ١٥٥

(٥٧٦) « ٨: ٤٦، ١٢١

(٥٧٧) « ٧: ١٥٥، ١٩٩، ٢٤٠ - ٢٤١، ٢٥٩

(٥٧٨) الاعظمي بغداد ٢٤٠، العزاى ٨: ٦٥

(٥٧٩) العزاوي ٧: ١٧٤، ٨: ١٧، ٤٠، ١٢٥

(٥٨٠) « ٨: ٧٠، ٢٠١

(٥٨١) العزاوي ٨ : ٧٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٢٥

(٥٨٢) الاعظمي بغداد ٢٣٩ ، العزاوي ٧ : ٢٥٩ — ٢٦٠

(٥٨٣) العزاوي ٧ : ١٧٨ — ١٧٩

(٥٨٤) » ٨ : ١٥٦ - ١٥٧

(٥٨٥) الاعظمي بغداد ٢٣٩، العزاوي ٧ : ٢٠٦ - ٢٠٧، ٨ : ٤٤، ١٥٧، ١٧٢، ٢٤٥، ٣١٦

(٥٨٦) العزاوي ٧ : ٢٦، ١٦٧، ٨ : ٢٦ - ٢٧، ٣٤، ٤٧، ٧١، ٨٦، ١٥١، لونكرك ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧، ٢٦٩ - ٢٦٧، ٢٦٠، ٢٩٨ - ٢٩٩

(٥٨٧) العزاوي ٧ : ١٣٨ — ١٣٩، ٨ : ٦١

(٥٨٨ - ٥٨٩) سركيس ٢ : ٢٧٣

(٥٩٠) العزاوي ٧ : ٣٨ — ٤٠، لونكرك ٢٦٥

(٥٩١) » ٧ : ٧٨ - ٨٢، ٢٦٣

(٥٩٢) » ٧ : ٣٩

(٥٩٣) » ٧ : ٢٤١، ٢٦٤، ٨ : ٥٩، ١٩٧، لونكرك ٢٧٧

(٥٩٣ مكرر) العزاوي ٧ : ١٨ - ١٩، ٢٧، لونكرك ٢٧١، ٢٧٧

(٥٩٥) العزاوي ٧ : ٩٨، ١٤٠ - ١٤١، ٢١٣، ٢٦١ - ٢٦٤

(٥٩٦) » ٧ : ١٤٠ - ١٤١، ٨ : ١٤، ٣٩، ٨٦، ١٠٣؛ لونكرك ٢٩٥،

(٥٩٧) » ٨ : ١١٩

(٥٩٨) » ٨ : ٧٢، ٧٦، ١٠٣، ١٣٧

(٥٩٩) ابن بشر ٢ : ٤٠ - ٤١، سركيس ٢ : ٢٨١؛ العزاوي ٨ : ١٧ - ١٩

(٦٠٠) ابن بشر ٢ : ٤٠ - ٤١، ٤٥، ١٠٩، اشترك بالنزاع ماجد بن حمود وعيسى بن محمد السعدون، وحاصر عيسى الزبير سبعة اشهر (١٢٤٨ - ١٢٤٩) واحتلها وقتل زعيم آل راشد وتوفي محروقا بعد عشرة اعوام، سركيس ١ : ٧ العزاوي ٧ : ٩٣

(٦٠١) العزاوي ٧: ١٠٥ ، عشائر ٤: ١١٣

(٦٠٢) سركيس ٧٤ – ٧٥ ، العزاوي ٧: ١٣٢

(٦٠٣) « ٧٦، العزاوي ٧: ١٤٣ – ١٤٥

(٦٠٤) « ٧٦–٧٧ ، العزاوي ٧ : ١٤٥ – ١٥٠

(٦٠٥) « ٧٩ ، العزاوي ٧: ١٩٢ - ١٩٩ ، اونكرك ٢٩٤

(٦٠٦) العزاوى ٧: ١٩٣ – ١٩٦، لونكرك ٢٩٤

(٦٠٧) « ٧: ٢٣٦ - ٢٣٩ ، لونكرك ٢٩٤

(٦٠٨) سركيس ١: ٧٩

(٦٠٩) العزاوى ٨ : ٢٣

(٦١٠) « ٨: ٣٤

(٦١١) « ٧: ٣٩، ٧٦

(٦١٢) « ٨: ٣٩– ٤٠

(٦١٣) « ٨: ٤٩

(٦١٤) « ٨: ٥٣ – ٥٨

(٦١٥) « ٨: ٧٨، ١٢٥

(٦١٦) سركيس ١–٧

(٦١٧) ايرلند ١٧٧ – ١٧٨ ، العزاوى ٨: ٢٢١ – ٢٢٢، ٢٣٠ ، ٢٧٩

(٦١٨) العزاوى ٧ : ١٢٨ – ١٢٩

(٦١٩) « ٧: ١٣٦ – ١٣٧ ، ٨ : ١٣

(٦٢٠) « ٨: ٣٨

(٦٢١) « ٨: ٣٨– ٣٩، ١٨٧

(٦٢٢) « ٨: ١٩٧، ٢٧٧

(٦٢٣) « ٧ : ١٠٦

(٦٢٤) « ٧ : ١٨٠

(٦٢٥) العزاوي ٨ : ١٢

(٦٢٦) « ٨ : ١١١ ، ١٥٥

(٦٢٧) صايغ ٣٠٦ ، العزاوي ٧ : ٢٨؛ لونكرك ٢٧١ ،

(٦٢٨) « ٣٠٨ – ٣١١ ، ٣١٣ – ٣١٤ ، العزاوي ٧ : ٣٠ ، ٦٩ – ٧٠ ، لونكرك ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١

(٦٢٩) صايغ ٣١٤ – ٣٢١ مع قائمة بأسماء الولاة ، العزاوي ٧ : ٣٠ ، ٤٠ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨ : ٤٣ ، ٦٣ ، ٦٩ ، لونكرك ٢٦٦

(٦٣٠) صايغ ٣٢١ ـ ٣٢٥،العزاوي٨:٦٩،لونكرك (العراق ـ ١٩٥٠) ٢٠

(٦٣٠مكرر) زكي السليمانية ١٦١ – ١٦٢ ، ١٧٣ ، العزاوي ٧ : ٤٨ – ٤٩ ، ٩١ ؛ لونكرك ٢٧٣ – ٢٧٤ ، (العراق ـ ١٩٥٠) ٩ ، ١٥

(٦٣١) صايغ ٣٠٦ – ٣٠٧ ، ٣١٢ – ٣١٣ ، العزاوي ٧ : ٢٤ – ٢٥ ، ٣٢ – ٣٥ ، لونكرك ٢٧١ – ٢٧٢

(٦٣٢) لونكرك ٢٧٢

(٦٣٣) الأعظمي بغداد ٢٤٩ – ٢٥١ ، العزاوي ٨ : ١٦٠ – ١٦٤

(٦٣٤) العزاوي ٨ : ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٨ – ١٧٢

(٦٣٥) « ٨ : ٢١٢ – ٢١٤

(٦٣٦) « ٨ : ٢٣٩ – ٢٤١

(٦٣٧) « ٨ : ٢٠٩ ، ٢٢٦ ، ٢٧١

(٦٣٨) « ٨ : ١٦٠ – ١٦١ ، ١٧٢ – ١٧٣

(٦٣٩) « ٨ : ١٦٧

(٦٤٠) « ٨ : ١٧٣ ، ٢٢٢ – ٢٢٣

(٦٤١) « ٨ : ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٨ – ١٧٩ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠

(٦٤٢) العزاوي ٨ : ٢٢٥

(٦٤٣) « ٨ : ١٨٣ ، ١٩١ ، ٢٠٩ – ٢١٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤٠

(٦٤٤) « ٨ : ١٩١ ، ٢١٠ ، ٢٢٧

(٦٤٥) « ٨ : ٢٤٢ – ٢٤٥

(٦٤٦) « ٨ : ٢١٠ ، ٢٢٧

(٦٤٧) « ٧ : ١٧٧ ، لونكرك (العراق ١٩٠٠ – ١٩٥٠) ٣٦

(٦٤٨) لونكرك (العراق ١٩٠٠ – ١٩٥٠) ٣٦

(٦٤٩) العزاوي ٨ : ٢٠٥

(٦٥٠) « ٨ : ١٩١

(٦٥١) « ٨ : ٢٢٧

(٦٥٢) « ٧ : ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦

(٦٥٣) « ٧ : ٨٥ ، ٩٩ – ١٠٠

(٦٥٤) « ٧ : ١٣٤

(٦٥٥) « ٧ : ٢٠٠ – ٢٠٢ ؛ لونكرك ٣٠٠

(٦٥٦) « ٧ : ١٣٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

(٦٥٧) الحصري ١٤٨ – ١٤٩ ، العزاوي ٨ : ١٨١ ، لونكرك ٣٠٠

(٦٥٨) العزاوي ٧ : ٣٠

(٦٥٩) الحصري ٧٢ – ٧٣ ، العزاوي ٧ : ٣٠

(٦٦٠) العزاوي ٧ : ٢١ ، ٦٥ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٨٦ ؛ ٨ : ١٠٧ ، ١٧٢

(٦٦١) « ٨ : ١٢٣ – ١٢٤ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٥ – ١٩٦

(٦٦٢) الحصري ١٥٢ – ١٥٣ ، ١٤٩

(٦٦٣) العزاوي ٨ : ١٩١ – ١٩٢

(٦٦٤) لونكرك ٢٩٩ – ٣٠٠ ، (العراق – ١٩٥٠) ٣٨

(٦٦٥) « ٢٧٥ – ٢٧٨ ، ٢٩٣ ، (العراق – ١٩٥٠) ٣٢

(٦٦٦) العزاوي ٧ : ٢٠٧ – ٢٢٠

(٦٦٧) « ٨ : ٥٣ – ٥٨

(٦٦٨) « ٨ : ١٩٧ – ١٩٨

(٦٦٩) « ٨ : ١٩٨ – ٢٠٠

(٦٧٠) « ٨ : ٢١٦ – ٢١٩

(٦٧١) « ٨ : ٢٣٠

(٦٧٢) « ٨ : ٥٣

(٦٧٣) « ٨ : ٣٤ – ٣٥

(٦٧٤) « ٨ : ٥٦ – ٥٧

(٦٧٥) « ٨ : ٦٨

(٦٧٦) ايرلند ١٧٦ ، العزاوي ٨ : ١٦٦

(٦٧٧) العزاوي ٨ : ٢٠٤ – ٢٠٥

(٦٧٨) ايرلند ١٧٧ – ١٧٨ ، ١٨٠ ، العزاوي ٨ : ٢٣٨ – ٢٣٩ ، ٢٥٠

(٦٧٩) ايرلند ١٧٧ – ١٧٨ ، لونكرك (العراق – ١٩٥٠) ٤٥

(٦٨٠) ايرلند ١٧٨ ، العزاوي ٨ : ٢٤٦ ، لونكرك (العراق – ١٩٥٠) ٤٥

(٦٨١) ايرلند ١٧٩ – ١٨١

(٦٨٢) ايرلند ١٨١

(٦٨٣) العزاوي ٨ : ٢٦٠ – ٢٦١

(٦٨٤) « ٧ : ١٧٩ ، ٨ : ٤٤ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ٢٢٢ ، لونكرك ٣٠١ – ٣٠٢ ، (العراق – ١٩٥٠) ١٨ – ١٩ ، ٥٣

(٦٨٥) العزاوي ٧ : ١٥٠ – ١٥١ ، ٨ : ٣٢٣ – ٣٢٤ ؛ لونكرك ٢٨١ – ٢٨٢ ، ٣٠٥ ، لونكرك (العراق – ١٩٥٠) ٣٢ – ٣٣ ، ٥٩ – ٦١

(٦٨٦) العزاوي ٧ : ٢٩ ، ٥٧ ، ١٠٩ ؛ غنيمة (تجارة) ٨٢ – ٨٤ ، لونكرك ٢٧٨ – ٢٨٠ ، ٣٠٤ – ٣٠٥ ، لونكرك (العراق – ١٩٥٠) ٣٣ ، ٣٤ ، ٦١ – ٧٢

(٦٨٧) العزاوي ٧ : ١٣٢ ، ١٥٣ ، ٨ : ٢١ ، ٢٣٩ ؛ غنيمه (تجارة) ٨٥ - ٨٦ ، لونكرك ٢٨٢ - ٢٨٣ ، ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ماروديني ٦٣ ؛ لونكرك (العراق - ١٩٥٠) ٣٤

(٦٨٨) العزاوي ٨ : ١٤٢ ، ٢٤٩ ، لونكرك (العراق - ١٩٥٠) ٣٣ - ٣٤

(٦٨٩) « ٨ : ٢٤٧ - ٢٤٩ ، لونكرك (العراق - ١٩٥٠) ٦٢ - ٦٤

(٦٩٠) « ٧ : ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٠٦ - ٢٠٧ ؛ لونكرك ٣٠٢ - ٣٠٣

(٦٩١) صابات ٢٧٩-٢٨٠ ، ٢٨١ ، العزاوي ٨ : ٤٠ ، ٤٤ ، ٦٤ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٩ - ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٨

(٦٩٢) صابات ٢٨١ - ٢٨٨ ، العزاوي ٧ : ١٧١

(٦٩٣) ايولند ١٧٢ - ١٧٣ ، ١٧٦ ؛ صابات ٢٧٠ - ٢٧٧

(٦٩٤) ايولند ١٧٤ - ١٧٥ ، لونكرك (العراق - ١٩٥٠) ٤٣

(٦٩٥) ايولند ١٧٥ - ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ - ١٨١ ، المقدسي ٢٤ - ٢٧

(٦٩٦) العزاوي ٧ : ٢٦١ - ٢٧٠ ، ٢٧٧ - ٢٧٩ ، ٢٨١ - ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ - ٢٩٣

(٦٩٧) العزاوي ٨ : ٣٠٢ - ٣١٠

(٦٩٨) العزاوي ٨ : ٢٢٩ - ٢٢٣ ؛ قلعه جي ١٣ ، ولسن ٢٤٩ ؛ وهبة ٧٦ - ٧٧

(٦٩٩) رشيد ١١ - سجل الكويت ١٣ ؛ دركيس ١ : ٢٧٧ - ٢٧٩ ، العزاوي ٧ : ٢٣١

(٧٠٠) العزاوي ٨ : ٢٣٠ - ٢٣١ ؛ ولسن ٢٤٩ ؛ وهبة ٧٢ - ٧٣

(٧٠١) ولسن ٢٥٠ ؛ وهبة ٨٣

(٧٠٢) ابن بشر ١ : ٧٦ ؛ سجل الكويت ٧

(٧٠٣) ولسن ٢٥٠ ، وهبة ٨٣

(٧٠٤) ولسن ٢٥٠ ؛ وهبة ٨٣ - ٨٤

(٧٠٥) سجل الكويت ٨ ؛ ولسن ٢٥١ ؛ وهبة ٨٤

(٧٠٦) سجل الكويت ٨ ؛ العزاوي ٧ : ٢٣١ ـ ٢٣٢ ؛ قلعه‌جي ١٥

(٧٠٧) سجل الكويت ٨ ـ ٩ ؛ وهبة ٨٥ ، ٢٣٨

(٧٠٨) ايرلند ١٦ سجل الكويت ٩ ـ ١٠ ؛ ولسن ٢٥٢ ، وهبة ٨٥ ـ ٨٦
٢٣٨ ـ ٢٣٩

(٧٠٩) ايرلند ١٩ قلعه‌جي ١٥ ؛ ولسن ٢٥٢ ؛ وهبة ٨٥

٧١٠) سجل الكويت ١٠ ؛ قلعه‌جي ١٥ ؛ ولسن ٢٥٢ ؛ وهبة ٨٦

(٧١١) سجل الكويت ١٠ ؛ ولسن ٢٥٢ ؛ وهبة ٨٧

(٧١٢) سجل الكويت ١٠

(٧١٣) العزاوي ٨ : ٢٣٧

(٧١٤) قلعه‌جي ١٦

(٧١٥) لونكرك (العراق ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠) ١٦ ، ٦٩

(٧١٦) العزاوي ٨ : ٢:٥ ؛ وهبة ٨٧

(٧١٧) سجل الكويت ١١ ـ ١٢ ؛ ولسن ٢٥٢ ؛ وهبة ٨٧

(٧١٨) سجل الكويت ١٢ ؛ هاي ١٠١ ؛ وهبة ٨٧ ـ ٨٨

(٧١٩) وهبة ٦٩ ـ ٧١ ، ٧٣ ـ ٧٥ ؛ مرت الاحساء بالعهود التالية
اولاً ـ سلالة اجود حتى ١٠٠٠/١٥٩٢
ثانياً ـ الدور العثماني الاول ١٥٩٢ـ ١٠٧٩/١٦٦٩
ثالثاً ـ امارة بني خالد ـ ١٢٠٨/١٧٩٣
رابعاً ـ الدور الوهابي الاول ـ ١٢٧٩/١٨٧١ خضعت خلالها فترات
قصيرة لابراهيم باشا وداود باشا وبني خالد وخورشيد باشا
خامساً ـ الدور العثماني الثاني ـ ١٣٣١/١٩١٣
سادساً ـ الدور الوهابي الثاني ١٩١٣ ـ اليوم انظر ص٣٦٨-٣٧٢

(٧٢٠) ابن بشر ١ : ٦٥ ؛ فلبي ١١

(٧٢١) مايلز ١٧٠ ؛ ولسن ١٢٥

(٧٢٢) ولسن ١٢٥

(٧٢٣) ابن بشر ٦٥ ؛ العزاوي ٥ : ٧٤ - ٧٥ ؛ فلبي ١٢

(٧٢٤) العزاوي ٥ : ٧٥ - ٧٦

(٧٢٥) العزاوي ٥ : ٨٧

(٧٢٦) ابن بشر ١ : ٦٥ - ٦٦ ، ٨٠

(٧٢٧) ابن بشر ١ : ٨٠ ، ١٠٣

(٧٢٨) ابن بشر ١ : ١٠٣

(٧٢٩ - ٧٣٠) ابن بشر ١ : ٢١٨ ، ٢٣٥

(٧٣١) ابن بشر ١ : ١٠

(٧٣٢) « « ١ : ٤٢ ، ٤٨ ، ٦١

(٧٣٣) « « ١ : ٦٢

(٧٣٤) « « ١ : ٦٤ ، ٧٠ - ٧١ ، ٧٥ - ٧٦

(٧٣٥) « « ١ : ٨٠

(٧٣٦) « « ١ : ٨٥

(٧٣٧) « « ١ : ٩٩

(٧٣٨) « « ١ : ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، العزاوي ٦ : ١٢١ ، ١٣٦

(٧٣٩) العزاوي ٧ : ٢٥٥ - ٢٥٩ ؛ لونكرك ٢٨٧ - ٢٨٩

(٧٤٠) العزاوي ٨ : ٢٣٥ - ٢٣٧

(٧٤١) وهبة ٨٩ - ٩٨

(٧٤٢) ولسن ٢٤٥

(٧٤٣) ولسن ١٢٦

(٧٤٤) خدوري ٤٠ ؛ ولسن ٢٤٥

(٧٤٥) خدوري ٤٠ ؛ العقاد ٧٠ ، ولسن ١٧٣

(٧٤٦) ولسن ٢٤٥ - ٢٤٦ ؛ وهبة ٩٩

(٧٤٧) جزائري ٩ - ١٠ ؛ وهبة ٩٩ - ١٠٠

(٧٤٨) ابن بشر ١ : ١٢٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، خدوري ٤١ ؛ انظر ص ٣٧٤ - ٣٧٦ وهبة ١٠٢

(٧٤٩) ابن بشر ١ : ١٤٨ ، ١٥٤ - ١٥٥ ؛ العقاد ٧٠ ؛ مايلز ٣٢٢ ؛ ولسن ٢٤٦

(٧٥٠) ابن بشر ٢ : ٩٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ؛ العقاد ٩٢ - ٩٣ ، ١١٠ - ١١١ ، ١٢٣ - ١٢٦ ؛ مايلز ٣٤٣ ، ولسن ٢٤٦

(٧٥١) الجزائري ١٧ - ١٨ خدوري ٤٨ - ٤٩ ؛ العقاد ١٢٦ - ١٣٠

(٧٥٢) الجزائري ٢١ ، العقاد ١٢٩ - ١٣٠

(٧٥٣) الجزائري ٢٢ ، العقاد ١٣١ ، وهبة ١٠٠

(٧٥٤) الجزائري ٢٧ ، العقاد ٩٢ ، ١١١ ، ١٢٨ - ١٢٩ ، ولسن ٢٤٦ - ٢٤٧ وهبة ١٠٣

(٧٥٥) العقاد ١٣٠ ، ١٣٢ - ١٣٣ ، ولسن ٢٤٧ وهبة ١٠٣

(٧٥٦) ولسن ٢٤٧

(٨٥٧) ولسن ٢٤٨

(٧٥٨) ولسن ٢٤٨

(٧٥٩) الجزائري ٢٩ ، وهبة ١٠٤

(٧٦٠) هاي ٩٢ - ٩٣

(٧٦١) خدوري ٢٧ - ٣١ ؛ الجزائري ١٨ ، العقاد ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٠٩ - ١١١ ، ١٢٥ - ١٢٨

(٧٦٢) خدوري ٢٤ - ٢٧ ، ٣١ - ٣٤

(٧٦٣) الجزائري ١٩ - ٢٠ ، صقر ٧ - ١٠ ، العقاد ١ ، ١ ١٢٣ ، ١٢٩

(٧٦٤) صقر ٩ - ١١ ، العقاد ١٦٩ - ١٧٣ ، ١٧٨ ، ٢٢٧ ، ولسن ٢٤٧
(٧٦٥) البوريني ٩ ، ولسن ١٩٩ - ٢٠٠
(٧٦٦) ابن خلدون ٤ : ٧٤ - ٨٧ ، ٩٣ ، البوريني ٩٧ - ١٠٢ ، عمان الامامية ٣ ، ١١ - ١٢ ، ولسن ٨٠ - ٨١
(٧٦٧) البوريني ١٠٢ ، ١٠٣ ، عمان الامامية ٣ ، ١٢ ولسن ٨٢
(٧٦٨) عمان الامامية ٣ ، ١٣ ؛
(٧٦٩) مايلز ١٤٠ - ١٥٢ ؛ ولسن ١١١ - ١١٧
(٧٧٠) مايلز ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٦٣ ؛ ولسن ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ - ١٢٤
(٧٧١) العزاوي ٤ : ٦٨ - ٧١ ؛ مايلز ١٦٣ - ١٧١ ؛ ولسن ١٢٤ - ١٢٦
(٧٧٢) العزاوي ٤ : ٧١ - ٨١ ؛ مايلز ١٧٢ - ١٧٧
(٧٧٣) ولسن ١٢٧ - ١٢٨
(٧٧٤) ولسن ١٤٠ - ١٤١
(٧٧٥) ولسن ١٣٤ - ١٣٥
(٧٧٦) ولسن ١٢٨ - ١٣٢ ، ١٣٧
(٧٧٧) مايلز ١٧٥ ؛ ولسن ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٤٢
(٧٧٨) مايلز ١٨٧ - ١٨٨ ، ولسن ١٤٣ - ١٤٩
(٧٧٩) مايلز ١٨٧ - ١٨٨ ؛ ولسن ١٤٩ - ١٥٢
(٧٨٠) مايلز ١٩٢ - ١٩٥ ، ٢٠١ - ٢٠٥ ؛ ولسن ١٥٤
(٧٨١) مايلز ١٩٥-١٩٦ ، ٢١٠ - ٢١٥ ، ٢٢٢ ؛ ولسن ١٥٤-١٥٥
(٧٨٢) مايلز ٢١٤-٢١٧
(٧٨٣) مايلز ٢٢٢ ؛ ولسن ١٧٢-١٧٣
(٧٨٤) مايلز ٢٢٥-٢٦٥ ؛ ولسن ١٧٣
(٧٨٥) مايلز ٢٦٥ - ٢٨٥
(٧٨٦) مايلز ٢٧٩ - ٢٨٥

(٧٨٧) مايلز ٢٨٥ - ٢٩٤ ؛ ولسن ٢٣١-٢٣٣ ، انظر ص ٣٧٦- ٣٧٧ عن علاقاته بالوهابيين

(٧٨٨) ابن بشر ١ : ١٣١ ، مايلز ٢٨٧-٢٩٢، ٣٠١ ؛ ولسن ٢٣٢-٢٣٣

(٧٨٩) ابن بشر ١ : ١٣١ ، ١٣٦ ،مايلز ٣٠٣-٣٠٩؛ولسن ٢٣٣

(٧٩٠) ابن بشر ١ : ١٤١ ،١٤٢ ،١٤٦ ؛العقاد ١٣٦-١٤٣ ،مايلز ٣٠٩-٣٥٣، ولسن ٢٣٣ - ٢٣٤

(٧٩١) مايلز ٣٥١ ، ٤٩٥ - ٤٩٧ ؛ ولسن ٢٣٤

(٧٩٢) العقاد ١٤٣-١٤٦ ،ولسن ٢٣٤-٢٣٥

(٧٩٣) العقاد ١٤٦-١٤٧ ،ولسن ٢٣٦

(٧٩٤) البوريني ١٥٨-١٦٠ ،العقاد ١٤٧-١٤٨

(٧٩٥) البوريني ١٦٠ ؛ العقاد ١٤٨ ،ولسن ٢٣٦

(٧٩٦) البوريني ١٦٠-١٦٢ ؛ العقاد ١٤٩، ولسن ٢٣٦-٢٣٧

(٧٩٧) ولسن ٢٣٧

(٧٩٨) ولسن ٢٣٧-٢٣٨

(٧٩٩) ولسن ٢٣٧-٢٤٠

(٨٠٠) العقاد ١٥٠-١٥١ ، ١٥٢-١٥٣ ،ولسن ٢٣٨-٢٤٠

(٨٠١) البوريني ١٦٦

(٨٠٢) البوريني ١٦٦

(٨٠٣) البوريني ١٦٦-١٦٧ ،هاي ١٣١

(٨٠٤) البوريني ١٦٧-١٦٨ ،هاي ١٣١ ، ١٣٩

(٨٠٥) البوريني ١٦٣ ؛ مايلز ١٨٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ٢٨١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦-٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٥٢

(٨٠٦) البورينى ١٦٣ ؛ العقاد ١٤٣-١٤٦

(٨٠٧) البوريني ١٦٣ ؛ العقاد ١٤٦-١٤٧ ،ولسن٢١٨

(٨٠٨) البوريني ١٨-٥١ ؛ مايلز ٣١٢ ؛ ولسن ٢٠٦

(٨٠٩) مايلز ٢٦٩-٢٨١ ؛ ولسن ٢٠١

(٨١٠) مايلز ٢٨٨ ، ٣١١ ؛ ولسن ٢٠٢

(٨١١) مايلز ٣١٤

(٨١٢) بوريني ١٤٤ ، ١٧١ ؛ مايلز ٣١٦ - ٣١٩ ؛ ولسن ٢٠٥ ، هاي ١١٤-١١٥

(٨١٣) بوريني ١٤٥ - ١٤٨

(٨١٤) بوريني ١٤٦ ؛ ولسن ٢٠٥-٢٠٦

(٨١٥) بوريني ١٤٦ ؛ ولسن ٢٠٧-٢٠٨ ؛ هاي ١١٦

(٨١٦) بوريني ١٥١ ، ١٧٢ ؛ هاي ١٢٢

(٨١٧) بوريني ١٧٢

(٨١٨) بوريني ١٧٣

(٨١٩) بوريني ١٧٣-١٧٤

(٨٢٠) بوريني ١٧٥-١٧٨ ؛ هاي ١٦٩

(٨٢١) هاي ١٢٢ - ١٢٣ ، ١٦٩

(٨٢٢) بوريني ١٨-٢٠ ؛ هاي ١١٥ - ١١٦

(٨٢٣) هاي ١٢٦ - ١٢٧

(٨٢٤) بوريني ٥٧ ؛ مايلز ٤٤٠ ؛ هاي ١١٦-١١٨

(٨٢٥) بوريني ٥٢-٥٦ ؛ هاي ٦٣-٦٧

(٨٢٦) هاي ١١٩-١٢٠

(٨٢٧) بوريني ٦١ ؛ هاي ١٢٦

(٨٢٨) هاي ١٢٥-١٢٦

(٨٢٩) بوريني ٦٥ ؛ هاي ١٢٨

(٨٣٠) بوريني ٨٥-٨٩

(٨٣١أ) بوريني ١٤٨-١٥١ ؛ مايلز ٥٣٢ - ٥٤١أ

(٨٣٢) بوريني ١٨٣-١٩٠ ، العقاد ١٩٦ - ٢١١ ، هاي ١١٩

(٨٣٣) بوريني ١٨٠ ؛ هاي XVI ؛ ولسن ٢٠٨ - ٢٩

(٨٣٤) هاي ١٨ ، ١٢٨

(٨٣٥) هاي ١٨

(٨٣٦) هاي ٢٥ ، ١١٥

(٨٣٧) هاي ١١٥-١١٦ ، ١٧١

(٨٣٨) ابن عقيل ٥ ، اليافعي ١

(٨٣٩) ابن عقيل ١٧ ؛ هاشم ٢-٦ ؛ اليافعي ١

(٨٤٠) اليافعي ١٢٣

(٨٤١) ابن عقيل ١٧ ؛ اليافعي ١٢٥-١٢٧

(٨٤٢) هاشم ٥٥-٥٧ ؛ اليافعي ١٢٧-١٢٨

(٨٤٣) ابن عقيل ١٧ ؛ هاشم ٥٨ ؛ اليافعي ١٢٨-١٣٠

(٨٤٤) هاشم ٥٤، ٦٠-٦١ ؛ اليافعي ١٣١

(٨٤٥) هاشم ٦٢-٦٩ ؛ اليافعي ١٣٢ - ١٣٥

(٨٤٦) هاشم ٦٩-٨٦ ؛ ولتر ١٠٤ ؛ اليافعي ١٣٦-١٣٨

(٨٤٧) هاشم ٨٦-٨٨ ؛ ولتر ١٠٩ ؛ اليافعي ١٣٩-١٤٢

(٨٤٨) هاشم ٨٩-١٠٩ ؛ ولتر ١٠٩-١١١ ، اليافعي ١٤٢-١٤٦

(٨٤٩) هاشم ١٢٠-١٢٣

(٨٥٠) هاشم ١٥٧-١٦٠

(٨٥١) هاشم ١٦٨-١٧١ ، ١٧٧ ، ١٧٩ - ١٨٠

(٨٥٢) هاشم ١٧٣ - ١٧٩

(٨٥٣) ابن عقيل ١٧-١٩ ؛ هاشم ٢:٧-٢٧

(٨٥٤) هاشم ٢ : ٣٧ - ٣٨

(٨٥٥) ابن عقيل ٦٦

(٨٥٦) ابن عقيل ٧٩ ، هكنبوتام ١٤٠

(٨٥٧) فخري ١٥٣-١٥٤ ؛ الواسعي ٤٧-٤٩

(٨٥٨) مدلتون ٣ : ١٧٤ ؛ ولتر ١٠٠

(٨٥٩) فخري ١٦٢ ؛ العرشي ١٧٠ - ١٧٥

(٨٦٠) فخري ١٦٣ ؛ ولتر ١٣٥ - ١٤٨

(٨٦١) العرشي ١٧٥ - ١٧٨ ؛ الواسعي ٣٦٠ - ٣٦١ ؛ ولتر ١٤٣-١٤٨

(٨٦٢) فخري ١٦٢ ؛ العرشي ٨٠ ؛ الواسعي ٦٩ ، ٢٣١ ؛ ولتر ١٤٥

(٨٦٣) فخري ١٦٤ ؛ العرشي ١٨٦ - ١٨٨

(٨٦٤) العرشي ٨١،٩١،٩٢،١٧٧-١٧٨ ، ١٨٢ ، هكنوبوتام ١٣٢-١٣٤ ؛ ولتر ١٦٤ - ٢٠٠ ، ٢٦١

(٨٦٤مكرر) فخري ١٦٦ - ١٦٧

(٨٦٦) العرشي ١٩٢ - ١٩٧

(٨٦٧) الجرافي ١١ - ١٢ ، حمزة ٢١-٢٩ ، ٢٩٣ - ٣٩٧

(٨٦٩) ابن خلدون ٤ : ٢٢١-٢٢٥ ؛ حمزة ١٥١ - ١٥٢ ؛ حمزة عسير ٨٣ - ٨٨ ، ٩٩-١٠٠ ، عمارة ٤-٥

(٨٧٠) ابن خلدون ٤ : ٢١٣ ، الجرافي ٥ - ٥٤،العرشي ١٢-١٤، عمارة ١ ، فخري ١٥١

(٨٧١) ابن خلدون ٤ : ٢١٣ ، ابن المؤيد ٣٧ ، الجرافي ١٠٣ - ١١٠ ، فخري ١٥٢ هارس ، ٥٢

(٨٧٢) ابن خلدون ٤ : ٢١٣ ، ابن المؤيد ٣٧ ، الجرافي ٥٦ - ٥٧ ،العرشي ١٣ - ١٨ ، عمارة ٢٠؛ فخري ١٥٢

(٨٧٣) ابن خلدون ٤ : ٢١٤ ؛ ابن المؤيد ٣٨ ؛ الجرافي ٥٨ ؛ العرشي ١٣ ، ٢٢ - ٢٤ ، عمارة ١٠٠

(٨٧٤) ابن المؤيد ١١ ؛ الجرافي ٥٩ – ٦٢ ؛ فخري ١٥٢ ؛ عمارة ١٣٩ – ١٥٢ ؛ الواسعي ٢٢ ، ٢٥

(٨٧٥) ابن خلدون ٤ : ٢١٣ – ٢١٤ ؛ الجرافي ٥٥ ؛ العرشي ١٤ ؛ عمارة ٤ ، ١٠ – ١١

(٨٧٦) ابن خلدون ٤ : ٢١٤ ، ٢١٦ – ٢١٨ ؛ الجرافي ٦٢ – ٦٤ ؛ العرشي ١٤ – ١٧ ؛ عمارة ، ١٠ – ١٣ ، ٦٤ – ٩٠ ؛ فخري ١٥١ – ١٥٢

(٨٧٧) ابن خلدون ٤ : ٢١٤ – ٢١٦ ؛ الجرافي ٦٤ – ٦٩ ؛ العرشي ١٥ – ١٦ ، ٢٤ – ٢٧ ؛ عمارة ١٤ – ٤٨ ؛ فخري ١٥٢

(٨٧٨) ابن خلدون ٤ : ٢١٨ – ٢١٩ ؛ الجرافي ٦٩ – ٧٠ ؛ العبدلي ٥٤ – ٦٣ ؛ العرشي ٢١ ، ٢٧ – ٢٨ ؛ عمارة ٤٨ ؛ فخري ١٥٣

(٨٧٩) ابن خلدون ٤ : ٢٠٩ – ٢٢٠ ؛ العرشي ١٧ – ١٨ ؛ عمارة ٩٢ – ١٠٠

(٨٨٠) الجرافي ٧٣ – ٧٧ ، العبدلي ٧٦ – ٨٩ ، فخري ١٥٣

(٨٨١) الجرافي ٧٧ – ٨١ ، الخزرجي ٨٥ ، العرشي ٤٤ – ٤٨ ، فخري ١٥٣

(٨٨٢) الخزرجي ٢ : ٣٢ – ٣٤ ، ١٨٢ ، ٣٠٨

(٨٨٣) الجرافي ١٢٠ ، الخزرجي ٢ : ١٨٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ؛ العرشي ٤٩ – ٥٤

(٨٨٤) ابن المؤيد ٤٤ – ٥٥ ، الجرافي ٨٢ – ٨٣ ، العبدلي ٨٩ ؛ العرشي ٥٤ ؛ فخري ١٥٤

(٨٨٥) العبدلي ٩٠ ؛ العرشي ٥٤ – ٥٥

(٨٨٦) الجرافي ١٣١ ، ستربلنغ ٨٨ – ٨٩ ؛ العبدلي ٩١ – ٩٣ ؛ العرشي ٥١ – ٦١

(٨٨٧) الجرافي ١٣١ ، العرشي ٥٧

(٨٨٨) ابن خلدون ٤ : ٢١٣ ؛ الخزرجي ٣٥٠

(٨٨٩) ستربلنغ ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ – ٣٥

(٨٩٠) الجرافي ٨٤ - ٨٦ ، جوري ١٣٣ - ١٢٥ ؛ ستربلنغ ٨٨ - ٨٩ ؛ العرشي ٥٨ - ٦٠ ؛ فخري ١٥٤

(٨٩١) الجرافي ٨٩ ، جوري ١٢٦ ؛ ستربلنغ ٨٩ ؛ العرشي ٦٠ - ٦١ ؛ فخري ١٥٤ ؛ الواسعي ٥١

(٨٩٢) الجرافي ٩٠ - ٩١ ، العرشي ٦١ - ٦٣ ؛ المحبي ٢ : ٢١٤ - ٢١٧

(٨٩٣) الجرافي ١٣٩ ، العرشي ٦٢ - ٦٥ ؛ المحبي ٢ : ٢٩

(٨٩٤) العرشي ٦٢ ، ٦٥-٦٦ ؛ المحبي ٢ : ٢١٧

(٨٩٥) العرشي ٦٢ ، ٦٥ - ٦٧ ؛ مدلتون - ١٢١ ؛ المحبي ١ : ٤٨٥ - ٤٨٨ ؛ هارس ٥٧

(٨٩٦) العرشي ٦٦ - ٦٧ ؛ المحبي ١ : ٤١١ - ٤١٦ ، ٢ : ٣٩ - ٤٠ ؛

(٨٩٧) الجرافي ١٦٠ - ١٦٣ ؛ العرشي ٦٧ - ٦٨ ؛ فخري ١٥٤ - ١٥٦ ، ١٥٧ ؛ المحبي ١ : ١٨٠ ، احتل زيلع

(٨٩٨) العرشي ٦٩ - ٧٣ ؛ الواسعي ٥٢ - ٦٠

(٨٩٩) العرشي ٧٣ ، ٧٩

(٩٠٠) العرشي ٧٩ - ٨٠ ؛ فخري ١٥٧

(٩٠١) فخري ١٥٨ - ١٥٩ ؛ هارس ٦٥

(٩٠٢) بري ١٤ ؛ الواسعي ٧١ - ٧٣

(٩٠٣) بري ١٤ - ١٥ ؛ الجرافي ٩٤ - ٩٥ ، العرشي ٧٦ ، ١٠٥ - ١٠٧ ؛ الواسعي ١٠٦ - ١٠٩

(٩٠٤) بري ١٥ ؛ العرشي ٧٦ - ٧٧ ؛ الواسعي ١٠٩ - ١١٣

(٩٠٥) بري ١٥-١٦ ؛ الجرافي ٩٧ - ٩٨ ، العرشي ٧٧-٧٨ ؛ الواسعي ١١٤-١٤٥

(٩٠٦) بري ١٦ ؛ العرشي ٧٨ ، ٨٣ ؛ الواسعي ١٣٨ - ١٧٤

(٩٠٧) بري ١٦ ؛ الجرافي ٩٩ - ١٠٠ ، العرشي ١٧٥ - ١٨٢ ؛ العرشي ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٣ - ٨٤

(٩٠٨) الجرافي ١٠١ ، ٢١٧ - ٢١٩ ، العرشي ٨٤ - ٨٨ ؛ فخري ١٦٥ ؛ الواسعي ١٨٢ - ٢٣٠

(٩٠٩) الجرافي ٢٢٥ ،العرشي ٩٠ - ٩٣ ؛ الواسعي ٢٤٣ - ٢٦١

(٩١٠) الريحاني ١٩٤ - ١٩٨ ، العرشي ٩٢ - ٩٣ ؛ فخري ١٦٧ - ١٧٠ ؛ الواسعي ٢٦٢- ٢٦٥ ، ٣٤٢

(٩١١) ديون ٤٥ ؛ العرشي ١٠٤، ٢٣٢، ٢٣٦ ؛ فخري ١٧١ ؛هكنبوثام ٧٦

(٩١٢) خدوري (اليمن) ٦٠ ؛ العرشي ١٩٨ ، ٢٠١ -٢٠٤ ؛ فخري ١٦٩

(٩١٣) العرشي ٩٤، ٩٦، ١٩٩-٢٠٠، ٢٣١-٢٣٤ ؛فخري ١٧٣ ،الواسعي ٣٧٣

(٩١٤) حمزة (عسير) ١٠-١١ ؛ خدوري (اليمن) ٥٩ ؛العرشي ٩٥-١٠٠؛ فخري ١٦٩ ، ١٧٢ ؛ الواسعي ٢٧٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ - ٣٤٧

(٩١٥) الجرافي ٢٤٥ ،خدوري (اليمن) ٦٠ ؛ العرشي ٩٣ ، ٢٠٦ - ٢١٦ ، ٢٢٣ ؛ فخري ١٧٠ ؛ الواسعي ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٣٧٣ - ٣٧٤

(٩١٦) الجرافي ٢٦٥

(٩١٧) البراوي ٢٦ - ٣٢ ،خدوري (اليمن) ٦١ ؛ ديون ٣٦ ؛ فخري ١٧٣

(٩١٨) الجرافي ٢٥٧ - ٢٦٦ ،خدوري(اليمن) ٦٣ - ٦٧؛ ديون ٤٠ - ٤١ ؛ فخري ١٧٤ - ١٧٥ ؛ هكنبوثام ٧٣ - ٧٥

(٩١٩) الجرافي ٢٦٦ ،

(٩٢٠) حمزة ٣٥٠ - ٣٥١ ؛ وهبة ٣٦ - ٤١

(٩٢١) ابن بشر ١ : ١٢٩ ، ١٣٢ - ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٤٩، ٢١١؛ حمزة ٣٥١- ٣٥٢ ؛ فلبي ٩٩ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧

(٩٢٢) الجرافي ٩٤ ، حمزة ٣٥٢ - ٣٥٤

(٩٢٣) ابن بشر ٢ : ٤٦ ؛ الجرافي ٩٥ ، حمزة ٣٥٤ - ٢٥٦ ؛ فلبي ١٢٩ ، ١٣٠، ١٧٢، ٢٠٦، ٢١٨

(٩٢٤) الجرافي ١٠٢، ١٢٣ - ٢٢٤ ، حمزة ٣٥٦ - ٣٦٠ (عسير) ١٠، العرشي ١٠٩ - ١١٢ ؛ الواسعي ٣٣٨ - ٣٤٣ ؛ وهبة ٤١ - ٤٤، انظر ص ٤١٨

(٩٢٥) حمزة ٣٥٨ - ٣٦٠

(٩٢٦) ابن ظهيرة ٣٠٥ - ٣٠٧ ؛ الازرقي ٢٠٥ - ٢١٠، جوري ٥٤ - ٦١ : جعفر حفيد محمد الحسن استولى على مكة وتحدى الخليفة المقتدر. خلفه ابنه عيسى ثم الابن الثاني ابو الفتوح فابنه محمد شكر ثم قريبه محمد بن ابي فاتك ، حمزة ٢٩٣ ، ٣٠٥-٣٠٦ ؛ دحلان ١٦ - ١٨

(٩٢٧) ابن خلدون ٤ : ١٠٢ - ١٠٤ ؛ ابن ظهيرة ٣٠٧ - ٣٠٩ ؛ الازرقي ٢١٠ - ٢١٤ ، جوري ٦١ - ٦٣ ، ٦٦ - ٧٠ ، حمزة ٣٠٦ - ٣٠٧ ؛ دحلان ١٨ - ٢٢

(٩٢٨) ابن خلدون ٤ : ١٠٤-١٠٧، ابن ظهيرة ٣١٠-٣١٣؛ الازرقي ٢١٤- ٢١٨ ؛ جوري ٦٨ ، ٧٩ ، ٨٢ - ٨٩ ، حمزة ٣٠٧ - ٣٠٨ ؛ دحلان ٢٢ - ٢٦

(٩٢٩) ابن خلدون ٤ :١٠٧ - ١٠٨، ٥ : ٤٣٢ - ٤٣٣، جوري ٩١ - ٩٤، حمزة ٣٠٨ ؛ دحلان ٢٦ - ٢٨

(٩٣٠) ابن ظهيرة ٣١٤ - ٣١٥ ؛ ابو الفداء ٤ : ٧٣ - ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٤، ٨٩، الازرقي ٢١٩ - ٢٢١ ، جوري ٩٤ - ٩٥ ، دحلان ٢٨ - ٣٠

(٩٣١) ابن ظهيرة ٣١٦ - ٣٢٥؛ الازرقي ٢٢٢ - ٢٢٤ ، جوري ٩٥ - ١٠٢ تدخل سلطان الايلخان والخطبة له في مكة خلال ١٣٥٩ - ١٣٦٩ ، دحلان ٣٠ - ٣٤

(٩٣٢) الازرقي ٢٢٤ - ٣٤٣ ، جوري ١٠٢ - ١١١ ، دحلان ٣٤ - ٤٨

(٩٣٣) ابن اياس ١٢٤ ، جوري ١١٣ - ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٤ - ١٢٥ ، دحلان ٥٠ ، دحلان (فتوح) ٩١ - ٩٢

(٩٣٤) جوري ١٢٨ - ١٣٢ ؛ دحلان ٥٢ - ٥٣ ، (فتوح) ٩١ - ٩٢

(٩٣٥) ابن بشر ١ : ٢٣ - ٢٤ ؛ اشراف ١٣٢ ؛ دحلان ٥٦ ، ٦٠ - ٦١ ؛ المحبي ٢ : ١ - ١٤

(٩٣٦) جوري ١٣٣ ؛ دحلان ٦٢-٦٥ ؛ المحبي ١ : ١٣١- ١٣٥ ، ٣٩٠- ٣٩٤

(٩٣٧) « ١٤٢ - ١٤٥ ؛ دحلان ٦٨

(٩٣٨) « ١٤٥ - ١٥٥ ؛ المحبي ١ : ٤٣٦ - ٥٠

(٩٣٩) « ١٥٥ - ١٥٩ ؛ المحبي ١ : ١٩٠- ١٩٧

(٩٤٠) « ١٥٩ - ١٨٠

(٩٤١) « ١٨١ - ١٨٨ ؛ انظر الصفحات ٣٧٩ - ٣٨١ وهوامشها

(٩٤٢) « ١٩٣ - ٢٤٨ ؛ حمزة ٢٩٩

(٩٤٣) « ٢٤٧ - ٢٤٩ ؛ حمزة ٣٠٠

(٩٤٤) « ٢٤٩ - ٢٥٣ ؛ حمزة ٣١٥

(٩٤٥) « ٢٥٣ - ٢٦١ ، حمزة ٣١٥

(٩٤٦) حمزة ٣١٦ ، الريحاني ٦٢ - ٦٣ ؛ عبد الله ١٥- ٢٠ ؛ نصيف ٣ -٦ ؛ وهبة ١٥٠

(٩٤٧) عبد الله ٢٧ - ٢٨ ؛ نصيف ٦

(٩٤٨) سعيد ١٠٤ - ١٠٥ ؛ عبد الله ٣٤ - ٣٥

(٩٤٩) حمزة ٣١٢ - ٣١٧ ، نصيف ١٣ - ١٨

(٩٥٠) نصيف ١٢ ، ١٧ - ١٨

(٩٥١) انطونيوس ١٢٤ - ١٢٥ ؛ حمزة ٣٢١ ؛ عبد الله ٤٣-٤٩ ، ٥٩ ، ٦٧- ٧١ ، ٧٧ - ٨١ ؛ وهبة ١٥٦

(٩٥٢) جوري ٢٦٢ ، حمزة ٣١٩ - ٣٢٠ ؛ حمزة (عسير) ٣٠-٣١ ؛ سعيد ٣ : ١٣٦ ؛ عبد الله ٤٤ - ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٨ - ٦٧ ؛ نصيف ١٨ - ٢٠ ؛ وهبة ١٥١ ؛ انظر صفحة ٤٠٩ ، ٤٢٠ - ٤٢١

(٩٥٣) انطونيوس ١٢٧-١٢٨ ؛ ايرلند ١٧٢ ؛ حمزة ٣٢٢ ؛ سعيد ١٢٥ — ١٢٦؛ عبد الله ٧١ - ٧٣ ، ٨٠ - ٨١ ؛ ونجت ١٧٩

(٩٥٤) انطونيوس ١٢٦ - ١٢٧ ؛ عبد الله ٨١ - ٩٤

(٩٥٥) انطونيوس ١٢٩ ؛ دروزة ٤٩ ؛ سعيد ١٠٥ ؛ عبد الله ٤٣

(٩٥٦) انطونيوس ١٣٠ - ١٣٤ ، ١٤٣ - ١٤٤ ؛ جوري ٢٦٥ - ٢٦٩ ، زين ١٠٠ - ١٠١ ، سعيد ١٢٧ - ١٢٨ ؛ عبد الله ١٠١ — ١٠٢

(٩٥٧) انطونيوس ١٣٦ - ١٣٩ ؛ جوري ٢٧٢

(٩٥٨) انطونيوس ١٤٢ - ١٤٨ ، ١٥٠ ؛ جوري ٢٦٨ - ٢٦٩ ، سعيد ١٠٥ - ١٠٦ ؛ عبد الله ١٠٥

(٩٥٩) انطونيوس ١٦١ - ١٦٣ ؛سعيد ١٠٥ -١٠٧ ،٣: ١٥٠؛ قدري ٤٦

(٩٦٠) انطونيوس ١٥٩ - ١٦٠ ، ٤٣٣ - ٤٣٤

(٩٦١) انطونيوس ١٤٩ ، ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٥٦ -١٥٩ ؛دروزة ٤٩ ؛ سعيد ١٠٧ — ١٠٩ ؛ عبد الله ١٠٢ — ١٠٣ ؛ قدري ٤٦ ، نصيف ٤١

(٩٦٢) انطونيوس ١٨٥-١٨٧؛٤١٣-٤١٥؛الثورة ١٦٠-١٦٧،١٨٩-١٩٣ تراجم الذين اعدموا ؛ سعيد ٥٩ - ٦٠، ٦٩ -٩٣ ،قدري ٤٧، ٥٠، ٥٥ - ٥٦ ؛ نصيف ٢٩ - ٤٠

(٩٦٢ مكرر) انطونيوس ١٦٤ - ١٦٥ ، ٤١٣ - ٤١٥ ، دروزة ٥٠ - ٥٢ ، سعيد ١٣٠ - ١٣٢

(٩٦٤) انطونيوس ١٦٥ - ١٦٧ ، ٤١٥ - ٤١٦ ، سعيد ١٣٢ - ١٣٣ ، وهبة ١٥٧ - ١٥٨

(٩٦٥) انطونيوس ١٦٧ - ١٦٨ ، ٤١٦ - ٤١١ ، دروزة ٥٣ - ٥٥ ، سعيد ١٣٣ - ١٣٥

(٩٦٦) انطونيوس ١٦٨ - ١٧١ ، ٤١٩ - ٤٢٠ ، سعيد ١٣٦ - ١٣٧ ، وهبة ١٥٩ - ١٦١

(٩٦٧) انطونيوس ١٧١ - ١٧٥ ، ٤٢١ - ٤٢٧ ، دروزه ٥٥ ، سعيد ١٣٦ - ١٤٤ ، وهبة ١٦١ - ١٦٤

(٩٦٨) انطونيوس ١٨٨ - ١٩١ ، سعيد ٩٣ ، ١١٠ - ١١٧

(٩٦٩) » ١٩٠ - ١٩١ ، ١٩٣ - ١٩٥ ، الثورة ١٨٩ - ١٩٣ ، سعيد ١١٤ - ١١٧

(٩٧٠) انطونيوس ١٩٤-١٩٥ ، عبد الله ١٠٦-١٠٧ ؛ سعيد ١١٨-١١٩

(٩٧١) انطونيوس ١٩٥-٢٠٠ ؛ الثورة ١٩٤-١٩٦ ، جوري ٢٧ ، دروزة ٦٠ ؛ الريحاني ٧١ ، سعيد ١٤٥ - ١٤٧ ؛ عبدالله ١١١-١٢٥ ؛ نصيف ٤٨ - ٥٢ ونجت ١٩٠ - ١٩١

(٩٧٢) انطونيوس ٢٠٦-٢٠٧ ؛ جوري ٢٧١ - ٢٧٢ ، سعيد ١٥٨-١٥٩

(٩٧٣) انطونيوس ٢٠٥ - ٢٠٦ ؛ وهبة ٢٥١ - ٢٥٢ ، انظر صفحة ٤١٥ - ٤١٦ وصفحة ٤٢٢ عن موقف الحسين من ابن سعود

(٩٧٤) انطونيوس ٢٠٦-٢٠٧ ؛ الثورة ٢٠٤ -٢١٢ ؛ سعيد ١٦٢-١٦٥

(٩٧٥) الثورة ٢١٣-٢١٧ ، ٢٢٠-٢٢٥ ؛ سعيد ١٦٢-١٦٥

(٩٧٦) انطونيوس ٢٠٧ ؛ الثورة ١٩٨ - ٢٠٣ ؛ دروزة ٥٤ ، ٦٠ - ٦١ ؛ الريحاني ٦٤ ؛ سعيد ١٤٩ - ١٥٧ ؛ نصيف ٤٣

(٩٧٧) انطونيوس ٢١٣ ؛ الثورة ٢٣٢ - ٢٣٥ ؛ جوري ٢٧٢ ، دروزة ٦١ ؛ سعيد ٢٩٣ - ٣٠٠ ، ٣ : ١٣١ - ١٣٤ ؛ عبد الله ١٢٩ - ١٣٠ ، نصيف ٧٠-٧٤ ، انظر ص ٤١٥

(٩٧٨) انطونيوس ٢١٤ ؛ جوري ٢٧٣ ؛ دروزة ٦١-٦٢

(٩٧٩) انطونيوس ٢٤٣-٢٧٥ ولا سيما الصفحات ٢٥٣-٢٥٦ ؛ نص سايكس بيكو بالانجليزية ٤٢٨-٤٣٠ والتطمين البريطاني ٤٣١-٤٣٢ ؛ دروزة ٥٨-٥٩ ، ٣٢٩-٣٣٠ ، سعيد ١٨٨-١٩٨ نص سايكس بيكو بالعربية ، ٣١١ - ٣١٦ مفاوضات جمال باشا بواسطة الامير سعيد الجزائري ؛

وهبة ٣٢٢ ـ ٣٢٤ ونص عربي لسايكس بيكو ص ١٧١ ـ ١٧٩ ؛
قدري ٦٧ ـ ٦٩

(٩٨٠) انطونيوس ٢٣٠-٢٧٢ ؛ وهبة ١٨٦-١٩١

(٩٨١) انطونيوس ٣٢٩ ؛ حمزة عسير ٣٥ ـ ٣٨ ، سعيد ٢ : ٨ ، ٢٨ ،
٣ : ١٣٧ ـ ١٤٢ ؛ عبد الله ١٥٤-١٦٥ ، قدري ٨٨ ، ١١٣ ـ ١١٤ ؛
نصيف ٦٤ ، وهبة ٢٠٧ ـ ٢٠٩

(٩٨٢) انطونيوس ٢٨٦-٢٨٩ ؛ دروزة ٧١-٧٢ ؛ سعيد ٢ : ٢١ ، عبدالله
١٦٧ ؛ قدري ١٠٢ ، وهبة ١٦٨-١٧٩ ، ٣٣٥-٣٦٢ عن نشاط فيصل
السياسي في اوروبا

(٩٨٣) انطونيوس ٢٩٢-٢٩٤ ، ٣٠٣ ـ ٣٠٩ ، ٤٤٠-٤٤٢ ، دروزة ١١٣-
١٣٥ ، سعيد ٢ : ١٢٧ ـ ١٤٠ ، ١٦٧ ـ ٢٠٧ ، ٣ : ٣-٤ ، عبدالله
١٦٧-١٨٢ ، قدري ١٢١-١٢٢ ، ١٨١-١٨٧ ، ٢٣٩ ـ ٢٦٤ ، نصيف
٦٢-٦٧ ، وهبة ١٨٠-١٨٥

(٩٨٤) انطونيوس ٣٣١-٣٣٢ ، سعيد ٣ : ١٥٦ ـ ١٧٣ ، نصيف ٨٥-٩٢ ،
وهبة ١٩٢ ـ ١٩٤ ، ٣٦٣ ـ ٣٧٥ نص المعاهدة والرسائل المتبادلة

(٩٨٥) انطونيوس ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، ٣٣٢ ـ ٣٣٤ ، ٤٣٧ ـ ٤٣٩ نص اتفاقية
فيصل وايزمن ، سعيد ٣ : ١٧٥ ـ ١٨١ ، قدري ٩٧ ـ ٩٨ عن اتفاقية
فيصل وايزمن ، نصيف ٨٨-٩٦ ، وهبة ١٩٤-٢٠٠

(٩٨٦) سعيد ٣ : ١٧٤ ، نصيف ٩٨

(٩٨٧) انطونيوس ٢٣٦-٢٣٧ ، سعيد ٣ : ١٨٢ ـ ١٨٦ ، ٢٠٨ ـ ٢١٧ ،
نصيف ١٢١

(٩٨٨) سعيد ٣ : ١٨٧-٢٠٧ ، ٢١٨ ـ ٢٢٠ ، ٣ : ٦٠٨ ، نصيف ١٢١-٢١١

(٩٨٩) حمزة ٩-١٦ ، الريحاني ١٢-٢٠ ، وهبة ٤٥ ، ٤٨ ـ ٦٧

(٩٩٠) حمزة ٣٢٧ ، وهبة ٢١٥

(٩٩١) ابن بشر ١ : ١٠ ، الريحاني ٢٥-٢٢ ، ٣٦ - ٤٥ ، وهبة ٢١٥-٢١٦

(٩٩٢) الريحاني ٣٣ ، ٥١

(٩٩٣) ابن بشر ١ : ١٧ ، ٣٠

(٩٩٤) ابن بشر ١ : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٣ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٠ ، حمزة ٣٢٩ ، الريحاني ٣٣-٣٤

(٩٩٥) ابن بشر ١ : ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٨

(٩٩٦) ابن بشر ١ : ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ١٠٢

(٩٩٧) ابن بشر ١ : ١٦ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٤٤

(٩٩٨) ابن بشر ٤٩-٦١ ، حمزة ٣٢٩

(٩٩٩) ابن بشر ٧٠-٨٠ ، الريحاني ٣٤-٣٥

(١٠٠٠) ابن بشر ٦١-٦٤ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٨ - ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٩

(١٠٠١) ابن بشر ٨٣ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، حمزة ٣٢٩- ٣٣٠

(١٠٠٢) ابن بشر ١ : ٨٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٠

(١٠٠٣) ابن بشر ١ : ١٢٥-١٢٦ ، سركيس ١ : ٥٣

(١٠٠٤) ابن بشر ١ : ٨١-٨٤

(١٠٠٥) ابن بشر ١ : ١٠٧ - ١٠٩ ، ابن سند ٢٢ ، انظر رقم ٤٣٦

(١٠٠٦) ابن بشر ١ : ٨٦-٨٧ ، ١١٢-١١٣ ، ١٢٠ - ١٢٣

(١٠٠٧) ابن بشر ١ : ١١٨ - ١١٩ ، ابن سند ٢٤-٢٦

(١٠٠٨) ابن بشر ١ : ٨٥ ، ١١٢ ، ١٢١ - ١٢٢ ، ابن سند ٢٣ ، ٢٧-٢٨

(١٠٠٩) ابن بشر ١ : ١٢٣

(١٠١٠) ابن بشر ١ : ٨٣ ، ١٢٣

(١٠١١) ابن بشر ١ : ١٢٩ - ١٣٠

(١٠١٢) ابن بشر ١ : ١٣٥-١٣٦

(١٠١٣) ابن بشر ١ : ١٤٠

(١٠١٤) ابن بشر ١ : ١٤٣

(١٠١٥) ابن سند ٢٧

(١٠١٦) ابن بشر ١ : ١٤٨ - ١٤٩ ، الدمشقي ١٧، ٢٣ ، الريحاني ٥٨-٥٩، شهاب ٣٧٠ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٥٠١ ، ٥١٢ ، ٥٢٠ ، ٥٣٤ ، ٥٤٥، ٥٥٦، ٥٥٧ ، ٥٦٤

(١٠١٧) ابن بشر ١ : ١٢٠ - ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ - ١٣٥ ، ١٣٧ - ١٣٩، ١٤١ ، ١٤٥ - ١٤٦ ، ١٥٦ - ١٥٩ ، حمزة ٣٣٢ ، الريحاني ٥٧

(١٠١٨) ابن بشر ١ : ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٢ - ١٤٥ ، ١٤٩- ١٥٠ ،حمزة ٢٥٤

(١٠١٩) ابن بشر ١ : ٨٣ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤-١٣٦ ، ١٤١-١٤٢ ، ١٤٦-١٤٨ ، ١٥٤ - ١٥٥ ، فلبي ٩٩ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٨

(١٠٢٠) ابن بشر ١ : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٠ - ١٦٣ ، الريحاني ٦٠

(١٠٢١) ابن بشر ١ : ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٦-١٨٣ ، حمزة ٢٥٤ ، ٣٣٤

(١٠٢٢) ابن بشر ١ : ٢١٥ ، حمزة ٣٣٤ - ٣٣٥ ، الريحاني ٧١ - ٧٧ ، فلبي ١٢٨ ، ١٣٠

(١٠٢٣) الريحاني ٧٧

(١٠٢٤) حمزة ٢٣٥ - ٢٣٦ ، الريحاني ٧٧-٧٨

(١٠٢٥) ابن بشر ٢٢٤ - ٢٣٢ ، فلبي ١٥٠-١٥١

(١٠٢٦) ابن بشر ١١ ؛ فلبي ١٥١ - ١٥٢

(١٠٢٧) فلبي ١٥٣

(١٠٢٨) فلبي ١٥٥ - ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢-١٦٣

(١٠٢٩) فلبي ١٥٨ ، ١٦٣

(١٠٣٠) فلبي ١٧٣

(١٠٣١) فلبي ١٧٥-١٧٨ ، ١٨٠-١٨١

(١٠٣٢) فلبي ١٧٩ ، ١٨٢

(١٠٣٣) فلبي ١٨٦ - ١٩٠

(١٠٣٤) فلبي ١٩٠-١٩٣

(١٠٣٥) حمزة ١٤٦-١٤٨ ، فلبي ١٩٨-١٩٩ ، ٢١٠

(١٠٣٦) ابن بشر ١ : ٢١٢ ؛ ابن سند ٥٠؛ صوفي ١٦٨ - ١٦٩؛فابي ١٩٧-١٩٨ ؛ ارسل والي العراق داود باشا حملة لاعادة آل عريعر فاخرجها الجيش المصري فاحتج داود باشا لدى السلطان الذي امر ابراهيم باشا بسحب قواته من الاحساء فعاد آل عريعر بحماية داود باشا، العزاوي ٦ : ١٥٨

(١٠٣٧) فلبي ١٩٩ - ٢٠٠

(١٠٣٨) ابن بشر ١ : ٢١٧ ؛ فلبي ١٩٧

(١٠٣٩) ابن بشر ١ : ٢١٩ ؛ فابي ١٥٠

(١٠٤٠) ابن بشر ٢ : ١٢ - ١٣ ؛ فلبي ١٥٦

(١٠٤١) ابن بشر ٢ : ٣٥ - ٣٨ ؛ فلبي ١٦١ - ١٦٣

(١٠٤٢) ابن بشر ٢ : ٤٨ ، ٦٨

(١٤٠٣) ابن بشر ٢ : ٤٨ ؛ فلبي ١٦٧

(١٠٤٤) ابن بشر ٢ : ٧١، ٧٥، ٧٨، ٨٤-٨٥ ، ٩٠ ؛ فلبي ١٧٦ ، ١٨٠-١٨١

(١٠٤٥) ابن بشر ٢ : ٨٥-٨٨ ؛ فلبي ١٨١-١٨٣

(١٠٤٦) ابن بشر ٢ : ٩٦ - ٩٧ ؛ فلبي ١٨٨

(١٠٤٧) ابن بشر ٢ : ١١٠ ؛ فلبي ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢

(١٠٤٨) ابن بشر ٢ : ٢٧ - ٢٨ ، ١٥٥ ؛ فلبي ١٢٠ ، ١٦٠ ، ولسن ٢١٠ - ٢١١

(١٠٤٩) حمزة ١٨٢ ؛ فلبي ٥٧ ؛ وهبة ٧١

(١٠٥٠) ابن بشر ١ : ٢١٥ ؛ فلبي ١٦٠

(١٠٥١) ابن بشر ٢ : ٣٢ – ٣٣ ، ٤٢ – ٤٣ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١١١ ؛

(١٠٥٢) حمزة ٣٣٧ ؛ فلبي ٢١٠ – ٢١٢ ، ٢١٩ ؛ وهبة ٢٢٣

(١٠٥٣) حمزة ٦٩ ، ٧٣ ، ١٩٢ ؛ وهبة ٤٦ ، ٧١ ، ٧٧

(١٠٥٤) ابن بشر ١ : ٢٢١ – ٢٢٢ ، ٢ : ١٢ – ١٣ ، ١٧ ، ٤٤ ؛ حمزة ٣٣٧ ؛
فلبي ١٥٢ – ١٥٣ ، ١٥٦ – ١٥٧ ، ١٦٥ ،

(١٠٥٥) ابن بشر ٢ : ٤٤ ، ٤٧ ، ٦٧ ، ٨١ ، ١١٠ ، ١١٣ ؛ فلبي ١٦٥ ،
١٧٨ ، ١٩١ ، ١٩٦ – ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩

(١٠٥٦) ابن بشر ٢ : ٣٨ ؛ فلبي ٨٩ ، ١٦٣

(١٠٥٧) ابن بشر ١ : ٤٨ ، ٦٩ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ؛ فلبي ١٢٠ ،
١٦٠ ؛ انظر ص ٢٥٤

(١٠٥٨) ابن بشر ٢ : ٢٧ – ٢٨ ، ١٤٧ – ١٤٨ ، ١٥٤ – ١٥٥ ؛ فلبي
١٢٠ ، ١٦٠ ؛ انظر ص ٢٥٤

(١٠٥٩) ابن بشر ٢ : ٤٨ ، ٦٩ ، ٩٧ ؛ فلبي ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ١٩٧

(١٠٦٠) ابن بشر ٢ : ١٠٩ ، ١٣٠ – ١٣٢ ؛ فلبي ٢٠٠

(١٠٦١) فلبي ١٨١ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥

(١٠٦٢) ابن بشر ١ : ٨٣ ، ٨٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ٢٢٣ ؛ ٢ : ١٠٩ ، ١٣٠ - ١٣٢ ؛
الريحاني ١٠٠ ، فلبي ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١٤٦ ، ٢٠٠ ، ٢٤٩

(١٠٦٣) ابن بشر ١ : ١٤١ – ١٤٢

(١٠٦٤) « « ١ : ١٤٦ ؛ فلبي ١١٤

(١٠٦٥) « « ١ : ١٥٣ – ١٥٤ ، ١٦٢ – ١٦٣ ؛ فلبي ١١٩ – ١٢٠ ، ١٢٥

(١٠٦٧) « « ٢ : ٣٣ ، ١١٠ ، ١١٧ – ١١٨ ؛ فلبي ١٦١ ، ١٩٧ ،
١٩٨ ، ٢١٩

(١٠٦٨) فلبي ٢١٩

(١٠٦٩) ابن بشر ١ : ١٢٩ ، ١٣٢ - ١٣٤ ، ١٤٤ - ١٤٥ ، ١٤٩ - ١٥٠ ، ١٧٨ - ١٨١ ، ٢١١ ؛ فلبي ٩١ - ٩٩ ، ١٠٣ - ١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٣٠

(١٠٧٠) ابن بشر ٢ : ١٩ ، ٤٦ ، ٦٨ ؛ فلبي ١٧٣ - ١٧٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٨

(١٠٧١) حمزة ١٣٩ - ١٤٣ ، ١٧٩ - ١٨٢ ، ١٨٨ - ١٨٩

(١٠٧٢) ابن بشر ١ : ٨٦ ، ١٠٣ - ١٠٤ ، ١١٠ - ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٣٧ ؛ فلبي ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠

(١٠٧٣) ابن بشر ١ : ١٥٦ ، ١٦٠-١٦١ ، ١٨٢

(١٠٧٤) ابن بشر ١ : ١٥٦ ، ١٦٠ - ١٦١ ، ١٨٢

(١٠٧٥) ابن بشر ٢ : ٦٨ - ٧٠ ، ٩٦ ، ١٠٢ - ١٠٣ ؛ فلبي ١٧٤

(١٠٧٦) ابن بشر ٢ : ٣٨ ، ٩٦ ، ١١٤ - ١١٥ ، ١٢١ ؛ فلبي ١٦٣ ، ١٧٥ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢١٣

(١٠٧٧) ابن بشر ١ : ٩٢ ، ١٢٩ ، ١٧٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ؛ فلبي ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١٤٩

(١٠٧٨) ابن بشر ٢ : ٣٢ ، ٦٧ ؛ الريحاني ٧٩ - ٨٠ ؛ فلبي ١٦٠ ، ١٧٣

(١٠٧٩) « « ٢ : ٦٧ - ٦٨ ؛ فلبي ١٧٣

(١٠٨٠) « « ٢ : ٩١ - ٩٢ ، ١١٢ ؛ فلبي ١٨٤

(١٠٨١) « « ٢ : ٧٢ ، ٨١ ، ٨٧ ؛ فلبي ١٧٦ ، ١٧٩

(١٠٨٢) « « ٢ : ٩٩ ، ١١٤ ؛ الريحاني ٢٥٦ - ٢٥٧ ؛ فلبي ١٩٠

(١٠٨٣) « « ٢ : ١٢٨ ؛ حمزة ٣٤٣ ؛ الريحاني ٢٥٧ ؛ فلبي ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢٢٠

(١٠٨٤) حمزة ٣٤٣ ؛ فلبي ٢٢٠

(١٠٨٥) حمزة ٣٤٤ ؛ الريحاني ٢٥٨ ؛ فلبي ٢٥٨

(١٠٨٦) حمزة ٣٤٤ - ٣٤٥ ؛ الريحاني ٨٧ ؛ فلبي ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

(١٠٨٧) الريحاني ٨٧ ؛ فلبي ٢٣٠
(١٠٨٨) حمزة ٣٣٨ ؛ الريحاني ٨٨ ؛ فلبي ٢٣١ - ٢٣٢ ؛ وهبة ٢٣٥
(١٠٨٩) الريحاني ٨٩ ؛ فلبي ٢٣٢ ؛ وهبة ٢٣٦
(١٠٩٠) الريحاني ٨٩ ؛ فلبي ٢٣٢ - ٢٣٥ ؛ وهبة ٢٣٦
(١٠٩١) حمزة ٣٣٩ ؛ الريحاني ٨٩ - ٩٠ ؛ فلبي ٢٣٤ ، وهبة ٢٣٦
(١٠٩٢) الريحاني ٩٧ - ٩٨ ؛ فلبي ٢٣٥-٢٣٦ ، وهبة ٢٣٧
(١٠٩٣) الريحاني ٩٧ - ٩٨ ؛ فلبي ٢٣٦
(١٠٩٤) حمزة ٣٤٥ - ٣٤٦ ؛ الريحاني ٩٨ - ٩٩ ، ١٠٣ - ١٠٦ ؛ ٢٥٩ ؛ فلبي ٢٣٧ - ٢٤٢
(١٠٩٥) حمزة ٣٤٦ ؛ الريحاني ١٠٧ - ١٤٢ ؛ فلبي ٢٤٠ - ٢٥٠
(١٠٩٦) حمزة ٣٤٧ ؛ فلبي ٢٥٠
(١٠٩٧) حمزة ٣٤٧ ؛ الريحاني ١٦٠ ، ٢٥٩ ؛ فلبي ٢٥١ - ٢٥٢
(١٠٩٨) حمزة ٣٤٧ ؛ الريحاني ١٦٠ ، ٢٦٠ - ٢٦١
(١٠٩٩) حمزة ٣٤٧
(١١٠١) حمزة ٣٤٨ ؛ الريحاني ١٩٥
(١١٠٢) الريحاني ١٩٦ ، ١٩٨ - ٢٠٠
(١١٠٣) حمزة ٣٤٨
(١١٠٤) حمزة ٣٤٨ ؛ الريحاني ٢٦١ - ٢٦٣
(١١٠٥) حمزة ٣٣٨ - ٣٤٩ ؛ الريحاني ٢٦٣
(١١٠٦) حمزة ٣٤٩
(١١٠٧) حمزة ١٦١ - ١٦٦
(١١٠٨) ابن بشر ١ : ٨٧ ، ١١٢ ، العزاوي (عشائر) ٦ : ١٣٩ - ١٤١ ؛ فلبي ٧٤ ، ٧٩ ، ٩٠
(١١٠٩) حمزة ١٧٠ - ١٧٨

(١١١٠) ابن بشر ١ : ١٤٣ ؛ العزاوي (عشائر) ١ : ١٤٩ ، ١٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٧٧ ؛ فلبي ١١٢ ؛ وهبة ٢١٥

(١١١١) فلبي ٥٠

(١١١٢) فلبي ٥٠ ، ٦٢

(١١١٣) ابن بشر ١ : ٥٦ ؛ فلبي ٦٣ ؛ وهبة ٦٠ - ٦٢

(١١١٤) حمزة ١٧٨ ؛ وهبة ٦١

(١١١٥) ابن بشر ١ : ٥٣ ، ٥٧ ؛ فلبي ٦٣

(١١١٦) » » ١ : ٦١ ، فلبي ٦٤

(١١١٧) » » ١ : ٦٤ - ٦٦ ، فلبي ٦٥ - ٦٦

(١١١٨) » » ١ : ٦٦ ، ٢١٥ - ٢١٦ ؛ فلبي ٦٦ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٣٥ ، ١٤٩

(١١١٩) » » ٢ : ٣٢ ، فلبي ١٦٠ - ١٦١

(١١٢١) » » ٢ : ٧٣ ، ٩١ - ٩٣ ، فلبي ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٨٤

(١١٢٢) فلبي ١٩٥ ، ٢٠١ - ٢٠٦

(١١٢٣) » ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢١٣

(١١٢٤) » ٢١٣ - ٢١٥

(١١٢٥) » ٢١٦

(١١٢٦) » ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢

(١١٢٧) » ٢٣٣ ، ٢٣٤

(١١٢٨) ابن بشر ١ : ٥٣ ، فلبي ٦٣

(١١٢٩) » » ١ : ٧٤ - ٧٦ ، فلبي ٧٢

(١١٣٠) » ١ : ٨٣ ، فلبي ٧٦

(١١٣١) » ١ : ١٨٨ - ١٨٩ ، ٢١٥ ، فلبي ١٣٥ ، ١٤٩

(١١٣٢) » ١ : ٢٢٥ ، ٢ : ١٢ ، فلبي ١٥١ ، ١٥٥

(١١٣٣) » ٢ : ٧٠ - ٧٢ ، فلبي ١٧٦

(١١٣٤) ابن بشر ٢ : ٩١ ، ١٠١ ، ١١٢ ، فلبي ١٨٥ ، ١٩١

(١١٣٥) « ٢ : ١١٥ - ١١٦ ، فلبي ١٩٥ ، ٢٠٩

(١١٣٦) « ٢ : ١١٦ - ١١٨ ، « ٢٠١ ، ٢٠٨

(١١٣٧) « ٢ : ١١٦ ، فلبي ٢٠٢ - ٢٠٤

(١١٣٨) فلبي ٢٠٧ ، ٢١٤ - ٢١٥

(١١٣٩) « ٢٣٤

(١١٤٠) ابن بشر ١ : ٦٩ ؛ فلبي ٥٠ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ١٠٠ ؛ وهبة ٥٩

(١١٤١) ابن بشر ١ : ١٨٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢ : ٧٣ - ٧٤ ، ٧٩ ، ١١٨ ؛
فلبي ١٣٦ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٦٧ ، ١٧٩ - ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ،
١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢١٣ - ٢١٤

(١١٤٢) وهبة ٥١

(١١٤٣) ابن بشر ١ : ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٧ - ٧٩ ؛ فلبي ٦٥ ، ٦٨ ،
٧٣ - ٧٤ ، ١٥٧

(١١٤٤) ابن بشر ١ : ٦٥ - ٦٦ ، ٧٩ ، ٩٩ ، ١٣١ ، ٢١٥ ، ٢ : ١ ؛
فلبي ٦٥ ، ٧٤ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١٤٧ - ١٤٩ ،
١٦١ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٥

(١١٤٥) فلبي ١٥١ ، ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٨٤ ، ١٨٩

(١١٤٦) « ٢١٨ - ٢١٩ : وهبة ٢٣٣

(١١٤٧) « ٢١٩ - ٢٢١ ، وهبة ٢٣٣ - ٢٣٤

(١١٤٨) « ٢٢٢ ، وهبة ٢٣٤ - ٢٣٥

(١١٤٩) « ٢٢٢ - ٢٢٣ ، وهبة ٢٣٤ - ٢٣٥

(١١٥٠) « ٢٢٣ ، وهبة ٢٣٤ - ٢٣٥

(١١٥١) « ٢٢٤ ، وهبة ٢٣٥

(١١٥٢) « ٢٢٥ ، وهبة ٢٣٥

(١١٥٣) فلبي ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، وهبة ٢٣٥

(١١٥٤) « ٢٢٩ ـ ٢٣٠

(١١٥٥) « ٢٢٩ ـ ٢٣٠

(١١٥٦) الريحاني ٨٧ ؛ فلبي ٢٣٠

(١١٥٧) فلبي ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، وهبة ٢٣٥ ـ ٢٣٦

(١١٥٨) « ٢٣٢ ـ ٢٣٤ ، وهبة ٢٣٦

(١١٥٩) « ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، وهبة ٢٣٦ ـ ٢٣٧

(١١٦٠) « ٢٣٥ ، وهبة ٢٣٧

(١١٦١) حمزة ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ، الريحاني ١٠١ ـ ١٠٢ ؛ وهبة ٢٣٩

(١١٦٢) « ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ؛ وهبة ٢٣٩

(١١٦٣) « ٣٦٣ ؛ الريحاني ١٠٤ ـ ١٠٦ ؛ وهبة ٢٣٨ ـ ٢٣٩

(١١٦٤) « ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ؛ الريحاني ١٠٨ ـ ١١٠ ؛ وهبة ٢٤٠

(١١٦٥) « ٣٦٤ ؛ الريحاني ١١٠ ـ ١١٣ ، وهبة ٢٤٠ ـ ٢٤٢

(١١٦٦) « ٣٦٥ ، الريحاني ١١٠ ـ ١١٣ ، وهبة ٢٤٢

(١١٦٧) « ٣٦٥ ، الريحاني ١١٩ ـ ١٢٤

(١١٦٨) « ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ، الريحاني ١٢٥ ـ ١٣١

(١١٦٩) « ٣٦٦ ـ ٣٦٨ ، « ١٣٢ ـ ١٣٥

(١١٧٠) « ٣٦٨ ، « ١٢٨ ـ ١٤٢

(١١٧١) حمزة ٣٦٩ ، « ١٤٣ ـ ١٤٧

(١١٧٢) حمزة ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ، « ١٤٨، ١٥١ ـ ١٥٥ ، فلبي ٢٥١ ـ ٢٥٢

(١١٧٣) « ٣٧٠ ، « ١٥٦ ، فلبي ٢٥٣

(١١٧٤) « ٣٧٠ ، « ١٦٠ ـ ١٦١ ، ٢٥٩ ـ ٢٦١ ، فلبي ٢٥٠ ـ ٢٥١ ، ٢٥٣ ـ ٢٥٥

(١١٧٥) حمزة ٣٧٠ ، الريحاني ١٦٢ ، فلبي ٢٥٥

(١١٧٦) حمزة ٣٧١ ، الريحاني ١٦٤ - ١٧٠ ، فلبي ٢٥٥ - ٢٥٦

(١١٧٧) « ٣٧١ ، « ١٧٤ - ١٧٦ ، « ٢٥٦ - ٢٥٨

(١١٧٨) « ٣٧١ ، « ١٧١ - ١٧٣ ، « ٢٥٧، انظر صفحة ٣٢٧

(١١٧٩) الريحاني ١٧٧ - ١٨٠ ، فلبي ٢٥٨ - ٢٥٩

(١١٨٠) الريحاني ١٨١ - ١٨٣ ، ١٨٦ ، فلبي ٢٥٩ - ٢٦٠

(١١٨١) حمزة ٣٧٣ - ٣٧٥ ، الريحاني ٤١٢ - ٤١٤ ، فلبي ٢٦٠ - ٢٦٤ ، ماضي ١١٨ - ١٢٠ ، وهبة ٢٦٥ - ٢٦٦

(١٨٨٢) حمزة ٣٧٢-٣٧٣ ؛ الريحاني ١٨٤-١٨٩ ، فلبي ٢٦٥-٢٦٨ ، ماضي ١٢٣-١٢٦

(١١٨٣) حمزة ١٩٠، العزاوي ٨ : ٢٣٥-٢٦٨، فلبي ٢٦٨-٢٦٩، وهبة ٢٤٣،

(١١٨٤) حمزة ٣٧٣ ؛ الريحاني ١٩٠ - ١٩٥ ؛ العزاوي ٨ : ٢٦٧

(١١٨٥) الريحاني ١٩٠-١٩١ ؛ فلبي ٢٦٩-٢٧١ ؛ وهبة ٢٤٤-٢٤٩

(١١٨٦) حمزة ٣٧٦ ؛ الريحاني ١٩٦-١٩٧ ؛ فلبي ٢٧١

(١١٨٧) الريحاني ١٩٨-٢٠٥ ؛فلبي ٢٧١-٢٧٢

(١١٨٨) الريحاني ٢٠٦-٢٠٩ ؛ فلبي ٢٧٢ ، ماضي ١٣٢-١٣٣ ؛ وهبة ٢٤٤-٢٤٩ يذكر محاولات ابن سعود بعد عام ١٩٠٤ لعقد معاهدة حماية مع بريطانيا موسطا حكام الكويت وقطر .

(١١٨٩) فلبي ٢٧٣ ؛ وهبة نص المعاهدة.

(١١٩٠) حمزه ٣٧٧ ؛ الريحاني ٢١٠ - ٢١٢ ؛فلبي ٢٧٢ ؛ ماضي ١٤١-١٤٥؛ انظر صفحة ٣٤٥

(١١٩١) حمزة ٣٧٧-٣٧٨ ؛ الريحاني ٢١٣ - ٢١٨ ؛فلبي ٢٧٣ - ٢٧٦ ؛ وهبة ٢٥٠-٢٥٣ انظر صفحة ٣٤٣

(١١٩٢) حمزة ٣٨٠ - ٣٨٣ ؛ الريحاني ٢٤٩ - ٢٦٥ ؛ فلبي ٢٨٠ - ٢٨٢ ، ماضي ١٣٩-١٤١ ،

(١١٩٣) حمزة ٣٨٥ - ٣٨٦ ؛ الريحاني ٢٨٣ - ٢٨٨ ؛ فلبي ٢٨٣ ، ماضي ١٨٢-١٨٦

(١١٩٤) الريحاني ٢٤٣-٢٤٨ ؛

(١١٩٥) الريحاني ٢٦٨-٢٧٣ ؛ سعيد ٣ : ١٥٢-١٥٤ ؛ انظر صفحة ٣١٦ ؛ فلبي ٢٨٠

(١١٩٦) حمزة ٣٨٧ ؛ الريحاني ٢٤٩ ؛ فلبي ٢٨٢

(١١٩٧) الريحاني ٢٧٤-٢٨٤ ؛ فلبي ٢٨٤ ، وهبة ٢٥٤-٢٥٦

(١١٩٨) سعيد ٣ : ١٤٢-١٥٠ ؛ نصيف ٩٧ ؛ وهبة ٢٥٧-٢٦١

(١١٩٩) وهبة ٢٠٥-٢٠٦ و ٣٢٤-٣٢٦

(١٢٠٠) حمزة ٣٧٨-٣٨٠ ؛ ٣٨٧-٣٩١ ؛ وهبة ٢٦٢-٢٧١

(١٢٠١) وهبة ٢٦٥-٢٧١

(١٢٠٢) فلبي ٣٠١-٣٠٢ ؛ وهبة ٢٧١-٢٧٥

(١٢٠٣) حمزه ٣٩١ ؛ الريحاني ٣٨٣-٣٩١

(١٢٠٤) فلبي ٢٩٩-٣٠٠ و ٣١٤

(١٢٠٥) فلبي ٣٠٠-٣٠٣ ، ٣٠٦-٣٠٧

(١٢٠٦) فلبي ٣٢١-٣٢٤ ؛ وهبة ٢٧٥-٢٧٦

(١٢٠٧) فلبي ٣٠٤-٣١٣ ؛ وهبة ٢٩٠-٣٠١

(١٢٠٨) الدجاني ٤-٦

(١٢٠٩) فلبي ٣٠٩،٣١٦-٣١٨ ، ٣٤٦ ؛ وهبة ٢٨٢-٢٨٤،٢٨٩-٢٩٠

(١٢١٠) الريحاني ٢٩١ ؛ فلبي ١٧٤ ، ١٧٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤،٢٩٤-٢٩٧ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧

(١٢١١) فلبي ٣١٥ ، ٣٣٣

(١٢١٢) فلبي ٣٢٨-٣٣٣ ؛ ماضي ٣٠٣ ؛ وهبة ١٣٥-١٣٧

(١٢١٣) حمزة ٣٩١-٣٩٢ ؛ كنث وليمز ١٠٦ ؛ فلبي ٢٨٢ ، ٢٩٠ ،
٣٠٥-٣٠٦

(١٢١٤) فلبي ٣١٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ - ٣٤٦ ؛ ماضي ١٧٧، ١٧٩-١٨٠، ١٩٣ ،
٢٠٣ ، ٢٢٠

(١٢١٥) فلبي ٣٣٤-٣٣٦ ، ٣٣٩-٣٤٠ ؛ ماضي ١٧١ ، ٢٨٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٠ ،
٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٤٤١

(١٢١٦) فلبي ٣٥٨

❀ ❀ ❀

المراجع التي اشير اليها في الهوامش

مرتبة ابجدياً حسب اسماء المؤلفين

ابن اياس (محمد بن احمد الحنفي) بدائع الزهور في وقائع الدهور
٣ اجزاء (بولاق ١٣)

ابن بشر (عثمان النجدي) عنوان المجد في تاريخ نجد جزءان (مكة ١٣٢٨)

ابن خلدون (عبد الرحمن) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ٧ اجزاء (القاهرة ١٢٨٤)

ابن زهر (الحسيني) غاية الاختصار في اخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار

ابن سعيد (عثمان البصري) مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود

ابن شاهين ( ) زبدة كشف الممالك

ابن ظهيرة (جمال الدين) الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف (١٩٣٨؟)

ابن عقيل (علي) حضرموت (دمشق ١٩٤٩)

ابن غلبون (محمد بن خليل) تاريخ طرابلس الغرب (القاهرة ١٣٤٩)

ابن المؤيد (يحيى بن الحسين اليمني) انباء الزمن في اخبار اليمن (١٩٣٦؟)

ابو الفداء (اسماعيل بن علي الايوبي) المختصر في تاريخ البشر (مصر ١٣٢٥) ج ٤

ابو عز الدين (فريد مصطفى) آل سعود في التاريخ (بيروت ١٩٣٤)

اديسون Addison (Herbert) Thomas waghorn and the overland route. R.C.A.j, Ap. 1958, pt II

آرلوند (توماس) الخلافة (دمشق ١٩٤٦) ترجمة جميل معلى .

الازرقي (محمد ابن عبد الله بن احمد) اخبار مكه ومافيها من الآثار ، نشر وستنفلد (ليبزج ١٨٥٨)

الاسحاقي (محمد عبد المعطي) كتاب اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من
ارباب الدول (القاهرة ١٣١١)

الاعظمي (نعمان) تاريخ الدول الفارسية في العراق (بعداد ١٩٢٧)
– تاريخ البصرة (بغداد ١٩٢٧)
– « بغداد (بغداد ١٩٢٧)

اندرسون Anderson (R.C.)Naval wars in the levant 1559—1853
(liverpool. 1952)

انطونيوس Antonius (George) The Arab Awakening
(London, 1945)

ايالون Ayalon (Dovid) Gunpowder and Firearms in the Mem -
luk Kingdon (London 1956)

ايرلند (فيليب و .) العراق : دراسة في تطوره السيامي (بيروت ١٩٤٩)
ترجمة جعفر خياط

الاهدلي ، فضائل اليمن ١٠١٩ ه

الباشا (قسطنطين) مذكرات تاريخية (حريصا ، ١٩٢٥)
قسطنطين الباشا هو الناشر ، المؤلف ربما كان نوفل الطرابلسي. الكتاب
يصف مقتل والي دمشق سليم باشا

براون Browne(E.G.) A Literary History of Persia,4vols (Londen
2 cam. 1906, 1920—4)

البراوي (راشد) اليمن والانقلاب الاخير (القاهرة ١٩٤٨)

بروكلمان (كارل) تاريخ الشعوب الاسلامية (بيروت (١٩٥٣)ترجمة نبيه
فارس ومنير البعلبكي ، ٥ اجزاء

بري Bury (G. wymon) Arabia Felix (London 1915)

بطي (رفائيل) نشأة الصحافة العربية وتطورها في العهد العثماني –
الكاتب المصري ٧ : ٤٢٦

Podea (1.1)A Contribution to the study of Oueen Elizabeth,s بوديا
Eastern Policy, Melangss d'hist. generale vol. II (1939) pp 423—76

Porter (Sir James) Observations on the religion, Law, بورتو
government and manners of the Turks (London, 1771) snd.ed.

البوريني (احمد قاسم) الامات السبع على الساحل الاخضر (بيروت ١٩٥٧)

بولياك ، الاقطاعية في مصر وسوريا ولبنان ١٢٥٠—١٩٠٠ (بيروت١٩٤٩)

Pears (E) The spanish Armada and the Ottoman Porte, بيرز
English. Hist. Rev. VIII (1893) 439—66

Turkey Justice . . Instances of (Glasgow 1801) تركيا

Churchill (Col.) Mount Lebanon, tens years residence تشرشل
1942—52 (London, 1853)

ثورة العرب : مقدماتها ، اسبابها ونتائجها بقلم احد اعضاء الجمعيات العربية (القاهرة ١٩١٦)

Gibb (H.A.R) and Harold Bowen, Islamic Society and the جب
west vol. I (London, 1952) vol. II (London 1954)

الجبرتي (عبد الرحمن) عجائب الآثار في التراجم والاخبار (مصر ١٣٢٤) ٤ اجزاء

الجرافي (القاضي عبد الله بن عبد الكريم اليمني) المقتطف من تاريخ اليمن (مصر ١٩٥١)

الجزائر ـ مقال في الموسوعة الاسلامية

الجزائري (عبد الله) نبذة تاريخية عن البحرين (بيروت ؟)

Gois (Dan.) Les Portugais au Maroc de 1495—1521, French جوا
translation by R. Richard (Rabat 1937)

جوري Gaury (Gerald de,) Rulers of Mecca (London, 1951)

جودت، تاريخ جودت ترجمة عبد القادر الدنا المجلد الاول (مطبعة بيروت ١٣٠٨)

حتي (فيليب) لبنان في التاريخ (بيروت ١٩٥٩) ترجمة انيس فريحة

الحسيني (محمد ابن السيد احمد) رحلة المنشىء البغدادي - ترجمها عن الفارسية عباس العزاوي (بغداد ١٩٤٩)

الحصري (ساطع) البلاد العربية والدولة العثمانية (القاهرة ١٩٥٧) معهد الدراسات العربية

الحصني (محمد اديب آل تقي الدين) كتاب منتخبات التواريخ لدمشق ٣ اجزاء (دمشق ١٩٢٨)

حكيم (عمر) محاضرات عن جغرافية افريقية العربية - لم تطبع

الحلاق (احمد البديري) حوادث دمشق اليومية ١١٥٤/١٧٤١-١١٧٥/١٧٦٢ (القاهرة ١٩٥٩) نشر الدكتور احمد عزت عبد الكريم مع مقدمة

حمزة (فؤاد) قلب جزيرة العرب (مكة ١٣٥٢)

- (فؤاد) في بلاد عسير (القاهرة ١٩٥٠)

حوراني (البرت) Hourani (Albert) Minorities in the Arab world (London, 1946)

حوراني (جورج) Hourani (George) Arab seafaring in the Indian Ocean (Princeton, 1951)

خدوري (مجيد) البحرين وايران (بيروت ١٩٥٣)

خدوري - اليمن Khadduri (Majid) Coup and Counter coup in the yemen 1948, R.I.I., XXVIII, no.l. Jan 1952

الخزرجي (الشيخ علي بن حسن) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (الهلال ١٣٢٩/١٩١١)

خوري (وهبة) القضاء في لبنان على عهد الحكم الاقطاعي، المشرق ٣١ : ٨١، ٢٦٢، ٣٥٧

داود (محمد) تاريخ تطوان (تطاون ١٩٥٧)
دحلان (احمد زيني) خلاصة الكلام في بيان امراءالبيت الحرام(مصره١٣٠٥)
ددول Dodwell (R.H.) The rig of medieval warsbips, Mariners Mirror, vols 35 (P.51) vol 39 (p.88, 158)
دروزة (عزت) حول الحركة العربية الحديثة، ٦ اجزاء (صيدا ١٩٥٠)
دليل الجزيرة العربية British Admiralty Handbook of Arabia, v.l. H.M.S.O, London, 1920
الدمشقي (ميخائيل) تاريخ حوادث الشام ولبنان (بيروت ١٩١٢) نشر لويس معلوف
الدملوجي (صديق) امارة بهدينان او امارة العمادية (الموصل ١٩٥٢)
الدويهي (البطريرك اسطفانوس) تاريخ الازمنة ١٠٩٥ - ١٦٩٩ (بيروت ١٩٥١)
ديون (هيورث) Heyworth - Dunne (Dr.G.) Al- yemen
الرافعي (عبد الرحمن) تاريخ الحركة القومية في مصر الجزء الاول (مصر ١٩٢٩)
الرحبي (محمود بن عثمان) بهجة الاخوان في ذكر الوالي سليمان (الكبير)
رستم (اسد) الشيخ احمد الغر والقضاء في بيروت قبل مائة عام، المشرق ٣١ : ٤٠١ - ٤٠٨
رسل Russell (A.and p.) Natural History of Aleppa,2vols2nd.ed (London. 1794)
الرشيد (عبد العزيز) تاريخ الكويت
رضا (محمد رشيد) الوهابيون والحجاز (المنار ١٣٤٤)
رلارد Roullard (C.D.) The Turks in French Histoy, thought and Literature 1520-1660 (Paris 1938) see Engl. Hist. Rev. (July 1948) p. 402.

رمضان (محمد رفعت) علي بك الكبير (القاهرة ١٩٥٠)

رو FR. Charles-Roux, Les echelles de Syrie et de Palestine au XVIII siècle (Paris 1926)

روبنسون Robinson (Gvg.) Admiralty and Naval Affairs 1660-1677, MM. 36 : 12-40 عن طنجة

روسو Rous: eu (J. B. J. j)Description du pachalik de Bagdad (paris 1808)

روسي Rossi (Ettore) IL Dominio dei Cavalieri di Malta a tripoli 1530-1551 (Malta 1924)

الريحاني (امين) تاريخ نجد الحديث وملحقاته (بيروت ، ١٩٢٨)

زكي (محمد امين) تاريخ الامارات الكردية في العهدالاسلامي (مصر١٩٤٥) ترجمه محمد علي عوني عن الكردية

ـ تاريخ السليمانية وانحائها (بغداد ١٩٥١) ترجمة محمد جميل بندي

زيادة (محمد مصطفى) نهاية السلاطين المماليك في مصر ، المجلة التاريخية المصرية المجلد الرابع (عدد مايو ١٩٥١)

زيادة(نقولا) Ziadeh (N.A.) Urban life in Syria under the early Mamluks (Beirut, 1953)

الساعي (ابو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم) تحفة الاعيان في سيرة اهل عمان

ستربلنغ Stripling (G.W.F.) The Ottoman Turks and the Arabs (urbona 1942)

سجل الكويت اليوم ـ منشورات حكومة الكويت ١٣٧٥/١٩٥٦

سركيس (يعقوب) مباحث عراقية (بغداد١٩٤٨) جزءان

سعيد (امين) الثورة العربية الكبرى ٣ اجزاء القاهرة ؟

سوتاس Sottas (j) An Early Lateen sail in the medit. MM. XXV (1939) p22977

السويدي (عبد الله) النفحة المسكية في الرحلة الملكية - مخطوط في المتحف البريطاني Add. Ms 18518

الشرقاوي -

شكري (محمد فؤاد) الحملة الفرنسية وظهور محمد علي - دار المعارف بمصر

شهاب (الامير حيدر) تاريخ احمدباشا الجزار (بيروت ١٩٥٥) نشر وتحقيق انطونيوس شبلي واغناطيوس خليفة

صابات (خليل) تاريخ الطباعة في الشرق العربي (القاهرة ١٩٥٨)

صايغ (سليمان) تاريخ الموصل الجزء الاول (مصر ١٩٢٣)

الصباغ (عبود) الروض الزاهر في تاريخ ظاهر مخطوط

الصباغ (نقولا) تاريخ الشيخ ظاهر العمر حاكم عكا (حريصا ١٩٢٩)

صقر (عبد البديع) دليل قطر الجغرافي (؟ بعد ١٣٧٣)

الصوفي (احمد علي) المماليك في العراق (الموصل ١٩٥٢)

الطباخ (محمد راغب) اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ٧ اجزاء (حلب ١٩٢٣ - ١٩٢٦)

الطويل (توفيق) التصوف في مصر ابان العصر العثماني (اسكندرية ١٩٤٦)

عبد الكريم (عزت) انظر الحلاق

عبد الله (الملك) مذكراتي (القدس ١٩٤٥)

العبدلي ، هدية الزمن اخبار عدن (القاهرة ١٣٥١)

العبدلي (احمد فضل بن علي بن محسن) هدية الزمن في اخبار ملوك لحج واليمن (القاهرة ١٣٤١)

عبد الوهاب (حسن حسني) خلاصة تاريخ تونس (تونس ١٣٧٣)

العرشي (القاضي حسين بن احمد) بلوغ المرام في شرح مسك الختام حتى ١٩٠٠/١٣١٨ اوصل الكرملي حوادثه الى ١٣٥٨/١٩٣٩ (القاهرة ١٩٣٩)

عزام (عبد الوهاب) مجالس السلطان الغوري (القاهرة (١٩٤١)
العزاوي (عباس) تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد ١٩٣٩ - ١٩٥٦)
٨ اجزاء
العزاوي (عباس) عشائر العراق ٤ اجزاء (بغداد - ١٩٥٦)
العقاد (الدكتور صلاح) الاستعمار في الخليج الفارسي - سلسلة الالف كتاب
(القاهرة ١٩٥٦)
عمارة (ابن ابي الحسن علي الحكيمي اليمني) كتاب تاريخ اليمن (لندن ١٣٠٩)
عمان الامامية : منشورات مكتب امامة عمان في القاهرة (القاهرة ١٣٧٥)
العمري (سعاد هادي) بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة
الاخيرة (بغداد ١٩٥٤)
العورة (ابراهيم) تاريخ ولاية سليمان باشا العادل (حريصا ١٩٣٥)
غرايبة Gharaybeh (A) English traders in Syria 1744-1799, p.H.D.
thesis (London, 1950)
غربال (شفيق) مصر عند مفترق الطرق ١٧٩٨ - ١٨٠١ ، المقالة الاولى في
ترتيب الديار المصرية كما شرحه حسين افندي ، مجلة كلية الآداب (الجامعة
المصرية) مجلد ٤ ، جزء اول (مايو ١٩٣٦)
غرناطة - كتاب نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر او تسليم غرناطة ونزوح
الاندلسيين الى المغرب نشر الفرد البستاني (العرائش ١٩٤٠)
الغزي (كمال الدين) نهر الذهب في تاريخ حلب (حلب ؟) ٣ اجزاء
الغزي (نجم الدين محمد) الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة ٣ اجزاء
نشر جبرائيل جبور (بيروت ١٩٤٥ -)
غنيمة (يوسف رزق الله) تجارة العراق قديما وحديثا (بغداد ١٩٢٢)
غنيمة (يوسف رزق الله) نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق (بغداد ١٩٢٤)
فارس (نبيه) ومحمد توفيق حسين ، هذا العالم العربي (بيروت ١٩٥٣)

فخري (احمد) اليمن ماضيها وحاضرها (القاهرة ١٩٥٧) منشورات معهد الدراسات العربية

فريدون (احمد باشا) منشآت السلاطين ـ مجموعة وثائق

فشر Fisher (S.N.) The Foreign Relations of Turkey 1481-1512 (Urbana 1948)

فلبي Philby (H. st. John) Saudi Arabia (london, 1955)

فولني Volney (C.F) Travels through syria and Egypt 1783 - 85. 2 vols (London, 1787) ترجمة عن الافرنسية

فيضي (سليمان) التحفة الايقاظية في الرحلة الحجازية (البصرة ١٣٣١)

القاري (رسلان بن يحيى) الوزراء الذين حكموا دمشق ـ انظر صلاح الدين المنجد

القدسي Qoudsi (Elia) Notices Sur Coyporations (ايليا بن عبده) de Damas, Actes de sixieme Cong. Int. De Orientalists (1883) Part 2, Section 1, pp. 1 - 34

قرألي (بولس) علي باشا جنبلاط والي حلب ١٦٠٥ ـ ١٦١١ (بيروت ١٩٣٩)

قطب الدين المكي (محمد بن احمد) البرق اليماني في الفتح العثماني

قلعة جي (محمود) الكويت الحديثة (الكويت ١٩٥٥)

القلقشندي (ابو العباس احمد) صبح الاعشى، ج ١٤ (القاهرة ١٩١٣-١٩١٩)

كامرر Kamerer , La mer Rouge .. XVI Siecll Societe. Roy. de Geg. 1935

Kamerer, Les guerres du poivre les Portugais dans l'ocean Indien et la mer rouge au XVI Siècle, 2 vols. (caire 1925)

كون (كارلتون) قصة الشرق الاوسط (بيروت ١٩٥٩) ترجمة برهان دجاني

لبيير Lybyer (A.H.) The Govemment ofthe Ottoman Empire in the time of Suleiman the magnificent(Cambridg 1913)

لونكريك (ستيفن) اربعة قرون من تاريخ العراق (بيروت ١٩٤٩)ترجمة جعفر الخياط

Longrigg (st.) trcq 1900 - 1950 (Oxsoyd, 1953

Wingate (Ronold) Wingate of the Sudan (lorndon 1955)

اليازجي (ناصيف) رسالة في بيان نظام لبنان الاقطاعي ، الهلال ١٣ : ٥١٣

ماسون (بول) Masson (Paul) Histoire du commerce française dans le levant an XVIII siècle (paris 1911)

الماردني (المعلم نابليون) منتزه العباد في مدينة بغداد تاريخي وجغرافي (بيروت ١٨٨٧) المطبعة اللبنانية

ماضي (محمد عبد الله) النهضة الحديثة في جزيرة العرب ـ في المملكة العربيـة السعودية (القاهرة ١٩٥٢)

مايلز Miles (Col S.B.) The conntries and the tribss of the Persian Gulf, 2 vols (London, 1919)

مجلة المجمع العلمي العربي ـ انظر معلوف والمغربي

المحبي (الامين) خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر (مصر ١٢٨٤) ٤ اجزاء

محمود (حسن سليمان) تاريخ اليمن

مدلتون Middleton (sir Henry) The sixth voyage .. by the.E.I. Co. Purchase III : 115

المرادي (محمد خليل) سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر (بولاق ١٣٠١) ٤ اجزاء في مجلدين

مصطفى (شفيق) في قلب نجد والحجاز (مصر ١٩٢٧)

المشرق ـ انظر شيخو

المعبري (الشيخ زين الدين بن عبد العزيز) تحفة المجاهدين في اخبار البرتكاليين حتى ٩٩٣ هـ (حيدر اباد ١٩٣١)

المعلوف (عيسى اسكندر) اسرة آل فارحي بدمشق مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٦ : ٢٢٨-٢٣٢

المغربي (الشيخ عبد القادر) يهود الشام منذ مئة عام مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٩ : ٦٤١-٦٥٣

المقار (محمد بن جمعة الباشات والقضاة في دمشق ـ انظر صلاح الدين المنجد

منجانا Mingana (A) Alist of the Turkish governers .. and Judges of Aleppo, 1519-1747, Bull. John Rylands. librory-vol lo, no 2, (Joly 1927)

المنجد (صلاح الدين) ولاة دمشق في العهد العثماني (دمشق ١٩٤٧) نشر مخطوطي القاري والمقار

ناصيف (حسين بن محمد) ماضي الحجاز وحاضره (مكة ١٣٤٩)

النبهاني (محمد) التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (مصر ١٩٢٣)

نص (عزت) احوال السكان في البلاد العربية (القاهرة ١٩٥٥) معهد الدراسات العربية

نعمان (انور) محاضرات عن جغرافية سورية ـ لم تطبع

نوفل (نوفل نوفل الطرابلسي) المذكرات التاريخية عن تاريخ دمشق (حريصا ١٩٢٠)

هاشم (محمد بن هاشم) حضرموت ـ تاريخ الدولة الكثيرية (؟ ١٩٤٨)

هاكلويت Hakluyt (Richard) The Principal .. Voyages of the English nation, 8 vols, E.M.L.. , (London 1962)

هاي Hay (Sir Rupert) The Persian Gulf States (Washington 1959)

هكن بوتام Hickin botham (Sir Tom) Aden (London, 1958)

الواسعي (عبد الواسع بن يحيى اليماني) تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن (القاهرة ١٣٤٦)

وتك Wittek (Paul) The Turkish Documents in Hakluyt, 2 Voyages, Bsoas, XIX; 57 (Nov 1942) pp 121-36

ولتر

ولسن Wilson (Arnold) The Persian Gulf (London, 1954)

ونجت Wingate (Ronald) Wingate of the Sudan (London 1955)

وهبة (حافظ) جزيرة العرب في القرن العشرين ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٥

اليازجي (ناصيف) رسالة في بيان نظام لبنان الاقطاعي ، الهلال ١٣ : ٥١٣

اليافعي (صلاح البكري) تاريخ حضرموت السياسي جزءان المطبعة في مصر

اليمن ظاهرها وباطنها بعد ١٩٤٦

اليمن المنهوبة المنكوبة ـ نشرة غير مؤرخة ـ بعد ١٩٤٧

* * *

اسماء الاماكن والبلدان في البلاد العربية الواردة في الكتاب

* * *

فهرس الاعلام

م — فهرس الامم والشعوب

والقبائل والعائلات والتجمعات المختلفة

د — فهرس الاصطلاحات

قل لمن يحمل همًّا   إن همًّا لا يدوم

مثل ما يفنى السرور   هكذا تفنى الهموم

ولما كشفت التراب عن سطحه   وجدت به صنفاً

عمر

170

20
15
20
10
20
25
7
15
20

152